جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانيـــــــة
قسم التاريخ

التسلية والترفيه في بلاد اليونان القديمة حتى عام 323ق.م

رسالة قُدِمت

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التربية/

التاريخ القديم

من قبل الطالبة

رسل خليل محمد جواد

إشراف

أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي

1444هـ 2023م

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Babylon
College of Education for Human Sciences
Department of History

Leisure and Entertainment in Ancient Greece Until the year 323 BC

Cultural study

A Thesis Submitted to the Council of the College of Education for Human Sciences /University of Babylon, which is part of The Requirements for The Degree of Master in Education in Ancient History

By:
Rusul Khaleel Muhammed Jawad

Supervised By:
Prof.Dr. Qais Hatim Hani Al-Janabi

1444 AH **2022 AD**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ

وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الحديد – آية (20)

الإهداء

إلى نبي الرحمة وشفيع الأمة أبي القاسم محمد (صل الله عليه وآله وسلم)

إلى من بدعائهم انير دربي والداي العزيزين أدامهما الله لي ذخراً وسنداً

إلى من شجعني وساندني إخوتي حفظهم الله

إلى من شاطرني الألم والأمل وأشعل شموع التضحية حباً وكرامة رفيق دربي زوجي رعاه الله

إلى من تحملن معي كل الصعاب واقتطعت الكثير من وقتهن ثمرة فؤادي بناتي (زينب، زهراء، شمس، لُجين)

إلى كل من علمني حرفاً

إلى كل من ساندني ولو بابتسامة

الباحثة

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وهب الإنسان العلم وفهّمه، فأرسل رسوله قدوة ومعلماً، فكان خير معلم للبشرية جميعاً، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلاماً على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أشكر الله العلي العظيم على مساعدتي في إتمام هذه الرسالة، ثم أوجه آيات الشكر والعرفان بالجميل إلى (أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي) المشرف على الرسالة الذي منحني الكثير من وقته، وكان لرحابه صدره وسمو خلقه وأسلوبه المتميز في متابعة الرسالة أكبر الأثر في المساعدة على إتمام هذا العمل، وكان خير قدوة ونبراس أقتبس منه نور المعرفة وأتمنى له دوام الصحة والسلامة والموفقية، وأسأل الله العلي القدير أن يجازيه عني أفضل الجزاء، وأن يكتب صنيعه في ميزان حسناته.

ويشرفني أن أقدم خالص الشكر والتقدير إلى (أ.د. اسامة عمران الطائي) على ما قدمه لي من مساعدة كبيرة في اختيار الموضوع، أسأل الله تعالى له التوفيق والسداد على كرمه وسعة صدره وحسن أخلاقه، والشكر موصول إلى أساتذتي في قسم التاريخ (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)، وأخص بالشكر أساتذتي الذين أشرفوا على إعدادي في المرحلة التحضيرية (أ.م.د. كاظم جبر سلمان، أ.م.د. أحمد حبيب، أ.م.د. حامد العلي الجنابي) الذين أعتز بكوني من تلاميذهم فجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء.

ويقتضي من العرفان بالجميل أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى (أ.د. ميثم النوري في كلية الآداب/ جامعة بغداد)على ما قدمه لي من مساعدة وما أسبغه من ملاحظات مهمة وقيمة لغرض إنجاز الدراسة، وإتاحة الفرصة للتعلم من فيض علمه والاستفادة من ملاحظاته وتوجيهاته البناءة فله مني كل الشكر والتقدير، وأسأل الله أن يوفقه ويديم عطائه العلمي.

وفي الختام أقف عاجزة عن تقديم شكري وامتناني إلى أسرتي الكريمة التي شدت من أزري ويسرت لي كل الصعاب وأدعو الله أن يحفظهم من كل سوء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
شكر وامتنان	ج
قائمة المحتويات	د – ح
المقدمة	**1 – 4**
التمهيد	**5 – 13**
لمحة عن الأوضاع الجغرافية في بلاد الاغريق القديمة	5
الموقع وأثره	6
أصولهم	8
تسميتهم	9
لمحة عن الأوضاع السياسية في الاغريق القديمة	10
التسلية لغة واصطلاحاً	13
التسلية في اللغة	13
التسلية اصطلاحاً	13
الترفيه لغة واصطلاحاً	14
الفصل الأول **ألعاب التسلية والترفيهية ووسائلها**	**15 – 54**
التسلية والترفيه بين طبقات المجتمع الاغريقي	15
المبحث الأول/ الألعاب الهيلينية	18
1– الألعاب الأولمبية	18
الشعار أو الرمز الأولمبي	25
الشعلة الأولمبية	25
2– الألعاب البيثية	26
3– الألعاب النيمية	28
4– الألعاب الاستمية (البرزخية)	29
5– ألعاب مارستها النساء	30
سباق الماراثون	32

المبحث الثاني/ وسائل التسلية والترفيه	33
اولاً: وسائل التسلية والترفيه ذات الطابع البدني	33
1 – الفروسية وسباق الخيل	34
2– الصيد والقنص	37
3 – المصارعة	39
4– مصارعة الديوك	41
5– الملاكمة	42
6 – السباحة	44
7– الحمامات	45
ثانياً: وسائل تسلية وترفيه الطفل في المجتمع الاغريقي	48
أهم ألعاب الأطفال	51
الفصل الثاني **التسلية والترفيه في الأعياد والمناسبات**	**95 – 55**
المبحث الأول/ الأعياد والاحتفالات	55
أولاً/ الاشتراك في الأعياد والمواكب	55
دوافع الأعياد والاحتفالات	55
عيد زيوس	57
عيد ديميتر	58
عيد ديونوسيا	58
عيد ديدالا	59
عيد جاميليون	59
عيد إليوسينيا	60
عيد الأعوان	60
عيد كاميليا	60
أعياد عائلية وشخصية	60
أعياد الإباحة	61
عيد الكرونيا	61
عيد الجامعة الأثينية	61
عيد المتاجيتنيا	62

عيد الباناثينايا	62
عيد الزهور (الانثيستيريا)	62
عيد الخصب والتناسل (أعياد الثيسمورفوريا Thesmophoria)	63
عيد لينايا	64
عيد دياسيا	64
عيد الديبوليايا	64
أعياد أخرى	64
ثانياً/ إقامة الحفلات والولائم	65
احتفال الأسرار أو التخفي إليوسيس Eliosis	65
احتفالات المحصول الجيد	67
احتفالات الألعاب الأولمبية	67
احتفال بيانوبسيا	72
احتفال إلافيبوليا	72
احتفال مايماكتيريا	72
احتفال البوسيدايا	72
احتفال هالوا	73
المبحث الثاني/ الأدب التعبيري	74
دوافع الأدب التعبيري	74
أولاً/ الخطابة	74
أبرز خطباء الاغريق	77
دمستين	77
سقراط	79
ساحة السوق (الاغورا)	81
ثانياً/ القصص	83
مميزات القصص	83
قصص شهيرة سمعها الناس عن فلاسفة الاغريق	84
قصة تانتالوس	84
قصة الفيلسوف أرسطو طاليس	85
قصة الفيلسوف بياس	85

قصة الفيلسوف أبيمانيتس	85
ثالثاً/ الشعر	86
أبرز شعراء الاغريق	87
بنداروس	87
أريون	88
هوميروس	88
هسيودوس	92
آلقيوس	93
صولون	94
سافو	94
الفصل الثالث **وسائل التسلية والترفيه ذات الطابع الفني**	**96 - 129**
المبحث الأول/ الموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية	96
الموسيقى والرقص	96
الألعاب البهلوانية	100
المسرح الاغريقي ودوره في التسلية والترفيه	101
أولاً/ الاحتفالات الدينية	102
ثانياً/ العروض الغنائية الجادة	104
ثالثاً/ التمثيل	106
غرفة الممثلين	108
ملابس التمثيل	108
الأقنعة	109
الجمهور أو المشاهدون	109
مدرجات المشاهدين	110
الديكور المسرحي	110
الأوركسترا	111
خشبة المسرح	111
المبحث الثاني/ العروض المسرحية	112
أولاً/ التراجيديا	112

أجزاء التراجيديا	115
أبرز مؤلفي التراجيديا	116
أيسخولوس	116
أشهر مسرحيات ايخولوس	118
مسرحية برومثيوس سجيناً مقيداً	118
مسرحية برومثيوس طليقاً	118
مسرحية أوريست	118
سوفوكليس	119
يوريبيديس	121
أشهر مسرحيات يوريبيديس	122
مسرحية الكترا	122
ثانياً/ الكوميديا	123
أدوار الكوميديا	124
أبرز مؤلفي الكوميديا	126
أريستو فانيس	126
ثالثاً/ الساتيري	128
الاستنتاجات	**131 – 130**
الملاحق	**148 – 132**
المصادر	**164 – 149**
الملخص باللغة الإنكليزية	**A – C**

Abstract

The Greek civilization is considered one of the most important civilizations in the ancient world, because of its prestigious position and cultural product that had an important impact on the march of human civilization, so it acquired and collected cultural characteristics that distinguished it from other civilizations, as the ancient Greeks were able to gather a complex population composition that is united by a well-organized political system And more than that, the population of the Greeks was governed by strict laws, and these political, military and civilized laws were a natural outgrowth of the pressures and complexities of daily life that the Greeks lived in that era, as well as the expansionist thought that made Greek society most of the time in a state of war, and therefore it was necessary They have to find an outlet and an escape to get out of this atmosphere charged with constant tension. The entertainment aspect was of great importance in the life of the Greek individual, young or old, because it was an important outlet for them in their daily lives. And an important source for renewing their activity, spreading the spirit of fun and relaxation, and keeping them away from the negative atmosphere that coincides with their daily life and its difficulties. Therefore, the ancient Greeks excelled in finding the means by which they occupied their spare time.

Research in such topics Is of great Importance, through which It is possible to learn about the nature of the daily life of the ancient Greeks, as well as to learn about the means of entertainment, games and competitions that the Greeks practiced .

From this point of view, we put forward a hypothesis for the message, represented In the fact that the ancient Greeks had free time, and this time had to be filled with various activities aimed at entertainment, entertainment and self-recreation, and that these recreational activities and activities were multiple and varied, And both young and old, male or female, participated In them. And some of them developd to be periodic activities that are practiced for each known period and are subject to arbitration according to

conditions that must be met In participation, and the religious aspect must have a role in some of these activities and games, and we try in this research to prove this hypothesis .

This type of studies requires a descriptive approach. In order to simplify and ease access to what we aspire to know the various aspects of the subject.

The nature of the research required dividing it into three chapters, which we preceded with a preamble and concluded with conclusions that we reached. The first chapter (entertainment games and their means), and it consists of three sections. The first section was devoted to defining the (Hellenic Games) that included the Olympic Games, and we separated the impact of these games on the life of Greek society, as well as the role of women in these games, and we shed light in the second topic. On (means of entertainment and entertainment among the classes of Greek society), which in turn was divided into axes, including: means of entertainment and entertainment of a physical nature, in which we talked about physical athletics, as well as means of entertainment and entertainment of an artistic nature, in which we touched on music, dance and singing, And the impact of these arts on every aspect of life among the ancient Greeks, and we showed in the third topic (means of entertainment and entertainment for the child in the ancient Greek society) starting from raising the child and ending with The most important means of entertainment that was commonly used by children in the ancient Greeks.

As for the second chapter, it bore the title (entertainment and entertainment on holidays and events), and it included two sections: the first was devoted to defining (festivals and celebrations in the countries of the Greeks), and we mentioned in it the most prominent of these celebrations and holidays and the reasons for their emergence, then we stopped at banquets and their occasions, types and what is presented in them, and the second topic concerned With (expressive literature), its motives and types, especially rhetoric, and we mentioned the most prominent orators in

ancient Greece, as well as the stories and poetry that the Greek population was famous for.

The third chapter was titled (The Role of the Greek Theater in Entertainment and Entertainment), and it had two topics: In the first topic, we mentioned (the emergence of the Greek theater), and we discussed a number of opinions that were said about the emergence of the Greek theater and the beginnings of its emergence, and we separated that in axes in which we dealt with religious celebrations and reviews Lyricism and acting, and we explained the motives and goals of each, and in the second topic, we reviewed (theatrical performances) that were popular in ancient Greece and their motives, whether they were tragedies or comedies, as well as the most prominent authors of tragedy and comedy.

لمحة عن الأوضاع الجغرافية في بلاد الاغريق القديمة

للعوامل الجغرافية أثر مهم في بناء الحضارة الاغريقية، إذ أن الظروف البيئية أثرت في تاريخهم تأثيراً كبيراً، فالإنسان الاغريقي القديم في تلك العصور وظف كل امكاناته لمواجهة التحدي الذي شكلته جغرافية بلاده؛ وبلاد الاغريق تتميز بكونها ذات طبيعة جبلية قليلة الزراعة وقليلة الخصوبة، فضلاً عن كونها إقليم جاف، ومحاطة ببحار صالحة للملاحة، ولعل العامل الجغرافي الأخير أسهم في بناء حضارة الاغريق وانتشارها[1]، وكانت بلاد الاغريق قديماً تقسم إلى مقاطعات عدة، تمثل كل منها دولة مستقلة، وأهم تلك المقاطعات أثينا[2] واسبارطة[3] وكورنيثة[4] وطيبة[5] واركادية[6] ومقدونية[7]، وانتشرت الحضارة الاغريقية لتشمل كل أرض كانت لهم فيها الغلبة، يربطهم في ذلك وحدة العنصر لا الوحدة الجغرافية[8].

---

(1) ابتهال عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الاغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني، دار الفكر، عمان، ٢٠١٤، ص ١٨.

(2) هنالك أثينا الآلهة، وأثينا المدينة، وأثينا الآلهة إلهة الحكمة والقوة وإلهة الحرب وحامية المدينة، أما أثينا المدينة: فهي مدينة صغيرة، وُجدت في العصر الموكيني. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص41.

(3) واحدة من أشهر المدن الاغريقية، أسست في نحو القرن التاسع قبل الميلاد، وهي مركز شبه جزيرة البيلوبونيز، نافست أثينا على زعامة الإغريق وتفوقت عليها بانتصارها في حرب البيلوبونيز (431-404ق.م). نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، مطبعة الكمال، دمشق، 1965، ج1، ص403؛

M. Bostovtzeff, Greece, New York, 1963, p. 74.

(4) مدينة اغريقية مهمة تقع على الشريط الأرضي الذي يربط بين وسط اليونان وشبه جزيرة البيلوبونيز، تطل على البحر الأيوني من جهة الغرب وعلى بحر ايجه في الشرق، ويرتبط اسمها بأساطير كثيرة أهمها أسطورة اوديب. سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ترجمة: احمد عثمان، مطبعة وزارة الإعلام، الكويت، 1981، ص247.

(5) وهي أهم مدينة في مقاطعة بويوتيا، أسست من قبل الملوك الشرقيين الذين جاءوا من صور الفينيقية أو من مصر، واسمه كادموس لذلك تسمى احياناً كادميا. المصدر نفسه، ص242.

(6) تقع في وسط شبه جزيرة البيلوبونيز، وأهم مقاطعاتها، وتتكون من هضاب تحيطها مرتفعات وعرة، وتعد المقاطعة الوحيدة من بين المقاطعات اليونانية التي لا تطل على البحر. حسين الشيخ، اليونان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٢، ص22.

(7) هو من أهم أقاليم شبه جزيرة البلقان، ويقع جنوب شرق أوربا، وهو دولة مقدونيا حالياً.

R. Ghirshman, From the Earliest Times to the Islamic Conquest, Penguin Editorial, London, 1954, p.148.

(8) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، ٢٠١٢، ص١١؛ رجب عبد الحميد الاثرم، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط٢، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠١، ص١٩.

الموقع وأثره

تشكل بلاد الاغريق القسم الأكبر من جزيرة البلقان حيث تقع شبه جزيرة الاغريق، وتحتل الأجزاء الجنوبية الشرقية لقارة أوربا، وتعد بلاد الاغريق شبه جزيرة، لأنها محاطة بالبحار من ثلاث جهات: إذ يحيط بها بحر ايجه من الجهة الشرقية، وفي الجهة الجنوبية يحدها بحر كانديا الذي يعد جزء من البحر المتوسط(1)، ويحدها من جهة الغرب البحر الأيوني وبحر الادرياتيك، ومن الجهة الشمالية ترتبط بلاد الاغريق براً بمقاطعة مقدونيا، وأغلب أراضي الاغريق وعرة بمساحة صغيرة لا تتجاوز الـ(131,000 كم^2)، وتشكل المناطق الجبلية تبلغ نحو 60% من مساحتها الكلية(2).

إن وقوع بلاد الاغريق في الزاوية الجنوبية الشرقية من قارة أوروبا والمطلة على البحر المتوسط، وساعدت الجزر المنتشرة في بحر ايجه والبحر المتوسط على ديمومة هذا الاتصال(3)، الأمر الذي جعل منها أقرب المناطق الأوروبية إلى مراكز الحضارات في الشرق الأدنى القديم، كبلاد النهرين ومصر وسوريا وآسيا الصغرى، وبفضل هذا الموقع كانت أكثر حظاً من بقية الأقطار الأوروبية في تلقي أسس ومقومات تلك الحضارات، فكان هذا التقارب حافزاً ساعد سلسلة الجزر في بحر ايجة على تشجيع الاتصال بين الشرق والغرب(4)، فتأثرت بتلك الحضارات بشكل كبير جداً شمل جميع جوانب الحضارة، وكان لها أيضاً نتاجها الحضاري الذي أثر في سير حضارة العالم القديم(5).

وخلال القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد تمكن الاغريق من الاستقرار في آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه، وتمكنوا من التوسع في أجزاء من شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة وايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا وجزيرة صقلية(6)، وجميع هذه الأراضي مطلة على البحر المتوسط عدا البرتغال(7)، فسيطرت بذلك على التجارة البحرية والبرية في هذه المناطق(8).

---

(1) حسين الشيخ، اليونان، ص٥.

(2) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، مطابع الف باء الاديب، دمشق، (د.ت)، ج1، ص23.

(3) أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، الموصل، 1977، ص7؛ ابراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، المكتب المصري، القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص٥٥.

(4) عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان–دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب، الموصل، 1993، ص١٣.

(5) محمد حسين النجم، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم واثرها عند اليونان، المطبعة العربية، بغداد، 2003، ص ص190–191.

(6) أكبر جزر البحر المتوسط، تقع جنوب شبه إيطاليا، وأكبر الأقاليم العشرين المكونة لايطاليا من حيث المساحة. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ج2، ص47.

(7) Francis .S. Betten, The Ancient World from the Earliest Times to 800 A.D, New York, 1916, p. 10.

(8) عادل نجم عبو، عبدالمنعم رشاد، اليونان والرومان، ص١٥.

وتمتاز بلاد الاغريق بمناخ معتدل ثابت نسبياً بسبب تأثرها بمناخ البحر المتوسط المعتدل، إذ تتعاقب فصول السنة الأربع على هذه البلاد بانتظام، فالمناطق السهلية الداخلية تمتاز بصيف حار جاف، في حين تخف حدة الصيف في المناطق الساحلية[1]، ويمتاز شتاء الاغريق بكونه معتدل مشمساً مطيراً، في حين تكون المناطق الجبلية باردة، ورغم قلة الأمطار في هذه البلاد إلا أنها تتركز في أواخر الخريف والشتاء وفي بداية الربيع، وقد أسهم هذا الجو المعتدل في التأثير على الوضع النفسي للإغريق وميله نحو الهدوء وصحة العقل والبدن والنشاط المتواصل، مما تسبب في ميل الاغريق للجانب الفلسفي وتطور حياتهم الفكرية، وامتازوا بميلهم للحكمة[2]، فطقس البلاد الدافئ المعتدل وشمسها المشرقة طوال العام إلى جانب التراكيب الجغرافية من جبال وسهول وأنهار ووديان ساعد على نمو ونضوج العقلية الإغريقية، وجعلها أكثر تحرراً وتنوعاً، وأقل جموداً من غيرها، كما شجع السكان على قضاء وقت اكبر خارج ديارهم، ولهذا فقد اهتموا بالرياضة البدنية التي كانت من أهم مميزات مظاهر الحياة الاجتماعية، وساعد التنوع الجغرافي وامتداد البحار الشاسعة حول شبه الجزيرة الاغريقية على نمو الخيال الفني الذي تزخر بها اساطيرهم، فقد طاب للإغريقي ان يمزج الحقيقة بالخيال[3].

(1) هـ. د. كيتو، الإغريق، ترجمة: عبد الرزاق يسري، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص35.

(2) تيودور جياناكوليس، اليونان – شعبها وأرضها، ترجمة: محمد أمين رستم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963،ص14؛ حميد موراني وعبد الحليم منتصر، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتب، الموصل، 1977، ص27.

(3) سيد احمد علي الناصري، الاغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص١١-12.

أصولهم

كانت بلاد الاغريق يسكنها (البلاسيجيين)[1] (Blasegen) و(الليجيين)[2] (Leges)، الذين يعدون سكان البلاد الاصليين منذ عصور موغلة في القدم، ولا يعرف عنهم إلا القليل، ولكنهم بالتأكيد سبقوا الاغريق في سكن هذه البلاد[3].

أما الاغريق فتعود أصولهم إلى الفرع الغربي من الأقوام الآرية (الهندو- أوربية) التي هاجرت في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد من جنوب روسيا إلى حوض نهر الدانوب[4] غرباً، ثم ما لبثت أن انتشرت هذه القبائل في مناطق واسعة بالبلقان وشمال الاغريق منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد[5].

والقبائل الاغريقية الرئيسة أربعة، ترتبط جميعها بأصل واحد ولغة واحدة بلهجاتٍ مختلفة[6]، وهذه القبائل هي: قبيلة الاخائيين (Acheens) وقبيلة الأيونيين (Ionians) وقبيلة الأيوليين (Aeoliens) وقبيلة الدوريين (Dorians)، ثم أضيفت لها قبيلة التساليين (Tasslions) وقبيلة البيوسيين (Beusun)، وتشترك هذه القبائل بعادات وعقائد[7].

---

(1) هم سكان بلاد اليونان قبل قدوم الإغريق إليها، يرجع استيطانهم لشبه جزيرة اليونان الى عصور موغلة في القدم، لذا يعتبرون سكان البلاد الأصليين، ولا يعرف عنهم إلا القليل، وتشير المعلومات عنهم إلى إنهم كانوا البناة الأوائل للحضارة الميسينية (1600-1200 ق0م). محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص87؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص59؛ اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة: محمد توفيق حسين، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، 1989، ص ص24-25.

(2) هم من سكان بلاد اليونان قبل مجيء الإغريق، سكنوا الى جانب البلاسيجيين. نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1، ص372؛ أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، المطبعة الأهلية، بيروت، 1981، ج1، ص117.

(3) N . G . L . Hammond, Ahistory of Greece to 322 B.C, Oxford University Press, Oxford, 1961, pp. 35-36;

ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، مج2، ج1، ص59..

(4) ثاني اكبر انهار أوربا بعد نهر الفولغا، إذ يبلغ طوله 2816 كم، وهو ينبع من جنوب غرب ألمانيا، ويجري في وسط وجنوب شرق أوربا، لينتهي في البحر الاسود، ويسمى الحوض السفلي منه ايستر. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1959، ص778.

(5) جيمس هنري برستيد، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1926، ص192؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، بيروت، 2011، ج2، ص ص607-608.

(6) أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ص9.

(7) محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص12.

تسميتهم

ينسب الاغريقيون أنفسهم إلى جدهم الأسطوري هيلين، لذا أطلقوا على انفسهم اسم الهيلينيين (Hellenes)[1]، كما أطلقوا على بلادهم اسم (بلاد هيلاس) (Hellas)، و(هيلاس) أو (هلاس)، مقاطعة صغيرة وسط بلاد الاغريق، وفيها معبد للآلهة ارتميس قرب ثيرموبيلي ومعبد للإله ابوللو[2]، ومنه اشتقت تسمية العصر الهلنستي[3].

واشتقت تسمية الإغريق من قبيلة اغريقية اسمها (غرايوي) (Grayuai) أو (غرايكوي) (Graygoy) أو (جرايس) (Gries)، التي كانت تستوطن الساحل الغربي لبلاد الاغريق، أي أنها بموقعها هذا تكون قريبة من إيطاليا، ويبدو أنها كانت من أوائل القبائل الاغريقية التي اتصلت بالسكان في تلك المنطقة، لذا أطلق على الاغريقيين بصورة عامة اسم (غريسي) أو (غريكي)، ومنها اشتق اسم الاغريق[4].

أما تسمية اليونان فهي مشتقة من اسم (ياوون) التي أطلقها الفينيقيون على الهيلينيين، وأصل هذا الاسم مأخوذ من اسم احدى القبائل اليونانية التي كان يطلق عليها اسم (ايون) أو (الأيونيين)، ثم تحول اسم (ياوون) إلى (يونان)[5].

---

(1) محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص11؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، ص610.

(2) نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1، ص370؛ أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، ص177. هناك من يرى أن تسمية الهيلينيين مشتقة اسم قبيلة يونانية تدعى (هيللوس)، وهي تسمية ذات صبغة دينية. محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص11.

(3) بدأ استخدام تسمية العصر الهلنستي في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وأول من اطلقها المؤرخ الألماني يوهان جوستاف دريزن، وأطلقها على المدة التي سيطرة فيها الاسكندر المقدوني على الشرق الأدنى القديم، ويستمر هذا العصر لمدة تزيد على الثلاثة قرون (333–30ق.م)، حيث امتزجت خلال هذا العصر الحضارتين الشرقية واليونانية. طه باقر، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1980، ص118؛ عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ط4، دار القلم، بيروت، 1980، ص4؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997، ص ص15–16.

(4) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص105.

(5) هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص200؛ محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص105.

لمحة عن الأوضاع السياسية في الاغريق القديمة

تشير التنقيبات الأثرية إلى بلاد الاغريق قد تم استيطانها منذ نحو 400,000 سنة، ومرت أسوة بقارة أوربا بعصور حجرية سبقت التاريخ، كالعصر الحجري القديم والوسيط والحديث الذي انتهى في نحو 3000ق.م، واهتدى الانسان في بلاد الاغريق إلى الزراعة خلال العصر الحجري الحديث، ويبدو أنه خلال هذه الحقبة قد تأثر بالمنجز الحضاري للشرق الأدنى القديم، جاء هذا التأثر بفعل هجرة أقوام من آسيا الصغرى إلى سواحل الاغريق الشرقية وفي بعض جزر بحر ايجه في المدة 6000-5500ق.م، وادخلوا معهم صناعة الفخار[1].

وفي الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد استقرت هجرات أخرى لأقوام قادمة من الشرق في بعض الجزر الايجيه وشبه جزيرة الاغريق، مما أدى إلى اختلاط السكان وتكون جنس هجين استوطن بلاد الاغريق، وشهدت شبه جزيرة الاغريق خلال العصر البرونزي (3000-1400 ق0م) دخول موجات أخرى من المهاجرين قادمة من آسيا الصغرى، وخلال هذه الحقبة ظهرت الحضارة الكريتية[2].

كانت بلاد الاغريق قبل 2000ق.م يسكنها البلاسيجيون (Blasegen) والليجيون (Leges)، الذين لا يعرف عنهم الكثير، إلا أنهم يعدون سكان البلاد الأصليين كونهم استوطنوا هذه المنطقة منذ عصور قديمة[3]، وتشير المصادر التأريخية إلى أن هؤلاء البلاسيجيين كانوا البناة الأوائل للحضارة الميسينية (Mycenai[4]) (1600-1200ق.م)[5].

---

(1) اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ص ص13-14؛ عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد محمد، اليونان والرومان ص16؛ N . G . L . Hammond, Ahistory of Greece to 322 B.C, p. 37.

(2) سيد احمد الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978، ص ص16-25؛ هـ. د. كيتو، الإغريق، ص14؛ N . G . L . Hammond, Ahistory of Greece to 322 B.C, p. 37.

(3) اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ص14؛ هـ. د. كيتو، الإغريق، ص12؛ هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص201.

(4) سميت بهذا الاسم نسبة إلى مايسيناي التي كشفت عنها التنقيبات وعن مدن أخرى تعود إلى هذا العصر، وتعد أول حضارة ظهرت في بلاد اليونان في جهاتها الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز، ونشأت بتأثير الحضارة الكريتية والحضارات الشرقية لاسيما المصرية، واستمرت نحو أربعة قرون (1600-1200ق0م)، وتعد مدينتي ميسيني وتيرنس أبرز مراكزها، وكشفت التنقيبات عن صورة واضحة لحضارة سادت وازدهرت في هذا العصر، وان بلاد اليونان في العصر الميسيني لم تكن مستعمرة لجزيرة كريت. أندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ص٣٢؛ عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان، ص ص٢٥-٢٦.

(5) نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1، ص372؛ أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، ص117.

وبدأ الاغريق يشكلون عنصراً مهماً في البلاد منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، فاختلطوا بالبلاسيجيين، وبسطوا سيطرتهم عليهم، ثم تمكنوا من السيطرة على حكم البلاد في نحو سنة 1250ق.م، كذلك تمكنوا من فرض الثقافة الاغريقية كاللغة والدين على سائر البلاد، وتلاشت تدريجياً الحضارة الميسينية، لتحل محلها الحضارة الاغريقية[1].

مرت بلاد الاغريق بعد اجتياح القبائل الدورية لها عام 1100ق.م بمدة مظلمة، طمست خلالها معالم الحضارة الايجية، وسادت الاضطراب بلاد الاغريق لنحو ثلاثة قرون (1100–800ق.م)[2]، ثم جاء عصر ازدهار الحضارة الاغريقية الذي يطلق عليه العصر الكلاسيكي، إذ بدأ ما يعرف بنظام دولة المدينة يظهر في بلاد الاغريق بدأً من أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، والذي أطلق عليه مصطلح (Polis) وبالإنكليزية (Citiy–State)، إذ أصبحت كل مدينة اغريقية كياناً سياسياً مستقلاً على شكل الدولة لها نظامها وإدارتها وجيشها وحتى آلهتها الخاصة[3].

ويقسم نظام دول المدينة في بلاد الاغريق إلى أربعة عهود، بحسب نوع الحكم في كل عهد، وهي: العهد الملكي الذي استمر للمدة (1100–750ق.م)، وادعى الملوك خلال هذا العهد بأن الآلهة باركتهم، مما يعطي حكمهم صبغة دينية[4].

ثم جاء العهد الأرستقراطي الذي استمر للمدة (750–625ق0م)، إذ بدأت الملكية ككيانات سياسية تفقد مقومات وجودها بفعل العامل الاقتصادي وما تبعه من تطورات اجتماعية تمثلت بظهور طبقة أرستقراطية (Aristot)[5] مكوّنة من زعماء القبائل الأثرياء وملاك الأراضي الزراعية، الذين تنامت قوتهم إلى درجة كبيرة فاقت قوة الملك، فانتزعوا منه سلطاته الواحدة تلو الأخرى، الأمر الذي أدى إلى القضاء على الحكومات الملكية في دويلات المدن الاغريقية تحت ضغط الطبقات الأرستقراطية، التي سيطرت على الموارد الاقتصادية والجيش، فضلاً عن القانون الذي أصبح يحكم المدن بعد أن كانت إرادة الملك هي المتحكمة في شؤون المدينة في العهد الملكي، إذ أصبحت السلطة في العهد الأرستقراطي منذ عام 725ق.م بيد حاكم يسمى الاركون (Archon) الذي يحكم عشر

(1) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص ص85–87.

(2) الحضارة الايجية: مصطلح يطلق على حضارة العصر البرونزي في اليونان، والتي كانت منتشرة حول بحر ايجة، وتميز هذا العصر بازدهار الثقافة والفنون في هذه المنطقة. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان: مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص93؛ هـ. د. كيتو، الإغريق، ص80.

(3) جيمس هنري برستيد، العصور القديمة، ص198.

(4) جون أ. هامرتن، تاريخ العالم، ترجمة: وزارة المعارف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، مج2، ص175؛ أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ص104.

(5) كلمة يونانية تعني الأشراف من القوم. اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ص67.

سنوات فقط، بعد أن كانت قبل هذا التاريخ غير محددة، ثم قلصت في عام 683ق.م إلى سنة واحدة فقط، ثم وزعت سلطات الاركون في عام 681ق.م بين ثلاثة أشخاص: وهم الاركون والملك والقائد (بوليمارك Polimarch)، ومهمة الاركون تتعلق بالأمور الاجتماعية والأشراف على حفلات الأعياد، في حين حددت وظيفة الملك بإدارة الشؤون الدينية، أما القائد فمهمته إدارة المقاتلين[1]، ثم أضيف إليهم ستة مشرعين ليكونوا مجلس الحكام التسعة أو ما يعرف بـ(مجلس الاراخنة)، الذي أصبح يدير شؤون البلاد، فضلاً عن وجود مجلس الشيوخ الذي كانت له مكانة كبيرة ومؤثرة[2].

ومع تطور النشاط التجاري وتناميه ظهرت طبقة التجار الذين تعاظم دورهم في المجتمع، فاشتركوا مع الطبقة الأرستقراطية في الحكم، فظهر نظام جديد في دول المدن الاغريقية، عرف باسم نظام حكم الأقلية أو النظام الاوليغركي (Oligarchia)[3].

ثم مرَّ الاغريق بعهد الطغاة (Turannos) الذي استمر للمدة (625–525ق.م)، وسمي بذلك نتيجة استئثار نظام حكم الأقلية (الاوليغركي) بالسلطة والنفوذ والحقوق السياسية، وسوء معاملتهم لأبناء الطبقة العامة، الأمر الذي أدى لتفجير الثورات الشعبية بغية التخلص من حكم الأقلية، فاستغل زعماء من الطبقات الثرية للسيطرة على مقاليد الحكم عن طريق قيادة ثورات الطبقة العامة[4]، ثم انفردوا بالحكم بعد نجاح الثورات، فأطلق عليهم اسم الطغاة (Turannos)، ويقصد بهم هنا اغتصابهم للسلطة والانفراد بها، إلا أن الكثير من الطغاة احترموا حقوق الطبقات العامة وراعوا تطبيق العدالة والمساواة خلال مدة حكمهم بين الطبقة العامة بغية كسبها إلى جانبهم، فازدهرت المدن الاغريقية اقتصادياً وثقافياً، وصدرت خلال هذا العهد الكثير من التشريعات القانونية في أغلب دويلات المدن الاغريقية، ونتيجة لتعسف وقسوة وظلم الطغاة للشعب في أواخر القرن السادس قبل الميلاد نشبت ثورات متتالية أدت إلى سقوط حكمهم[5].

وبعد التخلص من عهد الطغاة، حل العهد الديمقراطي في بلاد الاغريق والذي استمر للمدة (525–400ق.م)، وأصبحت أثينا أول دولة ديمقراطية حقيقية في العالم[6].

---

(1) A. Rostovitzeff, Greece, 2nd edition, Oxford University Press, Oxford, 1963, p. 83; A. Ridder and W. Deohna, Art in Greek, NewYork, 1927, p. 122.

(2) أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ص18.

(3) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص113.

(4) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص123؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص114.

(5) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص187؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص115.

(6) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ص115–116.

التسلية لغة واصطلاحاً

التسلية في اللغة

كشف الهم والتخفيف عن المبتلى، ويظهر ايضاً أن لفظ التسلية عندما تأتي بمعنى اللهو واللعب فإنها في حقيقة الامر تعود إلى المعنى الرئيس الذي هو التخفيف، لأن هذا اللهو واللعب يقصد به التخفيف ونشر الفرح والسرور[1]، ((**وانه لفي سلوة من العيش أي في رغد يسليه من الهم، والسلوان والسلوة: ما يتسلى به، وما سليت: أي ما لهيت، وسليتُ مباكٍ فلانٍ: أي كففت عنه**))[2]، و((**السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلوا، والأطباء يسمونه المفرح**))[3].

التسلية اصطلاحاً

ورد في معنى التسلية في الاصطلاح ما ذكره المناوي في "فيض القدير" أن التسلية: هي تخفيف عما في النفس من الهم والحزن[4]، والمتأمل في تعريف التسلية يجد أن التعريف الاصطلاحي للتسلية لا يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، فهما يعودان في النهاية إلى معنى واحد، بتعزيته ومواساته وجبر خاطره، إلا أن المعنى الاصطلاحي أضاف الغاية من هذه التسلية؛ وهي إزالة الحزن[5]، والتسلية هي قضاء وقت ممتع وجميل بعيداً عن الهم والحزن وضغوطات الحياة، وادخال السرور على النفس والانبساط والمضي قدماً لما سعى اليه الانسان[6].

---

(1) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1972، ج1، ص 405.

(2) اسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ج8، عالم الكتب، بيروت، 1994م، ص278.

(3) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 131.

(4) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، ص 480.

(5) الزبيدي، محمد مرتضى الحسين، تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2001، ج 37، ص76.

(6) فرح عبد الحميد عبد الحسين المسيباوي، التسلية والترفيه في شبة الجزيرة العربية قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2020، ص 10.

الترفيه لغة واصطلاحاً

أشتق مفهوم الترفيه Reckeation من الكلمة اللاتينية Reckeato، وتعني الانعاش وتجدد النشاط، أو تعرف بأنها نشاط وقت الفراغ الذي يهدف به الوصول إلى تحقيق المتعة والتسلية[1].

الترفيه في اللغة: ((**رفه يرفه رفوهاً؛ فهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه، ومنه الرفاه والرفاهية، ومن ذلك الرفاهة في العيش والرفاهية**))[2]، ((**ويقال: بيننا وبين فلان ليلة رافهة، ورفه عنه: اذا نفس عنه الكرب**))[3]، ((**ورفه عن الرجل ترفيها رفق به، ويقال: رفه عندي أي روح عندي واسترح واستحم واستنفه ورفه عنه: أي ازيل عنه الضيق والتعب**))[4]، والمقصود به: التنفيس عن النفس البشرية بعد الضيق؛ إذ جاء في المعجم: ((**رَفَّه عن غيرك أي نَفِّسْ عنه**))[5]، و((**الرفاهة والرفاهية بالتخفيف اتسع ولان وهو في رفاهيه من العيش، فترفه ورجل رافه مترفه مستريح مستمتع بنعمة، ورفه نفسه أراحها**))[6].

أما اصطلاحاً، فالترفيه هو النشاط الذي يمارسه الفرد بصورة تلقائية أو مقصودة وقت الفراغ، والذي يستهدف تلبية الحاجات الجسمانية، العقلية والروحية، والتي تعود عليه بالسرور والرضا[7]، وفي تعريف آخر: أن الترفيه نمط من النشاط بهدف اللهو بمختلف أنواعه، ومن التعريفات الشاملة للترفيه: التوسعة على النفس وتخليصها من الضغوطات المختلفة، وإعادتها إلى حيويتها ونشاطها[8]، فهنالك وجهات نظر متعددة حول مفهوم الترفيه، إذ يعرفه آخرون بأنه النشاط المرن المختار طواعية لذاته تحت تأثير عوامل طبيعية وبشرية، ويمارس من خلال وقت الفراغ إما فردياً أو جماعياً، وتنتج عنه آثار اجتماعية واقتصادية على الفرد والمجتمع[9].

---

(1) عمار جبار دايش، كفاءة الخدمات الترفيهية في مدينه البصرة (دراسة في جغرافية المدن)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2016، ص9.

(2) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، 1405هـ، ج13، ص492؛ الفيروزآبادي، محمد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص659.

(3) ابن فارس، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقايس اللغة، دار الفكر، بيروت، 1979، ج2، ص419.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص 492.

(5) صالح بن علي ابو عراد، الترفيه والترويح في حياة الشباب المسلم، (د.مط)، أبها، 2008، ص 12.

(6) الرافعي، احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مكتبة لبنان والتراث، بيروت، 1987، ص89.

(7) ابراهيم قطب، مفهوم الترويح ونظرياته في المجتمعات الحضرية المعاصرة، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1981، ص 502.

(8) بسام محمد عرفات زينو، المسؤولية عن الاضرار في اماكن الترفيه في الفقه الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة، 2016، ص 10.

(9) عمار عبد الجبار دايش، كفاءة الخدمات الترفيهية في مدينه البصرة، ص9.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
الدراسات العليا
ماجستير تاريخ قديم

الحملات العسكرية للملك سنحاريب

اعداد الطالبة
رسل خليل محمد

اشراف الدكتور
حامد العلي

١٤٤٢ هـ
٢٠٢١ م

المقدمة :

يعتبر تاريخ العراق القديم من اعظم الحقب التي مرت على تاريخ العالم باسره ويعتبر عصر السلالة الرجونية من العصور المهمة لما حققه مؤسسها سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق .م) من انجازات عظيمة توارثها من بعده ابنه سنحاريب بما امتاز به من انجازات حضارية عظيمة تجلت بالاعمال العمرانية والعسكرية وقد اختص موضوع الدراسة بالجانب العسكري للملك سنحاريب . وقد اتبعت الاسلوب العلمي التحليلي في كتابة البحث .

انتضمت الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تناولت في المبحث الاول الملك سنحاريب وحملاته على بلاد بابل وعيلام وتطرقت الى اعظم الانجازات التي حققها سنحاريب في هذه الحملا وسلطت الضوء في المبحث الثاني الى حملاته على بلاد الشام وتطرقت الى مقتل الملك سنحاريب .

اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع التي زودتني بالمادة العلمية منها كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لمؤلفه طه باقر ، وكتاب دراسات في التاريخ القديم لمؤلفه احمد مالك الفتيان .

المبحث الاول

أولاً : سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق . م)

خلق سنحاريب والده سرجون الثاني في عام (٧٠٤ ق . م) واستمر الى عام (٦٨١ ق . م) في اعتلاءه العرش الاشوري لقد وجه نشاطه الحربي بالدرجة الاولى الى الجهة الغربية (بلاد الشام) وبلاد بابل . اما في الجبهتين الشمالية والشرقية اللتين صرف فيهما ابوه جهوداً كبيرة فقد سادهما شيء من الهدوء والاستقرار النبيين في عهده سنحاريب ، فاقتصر الامر على ارسال حملات حربية ليست كبيرة الى جبار زاجروس واسيا الصغرى ولاسيما اقليم كيليكا [١]

وفي اوائل حكمه شبت نيران الفتنة في اطراف المملكة الاشورية ولعل القائمين بها ارادوا ان يستفيدوا من موت ابيه سرجون ، الا ان الابن لم يكن اقل دهاء وعنفاً من ابيه فاستطاع ان يضرب على ايدي المفسرين ويحتفظ بالملك الذي ورثه من ابيه ، بل اضاف اليه بلاداً اخرى . [٢]

---

(١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . ج ١، ط١ ، منشورات دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٣، ص٥١٥.

(٢) طه الهاشمي ، التاريخ والحضارة في الازمة الغابرة ، دار الفرات ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص١٤٧ .

ثانياً : حملاته على بلاد بابل وعيلام .

ظهرت الفتنة اولاً في بلاد بابل فقد اخذ مردوخ بلاد ان بعد العدة للاستقلال مرة ثانية ببلاده ومما ساعده على ذلك [١] وفاة سرجون ومساعدة العيلاميين والقبائل الكلدية والارامية في بلاد بابل له ، وقد ارسل في ذلك الوقت مبعوثاً الى حزقيا ملك يهوذا ، بحثه على اثارة المشاكل في الوقت الذي يعلن هو تمرده في بابل . فنجح مردوخ – بلا ان في ابعاد الملك البابلي مردوخ – ذكر شومي المؤيد الاشوريين ، واستولى على العرش البابلي تسعة اشهر .

وعلى الرغم من الامدادات الحربية العيلامية التي تلقاها مردوخ بلادان من [٢]

الملك العيلام شو ترك- ناخونتي ، والمتمثلة بقوة يقودها قائد حرسه الملكي الخاص وعشرة قواد آخرين ، فان سنحاريب هزمه في موقعتي كيش (قرب بابل) وكوثا وتل ابراهيم قرب مشروع، اي المسيب) شر هزيمة ثم دخل مدينة بابل [٣] ونصب عليها بيل – انجيا [٤]

نستنتج من هذا انه على الرغم من مساعدة الميلاميين لبلاد بابل ومد يد العون للثائر مردوخ – بلاد ان الا انه لم يتمكن من تحقيق الانتصار والانفراد في حكم بلاد بابل التابعة للدولة الاشورية وفي هذا ادلاله واضحة على قوة وشخصية الملك الاشوري سنحاريب حيث كان من الشخصيات البارزة التي عرفها التاريخ .

---

(١) ابراهيم زرقانة ، واخرون ،حضارة مصر والشرق القديم . دار مصر للطباعة (د. ت) ، ٣٣٠ .

(٢) وليد محمد صالح فرحان ، العلاقات السياسية للدولة الاشورية .. رسالة ماجستير ، جامعة بغداد – كلية الاداب ، ١٩٧٦ ، ص٩٩

(٣) سامي سعيد الاحمد ، الصراع خلال الالف الاول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١ ق .م) في الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٦٦.

(٤) بيل – ابني : وهو حاكم القطر البحري في عهد سنحاريب وكان احد الامراء الذين تربوا في البلاط الاشوري ، للمزيد ينظر : هادي ساكز ، عظمة بابل – ترجمه عامر سليمان ، ص١٥١ .

وما ان انسحب الجيش الاشوري حتى عاد مردوخ البلاد الى قبيلته، وبدأ تآمره بالاشتراك مع عيلام والقبائل الكلدية والارامية ، ونظراً لعدم وجود قوات مشتركة كافية تحت سيطرة بيل – ابني فلم يكن في قدرته المحافظة على حكم البلاد بصورة فعالة . لذلك كان لازماً على الجيش الاشوري في (٧٠٠ ق . م) ان يقوم بغزوة الى منطقة الكلديين ، وبحملة على الحدود العيلامية . وقد ازيج بيل – ابني وعين اشور – نادن – شومي ابن سنحاريب على عرش بابل [١]

وقد تمكن اشور – نادن – شومي من ادارة بلاد بابل بصورة جيدة وحافظ على الامن والاستقرار على الرغم من مكايد ومؤامرات العيلامين والكلديين ، وفي هذه الفترة الواقعة مابين (٧٠٠-٦٩٤ ق . م) توفي مردوخ بلاد ان الا ان عيلام ظلت تهدد مناطق الجنوب من بلاد واددي الرافدين [٢] .

لقد خطط سنحاريب الى الهجوم المباشر على عيلام في عام (٦٩٤ ق . م) عن طريق الخليج العربي ، وذلك لكي يقطع الطريق على المتمردين البابليين اللذين طالما كانوا يستغلون الاهوار المحاذية لعيلام للهرب كلما اشتد الضغط الاشوري عليهم ،لذلك كان الهجوم

(١) نيكولاس بوستفيت ، حضارة العراق واثاره تاريخ مصور . ترجمه سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد ، ١٩٩١، ص١٨ .
(٢) احمد مالك الفتيان ، درامات في التاريخ القديم ، دار الكتب والوثائق العراقية ، بغداد ، ٢٠١١، ص٢٠٠

من البحر عن طريق ساحل الخليج العربي ، وهو اسلب لم تتوقعه بلاد عيلام وكانت وسيلة سنحاريب في ذلك الهجوم سفن بنيت من قبل بحارة كنعانيين تم جلبهم من مدن صور وصيدا في اثناء حملته الحربية عام(٧٠١ ق . م) [١]

وقد هاجمت القوات الاشورية بلاد عيلام براً وبحراً ، وواصل الجيش تقدمه نحو المنطقة التي يلتقي فيها نهر الكارون بالخليج العربي . وتمكنوا في النهاية من العبور واحراز النصر في معركة خاطفة جرى عند مصب نهر الكارون .

وعلى الرغم من هذا الانتصار كان هناك خديعة تدبر لسنحاريب . فبينما كان منشغلاً بحملته الحربية ، وفي الوقت الذي تمكن فيه سنحاريب من فرض سيطرته على المدن العيلامية في جنوبي غربي بلاد عيلام بدأ الملك العيلامي خالوشو بتجهيز جيش قوي من اجل الهجوم على بلاد بابل [٢] .

غزا العيلاميون بلاد بابل في الشمال ، اذ انهم جاءوا عبر وادي نهر ديالى واحتلوا مدينة سبار وقاموا باعتقال ابن سنحاريب حاكم بابل اشو – نادن – شومي واخذوه الى بلاد عيلام ، ونصبوا بدلاً عنه كلدياً يدعى نركال – اوشيزب على عرش بابل .

---

(١) عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ط١ ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الاكاديمي ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٤ ، ص٢٣٨.

(٢) هادي ساكز ، مصدر سابق ، ١٥٢.

ونتيجة لذلك قرر سنحاريب الهجوم على بلاد عيلام عام (٦٩٣ ق . م) فيما يعرف بحملته السابقة ، وبعد سلسلة من الانتصارات في المدن الجنوبية من بلاد الرافدين من جهة . ومن جهة اخرى اضطراب الاوضاع الداخلية في بلاد عيلام والتي ادت الى مقتل الملك العيلامي خالوشو بعد ان حكم ستة اعواما ليخلفه في الحكم الملك كودر – ناخو نتي (الثاني) [١] .

توجه سنحاريب بعد ذلك بجيشه نحو المدن الواقعة في شمالي – غربي عيلام محاولاً استعادة سيطرته على المدن التي اصبحت تحت سيطرة العيلاميين خلال هجومه على الجزء الاوسط من بلاد الرافدن ، اذ قام سنحاريب بهجوم عسكري من مدينة الدير الحدودية نحو المدن العيلامية المجاورة لها وتمكن من اخضاع عدد من هذه المدن العيلامية والحاقها بالامبراطورية الاشورية .

وبعد ان وصلت اخبار الانتصارات الاشورية الى الملك العيلامي كودر – ناخونتي شعر بالخطر الاشوري مما اضطره الى الفرار من عاصمته مداكتو (Madaktu) [٢] .

---

(١) طالب منعم حبيب الشمري ، سنحاريب سيرته ومنجزاته (٧٠٤-٦٨١ ق . م) رسالة ماجستير ،جامعة بغداد ، ١٩٨٦، ص١٠٢ -١٠٣ .

(٢) نصار سليمان السعدون ، بلاد الرافدين وعيلام ، توزيع صفحات للدراسات والنشر ، سوريا – دمشق ، ٢٠١٩ ، ص١٥٣.

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه سنحاريب على بلاد عيلام ودخوله الاراضي العيلامية ، الا ان الظروف المناخية حالت دون تقدم الجيش الاشوري الى بلاد عيلام نفسها .

وفي هذه الفترة التي كان فيها الجيش الاشوري يقاتل في بلاد عيلام ، اعلن اوشيزب مردوخ في بابل مقاومته ، ورفض الاعتراف بالحكم الاشوري الا ان القوة الاشورية المتواجدة في المنطقة استطاعت من القضاء على تمرده فهرب الى بلاد عيلام ورجع مع جيش عيلامي ، واعلن نفسه ملكاً على بابل [١] .

واتبع سياسة مردوخ – بلاد ان فارس رشوة الى عيلام من كنوز المعابد من اجل المساعدة العسكرية ، وبالفعل قدم الملك العيلامي جيشاً كبيراً من بلاده ومن التابعين غير الموالين للاشوريين لمساعدة الجيش الكلدي الذي زحف نحو الشمال الى مقاطعة ارابخا (كركوك الحالية) ، اذ التقي بالجيش الاشوري بالقرب من خالولي (hslule) على نهر ديالى، فحقق الاشوريين الانتصار على هذا التحالف في هذه المعركة الحاسمة [٢] .

وفي عام (٦٨٩ ق . م) قرر سنحاريب الذي ارهقته المشكلة البابلية ، تدمير بابل نفسها والقضاء على الاضطرابات الكلدية ، مستفيداً من مشاكل عيلام الداخلية .

---

(١) احمد مالك الفتيان ، مصدر سابق ، ص٢٠٠.
(٢) احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، اسرحدون (٦٨٠ -٦٦٩ ق . م) رسالة ماجستير ، كلية التربية- جامعة واسط ، ٢٠٠٦ ، ص١٧.

ان هذه الاحداث التي جرت في بلاد عيلام وعدم مساعدة اوشيزب مردوخ الذي شعر هو واتباعه بقوة حملة سنحاريب ، بعد تخلي عيلام عن مساعدتهم. فدخل سنحاريب مدينة بابل التي حاصرها طوال تسعة شهور ، ثم استسلمت اخيراً ، بسبب تفشي الامراض وحلول المجاعة فيها فدخل الجيش الاشوري المدينة ودمرها بعد ان نهب قصورها ومعابدها ، ثم سلطت مياه الفرات لاغراقها كلياً وبذلك قاست بابل اعنق تدمير شهدته خلال تاريخها القديم [١] ، وعين ابنه اسرحدون ولياً على جنوب العراق [٢] .

وفيما يخص القبائل العربية فمن خلال استقراء حوليات سنحاريب نلاحظ انه كان من الملوك الاشوريين الذين افردوا حملة عسكرية ضد بعض القبائل العربية التي كانت تقطن غرب بابل واطراف الجزيرة العربية وبعد تدمير بابل في حملته الثامنة (٦٨٩ ق . م) ، قاد حملة عسكرية ضد بعض هذه القبائل العربية . ووصل الى موطنها في داخل الجزيرة العربية اذ فرض سيطرته على بعض القبائل التي تقيم في الصحراء وتمكن من الوصول الى قلعتهم الحصينة (ادماتو) وكان هدفه من هذه الحملة القضاء على جميع المتحالفين ضده [٣] .

نستنتج من ذلك بان الملك سنحاريب قد تميز بمقدرته العسكرية الفذة حيث كان بارعاً في وضع الخطط والاستراتيجيات العسكرية ، فقد اظهر في حملاته تكتيكاً بارعاً وظهر كقائد عسكري محنك وعدو لا يقهر .

ولاحظنا كيف تصدى سنحاريب الى المدن المعادية للدولة الاشورية واخضعها الواحدة تلو الاخرى وجعلها مدن تابعة الى الحم الاشوري .

ومن ضمن مميزاته الصبر في حروبه ونلاحظ ذلك من خلال حصاره لمدينة بابل الذي استمر لمدة تسعة اشهر وهي مدة ليست باليسيرة في ذلك الوقت ، حيث كان من نتائجها تفشي المجاعة والامراض وعدم وصول الامدادات لمساعدتها وبالتأكيد فانه بسبب هذا الحصار وحدوث المجاعة ادى الى تفشي الاوبئة والامراض وبالتالي استسلمت بابل وهي تلفظ انفاسها الاخيرة .

---

(١) وليد محمد صالح فرحان ، المصدر السابق ، ص١٠١ .
(٢) عبد القادر عبد الجبار الشيخلي ، تاريخ العراق القديم. ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد ، ص٢٠١٨ ، ص١٩٥ .
(٣) طالب منعم حبيب الشمري ، مصدر السابق . ص١١٩.

المبحث الثاني

اولاً : حملاته على بلاد الشام

ان المشكلة الثانية التي واجهت الملك سنحاريب والتي تزامنت مع احداث بابل في مشكلة المقاطعات الواقعة غرب الامبراطورية (بلاد الشام) ، وان المعروف ان بلاد الشام قد اخضعت نهائيا الى الدولة الاشورية منذ عهد تجلات بلر ونلمنصر الخامس وسرجون الثاني ، الا انها اعلنت التمرد من جديد على سلطة الامبراطورية الاشورية في عهد سنحاريب مستغلة وفاة سرجون الثاني وتسلم السلطة من قبل سنحاريب ، وكذلك بتحريض من بابل وفراعنه مصر الذين ضربت مصالحهم السياسية والتجارية في بلاد الشام [١] .

فاعلنت كل من صور وصيدا يهوذا وبعض مدن الساحل السوري الامتناع عن دفع الجزية السنوية وعدم الاعتراف بالسلطة الاشورية معتمدين على وعود الفرعون المصري بالمساعدة ، وتقمع هذا العصيان زحف سنحاريب على (أسس حملة عسكرية قوية الى الجهة الغربية في عام (٧٠١ ق . م) واخضع صور ثم التقى بعدها في اول معركة مع (لوليا) حاكم مدينة صيدا الذي لاذ بالفرار من ساحة المعركة الى جزيرة قبرص بعد تأخر وصول المساعدات المصرية اليه [٢] .

---

(١) احمد مالك الفتيان ، مصدر سابق ، ص٢٠١ .
(٢) افرام عيسى ، تاريخ النهرين . ترجمه فخري العباسي ، ط١، دار الحوار للطباعة والنشر سوريا ، ٢٠١٦ ، ص١٥٣.

واصل سنحاريب زحفه الى المدن السورية الاخرى ،فوصل الى عستقلون واسر حاكمها ، واعاد الى عستقلون حاكمها السابق الموالي للاشوريين .كما فرض سيطرته على مدن عكا واشدود ومؤاب ويافا .

ثم توجه بعد ذلك الى مدينة عقرون وفرض عليها الحصار وفي هذا الوقت وصل جيش مصري لمساعدة ملفاته فاضطر سنحاريب الى رفع الحصار عن عقرون وذلك نتيجة لوصول الجيش المصري الى بلاد الشام [١] فواجه الجيش المصري في معركة التقيه [٢] حيث التقى الجيشان المصري بقيادة الفرعون طعمراقا ، والاشوري بقيادة سنحاريب وتمكن سنحاريب من دحر جيش الفرعون واحلال الهزيمة به .

عاد بعد ذلك الملك سنحاريب الى مدينة لاخيش وفتحتها [٣] . وخلو سنحاريب انتصاراته هذه منقوشة في قصره في نينوى [٤] .

---

(١) احمد حبيب الفتلاوي ، مصدر سابق . ص١٨ .
(٢)اصلاح رشيد الصالحي ، بلاد الرافدين ، ج٢، ط١، الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٧ ،ص١٩٧.
(٣)عامر سليمان ، احمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم . كلية الاداب – جامعة الموصل ، (د. ت) ، ص١٦١ .
(٤) احمد مالك الفتيان ، مصدر سابق . ص٢٠٢ .

لم يبق امام سنحاريب سوى حزقيا ملك يهوذا الذي كان قد انتهز فرصة انشغال سنحاريب باخضاع المتمردين ، فاخذ يجهز نفسه لمحاربة الاشوريين ويعلن العصيان على الدولة الاشورية معتمداً على المساعدات المصرية التي وعدوه بها ان هو تمرد على الدولة الاشورية [١] .

ان سنحاريب ضيق الخناق على مملكة يهوذا وحاصر عاصمتها اورشليم (القدس) وروث التوراة الحوار الطريق الذي جرى بين اليهود المحاصرين وبين قادة الجيش الاشوري .

وكان الهدف منه بضرب الامثلة لليهود على انتصارات سنحاريب وحثهم على التمرد على ملكهم حزقيا والتخلي عنه ، واشارة الى ان الاعتماد على مصر لن يجدي نفعاً امام القوات الاشورية المنتصرة ، الا ان نتيجة الحصار لم تعرف بوجه اليقين [٢] .

فيروي العهد القديم ان الجيش الاشوري حل فيه الوباء وفتك به ، ولكن ماذهب اليه معظم الباحثيين منهم طه باقر في كتابه مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، هاري ساغز في كتابه عظمة اشور ، بان الجيش الاشوري رفع الحصار عن اورشليم مقابل دفع جزية كبيرة من الفضة والذهب والنساء ، كما جاء في حوليات سنحاريب [٣] .

---

(١) طالب منعم حبيب ، مصدر سابق . ص١١٧ .
(٢) سفر الملوك الثاني :الاصحاح ٨ : ١٧-٢٧ ، وسفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٩ : ١-٣٤ .
(٣) طه باقر ، مصدر سابق ، ص٥١٦ ، هاري ساغز ، عظمة اشور ، ترجمة خالد اسعد عيسى ، احمد غسان سبانو ، ط١ ، دار رسلان للطباعة والنشر ، سوريا ، ٢٠٠٨ ، ص١٣٦.

أتفق مع طه باقر وما ذهب اليه معظم الباحثين ورفع الحصار عن اورشليم مقابل دفع الجزية ، وذلك لان حوليات سنحاريب تعتبر دليل مادي ملموس يمكننا الاعتماد عليه ، اذا لا اتفق مع التوراة وذلك لان التوراة لا يمكن الاعتماد عليه كمصدر قطعي وذلك لتعرضه للتحريف .

اما في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من الامبراطورية فكانت هادئة نسبياً كما ذكرت سابقاً فلم تعد هناك مشاكل مع الاورارتو ، وذلك نتيجة القوة التي قام بها ابوه سرجون الثاني في تلك المنطقة ، هذا بالاضافة الى كون سنحاريب عندما كان وليا للعهدد كان حاكماً على هذا الاقليم فاستطاع من تثبيت اركان الدولة هناك [١] .

ان الشيء الملغت للنظر هو ظهور اقوام جديدة على مسرح الاحداث السياسية متمثلة بالكاميريون واللذين ورد اسمهم في اخبار سنحاريب بشكل (كمبرايا) وقد هاجرت هذه الاقوام من منطقة القوقاس واتجهت الى اسيا الغربية وبلاد الاناضول ، والمعروف ان الملك السابق سرجون قد هاجمهم وانتصر عليهم في تلك المناطق [٢] .

---

(١) احمد مالك الفتيان ، مصدر سابق ، ص٢٠٣.
(٢) طه باقر ، مصدر سابق ، ص٥١٦.

ثانياً : مقتل سنحاريب

عاش هذا العاهل تحت تأثير كبير مارسته عليه احدى زوجاته نقيا (زاكوتو) بتعيين ابنها المدعو اسرحدون عام ٦٨٣ م . وريثاً منتظراً من بعده وادى قادة الاشوريين اليمين بمساعدة الامير اسرحدون وان هذا القرار ادى الى غصب اخوته وبدؤوا بالتحرك ضد والدهم سنحاريب [١] .

على اية حال فان سنحاريب تجاوز في مسألة تعيين اسرحدون عدداً من ابنائه الاكبر سناً ، وكذلك العادات والاعراف والقانون الدارج. ويروي اسرحدون ذكرياته عن تعيينه ولياً للعهد ، فيقول :

((على الرغم من انني كنت اصغر اخوتي ، قام أبي – بأمر الآلهة آشور وسين وشمش وبل ونبو وعشتار أربيل – برفع رأي بيم أخوتي ، (إذ قال) : هذا هو الابن الذي يرث عرشي)) [٢] .

نستنتج من هذا النص بان سنحاريب قد عين سرحدون وريثاً من بعده على الرغم من انه لم يكن الابن الاكبر ، وقد حصل على موافقه مجمع الالهة .

---

(١) افرام عيسى ، مصدر سابق . ص١٦٨ .
(٢) ايفاكانجيك- كيرشباوم ، تاريخ الاشوريين القديم . ترجمة فاروق اسماعيل ، ط١ ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠ ، ص٨٤ .

وفي عام ٦٨١ ق .م قام اراد – موليسوا ابن سنحاريب الذي اختير سابقاً اميراً وتعرض الى الازاحة بتدبير مؤامرة مع اخيه ضد والده ، وعندما كان سنحاريب يصلي في معبد نيركال بمدينة كالح تحت الرعاية الالهية قام ابنه بضربه بالخنجر . وبعد لحظات قليلة سقط الملك على الارض وادت هذه الضربة الى وفاته .

وقد ترك جسد سنحاريب ملك اشور الكبير بدون نفس . ذلك الرجل الذي عمل من اجل الحياة والمجد والذي قاد جيوشاً واساطيل رهيبة وحكم امبراطورية واسعة لمدة ٢٣ سنة [١] .

لقد فرح بالحدث سكان بابل لان سنحاريب دمر بابل على اثر تمردها ضده وقد احرقها وهجرّ سكانها عام ٦٨٩ ق . م وسبي التماثيل الالهية الى اشور .

حيث جعل من الاله اشور الاله الاعظم ، فاخذ مكان الاله مردوخ عند الاحتفال بعيد السنة الجديدة ولم يتقيد الملك بالشعائر السماوية المتوارثة في بابل [٢] .

هرب قاتلوا سنحاريب بعد فترة وجيزة من قتله الى منطقة اورانو (الاناضول الشرقية)، ثم اضطروا الى اللجوء في دولة صغيرة مجاورة واقعة في اعالي نهر دجلة ، هي دولة شوبريا ثم وقعوا في الاسر عام ٦٧٣ ق . م عندما تعرضت دولة شوبيا هذه الى الغزو وضمها الى بلاد اشور ، حيث نفذت عقوبة باهرة تكريماً للملك المتوفي [٣] .

وقد تسلم اسر حدوث عرش الدولة الاشورية لانه الوريث الشرعي الذي كان سنحاريب قد رشحه كملك للدولة الاشورية [٤] .

---

(١) هادي ساغز ، مصدر سابق . ص١٣٨ .
(٢) جورج رو ، العراق القديم . ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ٢٠١٩ ، ص٤٣١ .
(٣) افرام عيسى ، مصدر سابق ، ص١٧٠ .
(٤) احمد مالك الفتيان ، مصدر سابق ، ص٢٠٤.

الخاتمة

١-يعتبر سنحاريب من الملوك الاشوريين المهمين في تاريخ العراق القديم لما حققه من انجازات عظيمة تجلت بالاعمال العمرانية والعسكرية .

٢-لقد كان سنحاريب قائداً عسكرياً فذاً ويظهر ذلك جلياً من خططه واستراتيجياته في الحروب والمعارك التي خاضها .

٣-اتبع الملك سنحاريب سياسة الشدة والقوة لاخضاع جيع متاوئيه .

٤-كان معروفاً ببسالته وهمته ومقدرته الحربية ، والتي بموجبها اخضع كل معادي له سواء كان في الداخل ام في الخارج

٥-امتاز بالصبر والتروى في حملاه وفي اي حصار يفرضه ضد البلدان المعادية له .

٦- ان المصادر العبرية الدينية التي تحدثت عن هذا الملك الحكيم خاطئة ولا تحتوي الدقة في معلوماتها والحوليات الاشورية هي الادق .

المصادر :

١-ابراهيم زرقانة ، واخرون ،حضارة مصر والشرق القديم . دار مصر للطباعة (د. ت) .
٢- احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، اسرحدون (٦٨٠ -٦٦٩ ق . م) رسالة ماجستير ، كلية التربية- جامعة واسط ، ٢٠٠٦ .

٣- احمد مالك الفتيان ، درامات في التاريخ القديم ، دار الكتب والوثائق العراقية ، بغداد ، ٢٠١١.
٤- افرام عيسى ، تاريخ النهرين . ترجمه فخري العباسي ، ط١، دار الحوار للطباعة والنشر سوريا ، ٢٠١٦ .

٥- ايفاكانجيك- كيرشباوم ، تاريخ الاشوريين القديم . ترجمة فاروق اسماعيل ، ط١ ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠ .

٦- جورج رو ، العراق القديم . ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ٢٠١٩ .

٧- سامي سعيد الاحمد ، الصراع خلال الالف الاول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١ ق .م) في الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ .
٨- سفر الملوك الثاني :الاصحاح ٨ : ١٧-٢٧ ، وسفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٩ : .
٩- صلاح رشيد الصالحي ، بلاد الرافدين ، ج٢، ط١، الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٧ .
١٠- طالب منعم حبيب الشمري ، سنحاريب سيرته ومنجزاته (٧٠٤-٦٨١ ق . م) رسالة ماجستير ،جامعة بغداد ، ١٩٨٦.
١١- طه الهاشمي ، التاريخ والحضارة في الازمة الغابرة ، دار الفرات ، بيروت ، ١٩٩٤ .

١٢- طه باقر ، مصدر سابق ، ص٥١٦ ، هاري ساغز ، عظمة اشور ، ترجمة خالد اسعد عيسى ، احمد غسان سبانو ، ط١ ، دار رسلان للطباعة والنشر ،

١٣- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . ج ١، ط١ ، منشورات دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٣.
١٤- عامر سليمان ، احمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم . كلية الاداب – جامعة الموصل ، (د. ت) .

١٥- عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ط١ ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الاكاديمي ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٤ .

١٦- عبد القادر عبد الجبار الشيخلي ، تاريخ العراق القديم. ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد ٢٠١٨.

١٧- نصار سليمان السعدون ، بلاد الرافدين وعيلام ، توزيع صفحات للدراسات والنشر ، سوريا – دمشق ، ٢٠١٩ .

١٨- نيكولاس بوستفيت ، حضارة العراق واثاره تاريخ مصور . ترجمه سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد ، ١٩٩١.

١٩- وليد محمد صالح فرحان ، العلاقات السياسية للدولة الاشورية . رسالة ماجستير ، جامعة بغداد – كلية الاداب ، ١٩٧٦ .

٢٠-هاري ساكز ، عظمة بابل – ترجمه عامر سليمان .

المقدمة

تُعد الحضارة الاغريقية واحدة من أهم الحضارات في العالم القديم، لما لها من مكانة مرموقة ومنتج حضاري كان له أثر مهم في مسيرة الحضارة الإنسانية، فاكتسبت وجمعت خصائص حضارية ميزتها عن الحضارات الأخرى، إذ استطاعت بلاد الاغريق القديمة أن تجمع تركيبة سكانية معقدة يجمعها نظام سياسي محكم التنظيم، وأكثر من ذلك فإن السكان كانت تحكمهم قوانين صارمة، وهذه القوانين السياسية والعسكرية والحضارية كانت ناتجاً طبيعياً لضغوطات وتعقيدات الحياة اليومية التي عاشها الاغريق في تلك الحقبة، وساعدت الأوضاع البيئية والتضاريسية للبلاد على نمو ونضوج العقلية الإغريقية، لذا اهتموا بالألعاب الرياضية بشتى أنواعها بدنيةً كانت أم عقلية، فضلاً عن تأثيرها على نمو الخيال الفني الذي تزخر بها اساطيرهم، فقد طاب للإغريقي ان يمزج الحقيقة بالخيال سعياً وراء خلق أجواء للهو والمتعة والترفيه، فضلاً عن الفكر التوسعي الذي جعل المجتمع الاغريقي في أغلب الأوقات في حالة حرب، وبالتالي كان لزاماً عليهم إيجاد متنفس ومهرب للخروج من هذه الأجواء المشحونة بالتوتر المستمر، فكان للجانب الترفيهي أهمية بالغة في حياة الفرد الاغريقي صغيراً كان أم كبيراً، لأنه يُعد من متنفساً مهماً لهم في حياتهم اليومية؛ ومصدراً مهماً لتجديد نشاطهم وبث روح المرح والاسترخاء وإبعادهم عن الأجواء السلبية المزامنة لحياته اليومية ومصاعبها؛ لذلك تفنن الاغريقيون القدماء في إيجاد الوسائل التي شغلوا بها أوقات فراغهم.

والبحث في مثل هذه المواضيع له أهمية كبيرة، يمكن من خلاله التعرف على طبيعة الحياة اليومية لسكان بلاد الاغريق القديمة، فضلاً عن التعرف على طبيعة حياتهم اليومية، ووسائل الترفيه والتسلية والألعاب والمسابقات التي مارسها الاغريقيون.

ومن هذا المنطلق وضعنا فرضية للرسالة، تتمثل في أن الاغريقيين القدماء كان لديهم وقت فراغ، وكانت عليهم ضغوطات مختلفة أثرت على المزاج العام لهم، وكان لابد التخلص من هذه الضغوطات وملأ الوقت بفعاليات متنوعة الغاية منها الترفيه والتسلية والترويح عن النفس، وأن هذه الفعاليات والنشاطات الترفيهية كانت متعددة ومتنوعة، واشترك بها الصغار والكبار ذكوراً كانوا أم إناثاً، وتطور بعضها ليكون فعاليات دورية تمارس كل مدة معلومة وفق قواعد وضوابط وتخضع لتحكيم وفق شروط يجب توافرها في المشاركة، ولابد أن يكون للجانب الديني دورٌ في بعض هذه النشاطات والألعاب، ونحاول في هذا البحث إثبات هذه الفرضية.

وهذا النوع من الدراسات يتطلب إتباع المنهج الوصفي؛ وذلك لتبسيط وسهولة الوصول إلى ما نصبو اليه من معرفة مختلف جوانب الموضوع.

وتجدر الإشارة إلى أن عنوان الرسالة جاء فيه اسم بلاد الإغريق باسم بلاد اليونان، إلا أننا لن نستخدم هذا الاسم في متن البحث، لأن هذه التسمية أطلقها العرب على الإغريق، وقد أقر العنوان بهذا الاسم، وستكون تسمية الإغريق هي المستخدمة في متن الرسالة، وهو الاسم الصحيح الذي

عرفت فيه في المصادر الأصلية التي تعود لهذه البلاد، أما مدة الدراسة فقد توقفت عند عام 323ق.م، إذ أن أغلب مؤرخي الإغريق يعتبرون وفاة الإسكندر الأكبر في هذا العام هو ضعف الحضارة الإغريقيّة القديمة وبداية العصر الهلنستي.

وتطلبت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة فصول سبقناه بتمهيد وختمناه باستنتاجات توصلنا إليها، فتضمن التمهيد (لمحة عن الأوضاع الجغرافية في بلاد الاغريق القديمة)، وتطرقنا فيه إلى موقع بلاد الاغريق وأهميته، ثم عرجنا على اصولهم وتسميتهم، والقينا الضوء على التسلية والترفيه لغة واصطلاحاً، وتناول الفصل الأول (ألعاب التسلية والترفيهية ووسائلها)، وتكون من مبحثين كُرَّس المبحث الأول للتعريف بـ(الألعاب الهيلينية) التي تضمنت الألعاب الأولمبية، وفصلنا في أثر هذه الألعاب في حياة المجتمع الاغريقي، فضلاً عن دور المرأة في هذه الألعاب، وألقينا الضوء في المبحث الثاني على (وسائل التسلية والترفيه)، والذي بدوره قسم إلى محاور منها: وسائل التسلية والترفيه ذات الطابع البدني، التي تحدثنا فيها عن ألعاب القوى البدنية، وبيّنا وسائل التسلية والترفيه للطفل في المجتمع الاغريقي القديم بدءاً من تربية الطفل وصولاً إلى أهم وسائل الترفيه التي شاع استخدمها عند الأطفال في بلاد الاغريق القديمة.

أما الفصل الثاني فحمل عنوان (التسلية والترفيه في الأعياد والمناسبات)، وفيه مبحثان: خصص الأول للتعريف بـ(الأعياد والاحتفالات في بلاد الاغريق) وذكرنا فيه أبرز هذه الاحتفالات والاعياد وأسباب نشأتها، ثم عرجنا على الولائم ومناسبات إقامتها وأوانها وما يقدم فيها، والمبحث الثاني اختص بـ(الأدب التعبيري) ودوافعه وأنواعه، لاسيما الخطابة، وذكرنا أبرز الخطباء في بلاد الاغريق القديمة، فضلاً عن القصص، والشعر الذي أشتهر بهما السكان الاغريق.

وجاء الفصل الثالث بعنوان (وسائل التسلية والترفيه ذات الطابع الفني)، وكان على مبحثين: ذكرنا في المبحث الأول (الموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية)، وتطرقنا فيها إلى الموسيقى والرقص والغناء، وأثر هذه الفنون في كل جانب من جوانب الحياة عند الاغريقيين القدماء، وظهور المسرح الاغريقي، وناقشنا فيه عدداً من الآراء التي قيلت في نشأت المسرح الاغريقي وبدايات ظهوره، وفصلنا ذلك في محاور تناولنا فيها الاحتفالات دينية والاستعراضات الغنائية والتمثيل، وبيّنا دوافع وأهداف كل منها، واستعرضنا في المبحث الثاني (العروض المسرحية) التي شاعت في بلاد الاغريق القديمة ودوافعها، سواء كانت تراجيديا أو كوميديا، فضلاً عن أبرز مؤلفي التراجيديا والكوميديا.

كما الحقنا الرسالة بمجموعة من الصور التوضيحية التي نأمل أن تكون قد أغنت البحث.

ولابد من الاشارة إلى أننا استفدنا من مجموعة من الدراسات المهمة التي تطرقت إلى جزئيات من موضوعنا، وتناولته من زوايا مختلفة، وتنوعت هذه الدراسات بين العربية والأجنبية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: رسالة ماجستير غير منشورة للباحثة (Louisa Sakka) المقدمة إلى قسم الآثار والتاريخ القديم بجامعة اوبسالا في السويد سنة 2009، والموسومة بـ(The Power of Music

A comparative study of literature and vase paintings from Classical Athens)، تتناول هذه الرسالة الموسيقى الاغريقية القديمة، لاسيما علاقة الناس بالموسيقى خلال القرن الخامس قبل الميلاد في أثينا، إذ كان للموسيقى قوة تأثير كبيرة على الشخصية والسلوك البشري، وفي الوقت نفسه وسيلة للتواصل العاطفي وللترفيه عن النفس.

أما الدراسة الثانية فكانت رسالة ماجستير غير منشورة للباحثة صفاء محمد إبراهيم الجبالي، والموسومة بـ(الرياضة في إقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي (631ق.م–96ق.م) من خلال دراسة البقايا الأثرية الدالة عليها)، التي قدمت إلى كلية الآداب قسم الآثار بجامعة قاريونس سنة 2010، وتطرقت الباحثة فيها إلى مفهوم الرياضة وأثرها في حياة الاغريق، وقسمتها إلى أقسام عدة، منها: (مفهوم الرياضة، الدورات والمهرجانات الإغريقية، وأشارت إلى سباق العربات في الإقليم).

والدراسة الثالثة المهمة التي لها استفدنا منها كانت أطروحة دكتوراه غير منشورة للباحث (خالد ناجي سوادي الكريماوي) الموسومة بـ(مجمع الآلهة الإغريقية آلهة الأولمبس أنموذجاً)، والتي قدمت إلى كلية التربية بجامعة واسط سنة 2018، وتناولت هذه الدراسة في إحدى فصولها (الاحتفالات والطقوس)، إذ تطرقت إلى الطقوس والعبادات وتقديم القرابين للآلهة، فضلاً عن الاحتفالات والمهرجانات الدينية.

أما الدراسة الرابعة فكانت رسالة ماجستير غير منشورة للباحث (أحمد نبيل عبد الباقي) والموسومة بـ(ألعاب التسلية والترفيه في بلاد الإغريق دراسة اثرية–حضارية) والمقدمة إلى كلية الآثار بجامعة القاهرة، كتبت في سنة 2021، ورغم أننا لم نتمكن من الحصول عليها، وما حصلنا عليه هو قائمة المحتويات فقط، والتي وجدانها لا تلتقي مع خطتنا في بحثنا هذا، وتناولت الجوانب الحضارية بشكل أثاري، إذ أنه تناول في الفصل الأول التسلية والترفيه من جانب فلسفي اسطوري، وفي الفصل الثاني والثالث تناول التسلية والترفيه من خلال الألعاب فقط ومن وجهة نظر أثرية، إلا أننا استفدنا من بعض المفاهيم والأفكار التي تناولها الباحث في عناوين مفردات الرسالة، وحاولنا توضيح أبرز النقاط التي غفل عنها الباحث ولم يشر إليها.

ولا شك في أن هذه الدراسة التي بين أيديكم قد استفادت مما سبقها من الدراسات.

اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية الرصينة، كالمصادر الكلاسيكية والتاريخية والأدبية والفنية، فضلاً عن الرسائل والاطاريح الجامعية التي أشرنا إلى بعضها آنفاً، والبحوث العلمية المنشورة ضمن الدوريات العلمية، والتي كانت موارد مهمة للباحثة في رفد البحث بالعديد من المعلومات، وكان من أهمها:

أولاً: المصادر الكلاسيكية: على الرغم من أن جزء منها ليست جازمة في الحدث التاريخي، لتأثيرها بميول كاتبها، ولأن قسم منها لم تصلنا كاملة أو وصلتنا في صورة مختصرات وضعت في أزمنة لاحقة، إلا انها في الوقت نفسه ضمت معلومات قيمة، ومن المصادر التي تناولت تاريخ حقبة

الرسالة نشير على سبيل المثال لا الحصر إلى كل من: القصيدتان الملحميتان (الإلياذة) و(الأوديسة) للشاعر الملحمي الإغريقي هوميروس، إذ رفدنا في كتابيه بالعديد من المعلومات القيمة عن دراستنا هذه، ومن المصادر الكلاسيكية الأخرى كتاب (أنساب الآلهة) للشاعر الإغريقي هسيودوس، الذي صور نسب الآلهة وأساطيرها، وكتاب (التاريخ) للمؤرخ الاغريقي الشهير هيرودوت، وكتابي (دستور الأثنيين) و(فن الشعر) لمؤلفهما الفيلسوف الإغريقي الشهير أرسطو طاليس، فضلاً عن كتاب (تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق) لـ(بلوتارك Plutarch) الذي أفادنا في دراستنا هذه ببعض الهوامش التعريفية.

ثانياً: المصادر الأجنبية: إذ استعنا بالعديد من المصادر الأجنبية والتي زودتنا بالكثير من المعلومات القيمة التي تخص دراستنا، منها: كتاب (Athletics Of The Ancient World) لمؤلفه (E. NORMAN GARDINER)، وكتاب (Ancient Greek Athletics) لمؤلفه (STEPHEN CJ. MILLER)، وكتاب (Handbook to Life in Ancient Greece) لمؤلفه (Lesiey Adkins and Roy A. Adkins)، فضلاً عن كتاب (A Brief History of the Olympic Games) لمؤلفه (David C. Young).

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة: يقف في مقدمتها كتاب (قصة الحضارة) لول ديورانت، و(تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني) لمؤلفه ابتهال عادل إبراهيم الطائي، وكتاب (تاريخ اليونان) لعبد اللطيف أحمد علي، فكان لهما حضور واضح في معظم فصول الرسالة، لما قدمته هذه الكتب من معلومات قيمه تناولت أحداث التاريخ الاغريقي في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، ويعد كتاب (معجم الحضارة اليونانية القديمة) لمؤلفه بيير ديفانبية وآخرون، مرجعاً لا يمكن لأي باحث في التاريخ الاغريقي الاستغناء عنه، فضلاً عن العديد من المصادر العربية المعربة الأخرى التي أفادت الرسالة بمختلف المعلومات التاريخية.

ولم تخلُ الرسالة من الصعوبات التي شكلت حاجزاً اعترضت طريق البحث، لعلّ أهمها ترجمة بعض المصادر وتوثيقها بشكل سليم، مما تطلب جهداً ووقتاً طويلاً، فضلاً عن تناثر المعلومات التي تخص البحث بين المصادر.

وفي الختام أن كل ما حصلت عليه واستطعت تدوينه لم يكن لي فضل فيه، وانما كان ولا يزال ابتداءً وانتهاءً وأولاً واخراً الفضل كله لله عز وجل، فهو الذي يمدني بالقوة والإصرار على إكمال هذا العمل، واتمنى ان أكون قد وفقتُ في هذا البحث، وبالطبع لا يوجد عمل كامل ومثالي؛ لأن أبقى قاصرة أمام كمال وعلم خالق الكون الله سبحانه وتعالى، وأمام العلماء الأجلاء الذين سيطلعون على بحثي هذا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وأفضل وأزكى التحيات والبركات على النبي الأكرم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

التسلية والترفيه بين طبقات المجتمع الاغريقي

كان المجتمع الاغريقي القديم منقسماً على طبقات عدة، إسوة بمجتمعات العالم القديم، وهذه التقسيمات الطبقية من شأنها خلق روح التفرقة بين السكان، وظهر هذا التمايز بين طبقات المجتمع داخل نطاق الجماعات المتعددة، سواء كانت تلك الجماعات هي الأسرة أو القبيلة، إلا أن هذا التفاوت الطبقي يمكن تمييزه بصورة أكبر داخل المدينة، وكلما زادت تعقيدات المدن ومكوناتها، زاد التمايز الطبقي فيها.

وفي بلاد الاغريق القديمة بدت ظواهر التمايز الطبقي في جوانب عدة، ومنها وسائل التسلية والترفيه والألعاب بصورة عامة، فضلاً عن مجموعة واسعة من الأنشطة الثقافية، وتعد الألعاب والموسيقى بمثابة عنصر رئيس في الاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية، فكان التنافس على تأليف أبيات مرتجلة، والمشاركة في ألعاب الكلمات والألغاز شائعاً في المجتمع الاغريقي القديم[1].

وساد النظام الطبقي في بلاد الاغريق لدرجة أنه هيمن وتحكم بالتسلية والترفيه بين أبناء طبقات المجتمع الاغريقي، وبدا هذا التمايز الطبقي واضحاً بشكل عام في المهرجانات ومختلف المناسبات الاغريقية، إلا أنها كانت أقل تشدداً في الألعاب الأولمبية؛ ففي الوقت الذي سمح فيه للهيلينيين الأحرار فقط ممن لم يستعبدوا يوماً بالمشاركة في هذه الألعاب، نرى أن العبيد لم يمنعوا بشكل قطعي من المشاركة في هذهِ الألعاب، بل سمح لهم المشاركة في عدد منها، ومع انتشار الاغريقي في المستعمرات والمستوطنات، أصبح حق المشاركة في هذه المهرجانات أكبر[2].

ومع أن الترفيه عادة ما يكون لملأ وقت الفراغ؛ إلا أنه في الوقت نفسه جزء من الثقافة المجتمعية في بلاد الاغريق القديمة، إذ مهد الترفيه لظهور العديد من الفلاسفة الكبار عن طريق لقاءاتهم واجتماعهم من أجل المناقشات الفكرية والعلمية فيما بينهم، وهكذا فإن الترفيه هو وسيلة مهمة لظهور الأفكار والثقافات، وقد يكون عدم توافر وقت الفراغ والانشغال المستمر لبعض طبقات المجتمع السبب الرئيس في عدم مشاركتهم في بعض أنواع اللهو والتسلية في المجتمع الاغريقي آنذاك، إذ كانت هذه الفئات مضطرة للعمل وعدم المشاركة في هذهِ الفعاليات والمناسبات، وانشغلت بالعمل الشاق الذي كانت مكلفةً به، والصفة الارستقراطية للديمقراطية القديمة خولت الطبقة المرفهة المحافظة على الذوق والأناقة التي اكتسبوها من النبلاء، وهذا ما عُدَّ تمايزاً طبقياً.[3]

(1) Sofie Remijsen, Only Greeks at the Olympics? Reconsidering the rule Gainst non-Greeks at 'PanHellenic' games, Classicist Media Evalia, No. 67, University of Amsterdam, 2019, p. 2.
(2) Ibid.
(3) Benjamin K. Hunnicutt, The History of Western Leisure, Rojek et al. (eds.), A Handbook of Leisure Studies, Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited, Hunnicutt, B. K. 2006, p. 56.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض وسائل الترفيه كانت حكراً لطبقة النبلاء والميسورين، لأن بعض أنواع التسلية والترفيه كانت ذات تكلفة لا يقوى عليها إلا النبلاء، كما أن النبلاء وأفراد الطبقات العليا كانوا يأنفون عن أن يشاركهم عبيدهم في الكثير من الألعاب، من أجل إحكام سيطرتهم ونفوذهم وقوتهم على هذه الطبقة، الأمر الذي أدى إلى شرخ كبير بين الطبقات آنذاك، وأظهر الفوارق الطبقية بصورة واضحة، إذ أن السيطرة على الآخرين والتحكم فيهم هي ظاهر بشرية عرفت منذ فجر التأريخ[1].

وعلى الرغم من هذا التمايز الواضح بين الطبقات العليا والطبقات الأخرى في المجتمع الاغريقي القديم، إلا أن النساء والعبيد استطاعوا ممارسة بعض أنواع الترفيه، ولو كان في وقت قليل، أي أن كل الطبقات كانت تقضي أوقات محدودة في الترفيه، وكل حسب ما يناسب جنسه وطبقته آنذاك، وعلى هذا الأساس ينظر إلى الترفيه نظرة جادة من قبل أبناء المجتمع الاغريقي بصورة عامة، واستطاع السكان استخدام وقت فراغهم بطريقة صحيحة، إذ كان الوقت المتاح للترفيه يوظف كمساحة ثقافية للتواصل بين طبقات المجتمع[2]، وتجدر الإشارة إلى أن أوقات الترفيه أعطت المجال أيضاً للمفكرين حيزاً للتفكير في ماهيّة الطبيعة البشرية، وفيما إذا كان الإنسان هو حيوان رمزي أم مفاهيمي يبحث عن معنى، وكان المفكرون يجدون ترفيهاً في هذا النوع من الترفيه الفكري[3].

ولم يكن وقت الترفيه في أوقات الفراغ مجرد وقت ضائع لا فائدة منه، وإنما كان بالنسبة للسكان هو وقت اكتشاف هويتهم ومعرفة ميولهم في الحياة، عن طريق معرفة ما يحبون وما يستطيعون فعله في هذا الوقت، وصقل شخصياتهم من خلاله، لأن علامة الشخص المتعلم هي اشغال وقت فراغه بنشاطاتٍ متعددةٍ[4]، وهذا ما يطلق عليه مصطلح وقت الفراغ النشط، ويقصد به الوقت الذي يستغله الإنسان في معرفة ما يميل إليه أو ما يبدع فيه[5].

وتشير سباقات الفروسية التي يبدو أنها كانت محصورة بين الطبقة الثرية بالمجتمع الاغريقي إلى التمايز الطبقي في ممارسة بعض الألعاب الرياضية والترفيهية، لما تحتاجه هذه الرياضة من امكانات لا تتوافر عند عامة الناس، وكان الفائزون بالفروسية من بين أقوى الملوك والسياسيين أو أقاربهم أو شركائهم، مما يشير بوضوح إلى أن بعض الألعاب الترفيهية أو الرياضات كانت حكراً

(1) Richard A. Bauman, Women and Politics in Ancient Rome, Routledge Tylor and Francis Group, London, 1994, p. 51.

(2) Anderson, N. Work and Leisure, Free Press of Glencoe, New York, 1961, p. 91.

(3) فيكتور فرانكل، الانسان يبحث عن معنى، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، بيروت، 1982، ص1.

(4) Colleen Deyell Hood, Cynthia Carruthers, Enhancing Leisure Experience and Developing Resources: The Leisure, and Well-Being Model, Part II, Vol. 41, No. 4, 2007, p. 300.

(5) David C. Young, David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, Library of Congress Cataloging -in- Publication Data, Blackwell Publishing, Oxford, 2004, p. 95.

للطبقات العليا، أما عامة السكان فبإمكانهم الاشتراك في المسابقات العادية كالملاكمة أو المصارعة أو رياضة الديوك أو غيرها من الرياضات والألعاب الترفيهية[1].

وكانت الكثير من الأنشطة الترفيهية والرياضية تؤدى من باب الهواية والرغبة بالاستمتاع في أوقات الفراغ أو الإجازة من العمل، وتختلف الهوايات من شخصّ إلى آخر، وقد تكون هنالك عدة هوايات يؤديها شخص واحد فقط، أو يؤديها مجموعة من الأشخاص[2].

(1) David C. Young, David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p. 95.

(2) دعاء سلامة غنام، تعريف الهوايات الشخصية، 2020/4/6، مقال منشور في موقع موضوع.

www.mawdoo3.com

المبحث الأول/ الألعاب الهيلينية

أطلق عليها الألعاب الهيلينية اعتزازاً بجدهم الأسطوري هيلا، ولكون الألعاب بصورتها الأولية ولدت من فكرة عيد الإله المصحوب بألعاب رياضية احتفالية، وتعد الألعاب الرياضية من أهم الهوايات الترفيهية التي يهتم بها الإنسان، وهي تعتمد على براعة الشخص أو قوته الجسمانية، ومن المعروف أن الأنشطة البدنية تقلل التوتر وتقوي الصحة مثل الركض وركوب الخيل والسباحة وغيرها، وكان الهواة العنصر الأساس الذي يحيي الألعاب الأولمبية بما يمتلكون من حماس وامكانات تؤهلهم للاشتراك بهذه الألعاب وقناعتهم بالفوز بها[1]، وسعت الألعاب القديمة إلى إبراز الأفضل بين الرياضيين المتنافسين، ووضع هؤلاء من جميع أنحاء العالم الاغريقي ضد بعضهم البعض لغرض المنافسة والفوز بالسباقات[2].

1- الألعاب الأولمبية

تسمى الألعاب الأولمبية في اللغة الاغريقية (Ὀλυμπιακοὶ ἀγῶνες)، وكانت تعقد في مدينة اوليمبيا (Olympia) المقدسة أشهر مدن مقاطعة أليس (Elis) في شبه الجزيرة بيلوبونيز في أقصى جنوب الاغريق[3]، ويوجد فيها معبد الإله زيوس[4] (Zeus)، وأقيمت هذه الألعاب من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي، وتحولت الكلمة فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية بلفظة (Olimpiakos) أولمبيك[5].

---

(1) Pierre de Coubertin Olympic Charter, Published by the International Olympic Committee, Lausanne, Switzerland, 2021, p. 183.

(2) Harlington, Al J, We Are All Greeks: Assessing The Appropriation of Ancient Greece in Modern, Olympic Revivals, A dissertation submitted to the University of Bristol, 2019, p. 66.

(3) Tony Perrottet, The Naked Olympics: The True Story of the Ancient Games, Random House Digital Inc, New York, 2004, p. 190.

(4) أشهر آلهة الإغريق، وزيوس معناه السماء، وهو القوي محدث البرق والرعد، كبير آلهة اليونان وسيدها، ورب الأرباب وملك الاوليمبوس، وهو نفسه جوبيتر (Jupiter) عند الرومان، ويمتاز حسب الفكر الديني الاغريقي بسرعة الانفعال وشدة الغضب وحب الانتقام والخيلاء والبلادة والاندفاع للرغبات الجنسية، ومكانه في جبل الأوليب، وهو مسؤول عن نظام السياسة والأخلاق والحياة الاجتماعية، وحسب الفكر الاسطوري الاغريقي فإنَّ والده يُدعى كورنوس، ابتلع أولاده جميعاً خوفاً من يتمردوا عليه، ولم يبقى إلا ابنه زيوس فرحلت والدته به وهربت إلى مغارة بعيدة حتى لا تخسر ابنها زيوس. علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979، ص ص14-15؛ دريني خشبة، أساطير الحب والجمال عند اليونان، دار التنوير، 1983، ص29؛ نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: هاشم حمادي، دار الأهالي، القاهرة، 1994، ص13؛ ممدوح درويش مصطفى، وآخرون، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية- تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية- مصر، 1999، ص74.

(5) Tony Perrottet, The Naked Olympics, p. 190.

وتعرَّف كلمة (الأولمبية Olympic) على أنها فلسفة الحياة وتمجيد وتجميع في كل صفات الجسم والإرادة والعقل، ومزج للرياضة بالثقافة والتعليم، وتسعى إلى خلق أسلوب قائم على متعة الجهد والقيمة التعليمية للقدوة الحسنة والمسؤولية الاجتماعية واحترام المبادئ الأخلاقية الأساسية العالمية[1].

يشمل مصطلح الألعاب في الثقافة الإغريقية كل مجالات اللهو التي يتخذها الإنسان في وقت فراغه، ثم أصبحت تشير للأنشطة التي تتضمن قوة ومهارة بدنية، ولم تكن الألعاب الرياضية التي مارسها الإغريق في الدورات والمهرجانات من ابتكارهم، إذ عرفتها قبلهم الشعوب التي وصلت إلى درجة كبيرة من الرقي الحضاري، كبلاد النهرين ومصر والصين وبلاد فارس، واختلفت الآراء حول بداية هذه الألعاب الرياضية، فمنهم من ينسبها إلى سكان بلاد النهرين، ومنهم من ينسبها إلى المصريين، فعلى سبيل المثال كانت ممارسة الرياضة عند المصريين مقتصرة في أغلب الأحيان على طبقة محددة من الشعب، كأبناء الأسر المالكة والنبلاء وطبقة المحاربين؛ لأن الرياضة كانت تُعد من الأمور اللازمة للحروب، وكان الأولاد الصغار من أبناء هذه الأسر يلتحقون بالثكنات لممارسة تمرينات مختلفة، كتمرينات السرعة والقوة والرشاقة والمهارة[2].

ويرجع الفضل في الارتقاء بهذه الألعاب إلى الإغريق الذين نظموها وأنشأوا الدورات المنتظمة لإقامتها، إذ كانت تقام كل أربع سنوات، وكان أول تنظيم للألعاب الأولمبية في سنة 776ق.م، إذ اقيمت الدورة الأولمبية الأولى في مدينة اولمبيا[3]، وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد (650ق.م) وما بعده، تم بناء معبد هيرا[4] وإعداد الأستاديوم الأول (ينظر الشكل 1)[5].

(1) Olympic Charter, International Olympic Committee, Malison Olympia, Lausanne, Switzerland, 2021, p. 8.

(2) صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في اقليم كيرينايكي في العصر الاغريقي (631ق.م–96ق.م) (من خلال دراسة البقايا الأثرية الدالة عليها) – دراسة تحليلية وصفية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، 2010، ص7.

(3) نجم الدين السهروردي، الموجز في فلسفة وتاريخ التربية الرياضية، مؤسسة دار الكتب، بغداد، 1980، ص31؛ قاسم الشواف، الفينيقيون والألعاب الأولمبية، دور مدينة عمريت الفينيقية في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان، دار علاء الدين، سوريا، 2011، ص180.

(4) هي إحدى الآلهة الأولمبية الاثنى عشر وكبيرة آلهات جبل الأوليمبوس، وأخت كبير الآلهة الإله زيوس وزوجته. للمزيد ينظر: هزيودوس، أنساب الآلهة، ترجمة: صالح الأشمر، منشورات الجمل، بيروت، 2015، ص28؛ مها محمد السيد، الآلهة والأساطير اليونانية، دار الوفاء، الاسكندرية – مصر، 2016، ص21.

(5) مبني يوناني حضاري يشبه المسرح، مستطيل الشكل ونهايته مستديرة، وفي نهايته صفوف من المقاعد، وفي دلفى يوضع الاستاديوم على منحدر الجبال، للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ج١، ص١٠٩.

أما فيما يخص نشأة الألعاب الاولمبية، فلا يعرفُ بالضبطِ اسم لمبتكر هذه الألعاب، وربما يكون من ابتكرها شخصاً أو انها منسوبة إلى أحد الآلِهة، فقد تعددت الاساطير وتنوعت حول نشأة الدورات الاولمبية؛ والسبب في ذلك يعود إلى غيره الإغريق الشديدة تجاه مُدنهِّم وافتِخارهم بأبطالهم، فلما انتشرت الأولمبياد واشتهرت أرادت كل دويلةً أن تنسبها إلى أحدِ أبطالها؛ من أجل التباهي والتفاخر بينهم، وعلى هذا الأساس تعددت الروايات عن منشأ هذه الدورات وأهم هذه الآراء هي التي تقول بأن هذه الألعاب كانت تُقام في سنة 776 ق.م[1]، على شرف الإله (زيوس) وزوجته (هيرا) كل أربع سنوات وتستمر لسبعة أيام[2]، إذ أقيمت هذه الالعاب احتفالاً بانتصار (زيوس) على (كرونوس) وتزوج من أختهِ (هيرا)، ويقالُ أن زيوس طلب ان تكون الالعاب الاولمبية مليئة بالبهجة والسرور، وان تكون تحت حمايتهِ ورعايتهِ، لذلك كانت تُقامُ حتى في ايام الحرب، إذ تُفرض الهدنه عند إقامة هذه الالعاب في الحروب[3].

وتعيد الأساطير الاغريقية الفضل إلى البطل (هيراكليس) ابن زيوس رئيس آلهة الأولمبوس[4] في نشأة الألعاب الاغريقية، إذ يعود له الفضل في إقامة سباق الجري في أولمبيا للاحتفال بإكمال أحد أعماله الاثني عشر[5]، وكانت أولمبيا أهم ملاذ للإله زيوس، وأقيمت الألعاب على شرفه، وقدمت التضحيات والهدايا، وأقسم الرياضيون على طاعة القواعد أمام تمثال زيوس، وتم الإعلان عن الألعاب

(1) هديل داهي عبدالله، الفلسفة الحديثة للألعاب الاولمبية القديمة والحديثة (دراسة إيديولوجية مقارنة)، مجلة علوم التربية الرياضية، العدد الرابع، المجلد الرابع، 2011، ص 210.

(2) محمد عرموش، من مينا إلى هرقل، دار كليوباترا، القاهرة، 2021، ص71.

(3) صفاء محمد ابراهيم الجبالي، الرياضة في اقليم كرينالكي في العصر الاغريقي، ص 20.

(4) جزء من سلسلة جبلية معقدة، موجودة ناحية الشمال من تساليا، ومن ناحية الجنوب من مقدونيا، ومن الشرق خليج سالونيك، وعلى قمة تلك السلسلة الجبلية أولومبوس على ارتفاع 9570 قدم، ومن الصعب الوصول إلى قمة جبال أولومبوس لأنها محاطة بالهضاب وتقطعها الوديان، وهي أبعد نقطة بالنسبة لبلاد اليونان، وقمة أولومبوس مغطاة بالسحب القاتمة، والتي يعتقد عندهم بأنها مقر للآلهة. للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص203–204؛ مصطفى محمد قنديل زايد، هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1997، ص9.

(5) الأثنى عشر تلك المدة الزمنية التي قضى فيها هيراكليس خدمته تجاه (يورويستيوس) اثنى عشر عاماً، قام خلالها بأعمال مجهدة وخارقة، وهذا تعبير هيراكليس عن هذه المعاناة على لسان هوميروس في الاوديسة:

"لقد كنت إبناً لزيوس إلا أن معاناتي كانت لا نهائية،

حيث أنني كنت عبداً لفان أكثر دنوا،

وكانت الأعمال التي أثقل كاهلي بها شاقة"

هذه الأعمال التي أشير إليها في الاوديسية، هي الأعمال الاثنى عشر التي فرضها يورويستيوس على هيراكليس ليفوز بجائزة الخلود إذا ما أنجزها على أتم وجه. للمزيد ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، ص22.

من قبل المبشرين الذين يسافرون إلى جميع المدن الاغريقية الرئيسة، وتم حظر الأعمال العدائية خلال مدة الألعاب لحماية أولئك الذين يسافرون من وإلى أولمبيا، وكان الحدث الأقدم والاكثر شهرة في أولمبيا هو سباق الجري على طول الملعب مسافة (٦٠٠ قدم) أولمبية (١٩٢,٢٨ متر)، والذي اقتصرت المسابقات الأولمبية في دوراتها الثلاث عشر الأولى على هذا السباق فقط، ثم اضيفت في سنة 7.8ق.م أكثر من لعبة في الدورات اللاحقة تباعاً، كسباق الجري لمسافة تعادل (400 متر) والذي يطلق عليها اسم دياولوس (Diaulos)، وسباق المنافسات الطويلة التي تعادل (1500 متر) أو (5000 متر) ويطلق عليها دوليجوس (Dolichos)، وسباق الخماسي (The Pentathlon)، ويتألف من خمس مسابقات هي: الجري والوثب الطويل ورمي الرمح والرماية والمصارعة، وفي سنة 688ق.م اضيفت لعبة الملاكمة، وفي سنة 648ق.م أضيفت لعبة سباق العربات، ثم أضيفت لعبة بانكريشن (Pankration) وهي مزيج بين الملاكمة والمصارعة[1].

وتتم تسمية الأولمبياد على اسم الفائز، وهذا ما يسجله تاريخ الألعاب الأولمبية عند الرجوع إلى قائمة الفائزين التي تشير إلى أن الطاهي كوروبوس من مدينة إليس هو أول من فاز بالاولمبياد في السباق أعلاه[2]، وعثر على العديد من التماثيل ثلاثية القوائم تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، يرجح أنها كانت جوائز تمنح للفائزين في المسابقات الأولمبية (ينظر الشكل 2)[3].

ويذكر الاسبارطيون أن مشرعهم (ليكورجوس) (700–630ق.م) هو مبتدع الالعاب الاولمبية، أما الاخيون [4] فيرجعونها إلى الملك (بيلبوس)، وينسب الدوريون والرحالة بوزنياس والشاعر (بنداروس)[5] بداية الالعاب إلى بطلهم الاسطوري (هيراكليس) طبقاً للأساطير القديمة، إذ تقول

(1) The Olympic Games, History.
https://www.history.com/topics/sports/olympic-games

(2) The British Museum, The Olympic Games in Ancient Greece, Information for Teachers, Great Russell Street, pp.2-5.

(3) The real story of the Ancient Olympic Games, Penn Museum.
https://www.penn.museum/sites/olympics/olympicorigins.shtml

(4) ظهر الاسم لأول مرة في عهد سوبيلوليوما، ويقال بأن هوميروس هو من أطلق اسم الآخيين أو الآخيون عليهم، والمقصود بالمكان جزيرة قبرص، وكما ذكرت هذه البلاد في حوليات مورسيليس الثاني، فبلادهم موجودة على البحر، يتكلمون الاغريقية، وهم من أقوى القبائل في بلاد الاغريق، وكانت ثقافتهم كما سماها هوميروس بالثقافة الميسينية. للمزيد ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، ص74؛ بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص65؛ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ج1، ص322.

(5) ولد عام (522ق.م) بالقرب من ضاحية كونوسكفلاى، من الشعراء المعروفين في اليونان فقد ذاع صيته عندما نشبت الحرب بين الفرس واليونان. للمزيد ينظر: داليا عامر، تاريخ التربية الرياضية والبدنية، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة المستنصرية، (د.ت)، ص٢.

الاسطورة ((**ان هيراكليس جاء من كريت إلى البلبونيز مع اخوته، وركض في أولمبيا، وانتصر، فتوج بغصن الزيتون البري، نظراً لوفرته في هذا المكان، ومنذ ذلك الوقت بدأت الالعاب الاولمبية تكريما له**))[1]، أما أهل مدينة (ايليس)[2] فيرجعونها إلى مشرعهم (ايفيتوس)، كما ادعى أهل مدينة (بيسا) أن ملكهم (بيسوس) (400–328ق.م) هو الذي ابتدعها[3].

نستنتج مما سبق انهُ على الرغمِ من اختلافِ الروايات حولَ مبتدع الالعاب الأولمبية، إلا أن الاغريق قد اتفقوا على قدسيتها ومراعاة الأمن والسلام عند إقامتها، والامتناع عن القتل والاقتتال، إذ تُرفع الأيدي عن السلاح، طوال مدة الهدنة المقدسة.

وكان قبل أن يبدأ الاحتفال بعدة أشهر ينطلق من مقاطعة أليس ثلاثة أشخاص يطلق عليهم اسم (معلني الهدنة) إلى جميع المدن والقرى والمقاطعات الاغريقية لإبلاغهم بيوم انعقاد الدورة وكذلك لإعلان الهدنة فيما بينها، وسميت بالهدنة لأن الحروب والصراعات والنزاعات الاعتداءات سوف تتوقف ليصل المشاركون سواء أكانوا لاعبين أو جمهور بأمن وسلام إلى مدينة أولمبيا وتبدأ الهدنة بمجرد خروج هؤلاء الأشخاص الثلاثة من مقاطعة اليس، وكانت هذه الهدنة في البداية تستمر مدة شهراً ولكن بمرور الوقت مددت ثلاثة أشهر ليضمنوا سلامة العائدين لديارهم من اللاعبين والجمهور، ويحرم حمل السلاح داخل مقاطعة اليس بأكملها، وعلى اللاعبين المشاركين الحضور إلى مدينة أليس قبل بدء الأولمبياد بشهر لكي يتسنى لهم التدريب والوقوع تحت أعين الحكام لتسجيل ملاحظاتهم على اللاعبين[4]، وكان هدف شعب الاغريق من حضور احتفال الألعاب هو مشاهدة الرياضيين ومن أجل التسلية والترفيه.

وكان لأعضاء لجنة التحكيم Hellanodikai أو قضاة الألعاب الأولمبية زي معين يرتدونه، وهي العباءة الأرجوانية اللون، ويضعون على رؤوسهم أكاليل من أغصان الزيتون، ويجلس القضاة على مقاعدهم، وتمر العربات والخيول أمامهم، وكان واجبهم مقدس يهدف إلى الحفاظ على معايير وإرث الألعاب الأولمبية، والتمسك بالقواعد المتفق عليها، ويتم اعلان اسم كل متسابق، واسم والده، ومدينته، ويسأل عما إذا كان أي رجل لديه أي تهمة ضده، ثم يعلن رئيس قضاة الألعاب الأولمبية انطلاق الألعاب، ويدعو المتنافسين إلى بذل كل ما لديمهم من جهود للفوز[5].

---

(1) صفاء محمد ابراهيم، الرياضة في اقليم كرينالكي في العصر الاغريقي، ص21.

(2) تقع هذه المدينة في شبه جزيرة البيلوبونيز في جنوب اليونان. Encyclopædia Britannica, 1911, ed.

(3) صفاء محمد ابراهيم، الرياضة في اقليم كرينالكي في العصر الاغريقي، ص21.

(4) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني، ص93.

(5) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, University Oxford, Press Amen House, Great Britain, 1930, p.226.

ويخصص للحكام (القضاة) منصة مرتفعة في المقدمة تمكنهم من مشاهدة اللاعبين بوضوح، وكان لهم طقوس معينة قبل بدأ المباراة، كتطهير أجسامهم بماء النبع المقدس، وأداء القسم قبل المباراة بأن ينجزوا مهامهم وفقاً للقوانين[1]، ويتم اختيار الحكام بالقرعة في قائمة مختصرة من المرشحين المختارين مسبقاً لضمان حصولهم على الخبرة ذات الصلة بحلول الوقت الذي يبدأ فيه المهرجان، وكان عليهم ان يكونوا ميسوري الحال، لأنهم لن يتلقوا أجراً مقابل جهودهم، وكان يتطلب منهم المساهمة بالمال والوقت، وتم توجيه القضاة من قبل لجنة أعيان تسمى (حراس القانون)، الذين يقومون بتقييم القواعد، ويقررون ما إذا كان سيتم اجراء أي تغييرات، ويعطون تعليمات للقضاة وفقاً لذلك، ومن المفترض أن يكون هؤلاء الأوصياء قضاة سابقين طوال مدة ولايتهم، ويستخدم القضاة أحد الأعمدة الرئيسة لـ(أليس) كمكتب لهم أثناء النهار، وفي أواخر القرن الثالث قبل الميلاد ظلت المشاركة في الألعاب حكراً على الأغنياء وذوي التمويل الجيد، ومثل هؤلاء يمكنهم تحمل الكثير من الإجازة من العمل ودفع رواتب المدربين واستيعاب التكاليف الأخرى الناشئة عن حضورهم للألعاب[2].

ويشترط منظمو الألعاب الأولمبية على المشارك أن يكون اغريقياً حراً ومزوداً بشهادة الأصل الاغريقي، ففي البداية لم يكن يسمح للأجانب بالاشتراك، واقتصرت الألعاب على سكان بلاد الاغريق فقط، ثم سمح بعد ذلك لسكان الدول الأخرى بالمشاركة، ولم يكن للعبيد حق الاشتراك في المباريات، وكان يسمح لهم بالمشاهدة فقط بعد استئذان السلطات، وكان المشترك أن يكون حسن السيرة والسلوك، ولم يرتكب أي فعل مسيء، وأن يلتزم اللاعبون بالقوانين وعدم الغش في الألعاب، ومن يخالف هذا القانون يعاقب بدفع غرامة مالية يحدده القضاة بحسب ما يرونه مناسباً[3]، ولم يكن على الرياضيين أن يقوموا بأداء رياضي محدد، لكنهم يقسمون على أنهم كانوا يتدربون لمدة عشرة أشهر كاملة قبل المباريات، وكان المشاركون يتدربون تدريباً قاسياً على أيدي مدربين محترفين، وبعد ذلك يقضي اللاعبون ثلاثين يوماً للتدريب في أليس قبل اللعب تحت إشراف المدربين أيضاً، وعليهم الالتزام بشروط وتوقيتات التمرينات[4].

وكان التدريب في أغلب الأحيان هو العامل الحاسم في نجاح الرياضي، فيجب ان يخضع اللاعب لتدريب منظم ومنسجم ما بين حركات بطيئة وسريعة، أي يخضع لتمرينات تتناوب بين رياضة الصدر والعمود الفقري، فضلاً عن حمامات الشمس بعد تدليك جسمه بالزيت ليكتسب اللون البرونزي؛ لأن من مميزات الرياضي أن يكون جسمه بهذا اللون، كما كان عليه أن يخضع لتدليك طبيعي والذي

(1) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الاغريق، ط2، مؤسسة الاهرام، القاهرة، 2001، ص213.

(2) منذر هاشم الخطيب، تاريخ التربية الرياضي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1998، ج1، ص ص122-123.

(3) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.224..

(4) Nigel B. Crowther, Sportin Ancient Times, Libraryof Congress Cataloging -in-Publication Data, Printed in the United States of America, 2007, p.47.

كان له دور مهم في مجال العناية بالجسم[1]، فكان الرياضيون يستحمون ثم يدلكون أجسامهم بالزيت، وبعد ذلك يرش بالتراب، ثم يكشط الزيت والتراب بمكشطة (آلة حادة طرفها منحن)، وهذا التدريب السليم الصحي لجسم الرياضي الذي كان يهدف إلى إعداد رجال رياضيين يمتازون بصحة جيدة وجسم رياضي سليم[2].

وبعد غزو الإمبراطورية الرومانية لبلاد الإغريق في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تواصلت الألعاب الأولمبية في الانعقاد لكن من غير معايير أو جودة، ويبدو أن الرومان رفضوا الكثير منها، فعلى سبيل المثال دخلت عربة الإمبراطور الروماني نيرون (37-68م) مضمار سباق العربات في سنة 67م خلال مسابقات الألعاب الأولمبية، وأعلن فوز عربته بالسباق رغم سقوطها، وهذا مخالف لمعايير السباقات التي كانت سائدة أيام الإغريق[3].

وعند مجيء الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول (395-347م) فرض حظراً على جميع المهرجانات الوثنية، وإنهاء الألعاب الأولمبية بعد مرور نحو 12 قرناً من انطلاقها[4].

(1) Heinz, School, The Ancien Olympic Games, Translated from Germanby: Joan Becher, New Jersey and New York, London, 1966, p.p.55-56.

(2) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٩، ج١٢، ص٥٣٨؛ برسى جاردنر، عبقرية الفن اليونانى وعلاقتها بألعاب القوى، تاريخ العالم، مطبعة مصر، (د.ت)، مج2، ص647.

(3) The Olympic Games, History. https://www.history.com/topics/sports/olympic-games

(4) المصدر نفسه.

الشعار أو الرمز الأولمبي

كانت القبائل والجماعات المشاركة في مسابقات الألعاب الأولمبية تحمل معها العديد من الرايات أو الشارات التي تدل عليها أو تمثلها، أما الشعار الأولمبي المستخدم حالياً فهو لم يكن من تصميم الإغريق، إلا أننا نكتب عنه الأسطر الآتية إجابة للسؤال الذي قد يطرح عن تأريخ تصميم هذا الشعار، إذ قام البارون الفرنسي ببير دو كوبرتان مؤسس الألعاب الأولمبية عام 1912 بتصميم هذا الشعار الذي ظهرت فيه الحلقات الخمس لأول مرة في رسالة كتبها، وسعى من خلال الحلقات التي ترمز للقارات الخمس إلى تأكيد روح الأخوة بين الشعوب في كل القارات، ورفع العلم الأولمبي لأول مرة في أولمبياد أنفرس ببلجيكا سنة 1920م، ويتكون الرمز الأولمبي المطبوع على راية بيضاء من خمس حلقات متشابكة ذات أبعاد متساوية، وهذه الحلقات تكون إما بلون واحد أو بخمسة ألوان مختلفة، ويجب أن تكون من اليسار إلى اليمين (الأزرق، الأصفر، الأسود، الأخضر، والأحمر)، وتكون الحلقات متشابكة من اليسار إلى اليمين، تقع الحلقات الزرقاء والسوداء والحمراء في الأعلى، وتوجد الحلقات الصفراء والخضراء في الأسفل[1]، وترمز راية الألعاب الأولمبية أو علمها للدلالة رؤية أو تطلعات الحركة الأولمبية المراد تحقيقها، وهي: أسرع، أعلى، معاً، والتي ، وهذه الكلمات هي تعديل للشعار الأولمبي الأصلي باللاتينية الذي يشير إلى: (Cituis، Altius، Fortius)، وهذه الكلمات الثلاثة تشجيع للرياضيين على بذل قصارى جهدهم عندما يتنافسون[2].(ينظر الشكل 3)

الشعلة الأولمبية

تعد الشعلة الأولمبية رمزاً من رموز الألعاب الأولمبية المهمة، وتشير المصادر التأريخية إلى أن الإغريق حرصوا على وجود شعلة دائمة في المذبح المخصص للإلهة هيسيتيا (إحدى آلهة جبل أوليمبوس وإلهة موقد النار)، وللنار عند الإغريق دلالات إلهية، إذ كان الاعتقاد السائد عندهم أن بروميثيوس سرق النار من الآلهة، لذا حرصوا على ايقاد النار في أثناء الألعاب الأولمبية داخل معابد أوليمبيا، ولاسيما في معبدي الإلهين زيوس وزوجته هيرا، واستمر هذا التقليد لحد الان، إذ يتم اشعال الشعلة الأولمبية في موقع معبد الإله هيرا، لتعلن انطلاق مباريات الألعاب الأولمبية، أي أن هذه الشعلة ما هي إلا تذكير بالجذور الاغريقية القديمة[3]، ومن أولمبيا تنقل الشعلة إلى المدينة التي تستضيف الألعاب بواسطة الآلاف من حاملي الشعلة وتنقل هذه الشعلة رسالة سلام وصداقة إلى كل من تلتقي بهم على طول الطريق، وتنمي الثقافة والثروات الطبيعية للمناطق التي تمرّ من خلالها[4].

(1) Olympic Charter, International Olympic Committee, Maison Olympique, p.20.
(2) Document Set Teachers, The Olympic Museum, Olmpism and the Olympic Movement, p. 5.
(3) شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، تعريب: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب، القاهرة، 2012، ص79.
(4) Document Set Teachers, The Olympic Museum, p. 5.

2- الألعاب البيثية Pythia

تُعد أنواع الرياضة التي مورست في بلاد الاغريق القديمة رائدة في تاريخ الألعاب، نظراً لطول عمرها المسجل لأكثر من ألف سنة، ومستويات المشاركة العالية بين الناس في ذلك الوقت، وكانت أكثر الرياضات الاغريقية القديمة احتراماً ذات المشاركات الفردية، وهذا لا يعني أنه لم يتم لعب مباريات جماعية، فالألعاب الجماعية لم تُمنح شرف الألعاب الفردية، ويكمن هذا التحيز لصالح الإنجاز الفردي على الأرجح هو عنصر متأصل بعمق في الثقافة الاغريقية، يتضمن إحساساً شديد الوعي بالهوية الشخصية، ونجد انعكاساً لذلك وتخليداً له في قصائد هوميروس[1].

حلت الألعاب البيثية في المرتبة الثانية بعد الألعاب الأولمبية[2]، واختلفت الروايات والمصادر في أصل تسمية الألعاب البيثية، فبعض الروايات تقول: نسبة وتكريماً إلى بيثو المعبد القديم للإله أبولو[3] في دلفي، إذ أنشأها أبولو بعد انتصاره على الافعى بيثون Python، ويُعد هذا المعبد من أقدم وأكثر المعابد شهرة في بلاد الاغريق القديمة[4]، أو نسبة إلى بيثيا أشهر كاهنات العرافة في معبد الإله أبولو[5].

وكانت هذه الألعاب مقتصرة على العزف على الآلات الموسيقية والغناء والتمثيل[6]، وتقام خلال هذه المناسبة مسابقة موسيقية يتبارى فيها ينشد فيها العازف على القيثارة نشيد ديني للإله أبولو[7]، وتلقى قصائد الشعر ومقطوعات النثر الجميلة احتفاءً بهذه المناسبة، ثم أضيفت إليها مسابقات رياضية على غرار مباريات الدورة الأولمبية[8].

(1) Christopher Miller, Submission Fighting and Rules of Ancient Greek, p.p.2-3.

(2) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980، ص62.

(3) أحد أهم آلهة اليونان، وهو ابن جوبيتر، وهو إله النبوءات والطب والفنون والشعر والموسيقى والماشية واله الشمس والنهار والشباب والتطهر من الذنوب، ومركزه في دلفي مركز الوحدة السياسية والدينية. ممدوح درويش مصطفى، ابراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة اليونانية والرومانية، ص75؛ غريس كوبر، أساطير يونانية ورومانية، ترجمة: غانم الدباغ، شركة التايمس للطبع، بغداد، 1984، ص7.

(4) الحسينى الحسينى معدّى، الأساطير الإغريقية، دار كنوز، القاهرة، 2011، ص44.

(5) سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص16.

(6) الحسينى الحسينى معدّى، الأساطير الإغريقية، ص45.

(7) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ص62.

(8) عبد اللطيف احمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص118.

والدورة الخاصة بالألعاب البيثية كانت تعقد كل ثلاث سنوات، ثم أُعيد تنظيمها كل أربع سنوات، إذ تقام في السنة الثالثة من كل أولمبياد[1]، وتعقد الدورة البيثية مرةً كل ثلاث سنوات وتوافق السنة الاولى منها السنة الثالثة من الدورة الاولمبية دائما، وقد عقدت كلاهما في آب/ أغسطس[2]، وكانت الجائزة التي تقدم للفائز عبارة عن تاج من أوراق الغار مقطوع من وادي تمبي في تساليا التي تقع في أقصى شمال بلاد الاغريق[3].

يشرف على ألعاب هذه الدورة الحكام الذين يتم اختيارهم عن طريق الحلف الديني المسمى بالحلف الأمفكتيوني (حلف دلفي الاثني عشري)، وكان لهذا الحلف عدة مهام أولها حماية المنطقة المقدسة للإله أبولو، وهي منطقة الحرم التي تضم عدة مبان يطلق عليها الخزائن أو الكنوز، ومن مهام هذا الحلف أيضاً تنظيم المهرجانات البيثية التي كانت في بادئ الأمر مقتصرة على المباريات الموسيقية فقط، وكان يتنافس فيها المتسابقون في الغناء والعزف على القيثارة والآلات الموسيقية الأخرى، ثم في البيثية الثامنة كان على المتنافسين أن يعزفوا لحناً معيناً معروفاً هو نوموس بيثكوس Nomos Pythikus، والذي يعد النشيد الديني لأبولو[4].

وتبدأ الألعاب بتقديم القرابين واستعراض لممثلي المدن، ويجتمع الناس في هذا العيد للاحتفال بذكرى الإله أبولو، ولسماع القصص المتعلقة بمولده وشجاعته وقتله للأفعى بيثون والحكم عليه من قبل الإله زيوس (كبير آلهة مجمع الأولمبس) بأن يكون خادماً لأحد الملوك، ومن ثَمَّ رجوعه إلى مجمع الآلهة، ويقوم المغنون بإنشاد هذه القصص[5]، ولعل الشاعر بينداروس من أشهر من يقوم بالإنشاد بهذه الاحتفالات، وقد نال أعجاب الجميع[6].

(1) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، ص62؛

Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Handbook to Life in Ancient Greece, Library of Congress Cataloging –in- Publication Data, Printed in the United States of America, 2005, p. 378.

(2) WILLIAM H. RACE, PINDAR OLYMPIAN ODES PYTHIAN ODES, HARVARD UNIVERSITY PRESS, New York, 1997, p. 12.

(3) Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Handbook to Life in Ancient Greece, p. 378.

(4) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، ص117.

(5) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، ص131.

(6) محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص84.

3- الألعاب النيمية

سميت الألعاب النيمية بهذه التسمية نسبة إلى بلدة نيميا في أرجوليس الواقعة في جزيرة البيلوبونيز[1]، إذ عقدت تكريماً لمزار زيوس في نيمية سنة 573ق.م، وتعقد هذه الألعاب كل عامين، في السنتين الثانية والرابعة من كل أولمبياد[2].

واختلفت الآراء حول نشاط هذه الألعاب، إذ هنالك أسطورتان حول نشأتها، أولها تقول: أن هيراكليس قد أوجدها، إذ كان كانت مهمة القضاء على الأسد النيمي من بين الأعمال المفروضة عليه (ينظر الشكل 4)[3]، ولذلك أُسست الألعاب في هذا الموقع من قبله، والثانية: أن هذه الألعاب أُسست من قبل أدراست Adraste، أحد القادة السبعة الذين حاصروا (طيبة[4])، لإحياء ذكرى وفاة أوفيلتس Opheltes، ابن ليكورجوس Lykourgos[5]، أي إن هذه الألعاب كانت في الأصل جنائزية Funeral Games[6].

تألفت هذه الألعاب من مسابقات رياضية بمشاركة عدد أكبر من الفتيان مقارنة بالألعاب الأولمبية[7]، وأشرفت على تنظيم هذه الألعاب مدينة كليوناي ثم أرجوس، ثم أعيدت إلى مدينة كليوناي مجدداً[8]، وفي هذه الدورة كانت تجري كل المباريات الرياضية المعروفة لدى الإغريق في الدورات الأخرى ماعدا سباق العربات، وكانت الجائزة التي تمنح للفائزين إكليلاً من الكرفس البري[9]. (ينظر الشكل 5)

---

(1) جزيرة طويلة ممتدة بمحاذاة الساحل الشرقي لبلاد اليونان، وتعد أرتيريا من أشهر مدنها القديمة، وسميت بهذا الاسم نسبة الى بيلوبس، أحد أبطال الأساطير الإغريقية. سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ص258؛ هـ. د. كيتو، الإغريق، ص80.

(2) Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Hand book to Life in Ancient Greece, p. 378.

(3) STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, Yale University Press, London, 2004, p 58.

(4) تعد أهم مدينة في مقاطعة بويوتيا، ويرجح أن الملك كادموس هو الذي أسسها، وكادموس هو أحد الملوك القادمين من صور الفينيقية أو من مصر، لذلك تسمى احياناً كادميا (Kadmia). سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ص242؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص80.

(5) ليكورجوس (Lykourgos) رئيس الكهنة في نيميا، لم يرزق بطفل إلا بعد عدة سنوات، فاستشار كهنة دلفي في تربية ابنه بطريقة صالحة، فرد عليه بأن لا يلمس ابنه الأرض إلى أن يتعلم المشي، فاستعان ليكورجوس بعربة لتحمل طفله كل الوقت، حتى لا يلامس الأرض، وبينما كانت المربية الخاصة بالطفل أوفيل تحمله في حقول نيميا، جاء أحد المسافرين إليها لطلب الماء، فوضعت الطفل على سرير من الكرفس البري، بينما ذهبت لجلب الماء، فزحفت أفعى كبيرة إلى الكرفس وقتلت الطفل، ومنذ ذلك الوقت انعقدت الألعاب النيمية الجنائزية على شرف الطفل. للمزيد ينظر: صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في إقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، ص28.

(6) قاسم الشواف، الفينيقيون والألعاب الأولمبية ، ص181.

(7) Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Handbook to Life in Ancient Greece, p. 378.

(8) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، ص63.

(9) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، ص119.

4- الألعاب الاسثمية (البرزخية)

سُميت بالألعاب الاسثمية Isthmus بمعنى البرزخية[1]، نسبة إلى بلدة اسثيموس بلد البرزخ الواقعة بجوار كورنثة، وكانت الأخيرة هي نفسها المشرفة على هذا المهرجان، وتقام هذه الاحتفالات على مدى واسع، وكان اقبال الاثينيين عليها كبيراً لمشاهدة هذه الدورة، ولعل ذلك يرجع إلى اشتهار كورنثة بأماكن التسلية واللهو[2]، وتم الاحتفال بها على برزخ كورنثوس[3] على شرف بوسيدون إله البحر[4]، وربما كان هناك مهرجان محلي قديم على البرزخ، إلا أن هذا المهرجان يعود تاريخه إلى عام 581ق.م، أي بعد عام من المهرجانات البيثية، ويعقد كل عامين الأول والثالث من كل أولمبياد، وكانت الجائزة التي تُمنح للفائز في هذه الألعاب مكونة من إكليل من الكرفس الجاف، تمييزاً عن الكرفس الطازج الممنوح في الألعاب النيمية[5]، أو إكليل من أغصان الصنوبر[6]، أما الألعاب التي كانت تُقام في هذا المهرجان، فكانت تضم ألعاب القوى وسباق الخيل، واضيفت إليها المسابقات المسرحية والموسيقية، وفي هذه الدورة كان للشعراء دورهم، إذ خلد الشاعر بينداروس في كتابه الرابع من قصائده المسماة بأهازيج النصر، بعض المنتصرين في الدورة الاسثمية[7]، وشارك في هذه الاحتفالات جميع سكان بلاد الإغريق باستثناء أهل ديلوس[8] الذين منعوا من الاشتراك فيها، أما مبعوثو مدينة أثينا فكانوا يتبوؤون الصدار[9].

---

(1) قاسم الشواف، الفينيقيون والألعاب الأولمبية، ص١٨٢.

(2) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، ص١١٨.

Edward M. Plummer, M. D., Athletics And Games Of The Ancient Greek, Cambridge University Press, London, 1898, p. 18.

(3) وهو برزخ أرضي يربط خليجي سارونيك وكورنثوس، وكانت السفن قديماً تسحب فوق قضبان لاجتياز هذا البرزخ، وفي النصف الأخير من القرن التاسع عشر حفرت قناة مستقيمة لمرور السفن بيسر خلال هذا البرزخ. تيودور جياناكوليس، اليونان، ص29.

(4) محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص٨٣.

(5) Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Hand book to Life in Ancient Greece, p. 378.

(6) أ.س. ميغوليفسكي، أسرار الالهة والديانات، ط4، ترجمة: حسان ميخائيل إسحق، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٩، ص٤٧.

(7) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي، ص٦٢.

(8) جزيرة تقع في مركز جزر سيكيلاديس في جنوب بحر ايجه، وهي مقدسة عند اليونان لوجود معبد ابوللو فيها. جياناكوليس، اليونان، ص41؛ غانم سلطان، جزر العالم، مكتبة الفلاح، الكويت، 1988، ص272.

(9) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي، ص٦٢.

5- ألعاب مارستها النساء

إن معظم المجتمعات القديمة قلدت الرجل زعامة الأسرة وجعلته دعامتها وعمودها الفقري[1]، إلا أن ذلك لم يمنع المرأة في العالم القديم من أن تكون لها مكانة مميزة، إذ إنها بجانب عملها المنزلي، كانت تشارك الرجل في كسب الرزق والحصول على الكسوة، لاسيما أوقات الحروب، إذ كان على الرجل واجب الدفاع عن الجماعة من غارات وغزوات الجماعات الأخرى، وكان على المرأة أن تعوض مكانه الرجل في أداء الواجبات الأخرى التي كان يؤديها الرجل[2].

وأشار المؤرخ (بلوتارك) إلى أن المرأة في أقسام كبيرة بلاد الاغريق القديمة اتصفت بالشجاعة والقوة والقسوة أحياناً تجاه زوجها، وانها كانت تتحدث بصراحة اتجاه جميع الأمور العامة، كما كانت ترث وتشتغل بالتجارة وتمتلك جميع الأراضي، إذ كانت نصف أراضي اسبارطة مسجلة باسم النساء، ويعزو بعض المؤرخين ذلك إلى أن الرجال الذين كانوا يحصلون على ثروات غير مشروعة يسجلونها باسم زوجاتهم، وكُنَّ يَودعن أموالهم كأمانة عند الرهبان[3]، وكانت نساء اسبارطة أكثر تحرراً من المرأة الأثينية، فقد اشتغلت المرأة الاسبارطية بالتجارة، وخرجت من عزلتها[4].

واضطرت المرأة الاغريقية في بعض الأحيان من مزاولة أعمال صعبة، كالرياضة والألعاب من أجل كسب المال[5]، وبينما كان الشباب يدربون عسكرياً، كانت الفتيات يعدون لكي يكُنَّ على درجة من اللياقة البدنية لكي ينجبن أطفالاً أصحاء، فضلاً عن أن الفتاة الاسبارطية كانت تقوم بتدريباتها عارية كالرجال تماماً؛ لأن التربية الاسبارطية كانت تؤهل الفتاة للسيطرة على غرائزها[6]، وقتل الشهوة كان جزءاً من تربية الفتاة التي كانت تعد بدنياً ومعنوياً لتكون أُماً قادرة على انجاب الأبطال، وعندما كانت الأم الاسبارطية تودع ابنها إلى ميدان القتال كانت تقول له: ((**عد الي حاملاً درعك أو محمولاً عليه**))[7].

---

(1) مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية، دار روابط، بيروت، ٢٠١٨، ص٨٥.

(2) صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ج١، ص٣٢.

(3) علي عكاشة، وأخرون، اليونان والرومان، دار الأمل، عمان، ١٩٩١، ص٦٥.

(4) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص١٤٤.

(5) Charles Freeman, Egypt. Greece and Rome, third edition, Oxford University Press, Oxford, 2014, p. 233.

(6) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص١٤٤.

(7) عاطف العراقي، يوسف كرم مفكراً عربياً ومؤرخاً للفلسفة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢١٥؛ Tony Perrottet, The naked Olympics: the true story of the ancient games, p. 224.

أما دور المرأة في الألعاب الأولمبية فلم يكن لها دور في بداية الأمر، فقد بقينَ ممنوعات من المشاركة، إذ يقول بوزنياس: ((**من تتجرأ وتنتهك هذا القانون يلقى بها من فوق الجبل**))[1]، ولكنهم استثنوا خاميني Chamyne كاهنة الربة ديميتر، ومع ذلك تظهر العديد من الفائزات في الأولمبياد في القوائم الرسمية، لاسيما في مسابقات الفروسية، إذ لا توجد قاعدة تستبعد مشاركة النساء في سباقات الفروسية، وكانت أول وأبرز الفائزات هي كينيسكا Kyniska من اسبارطة، التي فازت بسباق العربات ذات الأربعة أحصنة، ففي عام ٣٩٦ق.م تم العثور على قاعدة التمثال البرونزي الخاص بها مكسوراً في أولمبيا مع وجود جزء من النقش الخاص بها، كما عثر على النص الكامل لتكريمها في مكان آخر جاء فيه: ((**ملوك اسبارطة هم آبائي وإخوتي، أنا كينيسكا، ربحت بمركبتي وخيولي السريعة، وقد أقمت هذا التمثال، أقر بأنني المرأة الوحيدة من كل الاغريق التي حصلت على هذا التاج**))[2]، وهنالك شائعة قديمة مفادها أن شقيقها أجسيلاوس Agesilaus، شجعها على تربية الخيول والدخول في السباق لتثبت للناس أن بإمكان المرأة الفوز بسباقات الفروسية، وهذا ما شجع المدافعين عن حقوق المرأة الذين يميلون إلى اعطاء مكانة للمرأة الفائزة في هذه المسابقات[3].

وتجدر الإشارة إلى أن اشتراك النساء في المسابقات الرياضية والموسيقية كان جزءاً من أنشطة اجتماعية مقيدة بقواعد، ضمن ما وصفه علماء الانثروبولوجيا بأنها جزء من مساهمة للمرأة في مسرحية إنسانية عميقة، ولابد أن تتطلب مشاركة المرأة في هذه الفعاليات تقبلاً من قبل المجتمع، لأن مشاركة من هذا النوع ما هي إلا مجرد لعب وترفيه، وليست خروجاً عن العادات والتقاليد التي كانت تحكم المجتمع آنذاك، وتؤدي مشاركة المرأة في هذه النشاطات وإن كانت ترفيهية إلى تطور الفكر المجتمعي وبالتالي إلى إسهام المرأة في الثقافة الأدبية والموسيقية الاغريقية، فأصبحت الأسر تبحث عن مجالات الترفيه بدرجة أكبر، وكان ذلك دافعاً لتعليم المرأة منذ سن مبكرة[4].

(1) من الآلهة الكبيرة في اليونان القديمة، وهي إلهة الطبيعة والنبات والفلاحة عند اليونان. سيد أحمد علي الناصري، الألعاب الأولمبية القديمة، المجلة التاريخية المصرية، مج٢١، ص١٩.

(2) David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p.113.

(3) Ibid.

(4) Armand Dangour, Plato and play، American Journal of Plays, Spring, No. 20, Volume 5, 2019, p.297.

سباق الماراثون

يمثل سباق الماراثون قصة خالدة لأحد جنود الجيش الاغريقي، إذ يفتخر الاغريقيون وهم يروون قصة الماراثون التي ترجع إلى العام 490ق.م، عندما نشبت معركة بين الفرس والاغريقيين في سهل ماراثون الواقع شمال شرق مدينة أثينا[1]، إذ تشير الروايات التأريخية إلى أن الجيش الاثيني بدأ يستعد لهجوم الجيش الفارسي، عندها أراد الأثينيون طلب المساعدة من اسبارطة، فأرسلوا عداء أثينياً يدعى فيديبيدس Pheidippides، قطع مسافة 200 كيلومتر في يومين، على الرغم من أن المنطقة كانت وعرة وصعبة، وهذا ما يثبت طبيعة التدريب الشاق والطويل الذي كان يتلقاه الاغريقيون، إلا إن الجيش الاسبارطي خيب أمل الأثينيين، فلم يستجيبوا لطلب المساعدة، لأنهم في الوقت نفسه كانوا يقيمون احتفالات مقدسة قبل اكتمال القمر، وفي هذه المناسبة لا يجوز بل يحرم الحرب والقتال[2]، وهكذا دارت معركة الماراثون بين الأثينيين والفرس، وحسمت المعركة بانتصار الأثينيين على الرغم من قواتهم المحدودة، ولم تتلقى المساعدة والدعم العسكري من المدن الاغريقية، سوى دعم من ألف فارس من مدينة بلاتيا[3]، على عكس القوات الفارسية التي تفوقهم بعشرة أضعاف[4].

كرم الأثينيون العداء فيديبيدس لنقل أنباء الانتصار إلى أثينا، وجرى مسافة 40 كيلومتر من ماراثون إلى أثينا من أجل أخبار أهلها بأنهم انتصروا على الفرس[5]، وبعد وصوله إلى مدينة أثينا وهو يزف خبر الانتصار سقط ميتاً من الإجهاد والتعب، ومنذ ذلك الوقت استعمل كلمة الماراثون لوصف سباقات المسافات الطويلة[6]، وتخليداً لذكرى هذا العداء، أصبح سباق الماراثون جزءاً من برنامج الألعاب الأولمبية الحديثة التي استؤنفت إقامتها في عام1896، وهو عبارة عن سباق للعدو مسافة 42.2 كيلومتراً، وهي نفس المسافة بين الماراثون وأثينا، وكان أول من فاز في سباق الماراثون في الألعاب الأولمبية الحديثة ساعي بريد اغريقي يدعى سبايريدون لويس Spyridon Louis[7].

---

(1) علاء الاسواني، هل نستحق الديمقراطية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٤، ص٥٩؛ إسلام الهادي، هوصل: انطلق إلى ما أردت أن تكون، دار بيلومانيا، القاهرة، 2019، ص٢٥؛ صلاح سليمان، تأشيرة سفر، دار فصلة، القاهرة، ٢٠٢٠، ص٧٨.

(2) Herodouts, The History of Herodouts , translated by Harry Carter, London, 1962, Book 1 ,ch.106; صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في اقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، ص ص٣٨-٣٩.

(3) مدينة يونانية قديمة، تقع جنوب مقاطعة بيوتيا. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص391.

(4) عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان، ص٨٥.

(5) Enes Müslim, Modern Metinlerle Arapça Dil Sınavlarına Hazırlık, Akdem Yayınları, 2018, p.243.

(6) الخطيب، تاريخ حضارات العالم القديم، دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٠؛ إسلام الهادي، هوصل: انطلق إلى ما أردت أن تكون، ص ص٢٥-٢٦.

(7) صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في اقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، ص٣٩.

المبحث الثاني/ وسائل التسلية والترفيه

أولاً: وسائل التسلية والترفيه ذات الطابع البدني

كان الفلاسفة الاغريقيون يؤمنون بقوة بمفهوم وحدة العقل والجسد في بناء العلاقة القوية بين جميع أشكال الصفات والمهارات البشرية، وأعطى هؤلاء الفلاسفة القدامى أهمية متساوية لنشاط اللعب، لأنهم شعروا أن مثل هذه الأنشطة ضرورية للنمو البدني الصحي والاجتماعي[1].

وتجدر الإشارة إلى أهمية الرياضة في حياة الاغريقيين القدماء من خلال الاستشهاد بأفكار أفلاطون الذي كان يرى أن التعليم يجب أن يكون إلزامياً، ويجب أن يبدأ بالاتجاه الصحيح لرياضات الأطفال، إذ كان يعتقد أن ألعاب الطفولة أسهمت بشكل كبير في الحفاظ على القوانين أو عدم الحفاظ عليها[2]، ويمكن الاستشهاد بذلك من الحكمة الشعبية المنسوبة إلى أفلاطون والتي تقول: ((**يمكنك اكتشاف المزيد عن شخص في ساعة من اللعب أكثر من سنة من المحادثة**))[3].

أدى الاغريقيون القدماء الألعاب بجدية وبتفان كامل، لاسيما الرياضة البدنية، إذ كان للتمارين الرياضية الأثر المهم في التعليم بأثينا وبمدن أخرى، لاسيما اسبرطة[4]، بهدف إعداد الشباب الاغريقي لأن يصبحوا أبطالاً رياضيين، كالذين تنافسوا في الألعاب الهيللينية الجامعة[5]، وخُلدت انتصاراتهم في قصائد بنداروس[6].

وقد كتب ثوكديديس[7] كان الاسبرطيون أول من ظهروا عراة تماماً، ودلكوا أنفسهم بالزيت قبل أن يشاركوا في المنافسات الرياضية[8]، وتشير الرسوم التي تصور الألعاب الأولمبية عند الإغريق أن

---

(1) عبد الجليل كاظم الوالي، الفلسفة اليونانية، دار الوراق، عمان، 2009، ص9.

(2) مصطفى محمد قنديل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة طنطا، 2001، ص155.

(3) Armand Dangour, Plato and play, p. 293.

(4) مدينة في اليونان، تحيط بها لاكونيا، ومراكز حضرية موكينية، وقيل بأن لاكونيا تتكون من أثنى عشر عشيرة، واسبرطة واحدة من هذه العشائر. للمزيد ينظر: محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، ص96.

(5) داليا عامر، تاريخ التربية الرياضية والبدنية، ص٢.

(6) محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص٨٦.

(7) ثوكديديس (٤٦٠-٤٠٠ق.م) مؤرخ يوناني شهير، صاحب المنهج العلمي في تدوين التاريخ، ويعد أول المؤرخين الإغريق الذين أعطوا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية أهمية خاصة، تخصص في دراسة وتاريخ الحروب البيلوبونيسية الكبرى بين أثينا واسبرطة والتي اندلعت عام ٤٣١ق.م، وكان احد القادة العسكريين الاثينيين الذين اشتركوا فيها. للمزيد ينظر: مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دار المطبعة الجديدة، دمشق، 1980، ص ص107-108؛ محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص84.

(8) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية، ص ص20-21.

الرياضيين كانوا عراة بالفعل في أثناء المسابقات، ويبدو أن العري بدأ حين سقط رداء لاعب إغريقي في أثناء ركضه بسباق 600 قدم، وهناك من يشير إلى أن اللاعبون الاسبارطيون كانوا يخوضون السباق وهم عراة، كما يبدو أن التعري بين المتنافسين والمتصارعين في الألعاب الأولمبية في القرن الثامن قبل الميلاد كان أمراً عادياً ومقبولاً (ينظر الشكل 6)[1].

وتم تضمين العديد من الألعاب التي تم لعبها في بلاد الاغريق القديمة في أولمبياد اليوم، بعض هذه الألعاب هي الملاكمة ورفع الأثقال، وكانت الملاكمة هي نفسها في بلاد الاغريق القديمة كما هي اليوم، ولكن اضيفت لها بعض القوانين بالعصر الحديث[2]، ولعب الأولاد الاغريقيون أيضًا ألعابًا لم تكن جزءًا من الألعاب الأولمبية، مثل لعبة الذبابة البرونزية، وعادة ما كان الأولاد الاغريقيون يلعبون الألعاب دون ارتداء ملابسهم[3]، إذ يحتوي التاريخ على سجلات تظهر الفتيات الاغريقيات يلقين الكرات، على الرغم من أن الإغريق كانوا أقل اهتمامًا بالنشاط البدني للفتيات، ويرجح أن الفتيات من اسبرطة كنَّ يمارسنَ الرياضة عاريات، بينما يرتدي نظرائهن الأثينيون الملابس[4].

ومن المهم ملاحظة أن المرأة لم تتمتع بوضع متساوٍ مع الرجل فيما يتعلق بالتمتع بأوقات الفراغ، وهو حال المرأة في العالم القديم بصورة عامة، وقلة من النساء حصلن على تعليم لائق ومشاركة في بعض الأحداث الرياضية والمناسبات الترفيهية عند الإغريق.

1 – الفروسية وسباق الخيل

تعد رياضة سباق الخيول وسباق العربات من الهوايات الترفيهية المميزة في بلاد الاغريق، مما جعلها رياضة تستحق العناء للفوز بها، وكان أكثر من يشارك فيها ويسعى إلى الفوز هم طبقة النبلاء من المجتمع الاغريقي، وتستقطب هذه الرياضة الأمراء، لذا كانت هذه الرياضة مقصورة بين الطبقة العليا في المجتمع الاغريقي، وذلك لحاجتها إلى الإسطبلات المعدة جيداً والتي بدورها تحتاج إلى مال كبير، لذا عدتْ هواية من هوايات الطبقات العليا، وتعد رياضة سباق العربات آخر ما قدم في الألعاب الأولمبية والمهرجانات الرياضية، إذ أدخلت لأول مرة في الدورة الخامسة والعشرين من الألعاب الأولمبية أي حوالي عام (680ق.م)[5].

(1) The real story of the Ancient Olympic Games, Penn Museum. https://www.penn.museum/sites/olympics/olympicorigins.shtml

(2) عبدالله حسين، تاريخ ما قبل التاريخ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ت)، ص٢٠٠.

(3) Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, Journal of Human Sport and Exercise, University of Alicante, Issue 3, Volume 5, 2010, p.342.

(4) David C. Young, A Brief History of the Olympic, p.117.

(5) Heinz school, The Ancient Olympic games, p. 92.

وأصبحت هذه الرياضة من الألعاب الترفيهية المهمة في بلاد الاغريق، لاسيما بعد أن أصبحت جزءاً من الألعاب الأولمبية في بلاد الاغريق، وكانت تبذل الكثير من الجهود من أجل تدريب الخيول على السباق، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الرياضة تمارس في كل المهرجانات والمسابقات المحلية[1].

وكانت رياضة سباق العربات تنطلق في اليوم الثالث من الأولمبياد؛ وقد استوحى الاغريق فكرة رياضة سباق العربات واستخدام الخيول في السباق من أسطورة (بيلوبس والأميرة هيبودراميا)[2]، والفائز بهذا السباق لم يكن سائق العربة، بل كان من يملك الخيول هو الرابح الوحيد، ولم يحصل السائق إلا على عصابة للرأس تصنع من الصوف، وكان يرتدي الخيتون والذي هو عبارة عن رداء طويل يصل إلى كعب القدم، وكانت سباقات العربات مختلفة على حسب العربات المشاركة، فهناك عربات تحتوي على عجلة، وهناك عجلتين وهناك أربع عجلات (ينظر الشكل 7)، وجميع هذه العربات تشارك في السباق من أجل الفوز، وكانت الخيول تدرب لمدة طويلة حتى انعقاد الدورة الأولمبية[3]. (ينظر الشكل 8)

ولم تكن رياضة الفروسية (سباق الخيول – ركوب العربات) بشيء جديد أو مستحدث، فهي قديمة قدم الحضارات، ومنها الحضارة المصرية، إذ ظهرت قديماً في حضارة وادي النيل ولكنها لم تكن حكراً على الحضارة المصرية، بل انتقلت إلى باقي الحضارات ومنها الإغريقية، وأقدم دليل على امتطاء الإنسان للفرس وتعلمه قواعد واصول الفروسية ما أظهرته نقوش حثية يعود تاريخها إلى العام 1400ق.م، ولحقهم في ذلك الفراعنة وتوارثها الاغريقيون والرومانيون، وتبعهم من الشعوب ممن أظهروا مهارة فائقة في توجيه الفرس، واستخدمت الخيول والعربات في القتال، ثم استخدمت الفروسية كرياضة ترفيهية، وكانت الخيول المشتركة في السباقات تجهز بأسرجة ولجام معدة لهذا الغرض[4].

---

(1) Harris, H, A, Sport in Greece and Rome, London, 1972, p. 162.

(2) بيلوبيس: هو ابن تانتالوس ملك سيبلبوس في ليديا وبعد وفاة تانتالوس تولى بيلوبيس الحكم في ليديا وفي يومٍ ما التقى بيلوبيس بهيبوداميا وهي ابنة اينوماس الملك الأركادي وقد كانت فائقة الجمال ولم يكن والدها يسمح لأحد بالزواج منها وقد وضع شرطاً للزواج من ابنته وهو أن يقام سباق للخيول، والفائز هو من يحظى بالزواج منها، وكان والدها يهوى الخيول ويعشقها وطلب منها أن ترافق المتسابق في عربته حتى يتشتت انتباهه ويخسر، ومن يخسر يقطع رأسه ويعلق بالمسامير، إلا أن بيلوبيس قد ذهب إلى الإله بوسايدون وقدم القرابين وطلب منه خيلين ومن ثم ذهب إلى الإله أفروديت، وطلب منها أن تقوم بإطلاق سهامها الدافئة في قلب هيبوداميا مقابل القرابين التي ذبحها، وفاز بالسباق وتزوج من هيبوداميا واستولى على عرش بيسا. عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005، ج1، ص ص 275–277.

(3) الفروسية: كيف تمتطي فرساً، تأليف قسم الاعداد والتأليف في دار القلم، بيروت، 2016، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ص 16.

وكان الملعب الأولمبي يحتوي على مساحة سهلية تستخدم لسباق الخيول، واختيرت سهلية حتى لا يعيق العربات شيء، وقد أنشأت اولمبيا في السهل الواقع أسفل الملعب مضماراً خاصاً لسباق الخيل، وكان على الراغبين في الاشتراك بهذه السباقات من النساء والرجال على سواء أن يتقدموا بخيولهم، وكانت الجائزة في ذلك تعطى لصاحب الجواد – كما هو الحال في وقتنا هذا – لا لراكبه، وإن كان الجواد في بعض الأحيان يجازى بأن يقام له تمثال[1].

لم يكتفِ السكان الإغريق بممارسة رياضة الفروسية، وإنما تغنوا بالخيول في أشعارهم، لاسيما الخيول التي يقودها الأبطال الاغريقيون والفائزون بحروبهم أو سباقاتهم، وحتى أنهم صنعوا تماثيل للخيول التي فازت في السباق[2]. (ينظر شكل 9)

ومن هذا نرى أن سباقات الخيول وسباقات العربات قد أدت دوراً كبيراً في المهرجانات الرياضية الكبرى، وكانت الجوائز التي تقدم للفائز في سباقات العربات تكون أكبر وذات قيمة أفضل من سباقات الخيول، وفي الإلياذة[3] أجاممنون يقول أن: ((**أيّ رجل حصل على الجوائز التي فاز بها فريق خيول السباق سيكون غنياً بالذهب**))[4].

وقد أبدع الاغريق في وصف خيولهم سواء في أشعارهم أو ملاحمهم أو حتى فن النحت والرسم اللذان برعوا فيهما، وهذا ما تشير إليه التماثيل الرشيقة التي نحتوها لخيولهم، والتي تميزت بالرشاقة والقوة والجمال[5]. (ينظر شكل 10)

وأشار الفلاسفة الاغريق إلى أن رياضة الفروسية تدل على القوة الجسمانية والذكاء والفطنة والمال والنفوذ أيضاً، ويبدو أن أفلاطون الذي كان بارعاً في البلاغة والموسيقى والرياضيات والشعر ونبغ فيها جميعاً، وافتتنت النساء والرجال بجمال طلته وبقوة جسده، كان قد تعلم أيضاً فنون الفروسية، وحارب في ثلاث معارك نال خلالها جائزة الشجاعة[6].

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص 219.

(2) فرانسوا كيفيجيه، ليوناردو دافينشي: الذات والفن والطبيعة، ترجمة: ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة: أحمد فريس، دار الثقافة والسياحة، أبو ظبي، 2020، ص25.

(3) وهي أشهر الملاحم الشعرية الاغريقية، إذ تتألف من 15,537 بيتاً مقسماً على 24 أنشودة، وتعد كتاب اليونان المقدس، اشتق اسمها من (اليون Iliun) أو (اليوس Ilious)، أحد أسماء مدينة طروادة، وتسرد هذه الملحمة الحرب التي نشبت بين طروادة وإسبارطة (نحو 1194–1183ق.م)، والتي انتهت بانتصار اسبارطة، وجمعها الطاغية الأثيني بسيستراتوس (560–527ق.م). للمزيد ينظر: محمد صقر خفاجة، هوميروس، مكتبة النهضة، القاهرة، 1956، ص38؛ حسام محي الدين الالوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص199؛ هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليم البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

(4) David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p. 47.

(5) عباس محمود العقاد، هذه الشجرة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2006، ص 33.

(6) مصطفى النشار، اعلام الفلسفة والغرب، افلاطون رائد المثالية، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 2018، ص14.

2- الصيد والقنص

كان الصيد والقنص أحد أهم مصادر عيش الإنسان القديم، وكان مع أسرته يؤلف وحدة مستقلة إلى حد ما، ثم تحول الصيد والقنص من مصدر للرزق إلى ممارسة رياضية ومجال للتسابق والترفيه مارسته الشعوب القديمة بصورة عامة، ومازال يمارس إلى يومنا هذا.[1]

وفي بلاد الاغريق القديمة مارسوا الصيد والقنص وبرعوا فيه، وربما تكون لبيئة الاغريق وتضاريسها أثر في ذلك، ولعل من مؤشرات اهتمامهم بهذه الرياضة أن أضافوا للإلهة أرتميس، وهي الأخت التوأم للإله أبولو كبير آلهة الاغريق، أضافوا لها تخصص الصيد فضلاً عن تخصصها بالعفة والخصوبة[2]، ونظر الاغريق إلى ممارسة هكذا نوع من الرياضات كعامل يسهم في تقوية أجسام وديمومة شبابهم، وبالتالي جمالها وسلامة عقولها وروحها[3].

وكانت الطبقة الراقية والمراكز السامية يتبارون من خلال المبارزة بالعصي والحركات الجسمانية الرياضية وألعاب الكرة وأنواع الصيد والقنص ومبارزة الثيران وغير ذلك، ويبدو أن الرجل في بلاد الاغريق لم يكن يمكث في بيته إلا قليلاً من الوقت، لاسيما في النهار، إذ كانت النساء هي من يتكفل بأمور البيت في أكثر الأحيان، ويبدو أن معظم الرجال كانوا يقضون جزءاً كبيراً من وقتهم في نوادي مخصصة للتدريب على الألعاب، وكان التدريب على الصيد والقنص يتم في بعض المزارع، إذ يتمرنون على مطاردة الأرانب بكلاب الصيد أو على بالركض على الأقدام، مما يتطلب منهم بنية جسمانية قادرة على مجاراة هكذا نوع من الرياضة.[4]

وفي هذا الصدد هناك أسطورة اغريقية تشير إلى أن عقوبةً قاسيةً وقعت على الصياد أكتايون، الذي تجسس على الإلهة أرتميس بينما كانت تسبح في النهر، حولته إلى غزال، وتمزق أكتايون إلى أشلاء من قبل الكلاب الصيد المتمرسة (ينظر الشكل 11)، وكانت هذه العقوبة لجرأة هذا الصياد على الإلهة أرتميس التي دافعت بحماس عن نفسها وعائلتها بأن حولته إلى فريسة بعد أن كان صياداً[5]، وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة أوريون Orion الكوكبية إنما سميت نسبة إلى صيادٍ اغريقي مشهور في الفكر الأسطوري الاغريقي، إذ تشير الأساطير الاغريقية إلى أن الإله زيوس (أبو

(1) نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2021، ص33.

(2) أنور الحمادي، التعاليم السرية لكل العصور، مكتبة المدبولي، القاهرة، 2021، ص 353.

(3) وليد نبيل على، استراتيجية الصراعات والحروب البشرية الغلاف الأمامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ص24-25.

(4) جاردنر، علم الآثار، ترجمة: زكي محمود حسن، وكالة الصحافة العربية، مصر، 1936، ص120.

(5) Sofie Remijsen, The End of Greek Athlics in Late Antiquity, Cambridge University Press, London, 2015, p. 54.

الآلهة والبشر حسب الفكر الديني الاغريقي) هو من وضع الصياد العملاق أوريون بين النجوم باسم كوكبة أو مدار أوريون[1].

ومارس الاغريقيون صيد السمك والحيوانات المفترسة والحيوانات الداجنة والطيور، وكان الصيادون يقايضون ما يصطادونه بالخمر أو الحنطة أو ما يحتاجونه[2]، وكان الهدف من الصيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول هو تربية الحيوان لتكون غذاءً لهم، والنوع الثاني هو لبيع ما يصطادون في الأسواق، والنوع الثالث لاستخدام ما يصطادونه من حيوانات في الزراعة أو كوسيلة للتنقل أو الحروب، ثم تحولت إلى نوع من أنواع الرياضة التي كانوا يقضون فيها أوقات طويلة من أجل التسلية والرفيه[3].

وتشير الآثار المادية التي تركها الاغريق سيما المزهريات على ممارسة الرجال لرياضة الصيد والقنص، ويبدو من هذه الرسومات أن هذه الرياضة كانت تمارس كنوع من الترفيه بين أبناء الطبقة الراقية، إلا أن ذلك لا يعني أن هذا النوع من الرياضة مقصوراً على هذه الطبقة حسب، بل أن القنص والصيد كان يمارس من جميع أفراد المجتمع الاغريقي وغيره من مجتمعات العالم القديم، وبعض صور الصيد مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالنشاط العسكري للإغريقي القديم[4] (ينظر شكل 12).

وتظهر الأدلة الآثارية أيضًا أن الاغريق كانوا يحتفظون بالحيوانات الأليفة، كالكلاب والثيران الخنازير والسلاحف والطيور في أقفاص من أجل الترفيه[5] (ينظر شكل 13).

(1) Judith Swaddling, The ancient Olympic Games, University of Texas Press, 1999, p. 11.

(2) محمد عادل زكي، نقد الاقتصاد السياسي، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، 2021، ص58.

(3) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مذاهب أساتذة الإنسانية، دار البندقية، القاهرة، 2017، ص ص٢٤٧-٢٩٥.

(4) Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, Princeton, NJ: M. Wiener, 2000, p. 94.

(5) David Sansone, Ancient Greek civilization, Wiley-Blackwell, U.S.A, 2003, p. 32.

3 – المصارعة

تضمنت الألعاب الأولمبية مجموعة من الألعاب التي تعتمد على البنية الجسمانية القوية والرشاقة والسرعة والقوة والقدرة على التحمل ومنها المصارعة[1]، والتي كانت المباراة النهائية والحاسمة للألعاب الأولمبية، فمن يفوز بها يتوج بطلاً للألعاب الخماسية[2]، وتُعد رياضة المصارعة أقدم أنواع الرياضات عند الإغريق، وقد جاءت الكلمة من الأمكنة التي يتمرنون فيها Palestre من الكلمة الاغريقية Pale أي مصارعة[3].

ومن المصارعين الذين خلدهم تاريخ الألعاب الأولمبية: ميلو كروتون Milo Croton[4]، واوديسيوس Odyssus[5]، ويُعد أقدم ذكر لهذه الرياضة في المصادر الأدبية ما جاء في الإلياذة، إذ قدم وصفاً للمصارعة التي قامت بين أوديسيوس مع أجاكس Ajax العملاق، وصفها بأنها أعظم وأضخم مصارعة حدثت في ذلك العصر[6]، فضلاً عن ثيسيوس[7] الذي يظهر في المنحوت وهو يهزم

(1) محمد ناجي شاكر أبو غنيم، دراسة تحليلية للأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية لبلاد الإغريق وآثرها في انطلاق الألعاب الأولمبية القديمة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، (د.ت)، ص184.

(2) الخماسي تعد رياضة الخماسي الحدث التالي للألعاب الأولمبية بعد ظهر اليوم الثاني منها، اذ كان اليوم الأول مخصص لتقديم القرابين إلى الآلهة، وكانت الألعاب الخمسة تشمل: رمي القرص، والقفز، ورمي الرمح، والعدو السريع والمصارعة. للمزيد ينظر:

Robin Waterfield, Olympia the Story of the Ancient, without a printing press, without date, p. 93; David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p. 33.

(3) STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p. 92.

(4) ميلو كروتون من مدينة كروتون الواقعة جنوب إيطاليا، كان ميلو أشهر لاعب كروتوني على الإطلاق، وأكثر اللاعبين الرياضيين شهرة في العالم اليوناني، تروي الأساطير أن ميلو حمل ذات مرة ثوراً حول الاستاد في أولمبيا وأكله في يوم واحد، وكانت أجرته اليومية تتكون من كميات كبيرة من اللحم والخبز والنبيذ، وكان يقف على قرص مدهون ويتحدى الرجال لمحاولة دفعه بعيداً، كما كان يمسك في يده الرمانة ويقبض عليها بقوة لا يستطيع معها أي إنسان أن ينتزعها منه لدرجة كانت تبقى الرمانة سليمة لا ينالها أذى، للمزيد ينظر:

Robin Waterfield, Olympia the Story of the Ancient, p.p. 121-122.

(5) أوديسيوس أو أوليس باللاتينية، هو ملك أثياكا الأسطوري، ترك بلده كي يكون من قادة حرب طروادة، وصاحب فكرة الحصان الذي بواسطته انهزم الطرواديون. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص١٩٥؛ هوميروس، الأوديسة، ترجمة: دريني خشبة، دار التنوير، القاهرة، 2014، ص١.

(6) مجلة الفيصل، الألعاب الأولمبية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد١٠٨، العدد١٠٨، ١٩٨٦، ص١١٠.

(7) ثيسيوس هو البطل المحلي لمدينة أثينا، ابن ملك أثينا، نشأ في تروزن في البيلوبونيز، وغادرهاعندما بلغ رجولته، وقد ذهب إلى أثينا سيراً على الأقدام وخاض سلسلة من المغامرات البطولية.للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص٣٦٨؛

M. I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, London, 2005, p. 120.

المصارع الإغريقي الأسطوري الشهير سيرسيون Cercyon of Arcadia، في إليوسيس[1] في ضواحي أثينا، (ينظر الشكل 14)[2].

وفي مسابقات المصارعة، هناك عدة حركات يقوم بها المصارع للهجوم والإمساك بخصمه، تتمثل: بالإمساك باليد والذراع، (ينظر الشكل 15)[3]، والإمساك بالعنق (ينظر الشكل 16)[4]، والإمساك بالجسم (ينظر الشكل 17)[5]، وعرقلة الساق (ينظر الشكل 18)[6].

وإلى جانب مصارعة الكبار، كانت هناك مصارعة بين الأولاد من أجل اكتشاف المواهب الجديدة، إذ كانت مصارعة الأولاد تجري في اليوم الخامس من الألعاب الأولمبية[7].

وكانت المصارعة على نوعين: المصارعة في وضع الوقوف، والمصارعة الأرضية، والأولى يكون على المصارع ان يقوم بطرح منافسة على الأرض ثلاث مرات دون أن يسقط معه ليعتبر فائزاً بالنزال، أما النوع الثاني في النزال يستمر حتى يقر أحد المتنافسين بخسارته، وذلك بالانسحاب من النزال[8]، فهنالك قواعد يجب اتباعها في المصارعة وهي: يعد سقوط المصارع سلمياً إذا سقط على أي جزء من أجزاء جسمه، على الظهر أو الكتف أو مفصل الورك، وفي حال سقوط المتصارعين في آن واحد، لا يحسب ذلك سقوطاً وخسارة لأحدهما، ولا بد من الفوز في المصارعة ثلاث مرات، أي طرح الخصم ثلاث مرات أرضاً، ويجب إمساك الخصم الإمساك الصحيح، وأداء حركات الإمساك بالشكل المسموح به، هذه هي الشروط الصحيحة لرياضة المصارعة، التي مورست في البالاسترا[9]، أي في مبنى المصارعة[10].

---

(1) يقع إلى الغرب من أثينا، وهو من أكثر الأماكن المقدسة في اليونان، وفيه استضافة كيليوس الكاهنة ديميتر بحثاً عن ابنتها التي اختفت، وفيه أعطت ديميتر ابن كيليوس سنبلة قمح ليُعلم الناس كيف يزرعون الحبوب، فتطورت عبادة الأسرار المقدسة، وكان خصوبة سهل ثرياس الموجود حول اليوسيس كافي لتفسير أصل رواية البطولة، ويعد الموقع من الأماكن التي سكنت في أتيكا، وتأسست مستوطنات على جبال اليوسيس أسفل المعبد المقدس، وداخل المعبد المقدس عبدت الآلهة الكريتية. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص173-174.

(2) M. I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, p. 120.
(3) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The AncientWorld, p.184.
(4) STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p.47.
(5) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The AncientWorld, p.185.
(6) STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p.59.

(7) مجلة الفيصل، الألعاب الأولمبية، ص١١٠.

(8) محمد ناجي شاكر أبو غنيم، دراسة تحليلية للأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية لبلاد الإغريق، ص١٨٤.

(9) ويطلق عليه أيضاً الجيمناسيون، وهو بيت أو مدرسة المصارعة، وكانت تحت إشراف هرقل وهيرميز، وفي أثينا تحت إشراف ثيسيوس. E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.p.182.
(10) Ibid, p.p.182-183.

4- مصارعة الديوك

تعد مصارعة الديوك من الهوايات الترفيهية التي مارسها الاغريقيون، على الرغم من أنها كانت تمتاز بالدموية، لأن الديوك المتصارعة تبدأ بالعراك بكل قوتها إلى تنتهي بموت أو جرح أحد الديوك المتصارعة في حلبة صغيرة أعدت لهذا الغرض في أسواق أو أماكن محددة، وكانت هذه الرياضة شائعة في العصور القديمة في الهند والصين وبلاد فارس ودول شرقية أخرى، ويبدو أن القائد والسياسي الاغريقي ثيميستوكليس (524-460ق.م) كان له الدور الأكبر في إدخال مصارعة الديوك إلى بلاد الاغريق[1].

وكان ينظر للديوك على أنها رمز من رموز الشجاعة والقوة والمقاومة في مواجهة الصعاب التي لا يمكن التغلب عليها، وفي بعض الأحيان كان الأهالي يطلبون من أبنائهم أن يحذوا حذو الديوك في معاركهم سواء في القتال أو الصياح من أجل حماية لقمة العيش أو حماية أسرتهم، وكان المصارع يختار ديكه بعناية فائقة إما عن طريق شرائه من السوق أو من دواجنه الخاصة، ومن الشروط الواجب توافرها في من يمارس هذا النوع من المصارعة هو أن لا يقل عمر المصارع عن 15 سنة، وأن لا يزيد عن 60 سنة، أي تعد هذه الرياضة من ضمن الرياضات التي يتنافس فيها الكبار والصغار، وتستمر رياضة مصارعة الديوك لمدة يومين في الأسبوع، وهما يومي الأحد والخميس، ومع أن هذه الرياضة كانت معروفة بين الإغريق، إلا أنها لاقت رفضاً اجتماعياً، لأنهم عدوها دموية وغير أخلاقية تماماً، لذلك نرى أن القانون يمنعها، ولم تنتشر في بلاد الاغريق كما انتشرت في الهند وغيرها من البلدان[2]. (ينظر الشكل 19)

وتشير الآثار المادية إلى أن المشاركين في سباقات مصارعة الديوك كانوا يطعمون ديوكهم الكراث قبل بداية الصراع، لكي تزداد شراسة ديوكهم[3].

(1) Parikshit Chakraborty1, Falguni Chakra arty, Cock Fight: A Symbolic View of Social Status, International Journal of Current Research and Academic Reviews, Volume 4, Number 11, 2016, p. 34.

(2) Parikshit Chakraborty1, Falguni Chakra arty, p. 34.

(3) يعقوب صروف، مدارس اليونان، مجلة المقتطف، المجلد 22، القاهرة، 1898، ص897.

5- الملاكمة

مورست رياضة الملاكمة في بلاد الاغريق القديمة عن طريق بحر ايجة في العصر الهيلادي، ولاسيما حضارة كريت المينوية[1] وبلاد الاغريق الميسينية والعصور الاغريقية المظلمة، أي قبل وقت طويل من بدء الألعاب الأولمبية، وتم إدخالها ضمن الألعاب الأولمبية عام ٦٨٨ق.م، في الأولمبياد الثالث والعشرين، وملاكمة الصبيان أدخلت في عام 616ق.م، أي في الأولمبياد الحادي والأربعين، وتم التعرف على رياضة الملاكمة منذ عهد هوميروس (القرن العاشر قبل الميلاد)، إذ تم ذكرها في الأدب والفن، فقد وصف لنا ذكرها في الإلياذة، إذ أعطانا صورة واضحة للملاكمة[2].

وتعد رياضة الملاكمة، من أعنف الرياضات كونها تحتاج إلى قوة تحمل كبيرة فضلاً عن البنية الجسمانية القوية والتوازن والسرعة، والهدف الأساس من جعلها رياضة يتسابق فيها الرياضيون من أجل الفوز هي الرغبة في جذب أنظار الناس المحبين لرياضة العنف، ورغم العنف الذي تمتاز به هذه الرياضة، إلا أنها كانت تعد من أهم وسائل التسلية والترفيه عند الإغريق[3].

ونزالات الملاكمة عند الإغريق لم تكن لها حلبة خاصة بل كانت تمارس على الرمال في الرمال في الاستاديوم، وكانت تعتمد على تقسيم المتسابقين الى مجموعات على حسب الفئات العمرية، كمجموعة الصبيان ومجموعة الشباب[4]، وتبدوا قواعد الملاكمة الإغريقية غريبة بالنسبة للملاكمة الحديثة، إذ لم تكن هناك جولات في قواعد الملاكمة القديمة، أي أن الفوز بها لم يحدد بالجولات والنقاط، وانما تبقى مستمرة إلى أن يعلن أحد الطرفين الاستسلام بالهزيمة، وذلك عن طريق رفع يده كدليل على الاستسلام بسبب الإرهاق الذي يصيبه، لذلك يضطر للانسحاب[5].

---

(1) حضارة كريت المينوية امتدت نحو (3000-1600ق.م)، وعرف قدراً ظاهراً من النشاط الحضاري في المنطقة التي عرفت بإسم العالم اليوناني، وذلك بعد أن انتشرت فيها بلاد اليونان الأصلية في جنوبي شبه جزيرة البلقان أو في الجزر المنشرة في أرجاء بحر ايجة أو على سواحله في الشمال والشرق، وسميت الحضارة الكريتية بهذا الاسم؛ نسبة إلى جزيرة كريت، أو الحضارة المينوية؛ نسبة الى مينوس، وهو الحاكم الذي سيطر على جزيرة كريت لمدة طويلة، وظهرت فيها أول مظاهر حضارة العصر الحجري الحديث التي حددت عن طريق الدلائل الأثرية لتلك المدة، للمزيد ينظر: عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان، ص٧١؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص، ٧٥.

(2) Heinz Schobel, The Ancient Olympic Games, Studio Vista, London, 1966, pp.75-76;

صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في إقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، ص٩٢.

(3) Nima Deimary, The study of the in fluency of ancient Greek rituals, Department of Physical Education, Faculty of Literature and Humanities, Malayer University, Iran, 2019, p.35.

(4) صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في إقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، ص93.

(5) David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p. 40.

ارتدى الملاكمون منذ مدة عهد هوميروس وحتى القرن الخامس قبل الميلاد، قفازات عبارة عن شريط من الجلد الخام مدهون بالزيت، ليحافظ على ليونته، ملفوف بإحكام حول الساعد واليد، وترك الأصابع مفتوحة، إذ كان يلف الشريط حول الأصابع الأربعة بشكل محكم ويترك الاصبع الخامس خارج الحلقة بعد لفه بالشريط، ثم تلف اليد إلى أعلى الذراع، وكانت هذه القفازات الأكثر شيوعاً، وظهرت بكثرة على الأواني الفخارية[1]، اما المدة الممتدة من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، فقد حلت القفازات أكثر تطوراً محل تلك القفازات، فقد كان هذا القفاز مكوناً من شرائط سميكة من مادة ناعمة تمتد على طول الذراع الأمامية ومربوطة بشكل دائري مع سيور جلدية صلبة مثبتة ظاهرياً بين الأصابع والابهام، بعد حشوها بالصوف من الداخل، وأطلق عليها تسمية هيمانتس Himantes، وكان يتم ارتداؤها بسهولة وبطريقة أسرع؛ وذلك لأنها جاهزة ولا تحتاج إلى ربط[2]، (ينظر الشكل 20).

ازدادت وحشية اللاعبين على مر الزمن فجمعوا المصارعة والملاكمة في مباراة جديدة اسموها لعبة القوى مجتمعة بانكراتون Pankration[3]، كما أسلفنا سابقاً، إلا أن هذه الرياضة خضعت لقواعد صارمة، وهذه القواعد تم فرضها من قبل المدربين أو المسؤولين عليها، إذ كان مسموحاً في هذه الرياضة كل شيء ماعدا العض وفقأ العين، إذ يتدخل المدرب المسؤول لإيقاف التلاعب بالقواعد إذا تم خرقها من قبل اللاعبين[4]. (ينظر الشكل 21).

(1) David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, p. 40.
(2) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.p.197-198.
(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج١، ص٣٩١.
(4) E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.212.

6 – السباحة

وتُعد السباحة من النشاطات الرياضية التي يمكن لكلا الجنسين ممارستها لكل المراحل العمرية، كما أن تعلمها لا يتأثر بمراحل النمو الزمني والبدني والعضلي؛ لأنها رياضة شمولية[1]، ولرياضة السباحة مكانة مرموقة بين الرياضات المختلفة، لما تحمله من قيم متعددة، سواء بدنية أو اجتماعية، وكذلك نفسية ناتجة من ممارستها[2]، وتعتمد السباحة في مبادئها على الممارسة المبكرة في الصغر والإعداد والتحضير الجيد خلال الموسم الرياضي من أجل اكساب السباح المهارات العالية والقدرات والمواصفات البدنية اللازمة، وهذا كله لرفع وتحسين مستوى أداء السباح عبر مراحل للحصول على نتائج جيدة، وظهرت الحاجة الماسة إلى الاهتمام بالجانب البدني وتطوير الصفات البدنية التي يجب أن تتوفر في السباح باعتبارها أهم عوامل الارتقاء بالمستوى والأداء[3].

ونظراً لارتباط الطبيعة الجغرافية لبلاد الاغريق بعلاقة كبيرة مع البحر، لذا عُدت السباحة من أهم الأنشطة البدنية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً ببلاد الاغريق[4]، ومن ثم احتلت مكانة بارزة عند الإغريق سواء لإعداد المحاربين وخوض غمار البحار، أو بوصفهم متعلمين حظوا بتعلم السباحة، وقد وجدت عدة دلائل على تلك المكانة والأهمية، تتمثل في الأدلة الأدبية والأقوال المأثورة، والأساطير التي تروى بكثرة عن السباحة والغوص، سواء عن أبطال حقيقيين أو أسطوريين مما يؤكد على أهميتها[5].

إذ عُدت السباحة من الأنشطة الرياضية التي مارسها الإنسان منذ أقدم الحضارات في صراعه وتحديه المستمر للطبيعة ولقضاء حاجاته الأساسية، إذ شهدت حضارة بلاد النهرين ممارسة لهذه الرياضة على ضفاف نهري دجلة والفرات؛ من أجل الصيد والتحدي والترفيه والعلاج، فضلاً عن حضارة بلاد وادي النيل التي زخرت بالكثير من الأثار التي تدل على مزاولتها وتنظيم فعالياتها، ومارسها الإغريق والرومان[6]، إذ تعود البيانات المتعلقة برياضة السباحة إلى العصور القديمة من

(1) قاسم حسن حسين، افتخار احمد، مبادئ أسس السباحة، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٠، ص١٢٤.

(2) عمر عبد الله شحادة، عبدالباسط مبارك عبد الحافظ، السباحة والغوص بين التراث والمعاصرة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت عمادة البحث العلمي، مج17، ع7، عمان، 2011، ص9.

(3) امال بوعلي، عتشوم أية، تأثير صفة المرونة على زيادة فعالية القوى الدافعة للسباحة الحرة 50 متر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي، 2015، ص11.

(4) Stathis Avramidis, World Art on Swimming, International Journal of Aquatic Research and Education, Vol. 5, No. 3, 2011, p. 331.

(5) WALDO E. SWEET, Foreword by Erich Segal, SPORT AND RECREATION IN ANCIENT GREECE, Oxford University Press, Oxford, 1987, p. 162.

(6) Maria Yfanti, Swimming as Physical Activity and Recreation for Women, Maria Yfanti, Department of Physical Education and Sports Science, Aristotle University, 2014, p. 138.

الاكتشافات الأثرية، مما أثبتت الدراسات أن السباحة في بلاد الاغريق القديمة، كانت جزءاً من التعليم الأساسي للأطفال، وجزءاً من تعليمهم العسكري[1]، أي أن ممارسة الإنسان لهذه الرياضة ترجع إلى العصور الأولى، سواء كانت من أجل البقاء وكسب الرزق، أو للتسلية والترويح[2]، وكانت السباحة الترويحية يمارسها الشخص لغرض اللهو واللعب والتسلية والترفيه، وهو غير ملزم باتباع قواعد أو طريقة معينة، إذ له الحرية في اختيار الوقت والطريقة التي تناسبه[3].

وقد تم العثور على وعاء فضي في قبر ميسيني، يظهر سباحين يستمتعون بهذه اللعبة منذ وقت مبكر ترقى إلى القرن العاشر قبل الميلاد (ينظر الشكل 22)، وأسلوب السباحة وطريقة أدائها تشير إلى أن هذا النوع من السباحة كان معروفاً منذ عهد هوميروس[4].

7- الحمامات

ارتبط وجود الحمام بالحضارات القديمة، ويرجح الباحثون ان أول حمام شهدته المجتمعات الإنسانية يعود إلى حضارة بلاد النهرين ووادي النيل وبحر ايجه، إذ وجدت حمامات ملحقة بالمعابد في الحضارات القديمة بصورة عامة مخصصة للكهنة وهي للطهارة والتعبد، ولم ينقرض الحمام بانقراض الحضارة التي ظهر فيها لأول مرة، وانما ظل متوارثاً في كل عصر، وان تم التغيير في عمارته أو وظائفه، فعمارة الحمام لها نمط خاص بها لم يفقد معالمه رغم التطور الذي لحق العمارة بشكل عام، وتشير مصادر كثيرة إلى أن انتشار الحمامات وازدهارها يعود إلى العصر الإغريقي[5]، واحتوت الحمامات الإغريقية على مرافق رياضية وثقافية، مما أضفى عليها طابع الترف والرفاهية، إذ انه من التقاليد الاغريقية دعوة الضيف إلى الحمام للتعبير عن الاحتفاء به وإكرامه، ووجدت الحمامات للاسترخاء بعد ممارسة الألعاب الرياضية التي ولع بها الاغريقيون آنذاك، كالجري والمصارعة وغيرها من الألعاب الأخرى، حسب ما تبينه النقوش والفسيفساء الإغريقية، وكذلك اعتنى الإغريق بالحمامات وقسموها إلى عدة أقسام مزودة بالماء الساخن، وأخرى مزودة بأحواض الغطس، ويضم الحمام الإغريقي غرفاً كثيرة بها ممرات تؤدي إلى قاعات المجالسة والمخاطبة، وكانت تستعمل في استضافة الشعراء والفلاسفة، الذين وجدوا في الحمام فرصة لترويج منتوجهم، فضلاً عن النقاش مع مثقفين عصرهم[6].

---

(1) سميره عرابي، السباحة، دار مجد، عمان، ٢٠١٧، ص١٥.

(2) حتم صابر خوشناو، تأثير المنهج التعليمي في تعلم سباحتي الحرة والظهر، دار غيداء، عمان، 2012، ص٤٣.

(3) صالح بشير سعد، واخرون، الأسس العلمية لتعليم السباحة والتدريب عليها، دار زهران، عمان، ٢٠١١، ص٩.

(4) Stathis Avramidis, World Art on Swimming, p. 331.

(5) يونس إبراهيم التميمي، قصير عمرة برؤى نمساوية، دار الخليج، عمان، ٢٠٢١، ص ٤٢.

(6) المصدر نفسه، ص ص٤٢-٤٣.

وكانت كل من الحضارة الإغريقية والرومانية اللتان اشتهرتا بنظرتهما المثالية للجسد، رائدتين في فنون تشييد الحمامات العامة، إذ كان من العادة في ذلك الوقت ان يأخذ المعمار موقعاً استراتيجياً بالنسبة للعمران، وبذلك يكون مثله مثل منزل الحاكم والمعبد والسوق التجاري والألعاب الرياضية والمسارح، ويقيمون شؤون حياتهم اليومية في هذه الفضاءات من اغتسال وترفيه ومزاولة لطقوس الحب وتدبير للسياسة وأخذ لدروس الفلسفة والعلم والفن، وهذا ما نشرته كلتا الحضارتين في كامل منطقة البحر المتوسط، فقد عُرفت الحضارة الإغريقية بتقديسها لشهوات الحياة وكل ما له علاقة بمتعة الجسد والعناية به[1]، وفضلاً عن كون الحمامات مكان للنظافة والتطهر والاغتسال، كذلك عُدت مركز للجمال والزينة[2]، وأيضاً استخدم العلاج، فقد كانت جزء من تقاليد العلاج في كل الحضارات، بدءاً من مصر القديمة وبلاد الاغريق القديمة، إذ كان الطب كله تقريباً يمارس في الحمامات العامة[3].

وعرف الاغريقيون القدماء الاستحمام في المياه الجارية الطبيعية، كالبحر والأنهار ومجاري المياه، فكان أطفال اسبارطة يستحمون في البحيرات حتى في أيام الشتاء، وعندما ظهرت المياه الساخنة في أثينا بداية القرن الخامس قبل الميلاد، لم تكن متاحة لعامة الناس، بل كانت فقط للأقلية من النخبة، اما في اسبارطة فلم يكن مسموحاً لكافة سكانها بأخذ هذا النوع من المتع، ولكن بمرور الوقت أصبحت هذه الممارسة الخاصة بالعناية الصحية للجسد، أكثر شعبية ومفتوحة لكافة الإغريق[4].

وأشار هوميروس شاعر الاغريق إلى وجود حمامات خاصة عند الإغريق، وقد غلب عليهم استعمال الماء البارد، فضلاً عن استعمالهم الماء الساخن الذي اعتبروه نوعاً من الرفاهية[5].

أما بالنسبة للمرأة فيُعد الذهاب إلى الحمام عيد للنساء اللواتي يمضين الوقت ماكثات في البيوت، فيُعد يوم الحمام بالنسبة اليهن عطلة أو عرض مسرحي أو تسلية أو تغيير ديكور بالمعنى الكامل للكلمة[1].(ينظر الشكل 23)

---

(1) زهيه بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية في رحاب حضارات الماء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد١٨، ٢٠١٥، ص٩١.

(2) خيرة بن زين، المرأة والحمام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠٠٩، ص٦٥.

(3) جابر بن سالم موسى القحطاني، الطب البديل مكمل للطب الحديث، دار العبيكان ، الرياض، ٢٠١١، ص١٥٧.

(4) زهيه بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية في رحاب حضارات الماء، ص٩١.

(5) محمد مسعود محمد أبو سالم، الحمامات والمراحيض في مصر وأثرها على الصحة العامة في المدة من النصف الثاني للقرن (١٩) وحتى النصف الأول للقرن (٢٠) الميلاديين في ضوء الوثائق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٤، ص٤.

وعلى الرغم من ان معظم النساء يملكن بيوت الاستحمام في منازلهن، إلا ان الذهاب إلى الحمام أحب إليهن من أي شيء، فقد كان وما زال المكان الذي يستطاب الذهاب إليه عشية كل فرح أو مناسبة دينية، فمتعة الاغتسال وتبادل الأخبار والنصائح وتعالي الأصوات بالضحك، فهن يتحدثن بكل حرية وارتياح ويعلمن كل شيء بعضهن عن بعض، وبمعنى اخر كان الحمام بمثابة مقهى للنساء[2].

اما ممارسة الاغتسال في المنزل، فإن المرأة هي التي كانت تحمم الرجل، إذ كانت الخادمات والعشيقات يساعدن أسيادهن وخلانهن على الاغتسال بسكب الماء عليهم، ومن طقوس حسن الضيافة، كان العبيد يغسلون أرجل المدعوون وأيديهم قبل الدخول إلى قاعة الأكل[3].

مما تقدم ذكره عن الحمامات نلاحظ بأنها لا تمثل الاستحمام المرفه فقط، وانما كانت تمثل مكاناً لسماع الأخبار وإجراء الأحاديث والمقابلات الاجتماعية فهي تمثل النادي الاجتماعي في المفهوم المعاصر، لذلك كان بناء الحمامات من الأولويات الأولى والمهمة في الإنشاء.

(1) خيرة بن زين، المرأة والحمام، ص ٢٠.

(2) خيرة بن زين، المرأة والحمام، ص ص٢١-٢٢.

(3) زهيه بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية في رحاب حضارات الماء، ص٩٢.

ثانياً: وسائل تسلية وترفيه الطفل في المجتمع الاغريقي

إن التربية عند الاغريق تهدف إلى تكوين مواطن صالح تتجسد فيه روح الجندية والشجاعة، يعرف جيداً ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فضلاً عن تدريبه على التحلي بفضائل الصبر والطاعة اللتان تساعدانه على طاعة الوالدين وطاعة الآلهة والتمسك بالدين والتحلي بالشجاعة والرجولة والجد والتأني في العمل[1]، إلا أنهم اهتموا كثيراً بالترفيه عن أطفالهم وتوفير الألعاب لهم، إذ تم الكشف عن أقدم سجل مدون فيه ألعاب الأطفال بالحضارة الاغريقية القديمة يعود إلى نحو 500ق.م، ذكرت فيه ألعاب مصنوعة من الخشب والمعدن[2].

وكما يضرب المثل بعلم الاغريق القدماء وحكمتهم حتى يومنا هذا، فلهم أيضاً أساليب كانوا يعلمون بها اطفالهم ويهذبونهم، والألعاب كانت من بين ما كان يتدرب عليه الاطفال في هذه المدارس، ويرى بعض المؤرخين أن للإغريق السبق مجال تدريب الاطفال على الألعاب والفنون المختلفة، في حين أن هناك من يرى أن تأسيس المدارس في بلاد النهرين ومصر القديمة وبلاد فارس قد سبق الاغريق، ومع أن هذا صحيح بكل تأكيد، لأنها حضارات سبقت الحضارة الاغريقية بكثير، إلا أن مدارس هذه الحضارات ربما لم تكن تمارس فيها فعاليات في مجال تدريب الأطفال على هذه المهارات التي ذكرناها[3].

وفي بلاد الاغريق القديمة، وبالتحديد أثينا، وفي القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، كان من الممكن لأي شخص أن ينشئ مدرسة، يقرر منهجها والرسوم، وقبول الطلاب للتسجيل فيها من عدمه.[4]

ويبدو أن النهضة الحضارية الاسبارطية سبقت نظيرتها في أثينا لعدة قرون، إذ وصلت أوجها في الفنون والتنظيم والقوة العسكرية خلال القرن الثامن إلى السادس قبل الميلاد، وكانت النهضة الاسبارطية مركزية وجماعية في طبيعتها، وأسست فيها أول مدرسة رسمية عامة تابعة للدولة في بلاد الاغريق، مورست فيها نشاطات التدريب الرياضي والفني، وفضلاً عن ذلك كانت هناك مدارس عسكرية مختصة هدفها تطوير القدرات العسكرية والقدرات الحربية لأبناء المدينة.[5]

---

(1) ايوب دخل الله، علوم التربية (تاريخها، فلسفتها، مناهجها)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص57.

(2) Ashley Cowie, When Children Came out to Play: Ancient Toys and Games, 2019, p. 53.

(3) يعقوب صروف، مدارس اليونان، ص896.

(4) رونالد موتا، التعليم من أجل الابتكار والتعلم المستقل، دار العبيكان، عمان، 2017، ص80.

(5) محمد زياد حمدان، الإدارة الفعالة للتعليم الصفي المباشر، دار المنهل، عمان، 2015، ص34.

وكان تعليم وتدريب الاطفال بهذه المدارس يبدأ بعمر السبع سنوات، مع مراعاة للفروقات الفردية بينهم، إذ كان الاباء يعتنون بأولادهم أشد الاعتناء فيرسلون أولادهم إلى المدرسة مع عبد أمين كبير السن يراقبهم في ذهابهم وايابهم ولا يسمح لهم بالاختلاط مع الآخرين، ويبقون تحت سيطرة هذا العبد من بداية تسجيلهم بالمدرسة إلى سن السادس عشر، فعند بلوغ الأطفال سن السابعة تتولى الدولة رعايتهم، ف((**في بداية تجنيدهم في التدريب العسكري يقسمون إلى فئات عمرية: من ٨ إلى 11 كانوا يعرفون باسم "أشبال"، كروبيداس "بروميكيزمينوس"، "بروبايس"، ومن 12 إلى ١٥ شباب "براتوبامبايس"، "أثروبامبايس"، "ميليرين"، ومن 16 إلى 20 كانوا يعرفون باسم إيرين [شخصية أسطورية خيالية تمتاز بكونها بطل خارق]**))[1].

وربط الاغريق إصابة الإنسان بأنواع الإعاقة إلى غضب الآلهة حسب معتقداتهم الدينية، وهذا ما يشير إليه أرسطو في مدينته الفاضلة بقوله: ((**لا يجب أن يكون بها عجزة أو معاقين لأنهم نقمة من الرب**))[2]، وقد دعا أفلاطون – صاحب كتاب الجمهورية – بضرورة إقامة مجتمع خالي من العجزة والمشوهين، وأكد على ضرورة التخلص من المعاقين عقليًا إما بالنفي أو النبذ أو الطرد خارج البلاد، وحرمانهم من كافة الحقوق والواجبات المتاحة للأسوياء، وكانت التقاليد الدينية تستلزم أن يوضع الطفل عقب ولادته مباشرة عند قدمي والده، أما أن يرفع الأب الطفل عن الأرض ليصبح عضواً مقبولاً في الأسرة، أو يعرض عنه بسبب التشوهات والعيوب الخلقية، فيصبح الطفل في هذه الحالة من الرقيق أو المهجرين[3].

وكان الأولاد يتعلمون أيضاً في هذه المدارس، فضلاً عن القراءة والكتابة والحساب، يتعلمون الموسيقى والرياضة، والموسيقى التي يتعلمونها كانت تشمل الغناء والعزف على القيثارة[4]، وكانت الرياضة تشمل الرقص أيضاً، وكانت القيثارة تصنع في بادئ أمرها بشد أوتارها على عظم السلحفاة[5]، وشملت الألعاب الرياضية للأطفال الجري والقفز ورماية النبال وجر الحبل والمصارعة[6]، وكل هذه الألعاب والموسيقى كانت جزء مهم من وسائل التسلية والترفيه للأطفال في بلاد الاغريق القديمة.

---

(1) Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, p.241.

(2) محمد صادق اسماعيل، دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2014، ص15.

(3) المصدر نفسه.

(4) يعقوب صروف، مدارس اليونان، ص899.

(5) المصدر نفسه، ص897.

(6) المصدر نفسه، ص900.

ومع أن التلاميذ في هذه المدارس لم يكونوا يمتحنون في المواد الدراسية، إلا أنهم كانوا معرضين للاختبار بالألعاب الرياضية والفنون لإظهار تفوقهم، ولبث روح التنافس بينهم بغية ابراز مواهبهم، فمهاراتهم الرياضية والفنية تحتاج إلى تنافس مستمر لضمان تطورها وابراز المتفوقين فيها[1].

ويبدو أن النظام التربوي الاغريقي القديم لم يكن يسمح لأيّ طفل بالتسيب وترك التدريبات، وهذا النظام كان قسرياً في حقيقة الأمر، إلا أنه سمح للأطفال باللعب والترفيه حتى سن السابعة فقط، وبعدها لم يكن يسمح لهم بحجة إدخالهم المعسكرات التدريبية والجيش وحياة المعسكرات الأدبية، كما يبدو أن المدن الاغريقية كان تتفاوت في طريقة تربية الأطفال واجبارهم على التدريب العسكري، إذ لم يكن في أثينا أي مفتش تعليم، كما كان في أسبرطة وغيرها من المدن الاغريقية، ومع أن قوانين سولون أجبرت على إرسال أطفالهم إلى المدرسة عند الفجر، تجنباً لممارسة الجنس مع الأطفال وغيرها من المخاطر، إلا أن هذه القوانين لم تجبرهم على ممارسة الجمباز أو الموسيقى أو تعلم اللغة أو حتى حضور الدروس[2].

انعكس التمايز الطبقي في بلاد الاغريق القديمة بشكل واضح وجلي على ألعاب الأطفال، إذ كان أطفال العوائل الاغريقية الثرية لديهم مجموعة كبيرة من الألعاب، ويتمتعون بوقت مناسب للعب واللهو، على العكس من أطفال العوائل الفقيرة، إذ شارك هؤلاء الأطفال أهلهم في العمل في سن مبكر[3]، ويبدو أن اهتمام الاغريقيين باللعب في حياة الأطفال لصقل روح المنافسة بين الأطفال، سيما وأن الثقافة الاغريقية سادت فيها هذه الروح في العصور القديمة.[4]

(1) يعقوب صروف، مدارس اليونان، ص897.

(2) Robert Flasilier, A Literary History of Greece, Chicago, 2007, p. 119

(3) David Sansone, Ancient Greek civilization, p. 32.

(4) مدحت عبد الرزاق الحجازي، سيكولوجية الطفل في مرحلة الروضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ص52.

أهم ألعاب الأطفال

تشير الرسوم والمنحوتات والآثار الاغريقية إلى ألعاب مختلفة كان يقتنيها الأطفال، إذ يحتوي معرض عن الألعاب الاغريقية القديمة على لوحة لفتاة مع دميتها وأوزتها الأليفة، ويحوي المعرض أيضاً دمى قديمة بأذرع وأرجل متحركة، فضلاً عن لعب سحب الحبل، وهناك أيضاً لعبة تظهر فتيات يقمن بالدوران[1]، وكانت النسخة الاغريقية القديمة من لعبة الداما مشابهة للعبة الطاولة الحالية، اشتملت النسخة الاغريقية القديمة من لعبة الداما على لوح وأحجار ونرد.[2]

وكان الأولاد يتعلمون على ألعاب الحلقات والكرة والكعاب والنرد، ويبدو أن الغش في اللعب كان وارداً في تلك الألعاب، إذ تشير زهرية موجودة في متحف برلين كانت معدة للعب لتنقلب على وجه معين بوضع مادة ثقيلة في جانب منها ليكون هذا الجانب هو الذي تقع عليه فيكون الفوز للمتسابق الذي غش في صناعتها.[3]

وكان الأطفال المشاركون في هذه الألعاب والمسابقات مهتمون بقضاء وقت ممتع ومسلي، بدليل عدم ترتب أي أثر على نتائج الفوز والخسارة في مسابقاتهم بهذه الألعاب، وهذا يشير إلى تشجيع أسرهم للاشتراك بقصد التسلية والترفيه لأولادهم، وفي متحف هود للفنون في كلية دارتموث بهانوفر بالولايات المتحدة الأمريكية، هناك عينات جميلة للعب الأطفال الاغريقيون التي كانوا يقتنونها، فضلاً عن ألعاب السرعة والمهارة وخفة الحركة والتنسيق، وتظهر روح المنافسة الشرسة التي سادت الثقافة الاغريقية في العديد من ألعاب الأطفال التي ظهرت في بلادهم.[4] (ينظر الشكل 24)

ومع أن مشاركة الأطفال في الألعاب الأولمبية وغيرها من الأحداث الرياضية المنظمة محدودة، إلا أن موجودات متحف هود للفنون تشير إلى السماح للأولاد بالمشاركة في حدث السقوط (وهو نوع من المصارعة) بعد عام 200ق.م، وتشير السجلات أيضًا إلى أن الأولاد تنافسوا في الخماسي عام 628ق.م[5].

وتظهر ألعاب الطفولة التي مارسها الأطفال في بلاد الاغريق القديمة روح المنافسة الشرسة التي سادت الثقافة الاغريقية في العديد من الألعاب، وكان هدف الأطفال في ممارستهم، فضلاً عن التسلية والترفيه عن انفسهم، هو تحقيق الفوز وتجنب الخسارة، ويبدو أن ذلك يدخل في بناء شخصية

(1) ستانفورد ماك كراوس، الحياة في الإمبراطورية الرومانية، مطبعة كامبريدج ستانفورد، لندن، 1932، ص286.
(2) محمد صادق اسماعيل، دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام، ص15.
(3) يعقوب صروف، مدارس اليونان، ص897.
(4) History, Olympic Games, Archived from the original on 9 August, 2016, p. 43.
(5) Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, p. 98.

الطفل الاغريقي، ومن هنا جاء اهتمامهم بضرورة تحقيق الفوز حتى وإن كانت ألعاب ترفيهية، وهذا ما تشير إليه مقتنيات متحف هود للفنون، التي تبيِّن أن الأطفال الاغريقيين أمتعوا أنفسهم بألعاب السرعة والمهارة وخفة الحركة والتنسيق والقوة، وهم يسعون لإثبات شخصيتهم في ألعابهم اليومية[1]. (ينظر الشكل 25)

كانت ألعاب الأطفال في بلاد الاغريق القديمة تباع في متاجر خاصة، وكانت الأسرة تشتري لأطفالها هذه الألعاب وبما يناسب ميولهم، وضمت مدينة أوديسا على سبيل المثال مخازن ألعاب متكاملة للأطفال[2]، ويبدو من هذه الألعاب أنها ركزت كثيراً على العناية بالألعاب البدنية (الرياضية)، كما يبدو من خلال الرسومات الخاصة بتلك الحقبة أن الاغريقيين ومنهم الأطفال كانوا يمارسون الألعاب الرياضية عراة، ورغم أن هذا الأمر كان مشاعاً عندهم[3]، وتجدر الإشارة إلى ظاهرة التعري أثناء ممارسة الألعاب الرياضية لم تستمر لشعورهم بالحرج من هذا الأمر، فعمدوا تدريجياً إلى لبس ملابس خاصة بالألعاب الرياضية، ولجميع الفئات العمرية.

وكانت الأم تشترك في تدريب أبنائها على بعض الألعاب الترفيهية، فعلى سبيل المثال كانت الأم تدرب ابنها على الرقص وفنونه وطريقة أدائه، وتعمل معه بكل جهد كي يتقن الرقص، ويبدو أنه كان جزءاً من ثقافة المجتمع الاغريقي، لذا كان لزاماً على الأم أن تعلم ابنها الرقص وتدربه عليه جيداً كي يكون راقصاً جيداً.[4]

وبعض الألعاب التي مارسها الأطفال والكبار كالمصارعة، قد مورست ضمن البرنامج الأولمبي القديم، إلا أنها فصلت بعد ذلك وأصبحت مسابقة منفصلة، وتشير الكتابات الاغريقية القديمة إلى إضافة بعض الألعاب للألعاب الأولمبية كالملاكمة والفروسية والمسابقات العسكرية ومسابقات للأطفال، وكان يحبب الطفل في الألعاب التي تمارس في الألعاب الأولمبية ويشجع على ممارستها وحبها، كي يبدع فيها ويحقق الفوز المنشود.[5]

وكشفت التنقيبات التي قام بها المهتمون بموضوع الترفيه عند الأطفال عن عدد كبير من الألعاب والدمى التي تثبت أن الأطفال كانوا يمتلكون ألعاباً خاصة بهم في طفولتهم، ومن هذه الألعاب

(1) Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, p. 98.

(2) إيمان عباس الخفاف، اللعب، دار المناهج، عمان، ٢٠١٥، ص٢٠.

(3) مينيكه شيبر، المكشوف والمحجوب، ترجمة: عبدالرحيم يوسف، دار صفصافة، الجيزة – مصر، 2017، ص25.

(4) ايمان عباس الخفاف، الذكاء الانفعالي: تعلم كيف تفكر انفعاليا، دار المنهل، عمان، ٢٠١٣، ص246.

(5) محمد عواد، تاريخ الإسكندرية: نشأتها وحضارتها منذ أقدم العصور، الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة، القاهرة، 1999، ص178.

هي: الخشخشيات ولعبة جر الحبل وركوب الخيل والتي كانت عبارة عن خيول من الخشب متحركة المفاصل أو من الطين[1]. (ينظر الشكل 26)

هناك ألعاب كثيرة أخرى كان الأطفال يمارسونها بغرض الترفيه والتسلية، إذ رسم على مزهرية اغريقية قديمة طفل يلعب بلعبة رمي القرص تعود إلى نحو 440ق.م، ويظهر منحوت اغريقي قديم محفوظ في متحف كيراميكوس الأثري في أثينا ويرجع تأريخه إلى نحو 950–900ق.م حصان صغير على عجلات يبدو أنه كان لعبة لطفل اغريقي[2]، (ينظر الشكل 27)[3]، ومن لعب الاطفال الشعبية التي كانت معروفة عندهم لعبة يطلق عليها اسم اوستراكندا، إذ يقوم الأطفال بتلوين نصف حجرة مخروطية الشكل باللون الأسود لتمثل الليل، بينما كان الجانب غير الملون يمثل النهار، ويلقي اللاعبون هذه الأحجار على أرض رخوة، والجزء الذي يظهر من هذه القذائف يبين من الفائز[4].

ويبدو أن لعبة الكرات الزجاجية [الدعبل] كانت معروفة عند الاغريق، وكانت تمارس من قبل الفتيات والفتيان، وهناك لعبة تسمى افيدريسموس، يبدو أنها كانت لعبة شائعة في بلاد الاغريق، واختص بها الأطفال، وهذه اللعبة كانت تمارس من خلال لاعبين أحدهما يكون معصوب العينين ويحمل اللاعب الآخر على ظهره، وعلى اللاعب المعصوب العينين العثور على هدف محدد على الأرض[5].(ينظر الشكل 28)

وهناك لعبة أخرى، كان يلعب فيها فريقان من الأطفال، وتتمحور حول تحرير عضو الفريق المحجوز في منزل عند الفريق الاخر، يشارك فيها مهاجم ومدافع واحد من كل فريق، يعبر المهاجمون منطقة العدو ويحاولون الوصول إلى منزلهم، بينما يحاول المدافعون تمييز المهاجمين وإرسالهم إلى السجن، لتحرير زميل في الفريق، وتنتهي المباراة عندما يلمس أحد الفريقين القاعدة الرئيسة للخصم.[6]

واستمتع الأطفال الاغريقيون بالعديد من ألعاب الكرة، ولكن يصعب الحصول على مجموعات كاملة من القواعد لأساليب اللعب القديمة، ومع ذلك، تضمنت إحدى الألعاب البسيطة محاولة رمي كرة مصنوعة من مثانة خنزير منتفخة من خلال فتحة في لوحة موضوعة في الأرض.[7]

(1) Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, p. 243.
(2) Ashley Cowie, When Children Came out to Play: Ancient Toys and Games, 2019.
(3) ΣΧΕΔΙΑΣΜΟΣ ΠΡΟΓΡΑΜΜΑΤΟΣ، ΤΟ ΠΑΙΧΝΙΔΙΣΤΗΔΙΑΧΡΟΝΙΑ, ΔΗΜΟΣΑΧ ΑΡΝΩΝ, 2015, p.14.
(4) Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, p.344.
(5) Elizabeth Ann Robertson, Growing up Greek: The differing journeys childhood in ancient Athens and Sparta, Master Thesis, Stellenbosch university, 2018, p.42.
(6) THUCYDIDES, Translated: RICHARD CRAWLEY, Thucydides (431 BC) The History of the Peloponnesian War 1.1 Trans, E. P. DUTTON AND COMPANY, NEW YORK, 1950, p. 57.
(4) Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, p. 34.

ومارس الأطفال في بلاد الاغريق القديمة لعبة الريشة الطائرة، ورغم الغموض حول الأصول الدقيقة للعبة الريشة، إلا أنها كانت تمارس من قبل الصغار والكبار قبل أكثر من ألفى سنة قبل الميلاد في بلاد الاغريق القديمة[1].

ومن الألعاب الترفيهية المهمة عند الأطفال في بلاد الاغريق القديمة لعبة الكرات، وهي لعبة اختلفت القواعد فيها، وكانت تسمى في أحيانٍ أخرى لعبة الجوز، كما أطلق عليها اسم لعبة الجوز، وتسمى بالاغريقي لعبة (هوميلا أو دلتا)، إذ يتم رسم دائرة أو مثلث على الأرض، بداخله يجب أن يسقط الجوز، فيقوم الأطفال برمي ثلاث جوزات، والفائز هو من يقوم بالاحتفاظ بجميع الجوز الذي لم يدخل إلى الحفرة، وفي رأيٍ آخر قيل أن هذه الجوزات أو الكرات رميت على زجاج في خطٍ مستقيم، كما تلعب هذه اللعبة بأن ترمى جوزة على ثلاثة أخريات، وبعض اللاعبين كانوا يتمتعون بمهارة كافية لتشكل هذه الجوزات شكل الهرم، والفائز سيحتفظ بالجوزات الأربعة[2]. (ينظر شكل 29)

لعبة الذبابة البرونزية

وهي من الألعاب التي كانت مخصصة للأطفال، وهذه اللعبة تلعب بأن يربطون عيون الطفل بعصابة الرأس، ثم يدور وينادي: ((**سأطارد الذبابة البرونزية، يجيب الآخرون ستطارده لكنك لن تمسك به، ويضربوه بالسياط حتى يمسك به أحدهم؛ واللعبة وربما يفضل تسميتها لعبة الرجل الأعمى**))[3]، ويرجح أن اللعبة تطورت وأصبحت في وقتنا الحالي ما تسمى بلعبة الغميضة التي يلعبها الأطفال.

ومن الرياضات الأخرى هي لعبة التوازن وهي لعبة كان يلعبها الفتيان والفتيات على حدٍ سواء، ومن قواعد اللعبة أن يقوم اللاعبون بالمحافظة على توازنهم على أرض مطلية بالزيت والنبيذ، ويحاول الصغار بذل كل جهودهم من أجل عدم السقوط والمحافظة على التوازن، وكانت هذه اللعبة تلعب خلال الولائم الريفية تكريماً للإله ديونسيس، كونه الإله الملهم للطقوس والابتهاج والنشوة عند الإغريق[4] .

(1) Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, p. 34.
(2) Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, p. 243.
(3) Walter S. Hett, The Games of the Greek Boy, JOURNAL ARTICLE, Greece & Rome, Cambridge University Press, London, Vol 1, No: 1. 1931, pp.24-25.
(4) Ibid.

المبحث الأول/ الأعياد والاحتفالات

أولاً/ الاشتراك في الأعياد والمواكب

تُعد احتفالات ومناسبات الأعياد من المظاهر السعيدة التي تلقي البهجة والفرح والسرور في نفوس الناس، ومهما كانت طبيعة تلك الاحتفالات والأعياد، تبقى بشكلها العام مظهراً ترفيهياً مسلياً ملهياً عن آلام وأحزان وهموم الناس.

دوافع الأعياد والاحتفالات

من أبرز الدوافع التي من أجلها أُقيمت الاحتفالات والأعياد، وحرص الناس على المشاركة بها؛ هو تقديسهم للآلهة وإرضاءها، والحروب والصراعات التي كانت قائمة في بلاد الاغريق، وظهور الفلاسفة والشعراء والأدباء والمسرحيين والغنائيين بكثرة، واتصافهم بالفصاحة وبلاغة الألفاظ والكلام، وإبداعهم في الترتيب والتجهيز لتلك الأعياد والاحتفالات التي كانت تخلق شغفاً لدى الناس وانتظارهم لها، فبدأ يشعر المجتمع الاغريقي تدريجياً من أن هذه الاحتفالات والأعياد أصبحت تمثل تسلية وترفيه ووسيلة من وسائل السعادة والفرح لدى سكان الاغريق، وتسهم بشكل كبير في التفريج عن آلامهم وهمومهم من بؤس وكآبة ومشقة الحياة[1].

إن من أهم وأشهر الأعياد التي كانت تُقام عند الاغريق هي: عيد زيوس، عيد ديميتر، عيد ديونيسيوس، وغيرها الكثير من أعياد المناسبات التي كانت تُقام على مدار الأيام والفصول والمواسم والأعوام، وأقام الاغريق الأعياد الكثيرة للتخفيف من عبء الحياة الاقتصادية المملة التي سببتها الحروب والصراعات والنزاعات والتي لم يستطع الدين الاغريقي القضاء عليها، وقُدمت في هذه الأعياد للآلهة الكثير من الأضاحي والتماثيل والهياكل والمواكب، وكانت تُقام الأعياد والاحتفالات في كل عام ويوم وساعة كان هناك أعياد دينية على نفقة أثرياء البلاد، وسميت بعض الأعياد بأسماء الشهور[2].

وفيما يأتي أهم الأعياد:

(1) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954، ص22.
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص361.

عيد زيوس

يُعد من أهم الأعياد في الاغريق لأنها لكبير الآلهة، وقد اقيم هذا العيد تمجيداً له بدءاً من سنة 776ق.م، وكان يعقد في منتصف الصيف كل أربع سنوات، ويستمر لمدة 5 أيام، وتبدأ احتفالات العيد بالمواكب الدينية وتقديم القرابين لزيوس، ثم تبدأ بعدها الألعاب الرياضية، وكان أولها سباق المسافات القصيرة، ثم أدخل سباق المسافات الطويلة والألعاب الخمس: القفز الطويل ورمي القرص ورمي الرمح والجري والمصارعة، وأدخلت أيضاً وسباقات المنادين ونافي الأبواق، فضلاً عن سباقات القفز على صهوات الجياد، إذ كانوا يركضون بجوارها وهم يمسكون بألجمتها[1].

وكان الناس يُضحون من أجل زيوس وغيره من الآلهة، فيتم إعداد وليمة طعام كبيرة من أجل زيوس، ويتناول الكهنة جزءاً بسيطاً منها، ويأكل الناس المشاركون ما تبقى من الوليمة للدلالة على المحبة والمودة بين الآلهة والبشر في الطعام والشراب، كما يقوم بعض الناس في عيد زيوس بذبح ذبيحة قرباناً للآلهة ثم يحرقونها حتى تصبح رماد ولا يأكلوا منها، وهذا النوع من الطقوس يقام خوفاً من غضب الآلهة وإرضاء لها[2].

كان يوم ميلاد زيوس يوماً عظيماً مقدساً، وكان الشهر الذي ولد فيها زيوس يحرم فيه القتال والحروب ويتهادن فيه المقاتلون من كل أنحاء الاغريق، فألحق الأيليون[3] غرامة لكل قادم كان سبب في ضرر الأراضي الاغريقية[4].

وكان هذا العيد يعقد في مدينة إلتس المقدسة، كونها أقدس مكان في أولمبيا، إذ كان فيه معبد الإله زيوس، وكان في المعبد تمثال عظيم لهذا الإله، مكسو بالذهب والعاج[5].

---

(1) سفيان البوخاري، الأعياد الدينية عند الإغريق، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، العدد 32، المغرب، 2021، ص295.

(2) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص22.

(3) جماعة اغريقية نزحت من الغرب إلى اليونان. للمزيد ينظر: ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ج15، ص228.

(4) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص95.

(5) سفيان البوخاري، الأعياد الدينية عند الإغريق، ص295.

عيد ديميتر

تعد ديميتر ربة عظمى عند الإغريق، ولها قوة جبارة حسب معتقدهم، وهي إلهة ربة القمح أو إلهة القمح والزواج، وبدون قوتها لا ينبت المحصول لا في الغابات ولا المروج ولا الحقول[1]، ويطلق عليها اسم كيريس، ولديمتير ابنة تُدعى كوري أو بروسيفوني، وعندما كانت تلعب في الحقول اختطفها عمها هاديس[2]، وتزوجها ليأنس بها في عالمه السفلى، وحزنت ديميتر على فقدان ابنتها، وراحت تبحث عنها هنا وهناك[3].

ومن شدة حزن وبكاء ديميتر على ابنتها، لم يعد ينبت القمح، وهو الأساس الذي يعيش عليه البشر، إلى أن وجدت ديميتر ابنتها، فأصبحت تعيش مع هاديس مدة، ومع أمها ديميتر مدة نضوج القمح وحصاده[4]، وأُقيم عيد تكريماً ومكافأةً لديميتر على إعادة انبات القمح، ومن طقوس هذا العيد تناول المشاركون الكعك المقدس، وشراب من الدقيق والماء[5]، وتحمل النساء والمشاركون في العيد تعاويذ سحرية تجلب الخصب والإنبات والتناسل، ويُعرف عيد ديميتر بعيد الخصب والتناسل، ويُسمى ثموفوريا[6].

عيد ديونوسيا

ديونيسيوس هو إله الخمر والكروم والثمر، واسمه مقرون بمدينة طيبة[7]، ويطلق عليه عيد الأنثيستيريا ويكون هذا العيد يوم لشرب الخمر، ويستمر المشاركون في احتفال العيد بشرب الخمر لاختبار قوة تحمله، ويفوز بالجائزة المدمن الذي يستطيع شرب أكبر عدد من أباريق الخمر[8].

ويُسمى هذا العيد أيضاً بعيد الربيع، ويستمر ثلاثة أيام، وكان الخمر يجري كالوديان، والحياة في هذا العيد مليئة بأجواء من الفرح والسعادة والترفيه[9]، ويأخذ الإله مكانه في الموكب الديني، ويحملونه

---

(1) نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ص55؛ ممدوح درويش مصطفى، ابراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية – تاريخ اليونان، ص77.

(2) نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ص55.

(3) عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني، تحقيق: حسان حلاق، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، ص ص76-77.

(4) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص475.

(5) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج3، ج3، ص 150.

(6) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص22.

(7) للمزيد ينظر: ممدوح درويش مصطفى، ابراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية – تاريخ اليونان، ص75؛ أ. س. ميغوليفسكي، أسرار الآلهة والديانات، ص40.

(8) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، صص56-57.

(9) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص362.

في سفينة توضع على عربة مع عازفي الأبواق والموسيقى، والحرس والخدم يحملون رموز العبادات الخاصة بهم، ثم يبدأ سباق شعري موسيقي يُشرف عليه كُتاب التراجيديا والكوميديا والجوقة[1]، ومن طقوس هذا العيد استرضاء الموتى، فيتناولون وليمة الطعام إحياء لذكرى أبائهم ويتركون طبقاً مليئاً بالطعام، وعند انتهاء العيد يطردون أرواح الموتى من البيوت لانتهاء العيد[2].

وتفسر هذه الطقوس على أنها تقام اعتقاداً من الإغريق أن ممارستها سيكون لها أثر إيجابي في نمو المحاصيل والنباتات الزراعية الجديدة وولادة الأبناء، كما يعتقدون أن إقامة مثل هذه الأعياد تؤدي إلى عودة الأرواح القديمة إلى الأرض، وينبغي تطهيرها حتى تعود نقية[3].

عيد ديدالا

ويقام هذا العيد تكريساً للإلهة هيرا، وتعد الإلهة هيرا أو هيزا أو حيرا واحدة من أقدم آلهة الإغريق، واسمها يعني (السيدة)، وهي أخت الإله زيوس وزوجته غير الشرعية، ويقع معبدها في بلدة سميت باسمها (بلدة هيرا) التي تقع شمال أرجوس، ولها معبد آخر في جزيرة ساموس التي ولدت فيه هذه الإله حسب الأساطير الإغريقية، وكان يقام عيد سنوي لهذه الإلهة في جزيرة ساموس[4].

ويحتفل بهذا العيد بتنظيم موكب عرس تحمل فيه كتلة من الخشب منقوشة وعليها أدوات زينة العروس، ويسير الموكب إلى جبل كيتارون، وتقدم القرابين للإلهين زيوس وهيرا، وتشعل نار في كوم من الخشب احتفاءً بهذا العيد[5].

عيد جاميليون

وهذا العيد يقام هو الآخر تكريساً للإلهة هيرا، وهو عيد أثيني، أي يقام في مدينة أثينا، واسم جاميليون يعني (شهر الزواج)، إذ تجري فيه طقوس الزواج المقدس، لأنه وحسب المعتقدات الإغريقية تعد هيرا إلهة مختصة بالزواج وراعية النساء والحياة الجنسية والولادة لهنَّ، ويقام هذا العيد في كانون الثاني من كل سنة[6].

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص57.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص362.

(3) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص23.

(4) عبد اللطيف احمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، ص ص76-77.

(5) سفيان البوخاري، الأعياد الدينية عند الإغريق، ص296.

(6) خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، دار الشروق، عمان، 2004، ص348.

عيد إليوسينيا

كان هذا العيد المخُصِّص لتكريم الإلهتين ديميتر وبرسيفوني يقام في كل سنتين مرة واحدة في شهر متاجيتيون وهو الشهر الثاني في التقويم الأثيني، ويقابل الشهر السابع تموز (أغسطس) في السنة الميلادية، وكان يحظى بأهمية بالغة عند الإغريق، إذ كان العيد يزداد جمالاً وتجهيزاً وتهيئاً في كل مرة يقام فيه عما كان عليه الاحتفال في المرة السابقة، لذا كان يطلق عليه عيد اليوسينيا الكبير[1].

عيد الأعوان

يقام هذا العيد في الشهر الثالث من السنة الإغريقية (شهر بويدروميون)، ويقابل شهر أيلول (سبتمبر)، ويبدأ هذا العيد في اليوم المقدس للإله أبولو (اليوم السابع من شهر بويدروميون)، لذا أرتبط هذا العيد بالإله أبولو[2].

عيد كاميليا

وهو عيد الزواج المقدس، ويقام في مطلع شهر كاميليون، وهو الشهر السابع في التقويم الأثيني، ويقابل شهر كانون الثاني (يناير)، وربما يكون هذا العيد مرتبط بشكل أو بآخر بزواج الأله زيوس من الإلهة هيرا، وهو يشير إلى اقتراب السماء من الأرض والاقتران بها، فينتج عن هذا الاقتران خصب الارض ونمائها وازدهارها، وهو أساس أغلب الاحتفالات الدينية في العالم القديم[3].

أعياد عائلية وشخصية

تقام في مناسبات الزواج والميلاد، ولا تشمل الألعاب، وتقام داخل تجمعات الديموس[4] والفراترية[5]، أو إحدى التجمعات الدينية وتدعى ثياسوس[6]، وهناك احتفالات مدنية قومية، واحتفالات

---

(1) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ترجمة، رمزي عبده جرجيس، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965، ص89.

(2) المصدر نفسه، ص90.

(3) المصدر نفسه، ص101-102.

(4) ديموس أو ديمس إله الرهبة والقوة عند الإغريق، وهو ابن الإله آريز والألهة أفروديت، وله دور كبير في ايقاع الرهبة والقوة في نفوس المشاركين في الحرب، والتجمع الذي يقام لها احتفاءً وبهجةً لرفع معنويات الإغريق وتقوية الروح المعنوية لديهم.

David E. Falkner, The Mythology of the Night Sky: An Amateur Astronomer's Guide to the Ancient Greek and Roman Legends (The Patrick Moore Practical Astronomy Series), Springer edition, Berlin, 2011, p. 175.

(5) هو اجتماع او اتحاد مجموعة من العشائر الإغريقية التي ترتبط بروابط الدم أو الدين، ولهم أعياد مقدسة مشتركة تعقد بانتظام، ويرأس هذا الاتحاد رئيس يطلق عليه اسم (فيلوبازيلوس) ويعني (الزعيم)، وينتخب من بين النبلاء. فريدريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة: احمد عز العرب، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1957، ص ص100-102.

(6) جزيرة تقع عند بحر ايجه، وتتميز بمناخها الجميل، ومياهها الوفيرة العذبة، وخيراتها الكثيرة، وفي القرن السابع سكنها مستوطنون من جزيرة باروس بصحبة أرخيلوخوس باحثين عن حياة أفضل من حياتهم على جزيرتهم الفقيرة،

اغريقية عامة، فإن زاد عدد المشاركين المحتفلين بدرجة كبيرة كان في هذه الحالة يسير موكب بقيادة الشخصيات الهامة والكهنة بدل من تدافع الناس بطريقة غير منظمة من الأفراد المشاركين في الاحتفال الذين يحملون الحيوانات من شاه وخنازير باتجاه المذبح للتضحية به[1].

أعياد الإباحة

أعياد باخوس[2] أو أعياد الحصاد، وكانت تقام هذه الأعياد في مشاهد مُخجلة، وينغمس الناس في الدعارة والزنا، والغاية من هذه الأعياد إخصاب عقم الرجال، وإيحاء الأرض في فصل الربيع عن عدم حصادها في الشتاء، لتتهيأ للإنتاج من جديد[3].

عيد الكرونيا

يقام عيد الكرونيا في شهر هكاتومبايون Hecatombaion وهو الشهر الأول بالتقويم الإغريقي، وفيه يجتمع السادة والعبيد في المجتمع الإغريقي على وليمة طعام كبيرة، وسط أجواء جميلة تغمرهم فيه حالة من البهجة والسرور[4].

عيد الجامعة الأثينية

يقام هذا العيد في شهر هكاتومبايون كل أربع سنوات مرة واحدة، وتقام فيه المباريات وألعاب كثيرة مختلفة، ويمتد العيد لأربعة أيام، ويسير بعدها أهالي البلاد في موكب مهيب ضخم متجه إلى (كاهنة أثينا)[5]، حاملين لها ثوباً فخماً يوضع أعلى تمثال إله المدينة[6].

فوصفوا جزيرة ثياسوس عند دخولهم إليها بأنها جزيرة بائسة، وشعورهم بالرعب من ضخامة الأشجار والجبال الوعرة والطبيعة الموحشة، إلا أن الناس القادمين من جزيرة باروس استطاعوا التأقلم مع أهالي الجزيرة وقامت بينهم علاقات وتعاملات، وزرعوا مع بعضهم الأراضي، حتى أصبحت جزيرة ثياسوس أغنى المناطق في اليونان. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص358.

(1) المصدر نفسه، ص56.

(2) من أقدم وأشهر آلهة اليونان، وهو إله الخمر والنبات، ولباخوس أعياد كثيرة مرحة مسلية تقام نهاية الخريف مع بداية الربيع، وتأخذ هذه الأعياد طقوس الاحتفالات الباطنية الدينية. للمزيد ينظر: نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ص88.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص112.

(4) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص361.

(5) ملكة الهواء حسب المعتقدات الأثينية، يعتقد أنها منحت للناس الحكمة، وعلمتهم ودربتهم على استعمال أشياء كثيرة، ترجع بالفائدة عليهم، منحدرة من الآلهة التي عبدها الموكينيون والكوريتيون، وكانت أثينا أكثر من آلهة، وهي ابنة زيوس التي انبثقت من رأسه مدججة بسلاحها، وهي رمز الحكمة والعقل والحرب. جميس بالدوين، أقاصيص من الأساطير اليونانية، ترجمة: جميل منصور، دار العرب، القاهرة، 2011، ص60.

(6) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص361.

عيد المتاجيتنيا

سمي بذلك نسبة إلى الشهر الثاني المتاجيتنيون Metageitnion حسب التقويم الإغريقي، ومنه اشتق اسمه، وعلى الرغم من أن هذا عيد كان صغيراً إلا أنه أكتسب أهمية كبيرة عند الإغريق، وكان يُقيمه الإغريقيين تقديساً وتكريماً للإله أبولو[1]، ورغم قلة معلوماتنا عن هذا العيد، إلا أن هناك إشارات إلى أن الذبائح كان تنحر فيه هذا العيد إلى الإله أبولو الذي كان يحمل في هذه المناسبة لقب ميتاجيتونيوس[2].

عيد الباناثينايا

ويسمى أيضاً عيد جميع الأثينيين، وهو احتفال عام كبير، يجتمع فيه جميع سكان المدينة في مكان إقامة احتفال العيد للاحتفاء بعيد الآلهة الحامية[3]، وموعد انعقاد هذا العيد في اليوم الثامن والعشرين من شهر هكاتومبايون أو شهر متاجيتنيون[4]، ويقام هذا العيد كلّ أربعة أو خمسة سنوات تكريماً لميلاد الإلهة أثينا، ويمتد الاحتفال لأثنى عشر يوماً[5]، مع أن هناك من يرى أن هذا العيد استمر لمدة ستة أيام[6]، وتبدأ احتفالات هذا العيد بالغناء والرقص في الأكروبوليس المقدس (هضبة صخرية عالية وسط أثينا)، ثم تتوالى الفعاليات المختلفة ابتهاجاً بهذا العيد، وتقرأ على المسرح خلال هذا العيد ملاحم هوميروس، وتقام مسابقات موسيقية وألعاب جمباز احتفاءً وفرحاً بهذا العيد[7].

عيد الزهور (الانثيستيريا)

كرِّسَ هذا العيد للإله ديونيسيوس، وكان يستمر لثلاثة ايام، بدأً من اليوم الحادي عشر من شهر انثيتسيريون، وهو الشهر الثامن في التقويم الأثيني، ويقابل شهر شباط (فبراير)، وحقيقة هذا العيد تخالف ظاهر اسمه، إذ كان الإغريق ينظرون إلى بداية موسم الربيع على أنه وقت مشؤوم بسبب قلة النشاط الزراعي الذي يهتم به الإغريق، لاسيما زراعة الحبوب، إذ ساد اعتقاد لديهم أن قوى خطيرة ومهلكة يطلق لها العنان خلال هذه الوقت من السنة، ويرجح أن يكون الإغريق قد أقاموا خلال هذا

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص361.

(2) سامي سعيد الأحمد، الإله زووس مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1970، ص16

(3) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص56.

(4) William Stearns Davis, A Day In Old Athens, a picture of Athenian life, Long Beach, Chicago, 2016, p. 235.

(5) سامي سعيد الأحمد، الإله زووس مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما، ص15.

(6) Kris Bordessa, Tools of The Ancient Greeks, Nomad Press, Chicago, 2006, p. 56.

(7) William Henry Denham Rouse, Greek Votive Offerings, Cambridge University Press, London, 1902, p. 150.

العيد احتفال بأرواح جميع الراحلين، ويختم العيد في آخر يوم منه بطرد تلك المخلوقات الغريبة الخطيرة، وفي اليوم الأول كان الشعب أو الكاهن المشرف على الحفل يردد عبارات يدعو فيها أن يحفظ شاربي الخمر ويقيهم من الأخطار، وكانوا يطلقون على النبيذ في مثل هذه المناسبة اسم فارماكون (أي العقار في الطب الإغريقي)[1]، ويعرض في اليوم الثاني تمثال الإله ديونيسيوس في موكب حافل، وتقدّم الكاهنة طقس الزواج المقدس من الإله ديونيسيوس (يقوم الحاكم أو الكاهن بهذا الدور)[2]، وتقد في اليوم الثالث القرابين لأرواح الموتى، مصحوبة بالمرح والعربدة والسكر والموسيقى والرقص والغناء، وبسبب النشوة وفقدان الاتزان تهتك النساء في ظلمة الليل وهنَّ يصرخنَ ويؤدينَ رقصات على وقع الطبول وأنغام المزمار[3].

عيد الخصب والتناسل (أعياد الثيسمورفوريا Thesmophoria)

يعد هذا العيد أحد الأعياد المكرسة للإلهة ديميتر، ويحتفل به في مدينة أثينا، واسمه يعني (جالبة النفائس)، وهو يتضمن مهرجانات دينية مختلفة، تقام تكريماً لهذه الإلهة لرعايتها المحاصيل الزراعية (لاسيما القمح)، ولمنحها التربة خصوبة تزيد في نماء هذه المحاصيل[4]، ويستمر هذا العيد لثلاثة أيام، من اليوم الحادي عشر إلى الثالث عشر من شهر بويانوبسيون، وهو الشهر الرابع في السنة الأثينية، ويقابله شهر تشرين أول (اكتوبر)، ويطلق على أيام هذا العيد: اليوم الأول (يوم الصعود أو يوم الصعود والهبوط) واليوم الثاني (يوم الصوم) واليوم الثالث (يوم الغلة الطيبة)[5]، وتتجمع النساء في هذا العيد في البقعة المقدسة التي يطلق عليها الثيسموفوريون، ويقمن بشعائر سحرية لتحقيق النماء والخصب ووفرة محصول القمح[6]، في حين يستبعد الرجال من هذه البقعة، ويبدو أن هذا الطقس كان يقام بقواعد مماثلة في أماكن أخرى[7]، ويبدو أن المحتفلات بهذا العيد كنَّ على الأرجح من السيدات المتزوجات من العائلات المرموقة في المجتمع الإغريقي[8].

---

(1) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص ص103-105.

(2) محمد أيوب الشناوي، الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره في الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان، دار الحضارة، طنطا – مصر، 2002، ص183.

(3) المصدر نفسه، ص183-184.

(4) احمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ط3، الموسوعة الكلاسيكية، القاهرة، 2001، ص412.

(5) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص99.

(6) احمد عتمان، الادب الإغريقي تراثاً انسانياً وعالمياً، ص412.

(7) جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة، نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، 2014، ص604.

(8) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص99-100.

عيد لينايا

هو أصغر وأقدم الأعياد الأثينية، تقام فيه سنوياً مسابقات درامية، يقام بأثينا في شهر كاميليون، ويستمر لثلاثة أيام بدأً من اليوم الثاني عشر من الشهر السابع من السنة الأثينية، ويتوافق مع شهر كانون الثاني (يناير)، ويقام هذا العيد تبجيلاً لديونيسيوس، ويرجح أن يكون اسم لينايا مشتق من كلمة لينوس التي تعني (كابسة الخمر) عند الإغريق، أو من (لياي) الاسم الآخر لـ(ميناس) التي تعد المحاربة العابدة لديونيسيوس، أو أنها عيد لليتيات أو النساء المجنونات[1].

عيد دياسيا

وهو أعظم أعياد الإله زيوس ميلخيوس، ويقام في الثالث والعشرين من شهر انثيتسيريون، وهو الشهر الثامن من السنة الأثينية، ويقابل شهر شباط (فبراير)، والإله زيوس ميلخيوس يختلف اختلافاً كلياً عن زيوس رب الظواهر الجوية وكبير آلهة الأولمبس، إذ أن زيوس ميلخيوس هو معبود أرضي يقترن عادة بالأفعى، وتحرق في هذا العيد أضحية (تكون عادة من الخنازير) مصحوبة بروح الكآبة[2]، وتقدم الأضحية بهذا الشكل إرضاءً للآلهة واتقاءً لغضبها وشرها، وكان الأثينيون يعدون هذا العيد من أعظم أعياد زيوس، إذ درجوا على استقبال الضيوف وتقديم الهدايا للأطفال[3].

عيد الديبوليايا

ويطلق عليه عيد زيوس بوليوس أو عيد إله المدينة وقلعتها، ويقام في وقت تمام القمر في اليوم الرابع عشر من شهر سكيروفوريون، وهو الشهر الثاني عشر من السنة الإغريقية، ويعد هذا الوقت ملائماً لإقامة الشعائر الخاصة بإله السماء، ويقام في هذا العيد طقس البوفونيا (قتل الثور)[4].

أعياد أخرى

وهناك أعياد اغريقية كثيرة كانت تحتفل بها أثينا منها: عيد الخوتروي وعيد ثارجيليا وعيد المنيكيا، وعيد البرورونيا تكريماً لأرتميس، وعيد أسكروفوريا وعيد أرتوفوريا وعيد بوفنيا وعيد دوبليا ... إلخ، ومن أعظمها أعياد الجامعة الهيلينية والعيد الأولمبي وعيد أبولو ديلوس، وغيرها الكثير من الأعياد التي كانت صفة مشهورة في حياة المجتمع الاغريقي[5].

---

(1) Oscar Brockett, Franklin Hildy, History of The Theatre, Pearson press, Boston, 2003, pp. 20-21.

(2) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص106-107.

(3) سعيد إسماعيل علي، التربية في الحضارة اليونانية، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص41.

(4) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص ص112-116.

(5) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص363.

ظلت الأعياد متوارثة قبل أن يُعرف السر في أصلها، وتفرعت عنها أعياد أخرى كثيرة في البلاد الاغريقية، وظلت شائعة، وبعضها لا يعرف أسرارها إلا الكهنة الذين كان عددهم كبير جداً، وهم موظفون بالدولة يقومون بالوظائف الدينية في الأعياد، وينظمون ويرتبون مراسم الأعياد من تضحية وموسيقى وأشعار، وتعطى لهم الأموال، وكان الناس يثقون بهم ثقة إيمانية دينية[1].

وكل هذه الأعياد كانت تخفف عن الناس مصاعب الحياة، والاضطرابات والنزاعات التي كانت تحدث، والحروب التي كانت تدمر وتخرب وتقتل، فكان لهذه الأعياد دور ترفيهي كبير في إخراجهم من بؤس ما عاشوه، وإدخالهم لأجواء كلها فرح وسرور وتسلية.

ثانياً/ إقامة الحفلات والولائم

يقول فلاسفة الاغريق إن الحياة بدون احتفالات ما هي إلا طريق شاق طويل بدون استراحات، فاهتم الناس في أثينا بالترفيه والتسلية والترويح عن أنفسهم من خلال إقامة الاحتفالات والألعاب التي تتخللها تقديم الأضاحي، وكان لهذه الاحتفالات أصولها الدينية، فكانت تُقام سنوياً، وجرم كبير إن لم يتم الاحتفال بها، ومن هذه الاحتفالات: احتفالات أعياد الميلاد، واحتفالات الانتصارات[2].

احتفال الأسرار أو التخفي إليوسيس Eliosis

هو احتفال يحاط بالسرية، يكشف في هذا الاحتفال عن الرموز المقدسة وتقام طقوس رمزية لا يُشارك بها إلا المطلع على أسرارها، وتُمثل هذه الطقوس إله يتعذب ويموت ثم يُبعث من جديد، ويتم إحياء ذكرى العذاب والبعث والموت بعرض مسرحي من خلال موضوعات زراعية قديمة أو سحر، وتعد هذه الاحتفالات للمطلعين على الأسرار والرموز في الحياة الأبدية الخالدة، وأُقيمت مثل هذه الاحتفالات في أماكن كثيرة في بلاد الاغريق، ولاسيما اليوسيس، وكان هذا الاحتفال موروث من عهد ما قبل الآخيين، وهي في الأصل احتفالات الحرث والزرع في فصل الخريف[3].

وعرفت مدينة إليوسيس بعبادتها للإلهة ديميتر، وتقام فيها الاحتفالات الشعبية تكريماً للإلهة ديميتر وابنتها برسيفوني[4]، وتقام هذه احتفالات للمدة من الخامس عشر إلى الثاني والعشرين من شهر(بويدروميون) وهو الشهر الثالث من السنة الإغريقية، ويقابل شهر أيلول (سبتمبر)[5].

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص23.

(2) المصدر نفسه، ص54.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص341.

(4) عبدالمعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ج2، ص561؛ عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، ط2، دار الهداية، القاهرة، 2005، ص105.

(5) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص91؛ عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ج2، ص561.

وتجدر الإشارة إلى أن الاسرار الاليوسية ما هي إلا أسطورة خطف كوري (برسيفوني) ابنة الإلهة ديميتر من قبل هاديس، ثم تنجح الإلهة ديميتر في العثور على ابنتها بعد بحث وعناء كبير، فتنقلها بعد أن تعثر عليها بين المدن، إلى أن وصلت إلى مدينة اليوسيس، فتأمن عليها في هذه المدينة[1]، وأرادت الإلهة ديميتر أن تكافئ أهل إليوسيس لاحترامهم لها وعطفهم عليها، فبنت لهم في أعظم هيكل من هياكلها، وقد هُدم وأُعيد بناؤه أكثر من مرة عبر التاريخ، واحتُفل ببنائه وازداد جمالاً وفخامة، فكان المشاركون يغمرون أنفسهم في ماء اليوسيس ويتطهرون به، ويسيرون في عيد ديميتر بوقار مسافة أربعة وعشرين ميلاً نحو اليوسيس، ويحملون فوق رؤوسهم صورة للإله ياكوس[2]، ويسير الموكب إلى اليوسيس في ضوء المشاعل، وتوضع صورة الإله في الهيكل وسط مراسم التعظيم والإجلال، ويكمل المشاركين عيدهم في الغناء والرقص[3].

هذه كانت أسرار احتفالات التخفي الصغرى، أما الاحتفالات الكبرى فتستمر أربعة أيام، ويدخل من صام واغتسل وتطهر بمياه اليوسيس بالأسرار الصغرى، والذين تطهروا العام الماضي يتم أخذهم إلى بهو، ويُدمجوا في جماعة سرية حيث الاحتفال السري، وهناك يأكل الصائمون طعاماً مُقدساً إحياء لذكرى ديميتر، ويشربوا شراباً مقدساً من منقوع الحنطة بالماء، ويأكلوا الكعك المقدس، وكانت الطقوس التي تحدث مخفية لا يعلم عنها أحد، وكان حراماً أن يتحدث أحد بشيء وإلا تعرض للقتل، ونجا أحدهم بأعجوبة من حكم الإعدام لأنه صرح بسطور بسيطة مكتوبة ظن أنها قد تكشف السر، فالاحتفال كان عبارة عن مسرحية رمزية لها أثر في إحياء مسرحية ديونيسوس، وأغلب الظن أن الموضوع كان عن اختطاف بلوتو لبرسفوني ابنة ديميتر، وتجوال ديميتر والبحث عن ابنتها، والكشف لأتكا عن أسرار الزراعة، ونهاية زواج سري لكاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل ديميتر، وكان يُثمر الزواج بسرعة عجيبة عن ولادة ديميتر غلام مقدس، ثم يُعرض على الناس سنبلة من الحب ترمز للثمرة التي تمخضت عنها ديميتر، ثم يسير المشاركون في الاحتفال العابدون في ضوء المشاعل الخافت إلى كهوف مظلمة في باطن الأرض تمثل السواد والجحيم، ثم يُرفعوا على حجرة عالية تظهر من خلالها الأنوار المتلألئة وتمثل مساكن الصالحين، وتعرض على المشاركين الصور والتماثيل والأسرار المقدسة التي كانت مخفية عليهم، فيبدأ هؤلاء بالشعور بطمأنينة الاندماج في الألوهية[4].

---

(1) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص ص91-92؛ علي عبدالواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، ص132.

(2) ابن زيوس، وعرف عنه حبه للحقيقة والعدالة، وكانت آلهة الأولمبية تختاره حكماً لحل النزاعات، وبعد موته أصبح قاضي في العالم السفلي. نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ص109.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص342.

(4) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص ص342-343.

Hurbankova S., Characters and Comic situations in Roman Comedy: The Atellan Farce and Mime, Graeco-Latina Brunensia 15, 2010, 2, p. 69.

احتفالات المحصول الجيد

وجدت على آنية فخارية قديمة تعود لزمن بعيد، مرسوم عليها مزارعين فرحين بالمحصول الجيد، وحاملين ملوحين بالعقد والحزم التي جمعوها، ويغنون فرحين كأنهم يزحفون، ومع أن هذه الرسومات تخلو من الآلهة، إلا أنه يرجح أن يكون لهم مشاركة أو وجود في هذه الاحتفالات[1].

وهذه الرسومات الموجودة على الفخاريات تدلل على أن المجتمع الاغريقي كان يُسر بحصاد المحصول ووفرته ويحتفل لأجل ذلك.

احتفالات الألعاب الأولمبية[2]

كانت بداية قيام الألعاب الأوليمبية من كل عام بعد منتصف الصيف، أي عند اكتمال القمر الثاني[3]، ولكل مدينة اغريقية الألعاب الترفيهية الخاصة بها، فتقع ألعاب الأولومبس في مقاطعة أليس، وقبل الاحتفال بأشهر يخرج ثلاث أشخاص باسم "معلني الهدنة" إلى جميع المدن والقرى والمقاطعات الاغريقية لإبلاغهم باليوم الذي سيُقام فيه احتفال الألعاب، وسميت بالهدنة لأن الحروب والصراعات والنزعات والاعتداءات سوف تتوقف، ليصل المشاركون لمكان الاحتفال بسلام، ويُحرم حمل السلام للقادمين لاحتفال الألعاب، وبمجرد خروج الأشخاص الثلاثة من أليس تبدأ الهدنة، والتي كانت مدتها شهر كامل، إلا أنه تم تمديدها لثلاث أشهر حتى يضمن الناس والمشاركون والمُحتفلون من العودة بسلام إلى مدنهم، وكان على اللاعبين الحضور إلى مدينة أليس قبل شهر من بدأ الاحتفال ليتم تدريبهم من قِبل الحُكام، وكان هدف الشعب الاغريقي من حضور احتفال الألعاب هو مشاهدة الرياضيين، ومن أجل التسلية والترفيه[4].

فكانت الألعاب الهيللنية لها أهمية كبيرة لدى سكان بلاد الاغريق، فيشاركون من خلال ممثلين أولمبيين رسميين، وكان جميع السكان مؤهل للمشاركة في الألعاب الهيللينية، باستثناء البرابرة والرجال الذي تم حرمانهم من حق المواطنة[5].

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص55.

(2) أولمبيا إقليم صغير نائي، من أقدس أماكن اليونان، ويقع على أنقاض قرية مغمورة، وقد عبدت الآلهة في هذا المكان المقدس، وكان زيوس سيد الآلهة الأولمبية، وأصبح إلهها الرئيس، وكان عباده المزارعين الذين وهبوه تماثيل من الطيور والتماثيل والخيول الصغيرة البسيطة والتي صُنعت من البرونز والطين، وأحرقوا قرابينهم تقرباً له. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص205.

(3) محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة اليونان دراسة تاريخية أثرية، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008، ص154.

(4) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص93.

(5) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص161.

وكانت احتفالات الألعاب مصاحبة للاحتفالات السنوية التي يتنافس فيها الموسيقيون والرياضيون والخطباء، ولا يعرف أصل هذه الاحتفالات، وشملت هذه الألعاب مصارعة ثيران وألعاب بهلوانية أشير لها في أشعار هوميروس، ولم ترتبط هذه الألعاب بعبادة معينة، ولم تُقام في مكان مقدس، ولم يكن الهدف منها إنزال السكينة على أرواح الموتى، ومن المحتمل أن تكون هذه الألعاب قد أُقيمت وسط تجمعات بشرية لإرضاء الميول الاغريقية في تدريب البدن، بغرض تقوية الجسد والتسلية في ذات الوقت، وأحياناً كانت تعد الألعاب الرياضية احتفالات عفوية للمرح والترفيه والتسلية، كاحتفالات العشرة آلاف في ختام سباقهم الطويل عبر القارة، وتربط احتفالات الألعاب بشخصيات مشهورة قاموا بتأسيسها أو أُجريت على قبورهم، ومنهم هيراكليس[1]، وأطرت هذه الاحتفالات بأحداث أسطورية[2]، ويُرجع البعض تأسيس هذه الاحتفالات إلى الإله زيوس[3]، وهناك رأي بأن مؤسس الاحتفالات الأولمبية هو بيلوبس أو بيلوبيس بعد أن تنافس في السباق مع الملك لكي يحظى بابنته[4].

تعد الألعاب بشكل عام عنصر جوهري في جميع الاحتفالات، فكانت في شكل رقصات وألعاب بهلونية ترفيهية، وتعرض أمام المشاهدين الذين اصطفوا على المدرجات، فتجري ألعاب مصارعة الثيران، الذي يجب أن ينتهي بموت الثور الذي يمثل الأضحية[5].

وتبدأ احتفالات الأضحية بتقديم أضحية لإله الحرم المقدس، ويُعلن قائد الحفل بداية الألعاب، ويبدأ الحفل بالمسابقات الموسيقية ثم الرياضية ثم سباق الخيول، ثم إعلان أسماء الفائزين، ويسيرون في موكب ذهاباً إلى وليمة تقام على شرفهم، ويصاحب الاحتفال طقوس خاصة، إذ ينطلق موكب يسير فيه البشر والوحوش والذبيحة والمشاركين المتنافسين، وفي ختام الاحتفال تُقام المسابقة الموسيقية ويُكرم الفائزين بأجواء كلها مرح وتسلية[6].

تميزت احتفالات الألعاب في بلاد الاغريق القديمة بالترتيب والتنسيق والتنظيم، وكان الاحتفال يستمر لأيام عديدة، وتمتعت المسابقات الموسيقية بأهمية كبيرة دون غيرها، فلم تشتمل على عزف منفرد على القيثارة وأغاني وأشعار حسب، بل صاحب تلك الألعاب الرقص وخطب وعروض مسرحية وإلقاء شعر، ويُمنح الفائزون جوائز رسمية[7].

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص160.

(2) Daniel Ogden, A companion to Greece Religion, Oxford, 2007, p: 42.

(3) مصطفى الشهابي، الألعاب الأولمبية، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص32.

(4) عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ج3، ص21.

(5) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص55.

(6) المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه ، ج1، ص ص161-162.

أما الألعاب الرياضية فقد تنافس فيها لاعبون في مسابقات مختلفة، كالجري بسرعة ولمسافة طويلة، والملاكمة والمصارعة والعربات ورمي الأقواس والمسابقة الخماسية والتي تشتمل على رمي الرماح والقفز والمصارعة والجري وسباق المشاعل، إلا أن هذه الألعاب لم تلق الاهتمام الكبير باستثناء ألعاب المسابقة الخماسية التي كان يُكرم الفائزون بجائزتها[1].

وألقى بعض الشعراء المشهورين قصائد تمجد هذه الألعاب، وكتبوا قصائد غنائية تقديراً وتكريماً لهم، كما عمل الفنانون تماثيل برونزية للرياضيين الفائزين، وكانت تُجرى احتفالات ألعاب المسابقات في الإستاديوم أمام أعداد ضخمة من المشاهدين، وتجدر الإشارة إلى من غير المسموح للنساء مشاهدة أغلب احتفالات الألعاب، وكانت الكاهنة ديميتر المرأة الوحيدة المسموح لها بالدخول لأماكن عقد احتفالات الألعاب، ومنحت مقعد شرف في الإستاديوم، وفيما بعد استحدثت مسابقات وألعاب خاصة بالنساء، كسباق العربات، وتوجت الفائزات تكريماً لهنَّ[2].

كان الدين الاغريقي يعتقد بوجود ثلاثة صفوف من الآلهة وهي السماوية والبحرية والسفلى، فاعتقدوا أن الآلهة الأولى تسكن في السماء، والآلهة الثانية تسكن في البحر، والآلهة السفلى تسكن في باطن الأرض، فالآلهة السماوية هي جوبتير وأبولو وباخس ويونيو وعطارد والمريخ وغيرها، إلا أن أعظم هذه الآلهة وأقدسها عن الاغريقيين هي جوبتير[3]، فكانوا يظنون أنه إن حدث رعد أو برق فهذا يعني أن جوبتير غاضب عليهم، وإرضاءً له يحتفلون احتفالاً كبيراً، ويلعبون ألعاب الأولمبوس، وهي صفوف من المشاة وراكبي المركبات والفرسان يتسابقون ويتنافسون، وكان عظيماً أن يفوز أحدهم بجائزة ألعاب الأولمبوس، وتُقام احتفالات الألعاب كل أربع سنوات مرة[4]، على تل مخروطي الشكل وفي منتصفه مذبح يعود لكبير الآلهة زيوس[5].

وتتكون لجنة تحكيم مسابقات الألعاب من الهيللانوديكيين ويسمون بأسماء أخرى وهي: الأجونوثيتيين أو الأثلوثيتيين أو الإيميليتيين، وعددهم عشرة حكام، يتم اختيارهم من بين الأسر الإغريقية النبيلة في إقليم إيليس، وكان عليهم جمع إيراد الاحتفال، ويرتدون أرواباً حمراء اللون، ويجلسون في مقاعد مخصصة لهم، يتوجون الفائزين بأكاليل من أغصان الزيتون التي ترمز للنصر،

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص61-62.

(2) المصدر نفسه.

(3) سيد السماء والأرض، يقضي وقته داخل الغيوم على قمة جبل، وكان يراقب الأرض من السماء، وكان قدرته خارقة فإن حك رأسه تزلزل الأرض وتهتز الجبال وتسود السماء وتحجب الشمس. جميس بالدوين، أقاصيص من الأساطير اليونانية، ص59.

(4) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، ص18.

(5) Edward M. Plummer,M. D.,Athletes and Games of the Ancient Greece, Cambridge University Press, London, 1898, p. 19.

ولهم فرض عقوبات تأديبية على المتبارين عند خرق قواعد الألعاب[1]، وهذا يعني أنه مهامهم لا تقع في تنظيم الألعاب حسب، بل وارسال دعوات المسابقات، والإشراف على تدريب المتسابقين[2].

وللألعاب الأولمبية طقوسها الخاصة التي تبعث على السعادة، كالترحيب بالمشاركين والثناء عليهم، وهذه الاحتفالات والألعاب لا تحتاج إلى كهنة، إذ كان الأب يقوم بدور الكاهن في الأسرة[3]، فكانت الاحتفالات تُقام في كل أنحاء بلاد الاغريق، ويرجع ذلك للأصول القديمة، والطبيعة الريفية لحضارة بلاد الإغريق، وكانت تُقام جميع الاحتفالات في أوقات مهمة من السنة، كوقت الحصاد وجمع العنب ووقت البذر، فضلاً عن احتفالات أسرية خاصة، وهي عادة غير مهمة لأنها تقام على المستوى العائلي لسكان بلاد الاغريق، ولا تقل الاحتفالات غير المهمة في إقامة طقوسها عن الاحتفالات الكبيرة إلا بطبيعة المناسبة والحدث المحتفل به، إلا أن العناصر المشتركة في كل هذه الاحتفالات هي الامتنان للآلهة، والفرح والسرور للاجتماع بهم[4].

كان في بلاد الاغريق نظام تُلزم فيه الدولة الأغنياء الأكثر ثراء بتحمُل التكاليف والنفقات المالية للنشاطات العامة، كتنظيم الاحتفالات والمسابقات والألعاب وتجهيز أماكن الاحتفال وتسلية الضيوف، وكان يُعين رسمياً من تُسند إليهم هذه المسؤوليات، ولا يستطيع أي شخص رفضها إذا لم يتم اختيار مواطن أغنى منه، وفي حال تم رفض أحدهم دفع التكاليف لعدم قدرته عليها، يتم تبادل كل منهما ممتلكات الآخر لحل النزاع القائم ودفع الأكثر قدرة التكاليف، إذ يمثل هذا العمل الإلزامي عبء ثقيل على العديد من الأشخاص[5].

وقد كشفت الآثار القديمة عن سجل ممتع للألعاب الرياضية، ففي متحف أثينا حجر على وجهه تصوير لنقش مصارعة، وعلى الوجه الآخر مباراة لعبة الهوكي، وكان ركوب الخيل والسباحة ورمي القذائف من الألعاب الممتعة لدى الاغريقيين، واعتُبر الصيد من الألعاب الرياضية الترفيهية، ولم تعد وسيلة للعيش وكسب الرزق، وكانت ألعاب كرة القدم متنوعة ومنتشرة، وبنيت لها في مكان التمرين حجرات خاصة بكرة القدم اسمها اسفيرستيريا، ومعلموها اسمهم اسفيرستاي، ويوجد في المتحف أيضاً نقش يصور لاعبي كرة قدم ترتد إليها الكرة من أرض الحجرة ثم يردونها براحة اليد، وهناك لعبة اللاكرس، ومن الألعاب السابقة الذكر ظهرت ألعاب محلية في مناسبات معينة كنجاة مشروع كبير أو

(1) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، ص18؛ عادل نجم عبو، عبدالمنعم رشاد، اليونان والرومان، ص185.

(2) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص163.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص348.

(4) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص57.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص135.

وفاة بطل كبير، ثم ظهرت ألعاب البلديات والتي تُمثل فيها أماكن وطوائف داخل المدن، وألعاب الجامعة الأثينية والتي تشبه الألعاب الدولية والتي أنشأها بيسستراتوس[1]، وغالبية المشاركين هم من أتيكا، فقسموا إلى عشرة أقسام، وكل قسم مكون من أربعة وعشرين رجلاً قوياً ضخماً وسيماً، وتُعطى الجوائز لهم جميعاً لما لهم من أثر عظيم على الناس، وتسمى هذه الألعاب بجائزة الرجولة الباهرة، وكانت هذه الألعاب ضرورية للحروب مع عقد مباريات ويسبقها تدريبات، فكانت نشأت الألعاب الجامعة الاغريقية من أجل تحفيز الألعاب بشكل عام التي تقام مرة كل أربع سنوات في أولمبيا[2].

وهناك الاحتفال البيثي، والذي اكتسب هذا الاحتفال صفة دولية وليس فقط محلية، واحتفالات الاسثمي والتي كانت تعقد في كورنثة، والاحتفال النيمي وعقد في أفليوس بالبلوبونيز، والاحتفال الأوليمبي في أولمبيا، وجميعها اكتسبت الصفة العالمية، وكان يُمنح للفائزين في الاحتفال جوائز لا قيمة لها، في حين أن الجوائز المحلية ثمينة وقيمة، وعُرفت هذه الاحتفالات بالاحتفالات الهيلينية الدولية التي تجمع الجميع[3].

إن احتفالات الألعاب في الاغريق لم تكن مجرد ترفيه وتسلية في حياة الناس، بل هي تاريخ وحضارة تذكرهم بأصلهم، وقد وضعت مثل هذه الاحتفالات نهاية للنزاعات والصراعات بين المدن، فصاحب الألعاب الهيللينية اتفاقات يُحرم فيها استمرار الحروب، وتوقيف أحكام الإعدام والاضطرابات الأمنية، فجعل الاغريق سنة 776ق.م أولى الألعاب الأولمبية وبداية تاريخ حضارتهم، حتى جاء مرسوم ثيودوسيوس الأول[4] (395–347م) الذي قرر إلغاء الاحتفال من خلال هذه الألعاب، ونهاية العالم القديم[5].

(1) هو من الطبقة الارستقراطية، ظهر في الحرب بين أثينا وميغارا، وترأس أثينا بعد حدوث انقسامات ونزاعات، وأسس حزباً، ونصب نفسه طاغية على حرس، وتحالف الأعداء عليه إلا أنه انتصر عليهم. إيتان ديلابويسيه، مقالة في العبودية المختارة، ترجمة: مصطفى صفوان، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2017، ص75.

(2) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص ص94–95.

(3) عبد اللطيف احمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهلادي، ص109.

(4) آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية الموحدة، وعندما اعتلى عرش الحكم أصدر عدة مراسيم مضمونها إلغاء جميع العبادات الوثنية، وانقسمت الإمبراطورية بعد وفاته إلى شطرين.
Simon Hornblower, Who's Who in the Classical World, University Press, Oxford, 2000, pp. 386–387.

(5) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص164.

احتفال بيانوبسيا

خصص هذا الاحتفال للإله أبولو، ويبدأ في اليوم السابع من شهر بيانوبسيون، وهو الشهر الرابع بالتقويم الأثيني، ويقابله شهر تشرين أول (اكتوبر)[1]، وكانت تقدم لأبولو في هذا الاحتفال مأدبة رسمية كبرى، يقدم فيها حساء اليقطين بمختلف أنواعه، ويقدم هذا الصنف من الطعام للحصول على بركة الإله ولزيادة الخير والنماء في المحاصيل الزراعية[2].

احتفال إلافيبوليا

يقام هذا الاحتفال تكريساً للإلهة أرتميس، ويسمى أيضاً عيد قنص الوعول، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى شهر إلافيبوليون الذي يقام به هذا العيد، وهو الشهر التاسع في التقويم الأثيني، ويقابل شهر آذار (مارس)، وكانت تقنص خلال هذا العيد الوعول الربانية، وهي وعول غير حقيقية، وتصنع بهذه المناسبة معجنات وحلويات على صورة غزلان[3].

احتفال مايماكتيريا

المايماكتيريا هو لقب إغريقي قديم يعني (العاصف)، ويقام هذ الاحتفال تكريماً للإله زيوس (كبير مجمع آلهة الأولمبس)، ولتجنب عواصف الخريف الشديدة التي كانت تخلف الكوارث والأضرار الكبيرة على الإغريق، ويقام هذا الاحتفال في شهر مايماكتيريون، وهو الشهر الخامس من السنة الأثينية، ويقابل شهر تشرين الثاني (نوفمبر)[4].

احتفال البوسيدايا

وتقام طقوس هذا الاحتفال تكريماً للإله بوسيدون في اليوم الثامن من شهر بوسيدون، وهو الشهر السادس في التقويم الأثيني، ويقابل شهر كانون الأول (ديسمبر)[5].

---

(1) سامي سعيد الأحمد، الاله زووس، ص15.

(2) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص97.

(3) المصدر نفسه، ص108.

(4) المصدر نفسه، ص100.

(5) هـ. ج. روز، الديانة اليونانية القديمة، ص100.

احتفال هالوا

هالوا أو ألو هو مهرجانٌ البستنة الإغريقي، وهالوا تعني (درس الأرض) أو (الحديقة)، ويسمى أيضاً ثاليسيا أو سينكومستيريا، ويُحتفل به سنوياً خلال شهر بوسيديون، بعد انتهاء الحصاد الأول ويركز هذا الاحتفال بشكل رئيس على الحصاد، ويعبر ذلك بالصلاة في بعض الأحيان ليكون الحصاد وفيراً في السنة المقبلة[1].

وأقيم هذا الاحتفال حول أرضية درس الحبوب، في جميع أنحاء الإغريق بتوقيت واحد، وتحضر النساء هذا الاحتفال بشكل رئيس، ويستبعد الرجال منه، رغم تحملهم نفقات هذا العيد، واعتبر الإغريق هذا الاحتفال مكرساً لديميتر ولديونيسيوس[2].

(1) Martin P, Nilsson, Greek Folk Religion, University of Pennsylvania Press, Pennsylvania, 1998, p. 32.

(2) Jane Ellen, Harrison, ,Prolegomena to the Study of Greek Religion, Princeton University Press, Princeton, 1922, p. 146.

المبحث الثاني/ الأدب التعبيري

يعد الفن الأدبي والتعبيري مشجعاً لتنمية المواهب عند الناس بصورة عامة، ويساعد على التفكير بعمق أكبر، وله أثر في توسيع الخيال الإنساني، ليكسب الانسان الخبرات والمهارات العظيمة التي تساعده في إكمال وتطوير الأساليب الأدبية التي ينتهجها، فللخطابة والقصص والشعر أثر كبير في تهذيب وتأديب الإنسان وتربية المجتمع، لاسيما عندما يتم تناول موضوعات تتعلق بالأخلاق والتربية، والتي بدورها تُعدُّ أحد أهم وسائل استمتاع الناس بهذا الفن والأدب، ومظهراً مهماً في حياتهم للسعادة والتسلية والترفيه.

دوافع الأدب التعبيري

وصل الأدب التعبيري من صقلية عبر فلاسفة وشعراء وقصاصين إلى الاغريق، فطوروه وأبدعوا فيه، وكان لسوء الأوضاع السياسية التي كانت بحاجة لأهل الفصاحة والكلام البليغ أثر كبير في ظهور هذا النوع من الأدب، فضلاً عن الحاجة للشعراء البارعين في مجال الصورة الشعرية، وبرز روات القصص الذين يقصون حكاياتهم ممزوجة بالخيال لسد نقص ما فقد من مواقف وأحداث بطريقة ممتعة.

أولاً/ الخطابة

الخطابة علم له أصوله، وهي مجموعة قوانين تعرف المتعلمين بطرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع، ودراسة طرق التأثير على الجماهير، وما يجب أن يكون عليه الخطباء من صفات ومعاني وأساليب وألفاظ بليغة مرتبة، فالخطابة طريق يُنير الطريق، ويُرشد المجتمع إلى الصلاح[1].

يعود أصل الخطابة إلى صقلية، وإلى النصف الأول من القرن الخامس، ومؤسسها هو كورك أو كوراكس[2] وهو أول ابتكر فن الخطابة، ويعتمد تعليم الخطابة على مبدأ الرأيين المتناقضين، رأي قوي، والرأي الآخر ضعيف، فبدأ الخطباء بتعليم طلابهم الابتكار في الخطابة والتركيب والإلقاء والتلميحات والإشارات الخطابية، وتعليمهم على الإبداع في المقدمة التي تجذب المستمعين، وعرض الحقائق،

(1) محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط2، دار الفكر العربي، الكويت، 1980، ص9.

(2) يعد كوراكس السيراكيوسي أحد مؤسسي فن الخطابة وأول من صاغ قواعد مخاطبة الجمهور في القرن الخامس قبل الميلاد، إذ ابتكر طريقة تساعد عامة الناس على الترافع أمام القضاء بأنفسهم، وبأسلوب بليغ ومؤثر، وله كتاب بعنوان (فن الخطابة)، ذكر فيه ضرورة توافر عناصر الخطابة الأساسية: السرد والمناقشات والملاحظات الثانوية والخلاصة. Barmawie Umary, Azaz-Azaz Ilmu Da'wah, Solo, Ramadhani,1984, p. 49.

ومناقشة التساؤلات والردود، ويُختم الخطاب بخلاصة قوية، وتتميز الخطابة بالتوازن في جميع خطابات القضايا، والترتيب في الاستعارات[1].

وفي أثينا عُرف عن مجالس الوعظ والخطابة بأنها شعبية جماهيرية كبيرة، والاقبال عليها لم يكن للتعليم فقط، بل للتسلية والترفيه أيضاً، فتميزت المجالس بفصاحتها، وبفن في التعبير والكلام، وتطورت الخطابة في أثينا بشكل كبير أكثر منها في صقلية التي بدأت منها، وأُنشأت العديد من مدارس الخطابة، وأصبح تعليم فن الخطابة أساساً في أثينا[2].

وكان في بلاد الاغريق خطباء كبار يلتقون بالناس ويلقون خطبهم ويلقون عليهم أقوالهم من داخل معبد زيوس، وكانت توجد مجالس الخطب والأقوال في أيام الأعياد والمناسبات المقدسة التي كانت تخص الرجال أكثر مما تخص النساء، لأنه كان لا يُسمح للنساء المتزوجات بحضور تلك المجالس والتواجد فيها[3]، ومن أشهر الخطباء الذين ألقوا خطبهم على الناس من معبد زيوس هما الخطيب (جورجياس[4]) والخطيب (هبياس[5])[6].

واهتم فلاسفة الاغريق بكتابة الوعظ والنصيحة، لِتُلقى على الناس ويتعظون بها، ويظهر ذلك من خلال كتاب أرسطو والذي أسماه النصيحة[7]، ثم بدأت الاضطرابات تسود بلاد الاغريق، والأخلاق تضمحل، وافتقرت خزانة الدولة، وضعفت الروح الوطنية عند الأثرياء الذين كان لهم أثر في مساندة الدولة، وأصبحت المسرحيات ضعيفة في إيصال الأفكار والأخلاق للناس، وأصبح العصر عصر كبار المملقين وصغار الكُتاب المسرحين، وكما هو معروف أن التراجيديا قامت على الدين والقصص والأساطير والتي كانت تطلب إيمان وتقى المستمعين، إلا نها بدأت أيضاً تضعف وتوشك على الانتهاء، وبدأ اهتمام الرجال بمنازلهم وتركوا شؤون الدولة، وظهر الفساد الأخلاقي، وكان

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص433.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص434.

(3) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص96.

(4) غورغياس ولد بليونتيوم وعاش للمدة (375-480ق.م)، تتلمذ على يد الفيلسوف أنبادوقليس، اهتم باللغة وبرع في البيان، لذا كان يعد أفصح فلاسفة زمانه، مات في تساليا بعمر قارب المئة عام. الطيب بوعزة، كزينوفان والفلسفة الإيلية، مركز نماء، بيروت، 2016، ص ص207-208.

(5) هيباس الإليسي حكيم وفيلسون إغريقي برع في علم الرياضيات، عاش للمدة (443-399ق.م)، أي أنه كان معاصراً للفيلسوف الشهير سقراط، وكان صديقاً له، كان شاعراً معروفاً، كما برع في اللغة والحوار وأسلوب الاقناع، لذا كلف بمهام دبلوماسية، وله معرفة واسعة في الأدب الفلك والاقتصاد والتاريخ والسياسة. افلاطون، هيباس الأكبر محاورة عن الجميل، ترجمة: علي نجيب ابراهيم، دار كنعان، دمشق، 2016، ص ص1-3.

(6) ول ديورانت، قصةالحضارة، مج2، ج1، ص389.

(7) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص56.

الفلاسفة في حيرة في أمر ما يحدث في البلاد، حتى ظهر الخطباء للوعظ والنصيحة، وكان عهدهم وزمانهم، فظهر الخطباء السياسيين، وظهرت أحزاب سياسية استطاعت السيطرة على قول الناس والجماهير، وظهر رجال سراقوصة[1] الذين لم يكن مرحب بهم في الدولة[2].

وامتاز الخطباء الأثنيين ببلاغتهم ولغتهم الدقيقة الواضحة، وكانت بلاد الاغريق هي بلاد الأدب والإلقاء الحسن، وفي مجالس الأمة يقرر السلم والحرب، ووضع الضرائب، والحكم على المتهمين، فكان للخطباء السلطة، وعلى الناس أن تعمل بموعظتهم ونصحهم[3].

إلا أن الخطباء تارة يخرجون بخطابات أخلاقية وطنية نبيلة، وتارة يخرجون بخطابات بألفاظ بذيئة وأفكار سيئة، وانتقل هذا الأثر من خلال خطابات الأثنيين إلى أدبهم الاغريقي عامة، فكان سرور الناس في بلاد الاغريق من سماع الشتائم من كبار الخطباء يُسعد الجمهور أكثر مما يسعده لو شاهدة مباراة لنيل جائزة، وكان إذا سمع الناس بأن هناك مخاطبة بين شخصيتين بينهما نزاع أقبل الناس مسرعين لسماعها من أماكن بعيدة عن بلاد الاغريق، وكان أفلاطون يكره خطابة الخطباء أمام الناس، لأنه يعلم بأنها تؤذيهم أكثر مما تعظهم وتنصحهم، وكان يقول هي السم القاتل، وعرفها بأنها فن حكم الناس باستثارة عقولهم وأفكارهم وتغير مبادئهم[4].

(1) سرقواصة أو سرقوسة، تقع عند جزيرة صقلية، وهي من أشهر المدن، ولها ثلاث أسوار ويحيط بها البحر من جميع الجهات، ولها مدخل واحد من الشمال، ولها مرسيان، وبها الخانات والحمامات والأبنية الرائعة الواسعة. للمزيد ينظر: الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1918، ص ص317-318.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص ص418-419.

(3) محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص12.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص419.

أبرز خطباء الاغريق

دمستين

دمستين أو ديموستينيس (338-322ق.م)، هو من أعظم خطباء الاغريق، توفي والده الذي كان رجلاً ثرياً عمل في صناعة الأسلحة، وهو في السابعة من عمره، وقبل وفاته أوصى عليه ثلاث أشخاص، لكنهم سرقوا ميراثه، وحينما وصل دمستين سن الثامنة عشر قرر أن يجردهم من ثرواتهم التي هي أصلاً ثروته، فبدأ بتعلم أسرار الخطابة سيما الخطابة القضائية، ورفع قضية ضد الأوصياء الذين اختارهم والده قبل وفاته، وكسب القضية إلا أنه لم يسترد سوى جزء بسيط من الميراث، وكتب خطابات لأطراف الدعاوى المختلفة، وفي عمر الثلاثيين ألقى أول خطبه أسماها الأسطول، وانضم إلى الخطباء الوطنيين المدافعين عن بلادهم من خطر وشر ملك مقدونيا الذي يحاول الاستيلاء على بلاد الاغريق، وألقى العديد من الخطب الحماسية العنيفة التي حركت الأثنين وأيقظتهم من سباتهم، وكسب ديمستين ثقة أبناء بلاده، وتولى أمورهم، ومن أهم الإنجازات التي قام بها تحالفه مع طيبة للمحافظة على استقلال الاغريق[1].

عُرف عن دمستين القوة والحيوية والوطنية، كان يقابل الناس بالهجوم الشديد في الكلام معهم وموعظتهم، ولكن حدته في التعامل مع الناس بدأت تضعف مع تقدم الزمن، ورغم ذلك اتصف بالخطيب والواعظ العظيم الناجح لاسيما في قصصه وكلامه الذي يُريح السمع ويطرد البأس والكآبة، وعنايته بالتوازن والانسجام عند إلقاء خطبته أمام الموجودين، وكان يُعيد خطاباته مراراً وتكراراً ويتلوها أمام المرآة قبل أن يخرج ويُلقيها على الجموع، ويقف على منصة الإلقاء متجهاً نحو تمثاله واضعاً يده على جبهته مفكراً، رافعاً صوته إلى حد الصراخ دون إزعاج، وكان الناس يُسرون ويسعدون بمثل هذه الخطابات والإلقاءات، وكان عامة الناس مسرورين بخطبه وبحركاته، رغم أن خطبه قليلة الفكاهة والفلسفة[2].

وكانت خطاباته تحمل قيم الإخلاص والوفاء للوطن والدعوة إلى الحرية، لذلك علا شأنه وقدره، فاقترح دمتريوس الفاليري[3] على مجلس الدولة بتقديم تاج أو أكليل زهور لدمستين كهدية على وفائه

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص 441-442.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص422.

(3) دمتريوس الفاليري أو ديمتريوس الفاليروني أو ديميتريوس فاليروس (337-283ق.م): أحد أشهر خطباء أثينا وحاكمها زمن الاسكندر المقدوني، تتلمذ على يد أرسطو وثاوفرسطس، وله حفيد بنفس الاسم (ديمتريوس الفالرومي). للمزيد ينظر: بلوتارك (فلوطرخوس)، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ج3، ص ص1621-1661.

وحسن خطابه وخدمته للناس والدولة بكلماته الحكيمة التي نفعت ولم تضر ووافق المجلس على ذلك، إلا أن إسكنيز[1] لم يعجبه الأمر لوجود منافس أمامه، فرفع قضية على دمتريوس الفاليري بسبب الاقتراح الذي قدمه للمجلس واتهامه بتقديم اقتراح غير دستوري، وحضر المحاكمة أعداد كبيرة من الناس والمواطنين وكانت من القضايا المشهورة التي تُقاضي أعظم خطيب في أثينا، ولم يُهاجم إسكلينز دمتريوس الفاليري بقدر مهاجمته ديمستين والتركيز على سوء أخلاقه وسيرته، فرد ديمستين على إسكنيز بخطبته الشهيرة المسماة "في سبيل التاج" ورسم فيها الحقد لإسكلينز في كل معنى من معانيها، وكانت خطبة فصيحة عنيفة منفعلة، فبرأ القضاة دمتريوس الفاليري، ومنحوا ديمستين التاج المتنازع عليه، وهرب إسكنيز إلى رودس[2] لعدم قدرته على عدم غرامة اتهامه لدمتريوس الفاليري، وأخذ يكسب بالكفاف، وقيل بأن ديمستين كان يرسل له المال ليخفف عنه الألم ويعتاش في محنته وغربته[3].

(1) Aeschines of Sphettos أحد أشهر تلاميذ سقراط، وأحد الذين نقلوا أفكار سقراط وآراءه الفلسفية. ول ديورانت، قصة الحضارة، ج2، ج2، ص424.

(2) جزيرة موجودة في بلاد الروم، ذات موقع مميز، ومقابلة للإسكندرية من جهة البحر، بها تُبنى السفن والمراكب البحرية. أندريه ايمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة، ط2، دار منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص441؛ ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص78.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص422.

سقراط

فيلسوف اغريقي كلاسيكي (470–391ق.م)، يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الإغريقية، ومع أن كتبه لم تصل إلينا لحد الآن، إلا أن تلامذته نقلوا عنه الكثير من آرائه الفلسفية، وله إسهامات كبيرة في علم الأخلاق ومفاهيم السخرية ومجالات المنطق والمعرفة، وتأثيره أفكاره وأسلوبه كان قوياً حتى صار أساساً للكثير من أعمال الفلسفة الغربية التي جاءت بعد ذلك[1].

وبعد أن خسر سقراط ثروة أسرته الكبيرة خلال حرب البلوبونيز[2]، اتجه إلى كسب رزقه من خلال قلمه، ففكر في أن يكون خطيباً وبدأ بكتابة الخطب لغيره، وكان سقراط خجولاً وصوته منخفض، وعُرف عنه بكرهه للحياة السياسية والزعماء المهرجين، وأنشأ مدارس البلاغة التي لاقت اقبالاً ونجاحاً كبيراً من الناس ولاسيما الطلاب في أثينا، وقال سقراط بأن كل الذين يحاربونه لا يسيرون على الطريق السوي، لذلك هو مكروه ولديه أعداء، ورفض ما يقوم به السفسطائيين[3] من إطلاقهم لقب فيلسوف على من لا يستحق اللقب مقابل المال[4].

ومن دلائل تأثير الخطابة والخطيب في ذائقة الناس والترفيه عنهم وجلب السعادة عليهم، أن أبدى سقراط آراءه الفلسفية التي تتعلق بهذا الجانب، وكان منهج الدراسة منهاجاً ثقافياً عبارة عن فن

---

(1) محمود فهمي، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر، 1999، ص107.

(2) منطقة تحيط بها بلاد اليونان من جميع الجهات ما عدا جزءاً ضيقاً من الأرض يسمى كورنثة، قادت أثينا الحلف الديلي في هذه الحرب ضد الاتحاد الحلف الديلي البيلوبونيزي بقيادة اسبارطة، وانتهت هذه الحرب في سنة 421ق.م، ثم عادت الحرب بين الطرفين في عام 413ق.م، وانتهت باستسلام أثينا في عام 412ق.م، ونتج عنها تدمير أثينا بالكامل واستعباد مواطنيها، ثم تبعت هذه الحرب مباشرة بالحرب الكورنثية (394–386ق.م)، التي ساعدت أثينا على استعادة بعض عظمتها السابقة. محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص ص8–9.

(3) عاش السفسطائيين في أثينا وشغلوا مناصب عدة سفراء ومعلمين وممثلين ومستشارين وفلاسفة وخطباء وغيرها، والسفسطائية صفة مشتقة من كلمة سفسطة، والتي هي مذهب فكري فلسفي برز في عند الاغريق في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد، بعد ظهور طبقة حاكمة جديدة ديمقراطية تمثل الشعب، أي أن السفسطائيين برزوا كممثلين للشعب يخدمون مصالح الضعفاء والمساكين، لذا تعرضوا للتنكيل والنفي والقتل، واستخدموا أدوات الفلسفة والبلاغة، فضلاً عن تعليمهم الناس البسطاء مواضوعات تتعلق بالتسلية والترفيه كالموسيقى والرياضة البدنية والرياضيات. للمزيد ينظر: أنتوني جوتليب، حلم العقل تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2015، ص137؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج3، ج3، ص79؛ عبد الرحمن بن غالب عواجي، السفسطائية وأثرها في نشأة مدارس الشك، مركز دلائل، الرياض، 2017، ص4.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ص423.

الكتابة والتحدث والكلام، فكانت غاية سقراط هي الوصول إلى اتقان فن الخطابة، وهو الفن الذي يكون سبب ووسيلة في تقدم حياة المجتمع والناس، فعلم سقراط طلابه الطريقة السليمة لاستخدام الألفاظ وتنظيمها وترتيبها في وضوح وانسجام غير موزون، وجمل وعبارات مصقولة بلا زخارف، وكيفية الانتقال بالأفكار والأصوات بهدوء وسلاسة، واتزان الجمل والوقفات، وقال سقراط بأن فن الخطاب يسر الأذن كما يسرها الشعر، وأخذ سقراط يكتب نشرات الخطابة للأثينيين وللزعماء، أو للجمهور المتواجد في ساحات الألعاب، ولم يلق هذه الخطب بل قام بنشرها، ووصل من خطبه تسعة وعشرون خطبة، وكانت خطبته الأولى تسمى الجمعية العامة أو (البانيجركس[1])، وفيها دعوة لسكان وبلاد الاغريق للاندماج في دولة واحدة وترك السيادات الصغيرة، فأصبحت أثينا عظيمة عن العالم في خطبها وأفكارها وأصبح طلاب سقراط يعلمون أبناء البلاد المجاورة[2].

وعندما كان سقراط قد تجاوز سن التسعين عقدت أثينا صلحاً مع فيليب، فوجه سقراط إلى ملك أثينا خطاباً مفتوحاً كتب فيه للملك بأن فيليب سوف يفرض سياسته على بلاد الاغريق كله بعد توقيع الصلح، فتوسل إليه إلا يستعمل سلطانه كباقي الملوك المستبدون، وأن يجمع شمل الاغريق إلى حرب تحرر فيها بلادهم وتطهر من هذا الصلح، وتحرر أيونيا من الفرس، فطعنت بعض الأحزاب بخطاب سقراط ووصفته بالطغيان والاستسلام، وظل سقراط يرد مدافعاً على تلك التهمة أكثر من سبعة سنين، ثم وجه خطاباً آخر للأثنيين المتواجدين في ساحات الألعاب، وكان اسمها خطبة أثينية الجامعة (البان أثنيكس) وكانت تكراراً ضعيفاً لما قبلها، إلا أنها عمل عجيب من شخص كبير طاعن في السن، وكما توقع دارات معركة هُزمت فيها أثينا، ولم يتحقق حلمه في أن يرى بلاده ومدينته محررة، فحزن على ما حدث لمدينته ولذهاب أيام مجدها، فما كان منه إلا أن يترك نفسه للموت جوعاً[3]، وفي رواية أخرى قيل أن الأثنيين لصعوبة فكرهم وطبعهم لم يصبروا على سقراط فأجبروه على شرب السم[4].

(1) سميت كذلك لأنها كانت موجه إلى البانيجريس أو الجمعية العامة (بان – أجورا Pan–Agora) اليونانية في الدورة الأولمبية المائة. ول ديورانت، قصة الحضارة، ص425.

(2) المصدر نفسه، مج2، ج2، ص ص 424–425.

(3) المصدر نفسه، مج2، ج2، ص428.

(4) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، ص20.

ساحة السوق (الاغورا)

أدى الفضاء العام[1] على مرّ التاريخ دوراً كبيراً ومهماً في حياة المجتمعات وفي التعبير عن عاداتها وتقاليدها، كما شكل الصيغة المعمارية والعمرانية التي تمارس بها تلك المجتمعات احتفالاتها وشعائرها وتعبر عن رأيها، فكان للفضاء العام أهمية وأثر كبير في الحضارات القديمة، ومدى تأثيره في تشكيل مجتمعاتها، ففي الحضارة الاغريقية سمي الفضاء العام (بالأغورا)، وظهرت في بلاد الاغريق في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، وتقع في الشمال الغربي من الاكروبوليس الذي يعد معبد اغريقي قديم[2].

واهتمت الحضارة الاغريقية في بنيتها الفكرية والمفهومية بالمحاورات والفكر الفلسفي والمنطقي، فاعتمدت الساحات المفتوحة لكي تسمح بممارسة هذا النشاط[3]، فكانت ميداناً للتعلم والتسلية والترفيه أيضاً بما تطرحه من أفكار ومطارحات ثقافية وفلسفية، وكانت أهم هذه الساحات الأغورا المكشوفة التي يجتمع فيها السكان، وتحيط بها المباني العامة أو تتصل بها كالسوق ومباني الحكم والمسرح والجمنازيوم[4]، وتم لاحقاً بناء المعابد والمزارات على حدودها، فضلاً عن الممرات المغطاة والأروقة، وتنتشر فيها التماثيل الدينية في هذه المنطقة، وكانت تُعد قلب المدينة النابض بحياة سكانها[5]، فهي تُعد المركز السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي[6].

---

(1) يقصد به حيز أو جانب في الحياة الاجتماعية يلتقي فيه أفراد المجتمع لتحديد ومناقشة الأمور التي تخصهم بحرية، مع محاولة ايجاد فرصة للتأثير على القرار السياسي، ثم تطور هذا المفهوم إلى الديمقراطية. للمزيد ينظر: حسام الدين شعلان، احمد مسعودي، الفضاء العام وتطبيقاته الاجتماعية – مقاربة نظرية وتاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، المجلد 13، العدد 1، الجزائر، 2021، ص ص213–221؛ علي عبد الرؤوف، شعب وميدان ومدينة: العمران والثورة والمجتمع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، القاهرة، ٢٠١٩، ص٣٨.

(2) تل صخري في مدينة اثينا بنيت عليه قلعة فيها معبد البارثنون والاريخيثيون ومباني حكومية أخرى، وتعد قلعة الاكروبوليس المركز الاداري والعسكري لأثينا. عادل نجم عبو، عبدالمنعم رشاد، اليونان والرومان، ص57؛ سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ص218.

(3) علي عبد الرؤوف، شعب وميدان ومدينة: العمران والثورة والمجتمع، ص٣٨.

(4) الجمنازيوم أو الجمناسيوم: معهد رياضي ثقافي في أثينا. احمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ص376.

(5) ريتشارد سويدبرغ، مبادئ علم الاجتماع الاقتصادي، ترجمة: جهاد الترك، مراجعة: عمر سليم التل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٩، ص٢٥٠.

(6) ميريام مروان مقدسي، تأثير التصميم المعماري للمراكز التجارية الحديثة على الواقع الاجتماعي في سوريا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة تشرين، اللاذقية، ٢٠١٥، ص٨.

وكانت تُقام فيها الاحتفالات فضلاً عن كونها تُعد سوقاً للمدينة، وقد كانت هذه الساحة مهيئة ومجهزة جيداً للقيام بدورها، فقد كانت عبارة عن ساحة واسعة تحيط بها المباني الإدارية والتماثيل التي ترمز للشخصيات والآلهة، فضلاً عن وجود مقاعد حجرية للجلوس، وكان الشعب يشارك من خلال هذه الساحة في اتخاذ القرارات الديمقراطية[1]، فأغورا عبرت عن ديمقراطية الحكم في بلاد الاغريق في تلك المدة، من خلال اجتماع الناس فيها، فيناقشون القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تخص مدينتهم[2]، بدءاً من تبادل السلع إلى إجراء الحوارات والمناقشات السياسية، فضلاً عن تقديم العروض الثقافية والترفيهية التي تدخل البهجة والسرور في نفوس المواطنين، كما مكنهم حضورهم في هذه الساحة فضلاً عن التسلية والترفيه الذي كانوا يحضون به في الأغورا من اكتساب الثقافة والمعارف والمشاركة في النقاشات السياسية والفلسفية، ومنه أصبحت بمنزلة جمعية عمومية ذات مهمات تشريعية، وشكلت البداية التاريخية والأصل الذي انبثقت منه العمومية والفضاء العمومي[3].

وكان الفيلسوف الاغريقي سقراط يمضي معظم وقته في أغورا مدينة أثينا، مناقشاً أفكاراً وقضايا في حوار مفتوح مع مريديه وتلاميذه وزوار المكان[4].

(1) مروى عبدون، حمادة بن عيسى، دور الفضاءات العمومية في تحقيق التواصل الاجتماعي في إطار المشروع الحضري، جامعة ام البواقي، الجزائر، 2016، ص ص٩-١٠.

(2) ضرغام شتية، الفضاءات العامة في مدينة عمان: بين التنوع الحضري والتباين الاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، ٢٠٢١، ص٦٧.

(3) مجموعة مؤلفين، الشباب والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية، دار الكتاب، بيروت، ٢٠١٩، ص٢٧٤.

(4) أبو إلياس سويد الأحمدي، صلاة الجمعة: فرض ديني أم حدث اجتماعي، نشره أبو إلياس، (د.مط)، ٢٠٢١، ص٧٠٤.

ثانياً/ القصص

إن معرفة حياة أي سكان أو شعب تتطلب الاستناد إلى الروايات القصصية التي حدثت في زمانهم[1]، والقصص أو الأساطير هي اصطلاحات أدبية تطلق على حكايات من الخيال، فكانت قديماً القصص طويلة، أما حديثاً فأصبحت مختصرة قصيرة، سواء كانت شعر أو نثر، والغاية منها وصف فضائل أخلاقية بطريقة مسلية مشوقة، وفي القصص بشر خياليون، وأشياء من الطبيعة غير حية وحيوانات وغيرها، كل يقص قصته ويكون محور الحديث[2]، وتوجد القصص في كل أنواع الكتابات[3].

والقصة هي قالب من أفكار وأحلام البشر، وإبداع إنساني وخيال عقلي، والقصص تقوم بمهمة تقديم رؤية استنتاجية للأشياء وحتى الأشخاص، ورؤية تصويرية لتلك الأشياء، فتصف القصص الطبيعة وجوانب الحياة بتخيلات وتصورات وأحاسيس الإنسان[4].

مميزات القصص

- وصف الحقائق والأحداث التاريخية القديمة.
- تعد رمزاً لحقائق فلسفية قديمة عن طريق دراسة أحداث القصة وتحليلها ومقارنتها بالظروف التاريخية والبيئية التي عاشت فيها.
- تعد انعكاساً لظواهر طبيعية لم يستطيع الإنسان القديم تفسيرها، كظواهر الحصاد والحمل والميلاد والبراكين والمرض والقحط، مما اضطر الإنسان إلى تقديسها وتقديرها ونسج القصص حولها.
- تعد انعكاساً للأوضاع النفسية التي عاشها الناس باحتكاكهم بالبيئة ومحاولتهم التعايش مع البيئة، وفي حال فشله تظهر القصة أو الأسطورة تعويضاً عن هذا الفشل[5].

لقد بدأ السحر يغزو العقل الإنساني قديماً، ثم تطور إلى خلق رموز ونماذج للطبيعة لها طقوسها، فكانت بعض القصص تركز على السحر كمحاولة أولى في مساعدة الإنسان لحل مشاكله، ثم كانت البداية وأول الخطوات الطوطم وهو الرمز الذي يُعطي الإنسان القوة، وكان الطوطم يأخذ شكل نبات أو حيوان، ثم أصبح لكل قبيلة طوطم خاص بها، ثم تحول الطوطم إلى إله تعبده وتقدسه القبيلة، وكانت تقام له الطقوس الغنائية بصورة أخرى للسحر لتفسير أصل العالم وتطوره، وبهذا الشكل كان ولادة القصص والأساطير، والخطوة الثانية بعد الطوطم تأسيس الدين، فظهرت فكرة الأرواح لعدم

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص86.
(2) جميس بالدوين، أقاصيص من الأساطير اليونانية، ص7.
(3) امين سلامة، الأساطير اليونانية والرمانية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1988، ص8.
(4) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص ص110-111.
(5) المصدر نفسه، ص128.

تقبل الناس فكرة الموت، فصور الإنسان الروح على أنها شيء مادي وجعلها تحتاج للطعام والشراب والمأوى، فنشأت ظاهرة تقديم القرابين للموتى وبناء المقابر، ثم تلاها خطوة انفصال الأرواح عن الظاهر المادي الجسدي، وتحول الروح لبطل قصصي، ثم لإله معبود، مما أدى إلى تحول القصص والأساطير إلى لاهوت، وتحول الروح لقوة طبيعية غير مرئية، وكان المسرح الاغريقي في قصصه ورواياته يتسم بالمرح الخلاق وتصوير القوى والآلهة أقرب لصورة الإنسان[1].

ولعل من أعظم القصص الاغريقية البطولية وأشهرها[2] هي قصص الإلياذة والأوديسة[3] للشاعر هوميروس، وهي مجموعة من القصائد لحوادث وروايات وقصص مختلفة[4].

قصص شهيرة سمعها الناس عن فلاسفة الاغريق

تداول الإغريق وضمن تراثهم القصصي العديد من القصص التي كانت تحكى أو تمثل على المسارح كنوع مهم من أنواع التسلية واللهو، وندرج في أدناه أهم هذه القصص:

قصة تانتالوس[5]

تانتالوس الملك هو أيضاً شخصية أسطورية في الفكر الديني الإغريقي، حيكت حوله رواية أسطورية، تذكر أنه حُكم عليه أن يعيش الرعب والعذاب في عالمه السفلي خوفاً من أن تسحقه صخرة ضخمة، ومحاولاته الفاشلة في الوصول إلى شرب دمعة ماء حينما يرفعه إلى فمه، وفي أكل الطعام أيضاً، وقيل بأن أسباب هذا العذاب والعقاب الذي عانى منه تانتالوس لازال مجهول، إلا أن هناك أسباباً غير مؤكدة تقول إن سبب عقابه إفشاؤه أسرار الآلهة، وآخرين قالوا بسبب سرقته طعام الآلهة خلال وليمة دُعيّ عليها، ورواية أخرى تقول بأنه عوقب لذبحه ابنه وتقديمه للضيوف، ثم أعادته الآلهة للحياة[6].

---

(1) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص ص113-114.

(2) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ص59.

(3) ثاني أهم ملحمة شعرية إغريقية بعد الإلياذة، إذ تتألف من 12,000 بيتاً من الشعر مقسمة على 24 أنشودة، وتدور أحداثها حول قصة الصراع الذي خاضه اوديسيوس أحد أبطال حرب طروادة، وما مر به من أهوال في طريق عودته إلى وطنه، للمزيد ينظر: هوميروس، الأوديسة، محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، ص49؛ اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ص75؛ بيار غريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، دار عويدات، بيروت، 1982، ص7.

(4) أندريه ايمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام- الشرق واليونان القديمة، ص299.

(5) ملك فريجيا، عُرف عنه بالملك القاسي المتحجر القلب، أذاق رعيته الويلات والعذاب، وجوعهم ليتنعم بخيرات البلاد وينفقها على شهواته وملذاته متحدياً بذلك الآلهة. دريني خشبة، أساطير الحب والجمال عند اليونان، ص77.

(6) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص321.

قصة الفيلسوف أرسطو طاليس[1]

يعد أحد أشهر فلاسفة اليونان، وله قصة طريفة شهيرة، إذ كان أرسطو طاليس ذات ليلة يتمشى ناظراً إلى السماء وهو يراقب حركات الكواكب، فسقط وهو يسير في حفرة، فساعدته عجوز كانت تعيش مع عائلته في الخروج من الحفرة، وقالت له: ((**أنصحك يا طاليس إلا تشغل نفسك بعلم من فوقك، فتبلى بجهل من تحتك، فكانت العجوز أوفر حكمة من الجميع**))[2].

قصة الفيلسوف بياس[3]

واشتهر هذا الفيلسوف بقصته عن أحد الصيادين الذي عثر على سمكة في جوفها كأساً ذهبياً منحوت عليه مقولة: ((**إلى أحكم الحاكمين**))، فأخذ الصياد الكأس للفيلسوف بياس لأنه كان يُعرف عنه بالحكمة، وأحكم حاكمين زمانه، وكان لا يُحب المال، فلما سُلبت منه بلاده، أخذ الناس يخفون مقتنياتهم الثمينة، أما بياس فرفض وقال ما الأموال إلا ألعوبات في الأيدي، أما الأموال الحقيقية فهي في عقلي وأفكاري ولا أحد يستطيع سلبها مني[4].

قصة الفيلسوف أبيمانيتس

فيلسوف إغريقي عرف عنه قصته العجيبة، أنه لما كان شاباً أرسله أبوه للبحث عن خروف ضائع، فوجد الخروف، وأراد أن يأخذ استراحة، فوجد كهفاً فدخله ليستريح فيه، ونام وبقي في غفلة حوالي 57 سنة، فاستيقظ وقد ملأ الشيب رأسه، وخرج من الكهف واتجه إلى مدينته، فإذا بوالده قد

---

(1) ابن نيكوماخوس، وعاش نحو (384-322ق0م)، ويعد أحد كبار الفلاسفة والمفكرين اليونان، ولد في مدينة استاجيرا شمال شرق شبه جزيرة خالديكيديك، له إسهامات كبيرة في العلوم الطبيعية، زار أثينا وعمره تسعة عشرة سنة، والتحق بمدرسة أفلاطون، فاكتشف أفلاطون مواهبه، وتتلمذ على يديه لمدة 20 عاماً، ومن شدة ذكائه أطلق عليه أفلاطون العقل أو القارئ، لأنه قارئ في كل شيء، وفي جميع جوانب الحياة، وكان أرسطو موسوعة ضخمة. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص77؛ طه باقر، موجز في تاريخ العلوم، ص ص128-130.

(2) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، ص19.

(3) فيلسوف إغريقي (600-530ق.م)، وهو أحد حكماء الإغريق السبعة الذين يعود لهم الفضل في سن قانون أتيكا، الذي يعد من القوانين الاجتماعية المتقدمة التي سنت بعد الحرب الأهلية التي خاضها الفقراء ضد طبقة الملاك، الذي ضمن حق الملكية الفردية المحدودة، فضلاً عن حق الشعب في الإشراف على مؤسسات الدولة.

Schopenhauer, Manuscript remains, Berg, Oxford, 1989, p. 27.

(4) جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، ص19.

مات، وأخوه الصبي أصبح عجوزاً كهلاً، والشوارع مليئة بالبيوت والسكان، فتعجب من كل الذي حدث[1].

ثالثاً/ الشعر

إن الشعر ضرورة للنزعة البشرية، وعلى الرغم من أن الشعر يحاكي حالة وجدانية أو عاطفية أو سياسية أو اجتماعية وغيرها، إلا أنه بكل حالاته يعد وسيلة مهمة للتسلية واللهو، وللشعر نزعتان: نزعة للمحاكاة ونزعة للطبيعة البشرية، ونشأ في نفس الشعراء المديح والهجاء والملاحم والمساخر، وأخيراً تطور إلى المأساة والملهاة[2].

اشتهر سكان الاغريق بأنهم أهل الشعر والفصاحة، ثم صارت فيهم الفلسفة[3]، ولم يكن يعرف الاغريقيون طريقة للتعبير عن المشاعر والعواطف وعما يحدث في الحياة مثل الشعر، فالأوزان الشعرية تجعل الحفظ هيناً سهلاً[4].

وكان شعراء الاغريق يتغنون بلهجتهم المحلية، ويصفون مشاهد الأقاليم الجميلة بالشعر، وكانت هلاس[5] تستمع إلى الأصوات الشعرية الفصيحة وتحثهم على أن يتطرقوا إلى موضوعات أوسع من تلك الموضوعات المحلية الضيقة، ومع الزمن اندثرت الكثير من الأشعار واختفى ثراؤه وموضوعاته وألفاظه، وحين نطوف بمدن الاغريق نتعجب من وفرة الأدب الاغريقي وجودته الذي كان موجوداً قبل عهد بركليز[6]، وكان الشعر الغنائي ينعكس في صورة مجتمع أرستقراطي فيه أفكار ومشاعر وأخلاق تراعي الأدب والتربية الحسنة، إلا أن هذا الأسلوب بدأ يختفي عند مجيء الديمقراطية، فأصبح الشعر متعدد الأوزان غير مقيد في الإحساس والخيال[7].

---

(1) المصدر نفسه، ص20.

(2) أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1953، ص11.

(3) أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: حسين مؤنس ومحمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص84.

(4) أندريه إيمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام–الشرق واليونان القديمة، ص298.

(5) هي جميع البلدان التي سكنها قديماً شعوب تتكلم باللغة اليونانية في الزمن القديم، وتشمل شبه جزيرة البلقان، وبعض الجزر في بحر ايجة، ومدن يونانية منتشرة على شبه جزيرة أسيا الصغرى. عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص1.

(6) بركليز أو بركليس، تم اختباره للإشراف على مسرحية الفرس لأيسخولوس، فنجح بذلك وأصبح من كبار وعظماء اليونان، وحكم بركليز بالفضيلة وقوة الحقيقة. بلوتارك (فلوطرخوس)، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج1، ص1009؛ بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص297.

(7) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص377.

كان شعراء الاغريق يتغنون بالحب والحرب، وفي مجالس العظماء يغنون الملاحم وما قام به الاغريقيون من عظيم الأعمال، فأنشأت جماعة المغنيين مجموعة قصائد غنائية تناولت حصار طيبة وطروادة وعودة المقاتلين إلى بلادهم، وكانت الأغاني الشعرية مشتركة بين الشعراء، وكان كل شاعر يكتب قصته من قطع متفرقة قديمة العهد، ولا يمكن لشاعر أن يدعي بأنه كتب سلسلة متكاملة من القصص، ووجد في طشيوز[1] جماعة من الشعراء أطلقوا على أنفسهم الهومريسي نسبة إلى شاعر الملاحم هومر أو هوميروس[2].

أبرز شعراء الاغريق

بنداروس

شاعر غنائي معروف عند الاغريق، عاش خلال المدة (522-443ق.م)، يعد من أعظم شعراء الإغريق، بدأ موهبته في عمر مبكر بكتابة أول قصيدة له تُدعى اليوثية أو اليثية، وابدع في كل أنواع الشعر الغنائي[3]، فكانت قصائده التي ألقاها أو التي أصبحت كلمات لأغاني الإغريق واحدة من أهم مصادر الترفيه عند الإغريق، وألف أكثر من سبعة عشر كتاب في الأشعار الغنائية، ومن قصائده الشعرية الفوز، وقُسمت إلى أربعة أقسام أو كتب وهي: قصائد أولمبية، وقصائد اليثية، وقصائد نيمية، وقصائد الاسثمية[4].

وتحدث بنداروس عن قصائد الفوز بإيجاز دون شرح وتفصيل، واهتم بتخليد عائلة الفائز وبلاده، وأرجع هذا الفوز والنجاح للآلهة، واحتفل بالبطل الرياضي الفائز، وفي منتصف قصائده دائماً ما كان يضع قصة طولية تصور ويلقي ضوءً على عنوان القصة أو الأسطورة التي تم اختيارها، ويختم بنداروس قصيدته الشعرية ببعض الانعكاسات الأخلاقية والدينية على الوضع الإنساني، وكان بنداروس مفكر ديني، ففي القصيدة الشعرية الأولمبية حاول تعديل قصة تانتالوس وبيلوبس وجعلها مترابطة أكثر بالعقائد الدينية، وصاغ بنداروس قصائده على شكل ثلاثيات، وكل ثلاثية تتكون من مقطع شعري، ومقطع شعري مضاد، وقصيدة غنائية تعطي انطباع مضطرب فالشاعر لم ينزعج من الكتابة المنظمة وهو ينتقل بسرعة دون تمهيد من عنوان إلى آخر وهو منسجم بأفكاره وشعره القوي، إذ

(1) اسم لجزيرة في تركيا. ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص272.
(2) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص378.
(3) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص306.
(4) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص122.

أنه لا يمكن تقيم شعره بدون وجود الموسيقى، فظلت مثل هذه القصائد يرتبط الرقص والموسيقى بها ارتباطاً وثيقاً[1].

أريون

كان في البداية عازفاً للقيثارة، ثم أصبح شاعراً غنائياً، وألف ديثورامبيات[2] ديونوسية، واستقر في أسبرطة، وقضى معظم حياته في كورينثوس[3] ثم استقل مركباً وعاد إلى الاغريق، إذ أن الرحلة العجيبة التي رواها هيرودوتوس تتعلق به نفسه، فأراد البحارة أن يقتلوه ويسلبوه أرضه، لكن الشاعر أريون أقنعهم أن يتركوه مقابل أن يغني لهم أغنية وهو مرتدياً ملابس الغناء، وبعد الانتهاء قفز في الماء، فحمله دلفين على رأسه كان قد سحر بغنائه[4].

هوميروس

وهو من أعظم شعراء الاغريق، عاش هوميروس مطلع الألف الأول قبل الميلاد، ومن أول شعراء الملاحم الشعرية فيها، لقد كُتب لهذا الاسم الخلود، ونال شهرة في كل أرجاء العالم[5]، ومعنى هوميرس باللغة الاغريقية الرهينة، فيُمكن أن يدلل هذا المعنى بأن هوميرس لربما كان في شبابه رهينة لإحدى القبائل أو العشائر المتخاصمة، وتفخر سبع مدن بأن هوميرس قد ولد فيها[6].

ومن أشهر أعماله الإلياذة والأوديسة، فكانتا مليئتين بأحاديث وأخبار الآلهة والأبطال[7]، فهاتان القصيدتان الشعريتان من العجائب في الفن الأدبي، فأوزان القصيدتان مأخوذة من لهجات متعددة، إلا أن الحبكة فسدت بسبب ما بها من تناقضات[8].

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص307-308.

(2) هو نوع من أنواع الغناء الإغريقي، يؤديه جماعة الجوق، تمتاز بالصخب. بلوتارك (فلوطرخوس)، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ص664.

(3) موقع دفاعي، تتصدى من خلالها الجيوش للغزاة من الشمال، ويُعد عقبة أمام الملاحة البحرية لإغلاقه الطريق بين بحر ايجه وخليج ايجينا، وطريق آخر مغلق بين البحر الأدرياتي وخليج كورينثوس، ثم بُني سور لتعزيز الدفاع ضد جيوش الفرس، وأعيد بناؤه وترميمه مرات عديدة، ثم شقت قناة عبر الخليج لتسهيل حركة الملاحة، وبعد سنوات شُق ممر ديولكوس لتُجر السفن من خلاله. للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص434-435.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص98.

(5) فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014، ص11.

(6) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص ص107-108.

(7) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص228؛ ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج15، ص241.

(8) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص108.

فالإلياذة سردت فيها قصة حروب طروادة[1] التي استمرت أكثر من عشر سنين[2]، وحدثت بين أهل الاغريق وأهل طروادة، وطروادة هي مدينة موجودة في آسيا الصغرى وموقعها استراتيجي ومميز وتجاري، وترجع تلك الأهمية لاختطاف أمير من أمراء طروادة هيلين زوجة حاكم اسبرطة يُدعى منيلاوس، ودامت الحروب بينهم مدة طويلة حوالي العشر سنوات، وانتهت بهزيمة طروادة وانتصار الاغريق[3].

ومن التناقضات التأكيد على أهمية الحوادث ثم التقليل من شأنها والاستخفاف بها، والتعارض الموجود في أخلاق الشخصيات، وقتل الأبطال فيها مرتين وثلاثة قبل النهاية، وأن الموضوع الأصلي ونتائجه يتداخل به الكثير من الحوادث والقصص المأخوذة من قصائد شعرية أخرى تم دمجها في الملحمة، ومع ذلك فإن القصة هي قصيدة شعرية واحدة لغتها قوية، وأول من ظهرت بهم هذه الملحمة الشعرية هم الشباب الاغريقي الصاعد، وخُتمت بوعيهم ونضوجهم الفني والأدبي في الملحمة، وشخصيات الملحمة هم من المقاتلين أو نساء المقاتلين، وكان للفلاسفة دور شجاع في القتال، وكان لكل شخصية في الملحمة الشعرية موطن عطف من مصورها، فهذا الذي يميز الأدب الاغريقي أنه يعطف على جميع الشخصيات الموجودة ليضفي متعة على المتابع للملحمة، فـ(أخيل)[4] في خيمته شخص غير محبوب تجرد من صفات البطولة، يشكو لوالدته حظه المتعثر، فيتحول إلى شخصية قاسية ولاسيما بعد موت صديقه، وهو ذو عقل ناقص غير متزن، ورغم ذلك ظل الاغريق يقدس أخيل كإله، ونحنا نتقبله كطفل نعفو عن أخطائه، فهذا من أجمل ما أبدع الشعراء في كتاباتهم وخيالهم،

(1) هي من الحوادث العظيمة في تاريخ بلاد اليونان، وتناقلتها الأجيال من خلال الأساطير والقصص والروايات ومجدت الأبطال فيها، ونظمت القصائد الشعرية للتغني بأمجادها، وكانت هذا القصائد والأخبار والأساطير بلهجة الأيوليين، كتبها هوميرس، وتتضارب الروايات في حقيقة وجود حرب طروادة أم أنها خيال، إلا أن غالبية المؤرخين قالوا بأنها أقرب للحقيقة، وتروي قصة ما قبل الحرب، أنه عُرض على باريس ابن ملك طروادة بريام ثلاث فتيات ليختار أجملهن، وهم هيرا وأثينا وافروديت، فوقع اختياره على أفروديت، فقدمت أفروديت لباريس هيليين، وكانت غاية في الجمال، وهي زوجة ملك اسبرطة وشقيق أجاممنون، وطلبت منه أن يختطفها ويرحل لمعاقبة أهل طروادة ومن أجل إعادة هيلين إلى بلادها، وبالفعل هربت هيلين مع باريس إلى طروادة، وقبل أن ترحل أخذت معها كنوز زوجها مينيلاوس ملك اسبرطة، وقاد الحرب شقيقه أجاممنون على رأس جيش كبير لمحاربة الطرواديين، وانتصر على طروادة وانصاع أهلها له. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج1، ص ص396-397؛ محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص111.

(2) محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، ص10.

(3) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص120.

(4) أخيل أو أخيليس، هو ابن بيليوس ملك فثيا من حورية البحر ثيتس، وهو أشهر أبطال حرب طروادة التي دارت أحداثها بين الإغريق وأهل طروادة، وله الدور الأكبر في هذه الحرب. ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص ص 379-380.

على الرغم من تكرار هوميروس لنفس الأقوال في قصيدته كما يفعل المغنون، إلا أن هذه العيوب تغطى على جمال اللغة، وما تحتويه القصيدة من تشبيهات واستعارات تصف جمال الطبيعة الهادئة والحقول الزاهية التي تبعث في النفوس الراحة والطمأنينة أمام صخب الحروب والصراعات[1].

أما الأوديسة فتعد مكملة لحرب طروادة[2]، إذ تتحدث عن قصة أحد أبطال مدينة طروادة ويُدعى أوديسيوس في محاولاته ومغامراته ومعاناته الطويلة للعودة إلى الاغريق في رحلة استغرقت عشر سنوات، تنتهي بوصوله إلى موطنه واستعادة عرشه الذي سُلب منه، وروى هوميروس مئات القصص الاغريقية في كتبه وقصائده الشعرية منها بالتفصيل ومنها بالإيجاز، وصور فيها الآلهة والبشر مختلطين، إلا أنه لم يحدد العلاقات بوضوح[3].

ومع أن الأوديسة تختلف عن الإلياذة، إلا أنهما تتفقان في وجود العبارات والألفاظ القاسية المماثلة، ففي ملحمة الإلياذة يتم ذكر الحديد في حين ذُكر في الأوديسة البرونز، وتتحدث الأوديسة عن الكتابة وملكية الأرض وعن تحرير العبيد، أما في الوزن فهي مثل الإلياذة وزن واحد، إلا أنها تختلف في الأسلوب وفي مادتها عن الإلياذة[4].

كان هوميروس في قصيدة الأوديسة أكثر ميولاً إلى الأدب والفلسفة، وابتعد عن النزعة الحربية والعنف، والملحمة بشكل عام متناسقة بشكل عجيب، وخالية من التناقضات، وكل حادثة من حوادثها تُشعر القارئ باقتراب الخاتمة، وهي مترابطة في كتبها الأربعة لتؤلف وحدة كاملة، ويُعتقد أن الملحمة قد بنيت فوق قصائد شعرية معروفة[5].

وشخصيات الأوديسة أقل وضوح وقوة من شخصيات الإلياذة، وتتضح الشخصيات في الملحمة في آخرها حين تشعر بلحظات الشك تارة ولحظات الندم تارة أخرى، فيمكن القول بأن الأوديسة هي رواية شعرية ساحرة، مليئة بالمغامرات والعواطف والمشاعر الرقيقة، وبهذا تكون الإلياذة والأوديسة أثمن القصائد الشعرية الباقية من التراث الاغريقي، وأصبح الشاعر هوميروس من الشخصيات المهمة والتي تُدرس في التعليم الاغريقي، ويعد الكتاب المقدس للدين في بلاد الاغريق[6]، ويعتقد المؤرخين أن ملحمة الإلياذة الشعرية سبقت ملحمة الأوديسة بحوالي خمسين عام تقريباً[7].

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص ص 379-380.

(2) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص 109.

(3) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص120.

(4) ابتهال عادل إبراهيم الطائي، تاريخ الإغريق منذ فجر يزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني، ص110.

(5) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص382.

(6) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص ص 382-383.

(7) أندريه إيمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام-الشرق واليونان القديمة، ص299.

وصورت ملحمة الإلياذة والأديسة الروابط والعلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة ومنظمة في هيئة قوانين موضوعة من قِبل الدولة، أو من قِبل تنظيم عائلي وتقاليد تراعاها الآلهة، والتأكيد على ضرورة الالتزام بها واحترامها[1].

وقد تغنى هوميروس بسحر وجمال وروعة الاغريق في أشعاره[2]، وقيل بأن أشعار هوميروس رسمت صورة الحياة في بلاد الاغريق، على الرغم من قولهم إن هوميروس إنسان لا وجود له[3] لكن ملاحمه أثبتت حقائق: أن طروادة وغيرها من المدن هي مدن حقيقية، وكشفت أشعاره عن حضارة ميسينية تشبه الحضارة التي تتشكل من تلقاء نفسها من خلال أشعار هومريوس، وبدأ بعض العلماء يذكر بعض الشخصيات التي وردت في القصص على أنها حقيقة[4].

فملاحم هوميروس لها ديانتها التي أضفت عليها السحر الشعري، وحددت الأخلاق والعلم ودستور الأدب والمجاملة، واستطاعت بذلك أن تبني جيل اغريقي سليم[5]، وكانت غاية هوميروس من هذه الأشعار إحداث تغيرات على أوضاع السكان من الناحية الاجتماعية في ظل أوضاع سياسية مضطربة أنهكت وأتعبت الإنسان الاغريقي، فخرج هوميروس بعمل أدبي راقي زاخر بالمشاعر والعواطف الإنسانية[6]، وأصبحت كتاباته مقدسة تجسد التفوق البشري والمعرفة الإنسانية[7].

بعد مدة هوميروس بدأ الشعر الملحمي يضعف ويذبل، فنشأ شعر غنائي جديد يتضمن أشعار الغزل والحب والرثاء والحماسي[8]، حمل الطابع الموسيقي الفردي، فوجد في الشعر الغنائي الكثير من الأوزان للتعبير عن مشاعر الإنسان وعواطفه وما يدور داخله من آلام وأحزان وأفراح، ونظم الشعر الغنائي العديد من الشعراء إلا أنه لم يصل إلينا أي قصيدة عنهم، وحاول صولون أن يدعم عمله السياسي والاجتماعي من خلال استخدام الشعراء وشعرهم الغنائي، وأصبح الاغريق مهد الشعر الغنائي[9].

---

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص231.

(2) ألفرد زيمرن، الحياة العامة اليونانية السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس، ترجمة: عبد المحسن خشاب، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص2.

(3) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص24.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج1، ص86.

(5) أندريه إيمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام–الشرق واليونان القديمة، ص299.

(6) محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، ص90.

(7) احمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ص27.

(8) ممدوح درويش مصطفى، وآخرون، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية–تاريخ اليونان، ص70.

(9) أندريه إيمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام–الشرق واليونان القديمة، ص299.

هسيودوس

أحد أشهر الشعراء الاغريق، وتأتي منزلته بعد هوميروس، يرجح أنه ولد في سنة 846ق.م في مدينة كومي في آسيا الصغرى، وتوفي عام 777ق.م، وكتب ملحمة الأعمال والأيام وأنساب الآلهة والآلهات الثلاث[1]، وبدأ بغناء الشعر خلال رعيه لقطيع الأغنام من على الجبال، وأبدع في النظم، وحاز على عدة جوائز[2].

كان هسيودوس في المقام الثاني في الشعر بعد هوميروس بالنسبة للإغريقيين، ولاسيما أن هسيودوس كان معاصراً لهوميروس، وكان تعيساً بائساً فقيراً قبل أن يصبح شاعراً[3].

ووصف هسيودوس في أشعاره الأوضاع الاجتماعية في بلاد الاغريق، وصور حالة الظلم والقهر في بلاده وشرح مساوئ النظام السائد، ولاسيما أنه لامس هذا الظلم بنفسه وعاش شره في حياته، وقال بأن الحق هو الساعد القوي، ولا يوجد شيء مقدس في نظر الأقوياء، ثم يشرح كيف خيم البؤس والحزن على طبقة الفلاحين المساكين وصبرهم على تقديم ما يطلبه الملوك والأمراء والنبلاء والأغنياء للترفيه عن أنفسهم[4].

ويختلف هسيودوس عن هوميروس في تحليله للظواهر، على عكس هوميروس الذي قام بسرد الحوادث فقط، إذ ضُمِّنت قصيدتا الأعمال والأيام وأنساب الآلهة العديد من قصص الاغريق[5]، فيما زخرت قصة مسرحية أوديب ملكاً لسوفوكليس بقصص آثام وذنوب البشر[6].

فركز هسيودوس في قصائده الشعرية على فكرة العدالة[7]، وتحدث في أشعاره عن المبادئ والقيم والأفكار التي كانت سائدة في المجتمع الاغريقي، وجاء هسيودوس واضعاً أنساب الآلهة وعلاقاتها ومهامها وأشكالها في قصصه، وله مجموعة قصصية تتحدث عن النصائح الأخلاقية الناتجة عن خبرة في مجالات متعددة، منها واهمهما الزراعة، ويربط بينهما المعاناة التي عاشها هسيودوس بسبب ظلم

(1) احسان الملائكة، أعلام الكتاب الإغريق والرومان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001، ص122؛ جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة: لفيف من العلماء، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1970، ج1، ص ص311-321.

(2) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص26.

(3) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص ص113-114.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص118.

(5) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارة القديمة، ص121.

(6) محمد حمدي ابراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1994، ص185.

(7) ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج15، ص231.

أخيه برسيوس له ومنعهِ من ميراث والده، ويشرح هسيودوس عن أنساب الآلهة، فيشير إلى بداية العالم وظهور الآلهة وأنسابها والعلاقة بينها وبين البشر[1].

وردد العدالة كثيراً في أشعاره، لأنها أساس الأخلاق في المجتمع وفي التعامل مع طبقات المجتمع، وجعل موضوع العدالة قضية إلهية مقدسة، وذكر بأن العدالة هي ابنة زيوس كبير الآلهة الذي يقدسه ويحترمه جميع الآلهة، وهي شقيقة إله السلام التي نشرت الازدهار في حين كان الناس لا يريدون ظهور العدالة، ومراقبة زيوس لمن يمارسون التجبر ولا يتبعون العدالة بأنهم لن يفلتوا من عقابه وسيحاسبهم وسيصيبهم الموت جوعاً، وسيهلك رجالهم ويقل أعدادهم، فاتبع هسيودوس طرق عدة لإظهار قيمة العدالة للناس من خلال أشعاره لإقامة مجتمع طيب عادل، وتعد هاتان الملحمتان استمراراً واستكمالاً لملحمتي الإلياذة والأوديسة[2].

وفي تصوراته للآلهة فكانت شبيهة بالبشر تتزاوج وتحب وترضى وتفرح وتبكي وتحارب، وأما الاختلاف فهو خلود الآلهة الأبدي عن البشر، والبشر مصيرهم إلى الفناء[3].

فنظرة هسيودوس بشكل عام مظلمة متشائمة إلى الحياة، فكثيراً ما كان يتأسف على الماضي، وقال بأن البشر في عصرهم الذهبي كانوا سعداء يشبهون الآلهة يعيشون دون هم أو ألم أو حزن، وكانت الأرض تنبت لهم الغذاء الكافي، وكانوا مترفين ويقضون أيامهم وليالهم بالاحتفالات والأفراح، ولا تعرفهم الشيخوخة، ويموتون دون آلام[4].

آلقيوس

شاعر اغريقي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، عرف عنه أنه يمزج السياسة بالشعر، وقصائده الشعرية ثورية ملتهبة، وظل يتغنى بالقتال ووصف الأسلحة الحربية المعلقة في منزله، وأحياناً ما كان ينظم أشعاره في الحب، إلا أن موضوعه الأساسي في أشعاره كانت عن الخمر، وكان يقول نشرب حتى الثمالة، لنطفئ عطش الصيف، ولندفئ دمائنا في الشتاء، ونسبغ على الموت في الخريف، ونحتفل بالطبيعة في الربيع[5].

(1) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص114.
(2) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ص238–239.
(3) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص27.
(4) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص115.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص165.

صولون

صولون أو سولون (640-560ق.م) شاعر ورجل قانون ومشرع أثيني، له مجموعة من القوانين الإصلاحية التي سنها، إلا أنها تعارضت مع نظام الحكم الأثيني، ويعتبر مؤسس الديمقراطية، وهو من شعراء الحكمة والفلسفة[1]، وكان يحض الأغنياء في أشعاره على البعد عن الجشع والطمع ويأمرهم بالاعتدال[2].

ويعتبر صولون من شعراء الشعر الإليجي، وهو الشعر الذي نشأ بهدف خلق ايقاعات مناسبة للغناء[3]، وعُرف الشعر الإليجي في بلاد الاغريق بالشعر المراثي، ويضع صولون في أشعاره إنجازات الإنسان في المقام الأول قبل أن يكتب عن الموت في سبيل الوطن، ويؤمن أن الإنسان يملك ما لا يملكه آخرين من إبداع ومواهب وقدرات إلا أنه لا يستغلها استغلالاً سليماً[4].

ومن أغراض الشعر الأليجي، أغاني الحرب التي تخاطب الجيش وتحثه على القتال، وأغاني الشرب والتي تمتاز بالقصر وهي تُغني في حفلات الشرب، وأغاني التاريخ لسرد المواقف والأحداث والتاريخ، وأشعار الإهداء التي واستخدام وزن الشعر الإليجي في النقوش التي تم حفرها على الأشياء، وشواهد القبور التي توضع عليها نقوش بالوزن الإليجي أو يوضع اسم المتوفى ومكان عيشه، وأخيراً المراثي، فاستخدم وزن الشعر الإليجي منذ وقت مبكر في البيلوبونيز[5].

سافو

إحدى أشهر شاعرات الاغريق، ولدت في (612-570ق.م) في مدينة اريزوس بجزيرة ساموس، عُرفت برقة أشعارها، ولها تسعة دواوين شعرية، وكان لها تأثير في الحياة السياسية في جزيرة لسبوس، إذ انتقلت مع أسرتها عندما كانت طفلة إلى مدينة ميتيلين إحدى مدن هذه الجزيرة[6].

بدأت الحياة الأدبية في عمر التاسع عشر من عمرها، ولم تكن الفتاة الجميلة بمواصفات الجمال الاغريقي، فكانت نحيفة، سمراء البشرة، قصيرة القامة، سوداء العينين، إلا أنها اشتهرت بالرقة واللطافة والجاذبية والذكاء والأنوثة والثقافة العالية، كانت تصف نفسها بأنها تشبه قلب طفل، وكانت عاطفية شديدة التأثر، ومدحها الشاعر الإغريقي آلقيوس في قصائده الشعرية ووصفها بالزهرة الرقيقة النقية

(1) ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج15، ص232.

(2) أرسطو، دستور الأثنيين، تعريب: الأب أوغسطينس بربارة، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2013، ص29.

(3) أحمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ص110.

(4) المصدر نفسه، ص ص114-115.

(5) المصدر نفسه، ص ص104-105.

(6) أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ص106.

الباسمة، ورغبته في الحديث معها إلا أن خجله منها هو الذي يمنعه من ذلك، فردت عليه سافو لو أن نواياك شريفة لأفصحت عما يدور في خاطرك، ولم تستمر العلاقات فيما بينهما، وافترقا[1].

وهي من كُتاب الشعر الليسبوسي أو الميليكي، ومن الذين برعوا فيه، فالشعر الميليكي هو شعر غنائي فردي يغنيه شخص واحد فقط، وتواجد الشعر الميليكي الليسبوسي في جزيرة ليسبوس[2]، وكان ناضجاً في تكوينه، والذي زاد من إنتاج أشعارهم ابتعادهم عن التدخل في الأمور السياسية، وتناولت موضوعاتهم الشعرية وصف الأطعمة وأشكالها أنواعها، وموضوعات أخرى عن الحب وشرب الخمر، وتميزت لغة كتابة شعرهم بالسلاسة والخلو من التعقيدات والزخارف والكلام المنمق، وبحورها وأوزانها سهلة قصيرة الفقرات، ثم انتقلت سافو الى صقلية بعد أن عاشت سنوات في ليسبوس، وأبدعت أيضاً في كتابة الشعر الهجائي، وهجت أخاها الذي سقط في حب امرأة، وبرعت في كتابة قصائد شعرية عن الجمال والغزل والحب، وأنشأت معهداً لتعليم الفتيات أصول وأساسيات الشعر[3].

وهناك من شعراء الرثاء ثيوجينيس، وشعراء الأغاني مثل سيمونيديس وبندار، وتحمل أفكارهم النصائح الفكرية السياسية، لاسيما أن بندار كانت نظرته في أشعاره حزينة ومصدر المأساة الاغريقية، وجعل من كتاباته مصدر رزق له، وكذلك سيمونيديس، كانت تُكتب وتُصاغ حسب ذوق وما يرغب به المشتري[4].

بدأت صورة الشعر القصصي الملحمي والغنائي يتحول إلى صورة جديدة أكثر امتاعاً لدى الناس في بلاد الاغريق، فأصبح يُعرض الشعر بطريقة التمثيل، وتُجرى القصائد الشعرية من خلال أشخاص يمثلون الآلهة والأبطال، دون أن يخلو التمثيل من الغناء والرقص، وفي بعض الأحيان كان يشارك الشعراء بأنفسهم في تمثيل أشعارهم أمام الناس وفي الاحتفالات والمناسبات، ثم نشأة جماعة الممثلين المحترفين، فاكتفى الشعراء بتوجيه الممثلين في أشعارهم[5].

ويمكن القول إن الشعر بكل أشكاله هو مظهر ترفيهي مسلي للأفراد والجماعات والشعوب، سواء كان شعراً ملحمياً أو غنائياً، قصصياً أو مسرحياً، حزيناً أو سعيداً، فكان شعب الاغريق يستمتع ويرى فيه الفن والراحة والهدوء والترويح عن النفس.

---

(1) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص166.

(2) جزيرة توجد شمال أيونية، وتنافس البلاد والمدن اليونانية بتجارتها وخيراتها وشعرائها العظماء. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص164.

(3) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، ص17.

(4) ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج15، ص232.

(5) أندريه جيد، أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية، ترجمة: طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1946، ص16.

المبحث الأول/ الموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية

الموسيقى والرقص والغناء

تعد الموسيقى والرقص من أهم الفنون التي اعتبرها الإغريق باباً من أبواب الترفيه وأصبحت ثقافة في جميع أرجاء الإمبراطورية الإغريقية آنذاك[1]، إذ كان من لفظ Mousike عند الاغريق أول الأمر هو الولاء لآلهة الفن Muse، وكان مجمع أفلاطون العلمي يطلق عليه اسم (Museion)، أي متحف (Museum)، ومعناه مكان مخصص لربات الفن (Muses)، وكان تمارس في معابد هذه الآلهة أنواع من النشاطات الثقافية الكثيرة، وعزف الموسيقى كان جزءاً من هذه النشاطات، وتجدر الإشارة إلى أن متحف الإسكندرية جامعة كانت تجري فيها ضروب النشاط الأدبي والعلمي، ولم تكن مكاناً تجمع فيه التحف فقط، وكانت الموسيقى ترافق هذه النشاطات، ولعل ذلك يشير إلى نوع من الترفيه الذي كان سائداً في مثل هذه الأماكن الثقافية، أي إن الاغريق اهتموا بهذا النوع الراقي من الترفيه، والذي بقى منتشراً وسائداً في كثير المتاحف العالمية وإلى يومنا هذا[2].

أدت الموسيقى دوراً مهماً جداً في كل جانب من جوانب الحياة لدى الاغريقيين القدماء، إذ كانت تسمع في تجمعاتهم العامة، وفي حفلات العشاء الخاصة بهم، وفي احتفالاتهم، سواء كانت سعيدة أم حزينة، إذ كانت الموسيقى تعزف في المعابد وبكل أنواع التعبدات، وكلما دعا الناس الآلهة أو صلوا وشكروا، وكانت تسمع الموسيقى في مسارحهم، وفي ملاعبهم الرياضية عندما يتنافس الرياضيون، كما كانت الموسيقى تعزف في مدارسهم، وحتى في ساحة المعركة وعلى سفنهم الحربية[3].

ولم تكن الموسيقى بعيدة عن المهرجانات الدينية الكبرى التي تقام في بلاد الاغريق، إذ عادة ما تكون في المهرجانات تكريماً لواحد أو أكثر من الآلهة، فضلاً عن أنها تُعد مظهراً من مظاهر الحياة السعيدة الهادئة للإغريقيين القدماء، وهي وسيلة للتعبير عن المشاعر والتواصل والترفيه[4].

ومن الآلات الموسيقية الشائعة آنذاك هي: القيثارة والناي والآلات الايقاعي، وكان الاغريقيون يصنعون من ساق القصب ناياً للعزف من خلال صقل الساق وعمل بعض الثقوب فيه لتصدر أصواتاً

---

(1) عبيد نصر الدين، الحضارة الاغريقية، تاريخ اليونان، الادب والفلسفة والفنون، محاضرات جامعية مطبوعة على موقع جامعة سعيدة، الجزائر، 2020، ص10.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج١، ص٤١٣.

(3) John G. Landels, Music in Ancient Greece and Rome, This edition published in the Taylor and Francis e-Library, London and New York, 2002, p. 1.

(4) Louisa Sakka, The Power of Music A comparative study of literature and vase paintings from Classical Athens, Master's Thesis, University of Uppsala, Sweden, 2009, p. 9.

جميلة في أثناء العزف عليه، وفي بعض الأحيان يستخدم الموسيقيون آلة الناي المزدوجة، وتتكون هذه الآلة من ناي ذكر وناي أنثى؛ والناي الذكر هو الناي ذو النغمة الغليظة ويحمل في اليد اليمنى، أما الناي الأنثى فهو العكس من ذلك فتكون نغمته رفيعة ويحمل في اليد اليسرى، تعمل الآلة عن طريق النفخ بالناي المزدوج ويكون النفخ بطريقة توافقية بسيطة[1].

وتطور الناي في ما بعد عند الاغريق، إذ قاموا بسد الثقوب الموجودة فيه، وتحول الناي إلى آلة أخرى تسمى (البوق)، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ بوزنياس[2]: ((**إن موسيقى الناي كانت في العادة مقبضة وكانت تستخدم على الدوام في ترانيم الدفن والمراثي؛ ولكننا لا نظن أن الأولترادي Auletredai أو الفتيات الاغريقيات السامرات النافخات في الناي كن مبعث الكآبة والانقباض**))[3]. (ينظر الشكل 30)

أما بالنسبة لآلة القيثارة فهي تعد آلة ذات أهمية موسيقية كبرى، وكانت لها مكانة مرموقة[4] (ينظر الشكل 31).

ويرجح أن تكون هذه الآلة واحدة من تأثيرات الحضارة الرافدينية في حضارة الإغريق، إذ وكما هو معروف أن القيثارة السومرية التي عثر عليها في أور والتي يرجع تأريخها إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، أول قيثارة عرفت في العالم القديم.

ولم يكن عازف القيثارة الإغريقي ينحني عليها وهو يعزف عليها، وإنما يبقى واقفاً مستقيم الظهر، وقد دأب عازفو القيثارة على التغني والعزف بجمالية وعذوبة، واستخدموا أصابعهم بالعزف على أوتارها، وتطورت القيثارة فيما بعد إلى آلة الغيتار التي تشبهها قليلاً في الأداء الموسيقي، وأدى التطور في مجال الموسيقى عند الإغريق إلى ظهور سبعة دواوين مقامية جديدة منبثقة عن ثلاث سلالم موسيقية رئيسة، وهي كالآتي[5]:

- الدوري Dorian
- ما تحت الدوري Hypodorian
- الفريجي Phrygian
- ما تحت الفريجي Hypophrygain

---

(1) عبيد نصر الدين، الحضارة الاغريقية، ص١٠.

(2) رحالة وجغرافي اغريقي (180–110ق.م)، اشتهر بمصنفه (وصف الاغريق).

Christian Habicht, An Ancient Baedeker and His Critics: Pausanias "Guide to Greece", American Philosophical Society, Proceedings of the American Philosophical Society, Vol. 129, No. 2 (Jun., 1985), p. 220.

(3) عبيد نصر الدين، الحضارة الاغريقية، ص١٠.

(4) شيماء المريني، الموسيقى اليونانية، عراقة وتفرد في الابداع، 26، 1، 2017، مدونة Aljazeera.net.

(5) المصدر نفسه.

- الليدي Lydian
- ما تحت الليدي Hypoladian
- الليدي المختلط MyxoLadian.

وتعد الموسيقى في حضارة الاغريق عريقة وأساسية لنمط وملمس حياتهم، وشملت جيلاً من الفلاسفة والمبدعين[1]، لاسيما الموسيقيين الرواد مثل: فرسينس وبوليسيدوس في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، إذ عمد هذان الموسيقيان إلى العمل على ابتكار أنماط جديدة من الموسيقى، واستطاعوا إثراء الفن الاغريقي بما في جعبتهم من أبداع وذائقة موسيقية رائعة[2].

وألف الشعراء الاغريق أيضاً شعر يطلق عليه بالشعر الغنائي تستعمل فيه غنائه آلة القيثارة الاغريقية وآلة الناي، وكان الشاعر عادة يقول الشعر ويلحنه ويغنيه، ولهذا كان الشعر الغنائي في بلاد الاغريق منتشراً ومعروفاً، بل كان يعد جزءاً مهماً من وسائل الترفيه في حياتهم[3].

وكان (بيندار) أشهر شاعر في المدة الكلاسيكية، وهو ارستقراطي من مدينة طيبة، المدينة الرئيسة في بيوتيا الواقعة شمال اتيكا، وقد أشتهر بقصائد النصر التي ألفها تكريماً للفائز في الألعاب الهيلينية الأربع، بتكليف من الطبقة الأرستقراطية أو الحكام[4].

وامتزج الرقص بالغناء ورافقه في أرقى صورة كواحد من أهم وسائل التسلية والترفيه عند الاغريق، ومزج بالغناء الجماعي حتى أصبح فناً واحداً، إذ إن كثيراً من أنواع الموسيقى الحديثة ومصطلحاتها كانت مرتبطة بالرقص، ولم يقل الرقص في قدمه وانتشاره عن الموسيقى عند الاغريق[5]، فهو يعد هوية سكان بلاد الاغريق القدامى، إذ كانوا يعتقدون بأن الرقص هو هدية مقدمة من قبل الآلهة إليهم، لذلك بذلوا جهوداً حثيثة من أجل بقاء الرقص في حياتهم، بل وحتى طوروه، وارتبط الرقص بجوانب كثيرة من حياتهم، ولم يكن مرتبطاً بالأفراح ومراسيم الزفاف فحسب، وإنما أيضاً جعلوه مرتبطاً بالاحتفالات الدينية، ويعتبر الاغريقيون الرقص تعبيراً عن هويتهم وحياتهم اليومية الاجتماعية[6].

---

(1) Michael Norris, Art Greek, Library of Congress Cataloguing-in-Publication Data, New York, 2000, p.20.

(2) Greece, New World Encyclopedia. https://www.newworldencyclopedia.org/entry/greece.

(3) عبيد نصر الدين، الحضارة الاغريقية، ص ص10-11.

(4) Michael Norris, Art Greek, p.21.

(5) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص٤١٧.

(6) Greece, New World Encyclopedia. https://www.newworldencyclopedia.org/entry/greece.

ويصف أفلاطون الرقص بأنه ((**الرغبة الفطرية في شرح الألفاظ بحركات الجسم كله**))[1]، وهذا ما تفسره بعض اللغات الحديثة، اما أرسطو طاليس فقد وصف الرقص بأنه "تقليد الأعمال، والأخلاق، والعواطف، بطريق أوضاع الجسم والحركات الإيقاعية"، وكان سقراط نفسه يرقص، إذ أنه يمدح هذا الفن لأنه يهب الصحة لكل جزء من أجزاء الجسم[2].

وتعد هذه الفنون كلها من شعر غنائي واغاني وموسيقى ورقص، وثيقة الصلة بعضها ببعض عند الاغريقيين، وأحد أهم وسائل التسلية والترفيه عندهم[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المنافسة ما بين كبار السن والشباب لم تكن كبيرة، وإنما كانت في أنواع محددة من الألعاب الرياضية، لاسيما تلك التي تسمح بمشاركة رياضيين بمختلف الأعمار، مثل سباق الخيول أو رمي القرص أو رمي الرمح، فهذه الرياضات سمحت للشباب وكبار السن بالمشاركة فيها معاً، إلا أنها أعطيت الأولوية للشباب فيما بعد، وذلك بسبب نظريات التعليم التي أدخلت من أجل الحصول على المدينة الفاضلة، إذ بذل افلاطون جهداً من أجل تعليم الصغار للحصول على شباب قوي، فضلاً عن المنافسة الكبيرة التي كانت قائمة بين الجيلين في فنون الشعر والنثر والمسرحيات، إذ أن أداء كل طرف يثبت جدارته في الفن الذي يتقنه حتى جاء سوفوكليس، الذي يعد من أعظم الأدباء عند الاغريق، إذ كتب عدد من المسرحيات التراجيدية التي لا يزال الأدب الاغريقي زاخراً بها، وما يزال العديد من الأدباء والنقاد يتحدثون عن كتاباته، واقتبس سوفوكليس موضوع مسرحياته من التراث الأسطوري السابق عليه، وهو تراث يزخر بقصص ذات مغزى عن آثام البشر وعن اللعنة المتوارثة التي اعتقد الإغريق أنها تحل بأفراد ينتمون إلى أسر شهيرة في الماضي الغابرة بسبب الأوزار التي اقترفها أحد أسلافهم، ورغم أنه لا توجد وسيلة أكيدة تمكن الدارسين من تحديد زمن كل مسرحية من مسرحيات سوفوكليس بدقة، إلا أن معظمهم أجمع على أنه يرجع تاريخ عرض مسرحية أنتيغون في نحو 440ق.م، وتقول إحدى الروايات أن سوفوكليس أنتخب لمنصب قائد عام بعد عرض مسرحية أنتيغون كمكافأة له[4]، وسنفصل عن سوفوكليس في الصفحات اللاحقة.

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص٤١٨.

(2) المصدر نفسه، مج2، ج2، ص٤١٨.

(3) المصدر نفسه، مج2، ج2، ص٤١٨-٤١٩.

(4) علي عبد الأمير، تاريخ فن المسرح، دراسة لمسرحية انتجونا سوفوكليس، محاضرات ألقيت في قسم التربية الفنية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، 2016، ص1.

الألعاب البهلوانية

يطلق على الألعاب البهلوانية مصطلح الأكروبات acrobatics، وجاءت من اللغة الاغريقية τέω^βα−ἀκρο، والتي تعني السير على أطراف الأصابع[1]، وتعني في العربية بهلوان أو بهلوانية (اسم مؤنث منسوب إلى بهلوان)، ويعني البراعة في بعض الألعاب والحركات التي تثير الإعجاب[2]، وتعرف في اللغة الحديثة بأنها أداء حركات جسدية على نحو غير عادي، وذلك بجسد المرء وأحياناً باستخدام جهاز أو اداء غير طبيعي للجسم[3].

والحركات البهلوانية يمكن أن يكون معناها مرتبطة بالحركات التي تشمل: حركة الرأس الشقلبة والاستناد على اليدين والقفز، ولعل أقدم إشارة إلى الألعاب البهلوانية ما نراه في تصوير شخص يقفز على ظهر ثور من الحقبة المينوية (ينظر الشكل 32)، إذ كان القفز على الثيران نشاطاً بهلوانياً معقداً للفتيان والفتيات الصغار، وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد كانت الرياضة الشعبية التي تمارس هي الشقلبة التي كانت انتقلت إلى جزيرة كريت من الشرق ولاسيما من مصر، وكان الشباب هم من يقوم بأداء الشقلبة بغية التسلية والترفيه[4].

وتجدر الإشارة إلى أن الرقص القديم كان عبارة عن مزيج من عناصر الرقص والجمباز وحركات بهلوانية في بعض الأحيان، إذ كانت الرقصة مصحوبة بموسيقى الفلوت التي غالباً ما كان الراقصون يضبطون إيقاع حركاتهم عليها، نظرًا لصعوبة هذه الرقصات، واختلفت هذه الرقصات عن فئات الرقص الأخرى في بلاد الاغريق القديمة، لأنها تتطلب تدريباً مكثفاً واتقاناً للحركات وقدرات أداء ممتازة، ويعد هذا هو السبب في عدم أدائها من قبل العديد من الراقصين، إذ كانت تؤدى من قبل عدد قليل من المحترفين[5].

(1) Henry George Liddell, Robert Scott, A Greek-English Lexicon, revised and augmented throughout by, Sir Henry Stuart Jones, with the assistance of Roderick Mckenzie, Clarendon Press, Oxford, 1940.

(2) ابراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، القاهرة، 2004، ص74.

(3) Jonathan R. Vickers, The Acrobatic Body in Ancient Greek Society, The University of Western Ontario, 2016, p.5.

(4) Aikaterini Frantzopoulou, and others, Acrobatic Gymnastics in Greece From Ancient times to the Present Day, Vol.18, No.4, Aristotle University of Thessaloniki, Greece, 2011, p.p.339-340.

(5) Aikaterini Frantzopoulou, and others, Acrobatic Gymnastics in Greece From Ancient times to the Present Day, p.p.339-340.

المبحث الثاني/ المسرح الاغريقي ودوره في التسلية والترفيه

اختلفت الآراء حول بداية ظهور فن المسرح، فمنهم من رأى أن بدايته كانت في مصر القديمة قبل الميلاد بأربع ألاف سنة[1]، ومنهم من رأى أن بداية المسرح كانت في بلاد الاغريق في القرن الخامس قبل الميلاد[2]، إلا أن الراجح أن بدايات المسرح ترجع إلى الاغريق، لأن المسرح الاغريقي تطور وانتقل من معابده إلى معالجة الموضوعات الدنيوية، على عكس المسرح المصري الذي ظل حبيس حول معابده دون تطورات تذكر[3].

اتصف الاغريق بخيال شعبه الواسع، وما ابتدعوه من خرافات عن الآلهة والكون والعبادات الدينية، وقصص بطولية اختلط بها الخيال بالحقيقة[4]، إلا أن المسرح الاغريقي أعطى تمثيلاً واقعياً لوجود حقيقي[5].

إن الهدف من ذهاب الناس لمشاهدة مسرحية ما، أو حفل موسيقي، أو متابعة مشهد تمثيلي، أو مشاهدة أحد ممثلي الكوميديا في صالة عرض، أو الذهاب لحضور مهرجان سرك في احتفال، أو حضور خطاب سياسي لحملة انتخابية، هو التسلية والترفيه، فللوهلة الأولى نظن بأن هناك فروقات واختلافات في كل هذه النشاطات، إلا أن جميعها كان يُعدها شعب الاغريق أشكالاً من الترفيه والتسلية والترويح عن النفس[6].

وللمسرح أهمية كبيرة عند مجتمع الاغريق غير التسلية والترفيه، أنه يؤدي خدمة جليلة عظيمة في ترتيب الحياة وتعديل السلوك الإنساني والأخلاقي، ولاسيما للناس العاديين الذين يفتقرون للأفكار والأخلاق السليمة[7].

وتشتمل العروض المسرحية على الاحتفالات الدينية والعروض الغنائية والتمثيل، **فالاحتفالات الدينية:** ظهرت بدافع تكريم الآلهة وشكرهم، للاعتقاد بأنهم السبب في زيادة الحصاد أو الشفاء من

(1) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ترجمة: محمد أحمد محمود خطاب، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ت)، ص7.

(2) كمال ممدوح حمدي، الدراما اليونانية، دار المعارف، القاهرة، 2019، ص5.

(3) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص7.

(4) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ص59.

(5) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ترجمة: شاهر حسن عبيد، دار الحوار، سوريا، 2018، ص120.

(6) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون – عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص15.

(7) والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 1993، ص73.

الأمراض، فيتم إرضاؤهم بإقامة الاحتفالات الدينية التي يصحبها الرقص والغناء، ولأجل مناسبات وطقوس أعياد ميلاد الآلهة والزواج والموت وغيرها؛ **والعروض الغنائية:** جاءت بدافع تشويق الجمهور بين مقاطع المسرحية بوصلة غنائية تمثيلية من نفس موضوع المسرحية، وإضفاء أجزاء ترفيهية تُضفي نوعاً من الروعة والجمال على المسرحية من خلال الكورال وأفراد الجوقة أو الكورس؛ **أما التمثيل:** فجاء بدافع ترجمة القصص والشعر اللفظي الذي كتبه المسرحيون ليُعالج أخلاق وأفكار وقضايا الناس والمجتمعات الاجتماعية والسياسية، وتصوير أساطير الآلهة بطريقة بسيطة للمشاهدين وتبصيرهم بحياتهم بشكل يتقبلونه بعرض مسرحي يحمل رسائل تحذيرية توعوية[1].

أولاً/ الاحتفالات الدينية

تُعد الاحتفالات الدينية أصل نشأة المسرح في بلاد الاغريق، ولم يكن المسرح سوى معبد لإقامة الحفلات الدينية[2]، وتدور تلك الاحتفالات حول عقيدة الإله ديونيسوس (إله الخمر والحصاد والثمار)[3]، وكان اليونانيون يقومون بهذه الاحتفالات ابتهاجاً وشكراً وابتهالاً وتضرعاً للقوى الإلهية التي تحكم الطبيعة، إذا زاد أو نقص المحصول، وتستهدف هذه الاحتفالات تصوير أسطورة الإله التي اعتقد الاغريق أنها تعبير عن ألامه وأحزانه وأفراحه، فمع تعاقب الفصول تمر شجرة الكروم في الشتاء بفقدان الحياة ثم تعود إلى الحياة في الربيع، وكأنها تعود مرحة سعيدة، ثم تتفتح البراعم والأوراق، ومع قدوم الصيف تظهر الثمار، وتنضج مع اقتراب الخريف، فكان يتصور الاغريق مراحل الألم والفرح والانتصار التي يمر بها الإله ديونيسوس[4]، فالاحتفالات الدينية كانت خليطاً من الشعائر التي تتحدث عن قصة الإله بالرقص والغناء والفكاهة والتسلية[5].

ومن تلك الاحتفالات الطقوس السرية التي كانت موجودة وتمارس في عبادة ديميتر (ربة القمح) في احدى ضواحي أثينا وهي اليوسيس[6]، بعد الولادة الثانية لديونيسوس وهو طفل، وبعد اختفاء ابنة ديميتر نشأت عبادة ذات طقوس سرية، فكانت الاحتفالات تتم وقت حصاد القمح، ويسير موكب الاحتفال نحو البحر، ويغتسل المشاركون في البحر حاملين معهم الأدوات المقدسة التي جاءوا بها من اليوسيس، وتقام الطقوس الدينية ليلاً بقاعة الأسرار الدينية المضاءة، ويلتزم المشاركون بعدم الإفصاح

(1) ادوارد الخراط، فجر المسرح- دراسات في نشأة المسرح، دار البستاني، القاهرة، 2003، ص129.
(2) محمد كامل عياد، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، دار الثقافة، بيروت، 1960، ص37.
(3) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص7.
(4) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ت)، ص13.
(5) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص190.
(6) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج6، ص422.

عن ما حدث داخل قاعة الأسرار الدينية وإلا حلت عليهم اللعنة، وكانت التراتيل تغنى داخل القاعة، وتقام الطقوس والشعائر الدينية لهذه العبادة غير المعروفة شيء عنها سوى ما ذكرناه[1].

وكان يُغنى في الاحتفالات الدينية أشعار جادة تُظهر تقلبات الحياة وخضوعها لقوة كبيرة تسيطر عليها وما يتصل بذلك من صراع، والألم يعد أصل المأساة أو المسرحية التراجيدية، وما يتصل بالفكاهة والمرح هو أصل الملهاة أو المسرحية الكوميدية[2].

ومن الاحتفالات الدينية أيضاً طقوس الميلاد ولاسيما ميلاد الإله ديونيسوس[3]، وطقوس البلوغ والزواج والموت وتنصيب الملك الشاب للحكم بدل الملك الشيخ، واللقانة والتي من شعائرها انضمام صبيان القبيلة الصغار إلى صفوق الرجال ليُلقنوا أسرار القبيلة[4].

وقد كان الاغريقيون يستخدمون الأصباغ لدهن الوجه، واللحى من أوراق الشجر، وأقنعة مصنوعة من قشور الأشجار في احتفالاتهم وطقوسهم الدينية[5].

ويُعبر عن الاحتفالات الدينية بصور فرح وصرخات من الأعماق أو بكاء شديد يعبر عن الاشتياق والحنين لأشياء فقدت دون رجعة، فكانت هذه الاحتفالات تكشف عن صفات موجودة في الطبيعة، وهي تبكي تحللها وتحولها إلى حالات فردية، وكانت الأغاني والحركات التي يؤديها المشاركون في الاحتفالات أمراً غريباً، وكانت الموسيقى المصحوبة بالأغاني هي التي تشعر الجمهور بالرهبة والروعة[6].

(1) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ص59.
(2) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص191.
(3) جميل التكريتي، قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985، ص85.
(4) ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص ص129–140.
(5) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص45.
(6) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص90.

ثانياً/ العروض الغنائية

سميت العروض الغنائية الجادة عند الاغريقين بالديثيرامبوس أو الديثورامبية[1]، نسبة إلى أغنية ديونيسوس التي كانت تُغنى بقيادة مجموعة من المغنيين، وأصبحت هناك مجموعات غنائية منتظمة سُميت بالجوقة[2]، وللجوقة أبعاد واضحة في اختيار المغنيين وموضوع الغناء، وانتقلت مثل هذه الأغاني الجادة إلى أثينا ولاسيما في احتفالات أعياد ميلاد الإله ديونيسوس، وتقدمت العروض الغنائية الجادة في أثينا، فلم تعد تقتصر على سرد الأحداث فقط، بل تطور الأمر إلى عرض الغناء على شكل مقاطع يعرض كل مقطع موقفاً محدداً من الجانب الآخر من نفس الفكرة والموضوع، وقيل أن أريون أول من صاغ هذه المقطوعات[3].

وبهذا وصلت العروض الغنائية إلى قمة نضوجها، وكانت مقدمة لظهور التراجيديا الاغريقية[4]، إلى أن طرأ تطور جديد وهو دخول عنصر الموسيقى المكون من أنغام القيثارة والناي[5]، والتي اعتبرها أرسطو أنواعاً للمحاكاة، وذكر بأن الموسيقى تفوق قدرتها في المحاكاة قدرة العلوم والفنون الأخرى، فالإيقاعات والألحان والأنغام تعبر عن الصورة الحقيقية الصادقة للحزن والغضب والفرح والاعتدال وغيرها من الصفات الأخلاقية[6].

وتأثير الموسيقى يرجع لإيقاعاتها المنتظمة المنبعثة من موجات صوتية، وتقدم في أشكال صوتية جميلة تحرك الإحساس، ويمكن استنتاج عناصر موسيقى الديثرامب الديونيسية من أتباع ديونيس، الذين أعجبوا كثيراً بموسيقى الديونيسية[7].

وترجع العروض الغنائية إلى نزعتين في طبيعة الإنسان، هما: نزعة إلى المحاكاة، ونزعة إلى الإيقاع وتتمثل في "الجوقة":

---

(1) هو فن شعري وأغاني تغنى في احتفالات أعياد ميلاد إله الخمر باخوس، وتطور الديثرامبوس أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وبدأ يفقد أهميته في القرن الرابع قبل الميلاد. للمزيد ينظر: والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص61.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص37.

(3) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص14-15.

(4) هي تراجيديا مسرحية قامت على الدين والأساطير، وقيل بأن المأساة اليونانية أشد قتامة وبؤساً من المآسي الإنجليزية. للمزيد ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص311.

(5) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص281.

(6) والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص61.

(7) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص91.

المحاكاة: فالمحاكاة فطرة وغريزة إنسانية تظهر منذ طفولة الإنسان لوجود اللذة في المحاكاة[1]، وهي أسلوب من الشعر بنوع آخر، وهناك أنواع من المحاكاة القصصي والمسرحي، والقصصي يتكون من قصصي مختلط وقصصي خالص، ويمكن المحاكاة عن طريق القصص، إما أن تُروى على لسان شخص كما يفعل هوميروس وسوفوكليس، أو يقصصها الشخص عن نفسه صاحب القصة[2].

الجوقة: وتُعد الجوقة أهم المقومات البشرية في المسرحيات الاغريقية[3]، فجعل أريون الجوقة في مكان ثابت وعلم أفراد الجوقة الغناء بالدرجات، وابتكر أريون ألحان وأنغام تناسب جوقة الساتوري، فأصبحت الطقوس تقام لعبادة ديونيسوس وتؤثر في النفوس[4].

زاد عدد الجوقة أيام سوفوكليس لخمسة عشر فرد بعد أن كانت اثنا عشر فرداً، وقل دور الجوقة، وقل الغناء في المأساة عن أيام أيسخولوس، والتي كانت أول مسرحياته في التمثيل غنائية أكثر منها تمثيلية كالمتضرعات والفرس[5].

هَدَفَ الفن المسرحي إلى إضفاء أجواء من التشويق على أغاني الجوقة، فكانت تُعد الجوقة الدرجة الأولى في المسرحية، حتى ضعفت نهاية القرن الثالث لصعود قيمة التمثيل عليها[6].

وكما ذكرنا أن الجوقة أو الكورس هو الأساس في المسرحية، والمشهد المثالي للجمهور يجسد الطبقة العامة بطريقة نبيلة في المسرحية، فهذا التفسير يراه بعض السياسيين في القانون الأخلاقي لديمقراطية أثينا والمتمثل في الكورس كان مصيباً في حكمه على الأفعال والتصرفات المتطرفة الصادرة عن الحكام، والأفعال العاطفية الصادرة عن الناس العاديين، وتجسيد لكلمة قالها أرسطو: ((**أنه لا يمكن أن يكون للكورس أو الجوقة تأثير في تكوين التراجيديا بسبب التعارض بين طبقة العامة وطبقة النبلاء لابتعادهم عن القضايا السياسية والاجتماعية**))[7].

ويمكن تلخيص دور الجوقة في التالي؛ أولاً: توضيح المواقف والأحداث والتعليق عليها، وتخفيف حدة القلق والتوتر الذي يشعر به المشاهد في مواقف المأساة العنيفة مع ارتباطها بنفس موضوع موقف المسرحية؛ ثانياً: اشتراك الجوقة في حوار المسرحية، وقيامها بدور الممثل بغناء لا

(1) أرسطو، فن الشعر، ص ص12-13.
(2) المصدر نفسه، ص10.
(3) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص212.
(4) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص15.
(5) المصدر نفسه، ص22.
(6) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص213.
(7) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص ص118-119.

يخرج عن موضوع المسرحية؛ ثالثاً: تعبر عن الرأي العام من خلال مدح الأفعال الطيبة النبيلة، وذم الأفعال السيئة الشريرة، وتقف إلى جانب بطل المسرحية وتنتقده إن حرف طريقه نحو الباطل[1].

ثالثاً/ التمثيل

التمثيل لغة: هو مماثلة بين شيئين بينهما صفات مشتركة أكثر من الصفات المُفرقة، أو أن ما بأحدهما مماثل لما في الآخر[2]، وهو تمثيل واستعارة عما يخرجه المتكلم عن الأفعال السائرة في الحياة[3]، وهو أن تمثل شيئاً في إشارة لشيء آخر[4].

أو أن يريد المتحدث أو المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظ قريب من لفظه في الموضوع، وإنما يأتي بلفظ بعيد يصلح لأن يكون مثالاً[5].

واصطلاحاً: يطلق التمثيل على فنون بلاغية عدة[6]، وعلى ما ليس من كلام العرب من الشعر والنصوص لأجل البيان والتوضيح[7].

فإذا ما جاء التمثيل في أعقاب المعاني، وبرز مختصراً في طريقة العرض جعل ذلك التمثيل في أبهى صورته وجماله، وأعطاه قوة عظيمة في تحريك النفوس، وجلب الفرح والسرور محبتاً وتسلية وترفيهاً وإقبالاً عليه[8].

وانحصر الفن في التمثيل في القرن السادس قبل الميلاد في قصة من الشعر يلقيها الممثل مع أغاني الجوقة، ورثاء للإله، وحركات تدرب عليها الممثل، وكان قد أقبل سكان الاغريق على فن

(1) محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، ص ص68-70.

(2) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002، ج1، ص523.

(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ط4، دار الرشيد، بيروت، 1418، ج12، ص295.

(4) الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981، ج1، ص277.

(5) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ج1، ص214.

(6) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص523.

(7) عبد الرحمن الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، دار المنهاج، السعودية، 1431هـ، ص61.

(8) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 2005، ج1، ص115.

التمثيل وأحبوه، واعترفت الدولة الاغريقية بهذا الفن للإقبال الشديد عليه[1]، وعلى الرغم من أن الفن المسرحي لم يهدف في البداية إلى التمثيل، وإنما كان عامل لإضفاء أجواء من التشويق على أغاني الجوقة، وظلت الجوقة تحتل المكانة الأولى في المسرحية، حتى بدأ دور الجوقة يضعف، وازداد دور الممثل تدريجياً، حتى اختفى دور الجوقة نهائياً في القرن الثالث[2].

إن الاغريقيين القدامى في مرحلة المجتمع القبلي كانوا يمثلون أساطير الآلهة وأعياد ميلادهم وألآمهم وأحزانهم تمثيلاً تصحبه الموسيقى والرقص، ولاسيما تمثيل أساطير كبير الآلهة زيوس، وقصة اختطاف إله القمح بيرسيفوس، وقصة إله الخمر ديونيسوس، فهذه الأساطير جميعها كانت تؤدى بالغناء والرقص والتمثيل، وبمشاركة الجمهور[3].

ولو تصورنا تمثيل أسطورة ميلاد زيوس، والتي كانت تؤدى على نحو درامي مرتبط بالرقص والترانيم وهي كالآتي: آلات موسيقية اغريقية كالناي وقيثارة والليرا والسيمبال وطبلة يدوية، خلفية كورالية بعيدة، هبوب رياح من على جبال، صوت مياه النهر[4].

لم يكن تمثيل ميلاد زيوس إلا تصورات لطقوس وتقاليد قديمة في كريت[5]، إذ إن جماعة دينية أسرية تعرف باسم الكوريتيين تقوم بتمثيل ميلاد زيوس، وتتضمن الشعائر ابتهالاً بوصفه من عظماءهم، ولم يتم التطرق إلى مسائل إنسانية، كالواجب والعقاب والثواب ومصير الإنسان، إلا أنها حملت في طياتها إشارات ورموز خفيفة عن هذه الموضوعات، وتناولت أسطورة زيوس من بعيد أمور انقسام الأخوة إلى خيِّر وشرير، وعلاج صراع الأب والابن، وعلاقة الابن بأمه، واحترام النظام بعد الفوضى وسيادة القانون، فكل هذه الأمور تم تناولها ولكن بطريقة الابتهالات والايماءات التي لا يُفصح عنه العقل البشري، ويمكن أن يستهدف التمثيل بالإيماء نزول الأمطار في أيام الجفاف[6].

وكان تسيبياس أول من تقدم في فن التمثيل فجعل من الغناء التراجيدي المأساوي فناً تمثيلياً، وجعل الأغاني تُغنى في كل وقت بدل من أيام السنة الخاصة، وكان يؤلف الشعر ويوكل التمثيل لشخص من اختياره، وأوجد الكورس، وخلق الحوار في التأليف، وكان سبب في وجود الممثل المحترف، وكان تسيبياس يتنقل في الطرقات داخل عربة الملابس والأقنعة[7].

---

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص46.

(2) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص213.

(3) ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص130.

(4) المصدر نفسه، ص130.

(5) هي أكبر الجزر اليونانية، وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط. الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج4، ص458.

(6) ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص ص138–144.

(7) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص44–45.

غرفة الممثلين

كانت غرفة الممثلين في بداية الأمر عبارة عن خيمة صغيرة عُرفت باسم سكيني[1]، وكان مكان غرفة الممثلين قريبة من رأس دائرة الأوركسترا في مواجهة الجمهور، ثم تطورت غرفة الممثلين وأصبحت من الخشب ولها أبواب عديدة يخرج منها الممثلين حسب أداء أدوارهم التمثيلية، ومع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد استُبدل البناء الخشبي بالبناء الحجري ذو المساحة الكبيرة التي تتسع لتبديل الممثلين ملابسهم بين مقاطع مشاهد المسرحية، وتتسع لإيواء الرافعات والأدوات التي يحتاجها المسرح في إخراج المسرحيات، وكانت غرف الممثلين مُزينة من الخارج بالأعمدة وتماثيل الآلهة المُشكلة بالرسم[2].

ملابس التمثيل

كانت الملابس تتضمن الأحذية، والأثواب والعباءات الخارجية والأقنعة، فالأحذية أشكال وأنواع مختلفة منها الكعب العالي والذي يُسمى كوثورنوس، والأحذية التي يعلو ارتفاعها عشرين سنتيمتراً تُسمى كرييس، وفي أول الأمر كان لباس الممثلين عبارة عن ثوبين، الأول داخلي طويل يصل إلى الركبتين، وثوباً خارجياً يشبه العباءة أو المعطف، ويزين الثوبان بزخارف وتطريز جميل بألوانهِ المختلفة ورسومه المتعددة من الزهور والنجوم والنخيل ورؤوس الحيوانات ووجوه أشخاص[3].

وهناك ملابس خاصة يرتديها الممثلون لتمثيل أدوار معينة، فمثلاً ديونوسوس كان يرتدي في مسرحية المأساة ثوباً نسائياً أصفر اللون، والملك يلبس ثوباً أرجوانياً، والملكة تلبس عباءة مطرزة بالأحمر، والعراف يلبس عباءة حول جسمه، ولون الثوب يشير إلى دور الممثل وحالته الاجتماعية وانفعالاته، فالشيخ يلبس اللون الأبيض، والشباب يرتدون الثياب المزركشة، والخدم والعبيد يلبسون سروال أو جلباب قصير يساعده على الحركة والمشي بسرعة، أم طبقة الأثرياء فيرتدون رداء أبيض، والفقراء يرتدون ملابس بسيطة سوداء اللون[4].

أما في مسرحية الساتورية فكان يرتدي الممثلون نفس الثياب المذكورة سابقاً عدا الساتوري الذين يتحركون حول أبطال المسرحية، فكانوا يُغيرون في أشكالهم ليُصبحوا من فصيلة العنز لهم قرون وأذان وحوافر وأقنعة ذات جباه عريضة وأنوف مفلطحة وشعر مسدول للوراء، وثيابهم من وبر الماعز من

(1) طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، مجلة الجامعة العراقية، مج2، ع36، بغداد، ص525.
(2) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ص204-205.
(3) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص47.
(4) المصدر نفسه، ص ص47-48.

نفس لون البشرة، وأنواع الساتوروي أربعة وهم: أشيب وشاب وذو اللحية وأب يظهر بشكله الوقور كثير التجاعيد[1].

الأقنعة

كانت في بداية الأمر مصنوعة من القماش[2]، ثم أدخل عليها أيسخولوس تغييراً وأصبحت تُصنع من خرق توضع في قوالب ويسكب بداخلها الجبس ويُرسم عليها لون البشرة وملامح الوجه وتبرز الحواجب والشفاه، وللفم فتحة واسعة في القناع يحتوي على الأسنان، وكانت العينان تُرسم على وجه القناع، وظلت صناعة الأقنعة قديمة بدائية تعتمد على الابتسامة الجامدة المعتادة التي تتكرر في التمثيل، وبقيت الأقنعة على هذا الحال طيلة مدة زمن أيسخولوس، حتى تطورت صناعة الأقنعة بقدرة النُحات على إخفاء الابتسامة التقليدية المعروفة وتغيرها ببعض الانفعالات الهادئة والاهتمام، إلا أن النُحاتين لم يستطيعوا تصوير الحزن والألم في العواطف، أما في عهد فيدياس فقد اكتفى بصناعة الأقنعة التي تعبر عن الوجه اللطيف الهادئ[3].

الجمهور أو المشاهدون

ويمثل الجمهور عنصراً أساسياً لتكامل العرض المسرحي وتجسيد العمل لكسب رضاهم، فهم الأساس في إقامة العرض المسرحي[4]، ويختلف الجمهور في المسرح الاغريقي عن الجمهور المشاهد في العصر الحديث، ففي العصر الحديث يذهب الجمهور ليشاهد المسرحية التي يحبها في أي وقت في السنة بهدف الترفيه والمتعة والتثقيف، أما في العصر الاغريقي كان الجمهور يذهب لحضور المسرحيات والتي هي أصلاً مباريات بين الشعراء والممثلين، وكانت هذه المسرحيات تشكل جزءاً مهماً من الاحتفالات الدينية الخاصة بأعياد الإله ديونيسوس، وكان واجب على الجميع حضور هذه المسرحيات، وبالفعل كان المواطنون حريصين على الحضور، وكانت الدولة تأخذ الأمر بعين الاعتبار، فتغلق المحاكم والمصالح حتى يتمكن المواطنون من الحضور، وكانت الدولة تُفرج عن المسجونين حتى يشاركوا ويشاهدوا الاحتفالات والمسرحيات، وتصرف للفقراء مبلغاً مالياً صغيراً ليتمكنوا من الحضور ومشاهدة المسرحيات حتى لا يكون فقرهم سبب في عدم مشاركتهم في المناسبات الدينية ومشاهدة المسرحيات، وكان الجمهور يجلس في سكون وخشوع، وكان الجمهور يُعبر عن اعجابه من المشاهد المسرحية بالتصفيق وطلبات الاعادة لتلك المشاهد، أما إذا لم يُعجبهم مشهداً

(1) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص48.

(2) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص45.

(3) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص49-50.

(4) طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، ص524.

مسرحياً أو أغنية أو نشيداً، كان يدقون كعوبهم على جوانب المدرجات التي يجلسون عليها أو بالتصفير أو بقذف الممثل أو الشاعر بالحجارة أو إصرارهم على وقف المسرحية قبل أن تنتهي حتى ولو كانت في بدايتها[1].

مدرجات المشاهدين

تشغل المدرجات المكان الأكبر من المسرح، وكان المكان الطبيعي لمكان مدرجات المشاهدين هو منحدرات التلال المحاطة بساحة الأوركسترا، ويجلس المشاهدون على المدرجات ليشاهدوا عروض المسرحيات، وتطورت الأمور فأصبحت المقاعد خشبية جماعية تقام على المنحدرات المحاطة بالأوركسترا، وانتهى الأمر بالقرن الخامس ببناء مدرجات حجرية كما هي معروفة اليوم في الملاعب الرياضية، وتحيط هذه المدرجات بمساحة كبيرة من الساحة الدائرية الأوركسترا، وتكون هذه المدرجات قريبة بدرجة كبيرة من خشبة المسرح بمسافتين واحدة من اليمين وواحدة من اليسار، وهما المسافتان أو الفتحتان اللتان يدخل منهما أفراد الكورس إلى الأوركسترا، وكانت تخترق المساحة الأكبر من المدرجات من أسفل إلى أعلى عدة ممرات على مسافات متساوية يستخدمها الجمهور للوصول إلى أماكنهم أو عند مغادرة المسرح، وكانت تتسع مدرجات المشاهدين الاغريقية لعدة ألاف من المشاركين، وكان يستمع المشاهدين لعرض المسرحية مع وجود العدد الكبير من الجمهور مع عدم توفر مكبرات صوت هو أن المدرجات كانت تُبنى في حضن تل أو مجموعة من التلال فيصبح تردد الصوت واضح إلى حد كبير[2].

الديكور المسرحي

إن شهرة أيسخولوس جعلته في مقدمة الكُتاب المسرحيين الاغريقيين، فقد كان سبباً في جعل المسرح يكون في صورته النهائية الجميلة، وسار الجميع بعده على نفس التقاليد التي سار عليها أيسخولوس، وهو أول من أوجد الحركة المسرحية التمثيلية وجعل الحوار قائماً بين الممثلين، واتخذ عنصر الديكور في أداء أدوار الممثلين، إذ يُعد الديكور على المسرح عنصراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه بعد أيسخولوس[3].

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ص221-222.

(2) المصدر نفسه، ص ص209-211.

(3) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص61-62.

الأوركسترا

وهي من مقومات المسرح المادية، وهي المساحة أو المكان الذي يُقام عليه رقص أعضاء الجوقة، ويؤدون عليه الأغاني والأناشيد أثناء تأدية المسرحية، وتُعد الأوركسترا أهم قسم في البناء المسرحي الاغريقي، ومن صفات الأوركسترا الاغريقية أنها تقع على مساحة مسطحة سواء كانت سطح أو منحدر أو تلال، وغالباً ما تكون الأوركسترا بشكل مثالي دائرية الشكل، ونادراً ما تكون مربعة الشكل، ويرجع ذلك أحياناً إلى اتجاه المرتفع الصخري الذي يُقام عليه المسرح، وفي وسط ساحة الأوركسترا تُذبح القرابين الخاصة بالآلهة التي كانت تقام لها المباريات المسرحية احتفالاً بأعيادهم، وعند تناقص دور الفن المسرحي في بلاد الاغريقي وتراجع دور الجوقة، أصبح لا حاجة للأوركسترا، وأصبحت تشغل مقاعد للجمهور[1].

خشبة المسرح

هناك معدات وآلات وحيل مهمة للعرض المسرحي، استخدمت على أرض خشبة المسرح الاغريقي، ومنها: **الديستيجيا** وهي منبر إلقاء الشعر أو إبراز الممثلين لأداء أدوارهم ليقف عليها، وتكون عالية يحتاج الممثل للصعود عليها آلة خشبية أخرى، وهناك **الثيولوجين:** وهي منصة خشبية في الجزء العلوي وهي مكان كلام الآلهة، وتعمل هذه المنصة على إظهار الآلهة دون رؤيتهم وهم نازلون من الأعلى، **والماكينة:** وهي آلة رافعة تُربط بحبال وتلون بلون ديكور المسرح، وتستخدم لرفع الممثلين والهبوط بهم، **والأكوكليما:** وهي عبارة عن مسطح خشبي مستطيل له عجلات تظهر لدى الجمهور عند استخدامه للدلالة على وقوع حوادث خارج مكان التمثيل المسرحي[2]. (ينظر الشكل 33)

يتبين مما سبق أن الشعب الاغريقي اتخذ من التمثيل فناً ترفيهياً لا يمكن الاستغناء عنه في الترويح عن النفس والتسلية، فلا يقتصر هذا الفن على التمثيل للترفيه بل يتخذ أشكالاً أخرى غير التمثيل كالغناء والرقص.

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ص203-204.

(2) طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، ص527.

المبحث الثالث/ العروض المسرحية

ينقسم الأدب المسرحي إلى ثلاثة أنواع، وهي: **التراجيديا** "**المأساة**"، **والكوميديا** "**الملهاة**"، والساتوري، وحاول العلماء قديماً وحديثاً أن يوجدوا أصل كل نوع إلا أنهم لم يتفقوا على رأي نهائي، وظل الخلاف قائماً حسب ما أقرهُ الشعراء والعلماء في ذلك[1].

والعروض المسرحية تراجيديا أو كوميديا تمثل أجزاء من حفلات ديونيسوس بإشراف الآلهة والكهنة[2] في التمثيل، ويسمى ممثلي العروض المسرحية بالفنانين الديونيسيين، وقبل بدأ العرض المسرحي يوضع على المسرح تمثال ديونيسوس أمام المشاهدين، ويضحى بحيوان الإله، وكان يعد مكان التمثيل مكاناً مقدساً في ذلك الوقت، وإن ارتكب أحدهم جريمة داخل مكان العرض المسرحي عوقب لارتكابه جريمة دينية[3].

والمسرح وإلى يومنا هذا واحد من أهم وسائل التسلية والترفيه التي تدخل البهجة بين الناس، أو يقضي فيها الناس أوقات ممتعة ومفيدة، ومن خلالها تنقل أفكار ورسائل مقصودة إلى الجمهور، وسنبين فيما يأتي أنواع العروض المسرحية التي تعد من أهم وسائل الترفيه واللهو في بلاد الإغريق:

أولاً/ التراجيديا

نشأت هذه الكلمة في بلاد الاغريق، ولغوياً تعني الفاجعة أو المأساة، ونشأت بدافع معالجة الأمور الحياتية وتطهير النفوس وتنقيتها من الذنوب والأفعال الشريرة السيئة بتمثيل مسرحي وأجواء مأساوية حزينة[4]، واقتصرت في بداياتها على تصوير حياة الأشخاص العظماء، وتتصف بالجدية وقوة المشاعر والعواطف واللغة والصياغة السليمة، وتعد التراجيديا ذات قيمة إنسانية عالية، تثير المشاعر والانفعالات كتوقع الشر والإحساس بالخوف والرعب والألم لدى الإنسان[5].

---

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص39.

(2) عند اليونان لم تكن مهمة الكاهن القيام بخدمة دينية، وإنما كان شخصاً عادياً مثل أي شخص، يُعين بالانتخاب أو القرعة، ومهمته القيام بطقوس وشعائر وخدمة الآلهة. للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ص170.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج6، ص ص422-423.

(4) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص8.

(5) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص239؛ حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ط5، مكتبة العبيكان، السعودية، 2004، ص335.

وعرف أرسطو التراجيديا على أنها محاكاة الأفعال الجليلة النبيلة من خلال أشخاص يمثلونها لا عن طريق القصص، وتثير في نفوس المشاهدين الرعب والرأفة[1]، فتؤدي بهم إلى تطهير النفوس من أسوء الأفعال والانفعالات، أي تنقية أخلاق نفوس البشر من أي سوء[2].

وانبثقت التراجيديا عن العمل الغنائي الجاد، وهي البداية الحقيقية للفن المسرحي الاغريقي، فيها تُسرد المواقف إلى حوار، وتطورت التراجيديا على يد ثسبيس[3]، وتحاول التراجيديا أن تعالج المواقف والأحداث المأساوية كالقسوة والموت[4].

وكانت التراجيديا قد بدأت في صورة أغاني مرتجلة، فالتراجيديا نشأت من الديثورامبية، وهي أشعار تغنيها الجوقة تكريماً للإله[5].

إلا أن أحد النُقاد ويُدعى ردجواي يرى أن المأساة الاغريقية لا تمت إلى الأغاني والرقص الديثورامبية بصلة ولا علاقة لها بعبادة ديونيسوس، وإنما نشأت من الرقص التنكري الذي يقام عند قبور الأبطال، ومع اختلاف الآراء حول نشأة المأساة الاغريقية، فالمرجح أن المأساة نشأت من الأغاني والرقص الديثورامبي، ثم تطورت تدريجياً حتى أصبحت فناً قائماً بذاته[6].

ويرجع الفضل للأثينين في جعل التراجيديا اليونانية فناً أدبياً راقياً[7]، وظهرت المأساة في كورينثة وتطورت، ثم انتقلت إلى أتيكا واكتملت عناصرها فيها وأخذت شكلها النهائي، وتحول القاص إلى ممثل حقيقي ورئيساً للجوقة يقوم بدور أساس ممثلاً لشخصية الإله، ويقوم بأدوار عدة ويدخل داخل الخيمة ويغير ملامحه وملابسه، ويخاطب جماعة الجوقة في مواضوعات مختلفة ويرد على استفساراتهم وأسئلتهم، وتعددت الأغاني وامتلأت المأساة بالحركة والحياة، وتحولت الأشعار الغنائية إلى خطب وأحاديث[8]، ومع ظهور فكرة الحوار يمكن القول بأن الجوقة أو الكورس والتي هي الحاضنة الأساسية لحوار أو ما يُسمى بالديالوج[9].

---

(1) أرسطو، فن الشعر، ص18؛ والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص64؛ جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص ص9-10؛ جميل التكريتي، قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، ص102.

(2) مارفن كارلسون، نظريات المسرح – عرض نقدي وتريخي من الإغريق إلى الوقت الحاضر، ترجمة: وجدي زيد، المكز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص19؛ والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص58.

(3) لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص192.

(4) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص239.

(5) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص118؛ ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص16.

(6) ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص17.

(7) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص61.

(8) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص18.

(9) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص132.

أصبحت التراجيديا فيما بعد لا تعتمد على الارتجال، فأدى ذلك إلى ارتباط في أجزاء المسرحية بعد أن كانت ركيكة التركيب، بسبب أن أغاني الجوقة كانت تستوعب أجزاءً كبيرة من المسرحية، فكانت مفككة غير مترابطة، ولأن الشعراء لم يتقنوا فن تنويع المواقف في التمثيل، ثم مرت المأساة بمرحلة جديدة؛ فبعد أن كانت مجرد أغاني تكريماً للإله دينويسوس، أصبحت تتخذ موضوعاتها من الأساطير التي أدخل عليها الشعراء كثير من التعديلات لتحقيق الأهداف المنشودة، وأصبح هناك اختلاف في سرد تفاصيل الأسطورة عند الشعراء، ولم يكن تركيز الشعراء على التراث القديم حسب، بل مثلت التراجيديا موضوعات جديدة تاريخية ومعاصرة، واهتمت بمشاكل الإنسان والحياة السياسية والاجتماعية لتعكس صورة الحياة الحقيقية بصدق، وأدى طول المأساة الاغريقية وكثرة موضوعاتها إلى تأليف مجموعة ثلاثية عبارة عن ثلاثة أجزاء مستقلة، وبذلك وصلت المأساة إلى أقصى درجات الكمال[1].

فالتراجيديا رفعت من قدر الإنسان ولم تقلل من شأنه، وأكدت على أهمية شجاعة وقوة الإنسان في مواجهة الأحداث والخلافات والصراعات التي يصعب تجاوزها[2].

وقد تنقلب التراجيديا إلى كوميديا فجأة، ولاسيما إن حدث خطأ غير متوقع، ومثال على ذلك ما حدث في مشهد لطبقة (التينور[3]) وهي تغني عن الموت في أحد مسارح الريف الفقيرة التي لا تمتلك ميزانية عالية لتنظيم مسرح بمواصفات أفضل، فلم يتوفر سرير ثابت لتموت عليه الممثلة ميمي، وعندما جلس الممثل رودلفو على ركبتيه إلى جانب السرير ليعبر عن حزنه ويرثي جثة ميمي، ويودعها الوداع الأخير، اندفع السرير بكل قوة إلى جهة أخرى ناحية الكواليس، وتحول حزن ودموع المشاهدين إلى صرخات عالية من الضحك، وأصبح صعباً إعادة المشهد إلى ما كان عليه تراجيدياً[4]، فبعد أن كان المشهد جاداً ومأساوياً أصبح ترفيهياً للجمهور.

(1) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص18-20.

(2) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص240.

(3) نوع من الأصوات الغنائية الرجالية، ويعد أعلى الأصوات الرجولية ضمن طبقات الصوت الوسطى في الموسيقى الكورالية، كما تسمى بعض الآلات الموسيقية بهذا الاسم: كتينور ساكسفون. المصدر نفسه، ص241.

(4) المصدر نفسه، ص241.

أجزاء التراجيديا

تُعد حبكة المسرحية من أعظم ما تتكون منه التراجيديا بل وأعظم من الشخصيات[1]، وتتكون التراجيديا من ست أجزاء[2]: الفكرة والمشهد المسرحي والغناء والأخلاق والمقولة والخرافة[3]، وهي من الوسائل التي تتم فيها المحاكاة أو التمثيل، وتأتي بالترتيب المنظر التمثيلي المسرحي ثم الموسيقى ثم المقولة، فهذه الأجزاء الثلاثة تأتي بالمحاكاة الفعلية، والفعل يفترض وجود شخصيات لديها أفكار وأخلاق خاصة تحدد الأفعال التي هي السبب في نجاح أو فشل العمل، وأخيراً تأتي دور الخرافة والتي هي محاكاة للفعل وتركيب للأفعال المنجزة، مما يجعلنا نعطي الرأي عن صفات الأشخاص وأخلاقهم وأفكارهم بأنهم يتمتعون بكذا وكذا بكل ما يقررون[4].

والأهم في الأجزاء هي تركيب الأفعال لأن مسرحية التراجيديا لا تحاكي الناس فقط بل تحاكي الواقع والفعل والحياة، والسعادة والشقاء وهما من نتاج أفعال وأخلاق الإنسان، فلا توجد مأساة بدون أفعال، ولكن توجد مأساة بدون أخلاق، وتعد الخرافة روح التراجيديا وتأتي الأخلاق في المرتبة الثانية، وتتبعها الفكرة التي تكون قادرة على إيجاد اللغة والأسلوب الذي يقتضيه الموقف، ثم يتبعه المقولة أي الترجمة بالمقولة واللفظ عن الفكرة، ويحتل الغناء المقام الأول في المسرحية، أما المناظر المسرحية وهي السبب الأول في إغراء الناس والجمهور فهي بعيدة عن صناعة الشعر، لأن التراجيديا تبقى موجودة من غير ممثلين ومتفرجين، وأن المخرج قادر على إخراج المشاهد المسرحية أكثر من الشعراء[5].

ضعفت التراجيديا الاغريقية وماتت موتة مأساوية نتيجة صراعات لا حل لها، مخلفة وراء موتها فراغاً كبيراً في كل مكان، وبموت التراجيديا مات الشعر أيضاً، ليظهر نوعاً أدبياً جديداً وهي الكوميديا، وفي رحاب ظهور الكوميديا عاشت التراجيديا آخر أيامها[6].

(1) جميل نصيف التكريتي، قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، ص103.
(2) والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص75.
(3) محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، ص ص26-38
(4) أرسطو، فن الشعر، ص ص18-19.
(5) المصدر نفسه، ص21-22.
(6) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص152.

أبرز مؤلفي التراجيديا:

أيسخولوس

يُعد أيسخولوس من كبار الشعراء وأبا الترجيديا[1]، وكان يعيش في مدينة أثينا، وكان يعظم الآلهة، وكان لتعظيمه أثر في الأدب المسرحي الذي كان يقوم على الدين في ذلك الوقت، ولم ينغمس أيسخولوس بالحياة السياسية، وبدأ يكتب مسرحياته من الحياة العامة، وشارك أيسخولوس في حروب الاغريق ضد الفرس، وازداد سكان الاغريق فخراً بالانتصار على الفرس، وكتب مسرحية تمثيلية لانتصار الاغريق على الفرس، وشارك في مسرحياته في العديد من المسابقات وفاز فيها، إلا أن آخر أيامه هزم في مسابقاته أمام سوفوكليس في التمثيل، فتأثر حزناً بذلك، مما اضطره للرحيل عن بلاد الاغريق إلى صقلية[2].

عندما وصلت التراجيديا إلى أقصى درجات الكمال خلع أفراد الجوقة ما كانوا يلبسونه من جلد الماعز، وبعد أن كان الممثل يقوم بأدوار مختلفة ويقوم بصبغ وجهه وتغير طريقة ملابسه، زاد أيسخولوس عدد الممثلين إلى اثنين[3].

وحدد أيسخولوس لكل قصة أزياءها الخاصة، واستخدم فيها الأحذية العالية، وأصبحت الأقنعة تعبر عن ملامح ومشاعر الممثل، واهتم بأدوات والآلات التي تعطي منظراً جميلاً لمشاهد التمثيلية، وتشجيع الممثلين على إخراج شيئاً حقيقياً لا خيالاً، وارتقت تمثيل المسرحية على يد أيسخولوس والذي اعتبرهُ البعض أبا المأساة وخالقها، واتصفت المسرحيات التي نظمها بالرزانة والصرامة والصبغة الغنائية[4].

وقيل في ذلك بأن شعراء العصر لا يستطيعون تشكيل رواية مسرحية للتمثيل كالتي كان يمتلكها الأثنيين أيام أيسخولوس[5]، إذ كان يمتلك أيسخولوس أكثر من تسعين مسرحية لم يصل منها سوى سبع مسرحيات[6].

---

(1) خليل سارة، الإغريق (تاريخهم ونظمهم وحضارتهم)، ص101.

(2) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص60-61.

(3) أرسطو، فن الشعر، ص15؛ والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص59.

(4) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص20.

(5) ستانلي ادغار هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1958، ج1، ص279.

(6) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص8.

اتخذ أيسخولوس القضاء والقدر عنواناً لمسرحياته، فجعل الإنسان والآلهة يخضعون للفكرة، فجعل النزاع بين الإنسان وبين إرادة أخرى أقوى منه، وأن للإنسان هزيمة مفجعة، فيجعل ذلك أعمال الإنسان معروفة الغاية والهدف، وفكرة أخرى لأيسخولوس هي فكرة الحق، فكان يضع في مسرحياته التمثيلية أمام الجمهور حق ضائع بحاجة إلى البحث، وأن الحق ليس ثابت، وأن ليس هناك صاحب حق مطلق، وإنما يوجد بين الخصوم، فكان أيسخولوس يرى أن الإنسان لا يقدر أن يحتفظ بحقه دائماً لأنه يطالب وقت الخصام أكثر من حقه، فيتحول الحق إلى خصمه بعد أن كان بين يديه، فالذي يطالب بحقه ويسرف في طلبه يظلم ويجور حتى يضيع حقه ويرتكب آثاماً جديدة تنتقل إلى أبناؤه من بعده[1].

عالج أيسخولوس مثل هذه القضايا في مسرحياته من خلال الفضيلة أو الاعتدال، ومن يبعد نفسه عن الاعتدال يُعرض نفسه للشقاء الأبدي، ورغم ذلك لم يستطع أيسخولوس أن يوفق بين القدر والقضاء، والذي فعله استعانته بالحقيقة الواقعية وأن الإنسان مجبر، وجعل هذه الحقيقة طريقة للإقناع عن طريق العواطف وليس العقل، فالذي يُميز مسرحياته الوضوح وعدم التعقيد، فامتلك القلوب باستمتاع المشاهدين بمسرحياته، وأسلوبه الرائع في تقديمها للناس[2].

تأتي عظمة أيسخولوس في قوته الروحية عن باقي الشعراء، وشعوره الديني العميق بالإله، ففي مأساة المتضرعات يعتقد بأن الإله هو الكائن الوحيد الذي تكون عنده الحقيقة، أما في مسرحية بروميثيوس مضرب المثل في التألق الأدبي وأعظم ما وصل إليه في الخيال، فعندما يعتزم كبير الآلهة زيوس إبادة البشر يثور بروميثيوس ويحاول إنقاذ الناس فيحضر لهم النار من السماء ليتعلمو الحرف والصناعات، وليحافظوا على أنفسهم من البؤس والفقر والشقاء، فيقوم زيوس بمعاقبة بروميثيوس، فيحتمل العقاب الأليم، فيتعجب زيوس من قوة تحمله، فيتحول لإله حكيم صديق للناس يشفق على عدوه بعد أن كان طاغياً جبارا[3]. (ينظر الشكل 34)

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص62-63.

(2) المصدر نفسه، ص ص63-64.

(3) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص21.

أشهر مسرحيات ايخولوس

مسرحية بروميثيوس سجيناً مقيداً

يثور بعض الآلهة على زيوس، فيثور عليهم وينتصر ويقضي على الآلهة التي هاجمته ولا يبقى سوى إله واحد وهو بروميثيوس وكان مساعداً لزيوس، إلا أنه كان يدافع عن الناس والبشر في حال أراد زيوس النيل منهم، وكان يسرق نار الآلهة ليستفيد البشر منها، وعلم زيوس بخيانته فأسره بالسجن، ثم ألقى به من فوق سفح جبل فتأتي حوريات البحر لتواسيه في عذابه من زيوس، ثم يرسل زيوس الإله هرمس ليتفاهم مع بروميثوس الذي يرفض الحوار مع كبير الآلهة زيوس، فيغضب زيوس غضباً شديداً[1].

مسرحية بروميثيوس طليقاً

مسرحية لم يبق منها سوى أجزاء بسيطة، يرد فيها أن زيوس يطغى ويُرسل إلى بروميثيوس نسراً ينهش لحمه وعظمه، فيأتي هرقل ليخلصه من عذاب زيوس، فموضوع المسرحية يشخص الإنسان المعذب الذي يأمل بحياة أفضل[2].

مسرحية أوريست

تعد من أهم مسرحيات أيسخولوس، وهي مسرحية ثلاثية، فالمسرحية الأولى هي تتحدث عن مقتل أجاممون، وإعلان عودة أوريست لينتقم لأبيه المقتول، والمسرحية الثانية لحملات القرابين، وتصوير عودة أوريست للانتقام لأبيه فيصل للقصر ويضع خصلة من شعره على قبر أبيه، وتأتي الكترا شقيقة أوريست مع مجموعة فتيات يحملن القرابين لتهدئ روح زوجها الذي قتلته بعد رأيتها حلماً مفزعاً، وعندما رأت الكترا خصلة الشعر على القبر شعرت بالأمل بعودة أخيها للانتقام لأبيها[3]، وبالفعل خرج أوريست لأخته الكترا ووعدها بالثأر لأبيها، فدخلا القصر معاً، وكان أوريست متخفياً، فأخبرا الملكة بموت أوريست، ففرحت بذلك، ثم تدعو عشيقها لتخبره أمر موت أوريست، ويدخل عشيقها القصر، فيقتله أوريست على الفور، فتأتي الملكة على صوت العراك، فيصادفها أوريست، ويجذبها خلف المسرح ويقتلها، ورغم انتقامه لأبيه، تظل الأشباح تؤرقه وتلحقه آلهة الخوف والفزع، فيكاد يُجن وتنتهي المسرحية[4]، والمسرحية الثالثة هي مسرحية المحسنات وتتلخص في كاهنة معبد

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص65-66.

(2) المصدر نفسه، ص66.

(3) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص367.

(4) والتر كاوفمان، التراجديا والفلسفة، ص267.

أبوللون[1] التي تفزع عند دخولها المذبح[2] وتخرج لرؤيتها أوريست وحوله آلهة الخوف والفزع نائمات، ويعلن أبوللون بأنه هو الذي أنام الآلهة، ويوعد أوريست بالدفاع عنه عندما يذهب للمحاكمة في أثينا، وينتقل المشهد لأثينا، فتتعب آلهة الفزع أوريست، وتقف آلهة أثينا حكماً وتطلب تأليف محكمة من اثنى عشر قاضياً، وفي موعد المحاكمة تعلن آلهة الفزع اتهامات ضد أوريست، ويدافع عنه أبوللون، ويقول بأن ما فعله أوريست ما كان إلا إرضاءً لكبير الآلهة زيوس، فنصف الحاضرين مؤيدون الدفاع عن أوريست والنصف الآخر معارض له ومنها آلهة الفزع، وحسب القانون الأثيني في هذه الحالة فالمتهم بريء، فتُهدئ آلهة أثينا من غضب آلهة الفزع فتهدأ وتطيب، ويعود أوريست إلى مدينته سعيداً[3].

سوفوكليس

شاعر اغريقي، تلقى في صغره تعليماً جيداً، وكان عازفاً للعود وقائداً للجوقة في صباه، حتى أصبح كاتباً مسرحياً تراجيدياً ينتج في كتاباته أكثر ما ينتجه أيسخولوس، تصدر الفوز بالمسابقات بالمركز الأول، ولم يأتِ ترتيبه الثالث قط[4]، واتبع سوفوكليس ثلاث أساليب مختلفة في كتابة مسرحياته، ففي بداياته قلد أيسخولوس في أسلوبه، ثم اتبع أسلوب جديد مخطط ومدروس جيداً، أما الأسلوب الثالث موجود في مسرحياته الباقية عن العصر الروماني وتعود لمرحلة عمله الثانية[5].

وكان فنياً أديباً عُرف عنه المهارة في الحديث إلى الناس وغناء الشعر، وأما فلسفته في المسرحيات فكانت عظيمة بشكل عام وفي التراجيديا بشكل خاص، فهنا الخلاف الشديد بين أيسخولوس وسوفوكليس، فمسرحيات أيسخولوس نرى الإنسان ضعيف أمام إرادة الإله وقوته، أما فلسفة سوفوكليس في مسرحياته كانت تتناول الإنسان الحر العامل المفكر القوي، وجعل الصراع بين إرادتين من إرادات الإنسان، بدل من أن تكون بين الإله والإنسان، وجعل تدبير أمور البشر من قبل الآلهة عن بعد، فتطور الفن الأدبي في عهد سوفوكليس عن أيام أيسخولوس، وكان هذا التطور بسبب الحرية

(1) وهو ابن الإله جوبيتر، ويعد أحد أهم الآلهة اليونانية، واسمه مأخوذ من منطقة ببلاد اليونان، وهو حسب المعتقد اليوناني القديم ذو شعر مضيء له القدرة على التنبؤ، وهو إله النور وإله الضوء وإله الشعر الذهبي. سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ص214؛ غريس كوبر، أساطير يونانية ورومانية، ص7؛ مها محمد السيد، الآلهة والأساطير اليونانية، ص54.

(2) يُعد أكثر أهمية من المعبد، ويضع في داخله طعام وشراب للآلهة، فيمكن للآلهة في المذبح أن تعيش دون نوم، ولا يمكنها أن تعيش بدون طعام وشراب، ويمنع الدخول إليه إلا نادراً. للمزيد ينظر: بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية، ج2، ص248.

(3) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص67-68.

(4) محمود فهمي، تاريخ اليونان، ص106؛ بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص23.

(5) بيير ديفانبيه، معجم الحضارة اليونانية، ج2، ص ص23-24.

والمساواة التي شعر بها سكان الاغريق، وشعورهم بالاحترام والوجود الإنساني والاعتراف بالشخصية الإنسانية، واتجه إلى فلسفة أخرى، وهي رسم الشخصيات بالمسرحية التمثيلية، وقيل أن مسرح سوفوكليس هو مسرح أخلاقي[1].

جاء سوفوكليس بتجديدات جديدة على التراجيديا، فجعل عدد الممثلين ثلاثة[2]، وزاد عدد الجوقة لخمسة عشر فرد، وقلل من دور الجوقة الذي تقوم به، فقل الغناء في المأساة عن أيام أيسخولوس، وكانت أول مسرحياته في التمثيل غنائية أكثر منها تمثيلية كالمتضرعات والفرس، واهتم سوفوكليس بالمناظر المتنوعة في تمثيل المسرحيات، ووجه اهتمامه إلى الشخصيات والتمثيل فقط، واكتسب التمثيل في عهده بالحيوية والجدية والواقعية، وأهم ما طرأ في تمثيل المسرحية في عهده هو الفلسفة الجديدة، فلم يعد يُجسد المتألمون بأنهم ضحايا القدر، بل أن مصيرهم متوقف على ما تميزوا به من حكمة أو تهور، فأصبحت المأساة في عهد سوفوكليس عملاً إنسانياً بحتاً مؤثراً في النفوس متعاطفاً مع الإنسان[3].

كانت أجزاء التراجيديا في عهد سوفوكليس نابعة عن الشخصية نفسها ولا يجعل للصدف إلا جزءاً بسيطاً، وظهرت تلك الخصائص في مسرحيته الشهيرة المسماة أوديبا ملكاً، والتي وصفت بأعظم المسرحيات الاغريقية التي يجب أن تُتخذ مثالاً لكل الأدب المسرحي[4]، وأطول المسرحيات التراجيدية التي ألفها سوفوكليس في سن الشيخوخة، وتم عرض المسرحية لأول مرة بعد وفاته[5]، ووصل من مسرحياته سبع مسرحيات[6]، من أصل مائة وثلاثة وعشرين مسرحية، وهي مسرحية سلسلة أوديب ومسرحية انتكوني ومسرحية أوديب ملكاً ومسرحية أوديب في كلونوس ومسرحية نساء تراخيس ومسرحية أجاكس ومسرحية ألكترا ومسرحية فيلوكتيتس[7].

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص73-74.

(2) أرسطو، فن الشعر، ص10.

(3) مايكل والتون، نظرة إلى التراجيديا المفهوم الإغريقي للمسرح، ترجمة: محسن مصيلحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص153.

(4) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص67.

(5) والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص67.

(6) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص8.

(7) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص23.

يوربيديس

ظهر يوبيديس في نفس العام الذي مات فيه أيسخولوس[1]، فحاول بناء تراجيديا جديدة على أسس فنية وأخلاقية وفلسفة جديدة، فاستأصل العنصر الديونيسي القديم من التراجيديا[2]، واتخذ وسيلة التأثير في الجماهير في مسرحيات التراجيديا من طريقين، الطريق الأول: اختيار الموضوع فيه أشد الآلام والأحزان والمآسي للتأثير على المشاهدين[3]؛ والطريق الثاني: هي صياغة وتصوير مأساة تُختم بالرعب والعنف والمآسي، ويُميز يوربيديس عن غيره أنه كان يرسم الشخصيات مع مراعاة القوانين الأخلاقية والسلوك الأدبي الإنساني، وغالبية مسرحياته أخذت حيزاً كبيراً في الحديث عن الفضائل والرذائل والأخلاق، ونظر إلى الأساطير الاغريقية التي يستمد الشعراء منها التمثيل نظرة شك، وينظر إلى الخرافات على أنها سفاهة، وأنكر في مسرحياته وجود كبير الآلهة زيوس أنه لا يعرف شيء عن كبير الآلهة زيوس إلا من الناس، واحتج الأثنيون على قول في إحدى مسرحياته التي سخرت من الآلهة بوصف حياتهم بالفوضى، وأنهم مثلهم مثل الناس العاديين لا يتصفون بالحكمة بل هم أحلام ذهبية، وسخطوا الجمهور من يوربيديس لتهجمه على الدين والآلهة والكهنة، وكان قد اعتبر أن الموت يرجع إلى أسباب طبيعية لا علاقة للآلهة به، فازداد سخط الناس عليه أكثر فأكثر، وكانت غاية يوربيديس من ذلك هو إصلاح المجتمع، ثم انتقل للحديث عن الحروب وما أصاب الناس من الدمار والمآسي التي كانت أساس كتاباته ومؤلفاته، متأسفاً على سنوات طويلة مضت في صراع وقتل وحروب، فدعا للصلح والسلام في مسرحياته[4].

ويشبه يوربيديس في تصوير مآسي الحرب والحياة اليومية والدنيوية الكوميدي أرستوفانيس[5]، فذكر الذين أشعلوا نيران الحروب بشكل ساخر كوميدي، وهاجم نظام الرقيق الذي كان قائماً في البلاد، وذكر مآسي العبيد الأحرار الأبرياء الذين هجرتهم الحرب، وجعل لهم دوراً مهماً في المسرحية وجعلهم من الناس العاديين لهم ما لغيرهم من المشاعر والعواطف وابتعد عن السخرية منهم من أجل إصلاح الفكرة التي أخذها المجتمع عن العبيد في ذلك الوقت، وتناول يوربيديس في موضوعات مسرحيته المرأة وركز على تحريرها من القيود التي فرضها المجتمع عليها، ويعتبر أول الشعراء المسرحيين الذي تناول الحب في موضوعاته[6].

---

(1) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص265.

(2) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص161.

(3) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ص269.

(4) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص77-79.

(5) فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ص154.

(6) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص79.

لم يُدخل يوربيديس شيئاً جديداً على طريقة الإخراج والعرض في التمثيل، إلا أنه أدخل تعديلاً بسيطاً في بناء التراجيديا كالمقدمة، وكان يلخص في المقدمة موضوع المسرحية ليُظهر وحدتها، وأعطى الفرصة لظهور شخصيات على المسرح لم تظهر في أيام أيسخولوس وسوفوكليس، فنجح في تصوير المجتمع الذي عاش فيه، وجعل مسرحياته صادقة تحاكي الواقع، فوصف الناس كما يعيشون، فكانت مسرحياته أكثر إنسانية من أيسخولوس وسوفوكليس لتركيزه على عواطف ومشاعر الإنسان وإحساسه بهم، وأهم ما يُميز يوربيديس على زمليه أن تصويره للآلهة كان مختلف فوصفهم بأنهم أنذال لا وجود لهم، فلم ينظر للآلهة نظرة دينية، وإنما كان مفكراً يفكر بمن حوله ويشعر بهم بصدق، إلى أن اندثرت المأساة الاغريقية بوفاة يورونبيديس[1]، وكان قد وصل من مسرحياته ثماني عشر مسرحية[2].

أشهر مسرحيات يوربيديس

مسرحية الكترا

يذكر فيها يوربيديس إلى مقتل أجانمون والد أوريست، وكيف أن الكترا كبرت وبدأ يطلبها أعيان ونبلاء البلد، إلا أن ايجستوس كان يخشى من زواج الكترا وتلد طفلاً يطلب الثأر من جده عندما يكبر، فيقوم قاتل أجانمون ايجستوس بتزويجها لفلاح فقير حتى عندما تلد طفلاً يكون ضعيفاً لا يقوى على الثأر[3]، وكان الفلاح الفقير يحب زوجته الكترا ويحترمها، وهي راضية سعيدة مع زوجها، ثم يأتي أوريست وصديقه بيليدز، وتأتي الكترا لقصر الملك وتغني مع الفتيات، فتلتقي بأخيها متخفياً مع رجل عجوز، ويخبرها بأنه يعرف أخبار عن أخيها أوريست، ويراها زوجها الفلاح الفقير وهي تتحدث مع غرباء، فيرفض ذلك لأنه يرى خطأ أن تقف المرأة مع رجال غرباء، فتطلب منه بأن لا يكون كثير الشك، فيطلب زوجها الفلاح من الشابين بالدخول لبيته لضيافتهما، ويدخلان ويُعرف العجوز عن أوريست بأنه شقيق الكترا، ولا تصدق ذلك إلا بعد أن ترى جرحاً قد أصاب أخيها عند حاجبه، وبدأ التخطيط لقتل ايجستوس، والقصر محاط بالحرس والخدم من كل مكان، ففكر بتقديم القرابين إليه متخفياً خارج القصر، وتحاول الكترا استدراج أمها أو زوجة أبيها القاتلة، والجوقة تغني الأغاني، ويتقدم أوريست ويقتل ايجستوس، وتظن الكترا بأن أخيها الذي قتل، وتندفع نحو الجثة، ثم تُقتل الأم الخائنة بعد تردد وتفكير طويل وقُدمت قرباناً لآلهة الفكر، وتتآمر الآلهة لتزويج الكترا من بيليدز صديق أخيها أوريست، وذهب أوريست إلى مدينة أرجوس[4].

---

(1) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص23-34.

(2) جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ص9.

(3) والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ص268.

(4) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص80-82.

ثانياً/ الكوميديا

جاءت بدافع الترفيه في أعياد الآلهة، ومنهم الإله دينوسوس، ومعالجة موضوع ما أو فكرة اجتماعية بطريقة الفكاهة والترفيه والترويح عن النفس بالإضحاك والهزل، وهي فن وله أهدافه وحريته المطلقة، فالممثل الكوميدي أكثر حرية في اختيار موضوع التمثيل وفي اختيار الطريقة التي يقوم بأدائها لمعالجة الموضوعات المُختارة، إذ تُعد الكوميديا من ألوان الأدب الراقي الذي يصور المجتمع تصويراً دقيقاً لم تستطع التراجيديا تصويره، وبالتالي فإن موضوعات الكوميديا أوسع وأشمل من موضوعات التراجيديا[1].

واشتقت الكوميديا من أصول اغريقية أدبية من المارجيتيس: وهي قصيدة هزلية هجائية منسوبة إلى هوميروس وأرخيلوخوس[2](688-645ق.م)[3].

وتعني الكوميديا "الملهاة" والترفيه والتسلية، وتشير إلى الشكل الدرامي الخالي من المآسي والهموم[4]، فموضوعاتها واقعية من الحياة والمشكلات اليومية، ويغلب عليها عنصر الضحك والفكاهة والترفيه، وتعالج الحياة والأحداث من حب وزواج وغيرها بطريقة فكاهية ترفيهية[5]، وتكون نهايتها سعيدة، وتنقسم الكوميديا أو الملهاة إلى قسمين: الأول: الكوميديا الجادة وطابعها نقدي هادف، مبنية بإحكام، والفكاهة فيها وسيلة لإظهار مشكلات المجتمع؛ أما القسم الثاني: كوميديا هزلية غير هادفة ولا محكمة، وموضوعاتها هزيلة للإضحاك فقط[6].

ومن مميزات الكوميديا أنه لا يوجد بها وحدة زمان ومكان وموضوع، ولا يوجد بها شخصيات عظيمة بل شخصيات هزلية مضحكة، واللغة بها متدنية جداً، ولا وزن للقضاء والقدر بها[7]، ويكون فيها الاستخفاف بالإنسان بالإشارة إلى ضعفه وغبائه[8].

---

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص80-90.

(2) شاعر غنائي إغريقي، عرف أرخيلوخوس بالتنوع والابتكار، ويعتبر أول من أدخل الموسيقى بشعره.

J. P. Barron and P. E. Easterling, 'Elegy and Iambus', in The Cambridge History of Classical Literature: Greek Literature, P. Easterling and B. Knox (ed.s), Cambridge University Press, London, 1985, p. 117.

(3) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص197.

(4) أرسطو، فن الشعر، ص16؛ جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص 239.

(5) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص239.

(6) J. P. Barron and P. E. Easterling, 'Elegy and Iambus', p. 118.

(7) P.G. Brown, Love and Marriage in Greek New Comedy , CQ 43, 1993, p. 199.

(8) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص240.

ونشأت الكوميديا أو الملهاة نشأة ساذجة[1] عن أغاني المرح والمجون[2]، والتي كانت تُغنى في الأرياف في أعياد الإله دينوسوس، فيتركون بيوتهم ويزدحمون بالطرقات ويقيمون المهرجانات والاحتفالات الضخمة، ويسرفون في الطعام والشراب حتى يفقدون وعيهم، ويقومون باستعراضات ورقصات ماجنة تصحبها الأغاني، ويلبسون ثياب مضحكة، ويتبادلون الشتائم والسخرية من بعضهم البعض والنكات البذيئة، ويُغنى لإله الخمر والنبيذ، ويحاط بهم جوقة لترديد الابتهالات والدعاء[3].

ومن أنماط الكوميديا: الهجاء أو الدراما الهجائية التي تهاجم العادات والأخلاق والأفكار بشكل ساخر تهكمي، وهناك الهزل أو المزاح ويتم من خلال اختراع مواقف وأحداث عبثية وشخصيات مبالغ فيها، وهناك محاكاة ساخرة تسخر من الأعمال الفنية الأخرى من خلال المحاكاة التهكمية والكاريكاتير، وأخيراً كوميديا سوداء وتعد من أسوء أنواع الكوميديا بالنسبة للمشاهدين[4].

أدوار الكوميديا

الدور الأول

هو الدور القديم الذي سمح لشعراء الكوميديا بالمشاركة في المسابقات، وغير معروف مبدأ هذا الدور ولا عدد السنوات التي كانت المواكب تجوب الشوارع والأسواق وتقوم بالأغاني الساخرة والتمثيليات الدينية حتى تجلب الحصاد للإنسان والحيوان والنبات، إلا أن الكوميديا تطورت في هذا الدور وأصبح لها نظام خاص يقوم من خلاله الشعراء بتأليف تمثيليات كوميديا ولبس الأقنعة[5].

الدور الثاني

في المرحلة الثانية للكوميديا كان الشعراء في بداياتهم بعد اعتراف رسمي من الدولة، ولا أحد يعلم عن هؤلاء الشعراء شيئاً، إلا أن أريستو فانيس ذكر بعض منهم، وهو ابيكارموس[6] والذي عاش

---

(1) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص91.

(2) ادوارد الخراط، فجر المسرح – دراسات في نشأة المسرح، ص16.

(3) Murphy C.T., Popular Comedy of Aristophanes, American Journal of Philology, Vol 93. No.1, 1972, pp. 169-175.

(4) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص239.

(5) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص99.

(6) شاعر كوميدي يوناني قديم (540–450ق.م)، ولد في جزيرة كوس، هو مؤسس الكوميديا ما يسمى Doric–Sicilian، لم يبق سوى عدد قليل من أجزاء من أعماله؛ كانت في الغالب صورًا زائفة للأساطير، مع بعض المشاهد من الحياة، كانت كتاباته عبارة عن حوارات بارعة تحتوي على الأمثال العائلية.

Harry Morgan Ayres, The Reader's Dictionary of Authors, BARTLEBY, NEW YORK, 2015. https://www.bartleby.com/library/bios/2050.html

في سيراكوز[1]، وبدأ ابيكاروموس حياة الفن في ميجارا بصقلية، وهي المدينة التي أسسها قبائل اغريقية نزحت من بلاد الاغريق إلى صقلية وظلت محتفظة بعاداتها وتقاليدها وفنونها التي كانت في بلاد الاغريق، ومن الشعراء الذي ذكرهم أريستو فانيس الشاعر خيونيدس[2]، والشاعرين الإغريقيين ماجنيس وأكفانتيدس، وغيرهم ممن يسمون شعراء (مدرسة سوساريون[3])، وهؤلاء يعدون أوائل من ألف في الكوميديا، إلا أنه ما وصلنا من كتاباتهم قليل يكفي للحكم عليهم[4].

الدور الثالث

وهو الدور الأخطر، وكان فيه ظهور عدد كبير من مؤلفين الكوميديا الاغريقية ومن شعرائه كراتينيوس[5] وكراتسي[6]، وكان لدى كراتينيوس شهرة شعبية كبيرة، وكانت أشعارهم تغنى في المناسبات، ونسبت إليه مسرحية الزجاجة، وقام بتمثيل دور الزوج المدمن شرب الخمر، فتقوم زوجته بإهانته وتشكو سوء معاملته، فيطلب منها أصدقاء زوجها بالهدوء، ويتدخل الأصدقاء لمعالجة الأمر، فيرد عليهم بأن الأدب والفن الصادق لا يأتي من أديب يشرب الماء، وعلى الرغم من أن لا أحد يعلم خاتمته، إلا أن الزوجة تصالح زوجها وتعود لبيتها بنهاية سعيدة، أما كراتسي فقيل أنه من أوائل شعراء الكوميديا، وكانت سخريته على الجوانب الاجتماعية، كما قيل بأن مؤسس الكوميديا الحديثة[7].

تم استبدال الكوميديا إلى ما يسمى بالكوميديا الحديثة، وتبدلت وتطورت الحياة في بلاد الاغريق من جميع النواحي، وهزمت الاغريق على أيدي المقدونيين، وضعفت واضمحلت الحضارة الاغريقية، واختفت السياسة من الكوميديا الحديثة[8].

---

(1) مدينة صقلية في ايطاليا. Bieber M., The history of the Greek and Roman Theater, p. 131

(2) هو أول شاعر كوميدي من أثينا في بلاد الاغريق في نحو 486ق.م. محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، 100.

(3) مدرسة شعرية أسسها الشاعر الإغريقي سوساريون في القرن السادس قبل الميلاد، لم يصل من شعره إلا مقتطفات قليلة. المصدر نفسه، ص100.

(4) المصدر نفسه، ص ص99-102.

(5) كاتب مسرحي كوميدي إغريقي، كان منافساً لأريستو فانيس. ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص171.

(6) كاتب مسرحي كوميدي إغريقي، ظهر قبل ظهور أريستو فانيس. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص171.

(7) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص ص99-102.

(8) المصدر نفسه، ص103.

أبرز مؤلفي الكوميديا

أريستو فانيس

هو كاتب اغريقي، عاش للمدة (444-386ق.م)، اشتهر عنه كتابته للمسرحيات الكوميديا، وقبل ذلك كانت قد ابتُكرت الكوميديا على يد ابيخاروموس[1] (550-460ق.م) في صقلية وانتقلت إلى الاغريق، واستمدت موضوعاتها من الحياة والمواقف اليومية التي تُثير الضحك وصور لشخصيات مضحكة هزلية، وقال أرسطو بأننا نجهل نشأة الكوميدياعكس المأساة[2].

وتطورت الكوميديا في أيام أريستو فانيس الذي استطاع أن يجعل منها كوميديا كاملة[3]، يمكن أن نستمد بعض المعلومات من مسرحيات أريستو فانيس التي صورت حياة الناس في بلاد الاغريق تصويراً دقيقاً، ومعالجة الموضوعات والأمور التي شغلت الشعب الاغريقي، فانتقدت مسرحياته نظام الحكم، وهاجمت السياسيين، وطالبتهم بوقف الحروب، ودعت إلى حرية المرأة ومشاركتها في إدارة الأمور، وتناولت أساليب التربية والتعليم والموضوعات الدينية، وتنظمت تلك المسرحيات بلغة أدبية راقية صريحة بدون أي تعقيدات[4].

وزاد في الكوميديا عدد الممثلين بشكل كبير، مما أدى إلى حدوث اضطرابات وفوضى في التمثيل لكثرة العدد، ونتيجة لتلك الفوضى صدر قانون إلزامي بجعل الممثلين ثلاثة فقط، أما جوقة الغناء في الملهاة، فكانت تعمل على إثارة الممثلين ضد بعضهم البعض، وكانت تتكون جوقة الغناء إلى أربعة وعشرين فرداً مقسمين على قسمين: قسم رجال، والقسم الآخر من النساء، ويلبسون على وجوههم أقنعة، ويلبسون ثياب تناسب أدوارهم الهزلية المضحكة[5].

وكما ذكرنا سابقاً أن الملهاة ابتكرها أريستو فانيس، وأسهم أيضاً في تطورها، وتكونت في أيامه من أجزاء متنوعة، ومنها: المقدمة والتي ظهرت بوضوح في مسرحياته بتلخيص موضوع الملهاة للمشاهدين في المقدمة، وإظهار النكات والفكاهات المضحكة كإعداد أولي وتهيئة مبدئية للمسرحية التمثيلية، ثم بعد ذلك يأتي دور الجوقة، ثم الحوار التمثيلي ويتضمن الموضوع الرئيس والتفاصيل، وتتم

(1) شاعر ايطالي من صقلية، اشتهر بشعره الهزلي، يعد مؤسس الفن الكوميدي.

Bieber M., The history of the Greek and Roman Theater, Princeton University Press, Princeton, 1961, p. 131.

(2) أرسطو، فن الشعر، ص ص16-17.

(3) محمد كامل حسين، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، ص93.

(4) Gilleard C., Old age in Ancient Greece: Narratives of desire, narratives of disgust, Journal of Aging Studies, Vol. 21, 2007, pp. 85-92

(5) Nan Dunbar, Aristophanes Birds, Oxford University Press, Oxford, 1998, pp. 86-87;

كل هذه الحوارات خطاباً موجهاً من الجوقة إلى المتفرجين من الجمهور، يتبعهُ أغاني وتراتيل وابتهالات ومقطوعات لانتقاد مظاهر الحياة العامة، ثم تُستكمل الملهاة بعدد من الفصول يفصل بينها أغاني الجوقة، أما المشهد الأخير فهي الخاتمة وتكون مشهد الفرح والسرور، وينتهي بإقامة وليمة طعام كبيرة أو احتفال زواج أو غير ذلك[1].

كان يرى أريستو فانيس أن الحكم الديمقراطي فاسد، فوجه نقده الساخر والعنيف إلى نظام الحكم لأنه عده سبباً في الانحلال الأخلاقي والسياسي الذي جاء على البلاد، ونادى أريستو فانيس بضرورة التمسك بالعادات والتقاليد القديمة والأخلاق السامية، وهاجم كليون رئيس الدولة في مسرحية له، فقدمه للمحاكمة واتهمه بأنه ليس مواطناً أثينياً وأنه من مصر، ليحرمه من حقوقه كمواطن أثيني، إلا أنه لم ينجح في محاولته تجريده من موطنه، وتعد المتلذذون بالطعام أول مسرحياته، وكتب أكثر من خمسون مسرحية تناولت الأوضاع والحياة في أثينا طوال حياته، واستمر في رسالته الإنسانية، ووجه خطابات ونقد عدة للأثنيين في مسائل الأخلاق والسياسة والفلسفة، أما الآلهة فوجه لها انتقادات لاذعة، ففي مسرحية لفرسان هاجم الحزب الديمقراطي وحملهم مسؤولية الحرب التي دمرت البلاد، ودعا إلى السلام، وعاد موجهاً اتهامات إلى كليون ووصفه بالديكتاتور، وتمت المسرحية بتمثيل خمسة أشخاص من بينهم أريستو فانيس والذي مثل دور كليون ولطخ نفسه بالقاذورات والخمر ممثلاً بسخرية وهزل حركات كليون، وحصل أريستو فانيس على الجائزة الأولى في المسرحية[2].

بدأت الكوميديا تضعف نهاية عهد أريستو فانيس والذي صرح في مسرحية الضفادع أن شعراء أثينا العظماء قد ماتوا ولم يبق إلا أديب موهوب، وبدأت الملهاة تذبل تدريجياً وظهرت الملهاة المتوسطة ولم يكن أحد يذكرها بشيء لانصرافها عن اصلاح الحياة العامة للناس ومعالجة الأساطير، واتجهت الملهاة المتوسطة إلى دراسة الفلسفة والنقد خوفاً من جبروت وطغيان الحكام المستبدين، وبدأ يتناول شعراء الملهاة المتوسطة موضوعات جديدة تختلف كلياً عن موضوعات الملهاة القديمة، مثل قصص حب الخيال واختطاف البطلة، وتخلص الأطفال من آباؤهم، وشعراء المأساة وانتقاد الفلاسفة، وبهذه الاختلافات تضائل دور الجوقة، ولم يعد لها مشاركة في التمثيل[3].

ومن أبرز شعراء الكوميديا المتوسطة ألكسيس[4] وأنتفانيس[1]، وكانا قد نظما مئات المسرحيات إلا أنها فُقدت ولا يبقى منها إلا سطور وربما يرجع السبب في ذلك إلى تفاهة موضوعاتها، إلا أنه

---

(1) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص31-32.

Trapido J., The Atellan plays, Educational theatre Journal, vol.18 , No.4, Dec. 1966, p.387.

(2) T. E. PAGE, E. CAl'PS, W. H. D. ROUSE, THE LOEB CLASSICAL LIBRARY, AEISTOPHANES, WILLIAM HEINEMANN LTD, LONDON, 1930, p. 446.

(3) محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص ص34-35.

(4) شاعر إغريقي كوميدي عاش للمدة (377-357ق.م). The Perseus Catalog

وبعد سنوات عادت الملهاة المتوسطة من جديد للتطور وأصبحت تُسمى بالملهاة الحديثة إلا أنها لم تأتي بشيء جديد، فأثارت خلافاً كبيراً بين الأدباء والشعراء على ضرورة التمييز بينها وبين الملهاة المتوسطة، إلا أن في النهاية الملهتين تناولتا نفس الموضوعات، وما هما إلا تطور طبيعي عن الملهاة القديمة الأصلية[2].

ثالثاً/ الساتيري

الساتوري أو الساتيرز تُعد خليطاً من التراجيديا والكوميديا، وشخصياته خرافية نصفها الأعلى بشر والنصف الثاني حيوان (عادة الماعز)، ليكونوا كائنات غريبة، والساتورية لا تختلف عن التراجيديا في شيء سوى روح المرح، لأن الضحك فيها يأتي من الألم أو من جدية المشهد، أي أنها كوميديا دامعة، وهي تتعرض لنفس موضوعات التراجيديا مع اتصافها بالبهجة والمرح، وتنتهي المسرحية دائماً نهاية سعيدة، وجاءت الساتورية لكي توصل فكرة الموازنة فيما بين التراجيدي والكوميدي بدلاً من أن تكون المسرحية كلها ألم وحزن مثل التراجيدي، أو تكون كلها ضحك وهزل مثل الكوميدي، يمكن أن تكون ساتيرية تجمع بين الاثنتين[3].

سميت المسرحية الساتيرية بهذا الاسم لأن جماعة الجوقة ظلوا محافظين على ارتداء ملابس الساتيروي أتباع ديونيسوس، وتعد المسرحية الساتيرية الجزء الأخير من الرباعية التي اعتاد كُتاب التراجيديا تقديمها في المسابقات، فكانت تتألف من ثلاث مسرحيات ترجيدايا، وتُختم بمسرحية أخيرة ساتيرية، وتكون الأربع مسرحيات تدور حول موضوع واحد متصلة المواقف والأحداث، ثم تبدل الحال وأصبح يُقدم في المسابقات مسرحية ساتيرية واحدة لا علاقة لها بالرباعية التي انتهت في عهد يوربيديس[4].

وعلى الرغم من أن المسرحية الساتيرية احتوت على عناصر ساخرة كما في المسرحية الكوميديا إلا أنها ليست كوميديا، والمسرحية الساتيرية الوحيدة التي وصلت وبقيت كاملة هي مسرحية كوكلوبس لكاتبها يوربيديس[5].

---

http://data.perseus.org/citations/urn:cts:greekLit:tlg0008.tlg001.perseusgrc2:14.15

(1) كاتب إغريقي كوميدي عاش للمدة (408–334ق.م)، كان غزير الانتاج، وصل نتاجه إلى نحو 200 نص كوميدي. محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، ص34.

(2) Kamel W., The Menaechmi of Plautus, its peculiarity and origin, Bulletin of The Faculty of Arts, vol. XVI, Part II, Cairo University press, Dec. 1954, p. 127.

(3) ابراهيم سكر، الدراما الاغريقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 7–8.

(4) Rudlin J., Commedia dell'Arte: An Actors Handbook, Routledge London and New York, 1989, p. 91.

(5) بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ص253.

تجمع الساتيرى بين التراجيديا والكوميديا، فعادة مسرحية الساتيرى تبدأ بالبداية الحزينة وتنتهي بالنهاية السعيدة، أي تبدأ كالتراجيديا وتنتهي كالكوميديا كمثال أن يعود الزوج بعد آلام وأحزان ومتاهات وصعاب إلى زوجته الوفية المخلصة، ويظن المشاهد لمسرحية الساتيرة بأن النهاية كارثية إلا أنها تأتي سعيدة بعد أن يتلاعب الكاتب بأعصاب المشاهدين، فلا تنتهي المشاهد المسرحية الساتيرية إلا بمصادفات ولقاءات سعيدة، ومن هنا ظهرت المسرحية الساتيرية التي مارسها كتاب المسرحيات، وسميت ساتيرى نسبة إلى أن الجوقة بقيت محافظة على لباس الساتيرى المكون من جلد الماعز[1].

يحمل الساتيري بعض الصفات الكوميديا، وتعد المسرحية الساتيرية علاج بيرلسكي[2] للموضوعات الأسطورية، ولم يصل إلى الفن المسرحي سوى مسرحية ساتيرية واحدة كيكلوبس أو السيكلوب ليوربيديس تعتمدها في فكاهتها على المشقة الجسمانية، ومسرحية أخرى نصف ساتيرية لسوفوكليس اسمها قصاصو الأثر، واشتهر ايسخيلوس على قدرته الفائقة على كتابة أفضل المسرحيات الساتيرية المضحكة، وكانت الجوقة تضفي ترويحاً عن النفوس[3].

وكانت فرقة الساتير تعرف عن نفسها وعن دورها في المسرحية الساتيرية[4]، تهدف المسرحية الساتيرى للترويح عن نفوس المتفرجين، فسكان الاغريق عادة يكرهون الحزن ويميلون للفرح والسرور والسعادة حتى أن مؤلفاتهم في غالبيتها كانت تتناول البحث عن الفرح والسعادة، ويمكن القول أن لغة المسرحية الساتيرى مأخوذة من الطقوس الدينية للمعابد المصرية المصحوبة بالموسيقى، إلا أنها اتخذت أسلوباً خاصاً يميزها عن التراجيديا والكوميديا، ففي البداية يشعر المشاهدين والسامعين بالرهبة ويكون الأسلوب قوياً متوهجاً، ثم يصبح تدريجياً سهلاً منطلقاً[5]، فهذا الذي يفرق الساتيرى عن التراجيديا والكوميديا حتى وإن كانت خليط منهما.

ويقال بأن أصل الرواية الاغريقية هي ساتيرى نثرية، أو أنها تحولت إلى رواية نثرية، أو أنها بعد أن غابت واختفت الساتيرى ظهرت الرواية[6].

---

(1) حنا عبود، من تاريخ الرواية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص38.

(2) عمل مسرحي هزلي تهكمي مرافق لأعمال ضخمة جادة. للمزيد ينظر: مايكل والتون، نظرة جديدة إلى التراجيديا المفهوم الإغريقي للمسرح، ص185.

(3) G. Duckworth, The Nature of Roman Comedy, A study in popular Entertainment, Princeton, 1951, p. 245.

(4) حنا عبود، من تاريخ الرواية، ص45.

(5) المصدر نفسه، ص ص40-41.

(6) المصدر نفسه، ص41.

أفرام عيسى يوسف

تاريخ بلاد الرافدين

ترجمة: فخري العباسي

دار الحوار

الكتاب: تاريخ بلاد الرافدين

المؤلف: أفرام عيسى يوسف

المترجم: فخري العباس

الطبعة الأولى: 2016/3

حقوق الطبع محفوظة © دار الحوار للنشر والتوزيع

يتضمن هذا الكتاب الترجمة الكاملة للنص الفرنسي:

Les figures illustres de la Mésopotamie

****

ISBN :978-9933-523-53-4

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

نور المعمودي
Intellectual_revolution

الطبعة العربية محفوظة لدار الحوار للنشر والتوزيع حقوق

يمنع نسخ أو تصوير هذا الكتاب أو أجزاء منه بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير ضوئي أو تسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى دون أذن خطي مسبق من دار الحوار للنشر والتوزيع.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the written permission of Dar Al Hiwar Publishing Company.

دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com

ص. ب 1018 اللاذقية، سورية.

هاتف وفاكس: 339 422 41 963+

البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com

info@daralhiwar.com

@Borsippa_Library
Tele: @Intellectual_revolution

أفرام يوسف

تاريخ بلاد الرافدين

جلجامش- سرجون- نارام سين- آشور ناصر بال-
سنحاريب- نبوخذ نصر

نور المعموري
Intellectual_revolution

ترجمة: فخري العباسي

دار الحوار

@Borsippa_Library
Tele: @Intellectual_revolution

المقدمة

أطلق المؤرّخون اليونانيون على بلاد الرافدين عبارة البلد الواقع بين النهرين، أي دجلة والفرات. ولدتُ على هذه الأرض الرحبة التي هي أرض العراق الحالي. وما أنا إلا ابن جبال الشمال والقرى الأولى، مشاهد ومراقب السفن المسترسلة على النهرين، إنّها بلاد الزهور المنتشرة في وديانها ومروجها. حلمت بأني ابن أور وآشور ونينوى وبابل.

اكتشفتُ حضارة بلاد الرافدين أثناء دراستي الجامعية، تلك الحضارة التي تمثل إحدى أقدم وأسطع حضارات العالم، بثروتها وعظمتها المشهودتين.

حاولتُ من خلال محاضراتي ودروسي، حثَّ الآخرين على المشاركة في الإعجاب بعظمائها وبرجال أديانها وكتابها وفنّانيها وتجارها وحِرفيِّيها.

لقد برزت الحضارة وتطورت بشكل مبكّر في بلاد سومر وأكّاد، تلك المنطقة الواقعة في بلاد ما بين النهرين السفلى بين بغداد والخليج، وتم ذلك قبل أن تزهو بلاد اليونان وروما. وكانت هذه المنطقة التي شكلت أرضاً من الطمي، قاحلة أحياناً ولكنها خصبة وقاسية ومكوية بإشعاعات الشمس الساطعة، قد احتوت على مدن عديدة ثابتة وأخرى طارئة بسبب حركة النهرين وفيضاناتهما.

تميّز أبناء الرافدين بإبداعاتهم المختلفة، فكانوا أول من اخترع العجلة وفنون إرواء المدن، وتنظيم الدولة بمعناه الواسع وإنشاء الأنظمة

الإداريـة الأولى. وكـانوا السـباقين في إدراج الإنسـان داخـل صـفحات التاريخ باختراعهم الكتابة قبل حوالي 3300 قبل الميلاد. وهم الذين طوّروا بكفاءة التقنيات، والفنون، والتجارة. لقد سنّوا وطبقـوا القـوانين والشرائع الأولى، ودوّنوا مبكراً الأساطير والصـلوات والأشـعار البطوليـة والغنائية. إنّهم مبتكرو علوم الفلك، والتنجيم والطب.

"سادت" حضارة بلاد الرافدين هذه حوالي ثلاثة آلاف سنة، وفقاً للمصطلح الذي أطلقه عليها عالم الآثار الفرنسي المشـهور أندريـه بـارو André Parrot. واحتفظت هـذه الحضـارة بغـيرةٍ ثابتـة علـى طـرق أفكارهـا، وأخلاقياتهـا، وعاداتهـا المختلفـة حتـى وصـول الإمبراطـور الفارسي قورش سنة 539 قبل الميلاد، وخاصة عنـد وصـول إسـكندر المقدوني الكبير بعد قرنين من هذه الفترة. اسـتطاعت هـذه الحضـارة، على الرغم من احتلال الفرس والإغريق، أن تبقى وتصمد حتـى بدايـة القرن الأول الميلادي.

تركـت بصـماتها علـى منـاطق الشـرق الأدنـى كافـة، ووصـلت إشـعاعاتها الأولى إلى الغـرب عـن طريـق الثقافـة اليونانيـة، والكتـاب المقدس.

تؤكد التقاليد السومرية أن النظام الملكـي يمثـل سـلطة هبطـت مـن السماء إلى الأرض، بناء على مبادرة الآلهة التي منحت الرجال السلطة لرعاية البلد، إنّه النظام الوحيد والممكن للإدارة. وهكذا تشكل السلطة الملكية والعرش والصولجان جزءاً من "مي" التي تمتلكها الآلهة، إنّهـا كلمة رئيسة يمكننا ترجمتها: بالقدرات، والقـوانين، ومبـادئ تكـوين الحضارة السومرية ثم الرافدية.

لم يكن الملـك إلهـاً، كفرعـون مصـر، ولكنـه وسـيط بـين الألوهيـة والإنسـان وهـو راعـي شـعبه الـذي يعـتني بـه ويوصـله إلى الطريـق الصحيحة. وفق هذا المنظور، كان على الملك العمل على تأمين سـعادة هذا الشعب ورفاهيته، وحمايته من أعدائه.

كان السومريون أو ذوو "الرؤوس السوداء" يخضعون لعاهلهم الذي اختارته الآلهة، يتفادون أن تتحكم الفوضى في المدن ـ الدُّوَل حيث كانوا يتقاسمون أراضيها ويُقيمون فيها ممالكهم المتعددة.

تغيّر حجم تلك الممالك ومفهوم الملكية على مرّ السنين. وها هي الأمور تتغير تماماً، إذ جاء الملك سرجون الأكّادي حوالي عام 2335 قبل الميلاد، من مدينة أكّاد الواقعة في الشمال الغربي من سومر، فوحَّد بلاد الرافدين السفلى وأنشأ أول إمبراطورية واسعة شملت كامل بلاد الرافدين واستمرت تقريباً حتى عام 2193. ثم ظهرت دولة جديدة أخرى، هي إمبراطورية أُور الثالثة السومرية، لتستعيد نظام الحكم الإمبراطوري وتسيطر على بلاد سومر وبابل وعلى جزءٍ من زغروس وعيلام. اختفت هذه الإمبراطورية وزالت فجأة عام 2004.

على الرغم من سقوط تلك الإمبراطوريتَين، استمرت العادات والأعراف والتقاليد السومرية والأكّادية، وشهدت توسعاً وانتشاراً على بلاد آشور وبابل، إذ أراد ملوكها وحكامها المحافظة على تلك التقاليد الدينية والأدبية والاجتماعية الراسخة، وأصبحت جزءاً من حياة شعوبها. في نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد، انطلق الملوك الآشوريون والكلدانيون الذين تخلصوا من وصاية حكم الميتانيين القاطنين مناطق بلاد الرافدين العليا ومن الكيشيين الذين قدِموا من جبال زاغروس، ومن تدخل الآراميين المنحدرين من مناطق شمال الصحراء السورية، ليطبقوا ويمارسوا سياسة الفتوحات والتوسع الجغرافي، فحكموا إمبراطورية اتّسعت رقعتها الجغرافية شيئاً فشيئاً وامتدت مساحتها على كامل مناطق الشرقَين الأوسط والأدنى.

أعاد مُنقِّبو الآثار والعلماء والمؤرخون الذين عملوا منذ قرن ونصف بحماس شديد، الحياة إلى الماضي الباهر لبلاد الرافدين واكتشفوا أجزاء عديدة من الفخاريات الزخرفية والنقوش المنحوتة والأعمال الفنية،

وفكّوا رموز الآلاف من الألواح الطينية المغطاة بالكتابات المسمارية، وقرؤوا الوثائق المحفوظة، ونصوص الأشعار البطولية والغنائية.

وإذا كانت بعض الأعمال المنحوتة لهؤلاء الملوك تعرض صوراً للذين أمروا نحّاتي عصرهم بأن ينحتوها لهم، فقد نُحتَت صُوَرُهم أيضاً على الأختام والمسلات والنقوش البارزة. ومع ذلك، لا نملك ما يكفي لمعرفة ملامح وجوه معظم الملوك، التي شوّهها أعداؤهم المنتصرون أو التي ضاعت تحت ضباب التاريخ.

كيف يمكن معرفة هؤلاء الرجال البعيدين عن زمننا، "أبناء أزمنتهم وأزمنة آبائهم"، كما يوجه المؤرخ الفرنسي المعاصر جاك لوغوف Jacques Le Goff السؤال للجميع؟ لقد ورث هؤلاء الرجال ممالكهم من آبائهم ولكنهم بشجاعتهم وبسالتهم وتقواهم رسموا مصيرهم بأيديهم وتقدموا نحو الأمام، وساهموا في تشييد حضارة كبرى عبر التاريخ الطويل.

واليوم أجد نفسي متباهياً، وأفكر بمشاعر الزهو والاعتزاز ببلاد الرافدين البعيدة عني والقريبة مني في آن معاً. بلادي، بلاد الأبطال وبلاد الملوك الذين حملوا أسلحة العالم القديم ودروعه. في ذلك الزمن، كانت تتموج سنابل القمح والشعير، وتتدفّق الجعّة والزيت والعسل بغزارة في ربوعها العامرة، وتعزف الريح ألحانها على أوتار قيثارتها الممتدة على أزمنتها الجميلة. حينذاك، كانت مغامرات الإنسان ونباتات القصب، وسعف النخيل كمِثل الثيران والسنابل، تتحاذى مع الحلم والواقع والمأساة.

أرغبُ اليوم في تقديم إسهامي المتواضع هذا هدية للتعرف على بلاد الرافدين الأصيلة والاستحمام في نهريها الرّحْبَين، والتوجُّه صوبَ فجر أزمنتها.

القسم الأول

سومر وأكّاد وبابل

ما زلتُ أحلم حتى هذا اليوم بسومر أرض البدايات، وأفكرُ بصباحها المشرق وبرجالها الشغوفين بالحياة والمعرفة، الذين طوروا التقنيات والفنون والريّ. لقد أبدع رجال سومر فن الخزف والعجلة والمحراث والشراع. اخترعوا بوجه خاص الكتابة التي وضعوا نظامها في نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد، ليعبّروا من خلالها عن احتياجاتهم وشعورهم بلغتهم وعواطفهم إزاءها.

عاش السومريون في المنطقة الجنوبيّة من بلاد الرافدين، حيث يستقر الغرين والصلصال في جِوار الصحراء والسَّهب.

ونظموا بالقرب من نهر الفرات وبجانب قنواته، المدن المشيدة بأمر آلهتهم حسب اعتقادهم، مثل كيش الواقعة شمال البلاد، ومدينة نيبور وأوما في الوسط، وأوروك ولكش وجيرسو وأور وأريدو في الجنوب. كوّنت هذه المدن مراكز سياسية وأماكن

تبادُل وتجارة. أسَّسوا هناك حضارة خصبة، تشهد على تفوقهم الفكري والاجتماعي.

تعرضت للضياع في ليلِ الأزمنة الغابرة. ولكن، كما قال الكاتب البرتغالي الكبير خوزيه ساراماغو José Sarramago: " عندما بدأ الناس في الكتابة، توقفت تلك الأزمنة الغابرة عن إغراقهم في الظلمات..." 1

توجهتُ كي أكتشِف سومر وأكّاد وبابل، ونورها السرمدي وألوانها اللازوردية وأبطالها وملوكها المسلحين بالرماح البرّاقة، كي أتعرَّف ممالكهم وأنغامهم الموسيقية.

ما الطريق التي ينبغي أن أقتفيها للوصول إلى تلك البلاد التي كانت في الماضي شبيهة بالجنة على الأرض. لكن كم يبدو لي ذلك الزمن بعيداً؟

هل كنتُ قادراً على الانغمار في ذلك العالم المشحون بالمغامرات والفتوحات والعنف والاكتشافات، لكنه كان، إلى ذلك، ينطوي على العدالة والرأفة والحماسة ورجفة النشوة؟ ألَا إنّ كل شيء يتحدّث، بفضل طول الزمن، إلى القلب والحواس، وبفضله تصِلنا الأصداء البشرية وقوى الكون !

هوامش القسم الأول:

1- خوزيه ساراماغو (José Sarramago)، حصار لشبونة (Le siège de Lisbonne)

11

الفصل الأول

جلجامش، ملك أوروك

وصل جلجامش، البطل السومري الأول، الذي قاتل الغول المتوحش وانتصر على الثور المرعب، إلى نهاية العالم وإلى الجزيرة التي لا تعرف الغسق. حلم دون جدوى بأن يُصبح إنساناً خالداً. تُرى، هل كان هذا البطل موجوداً؟ هل هو ملك أسطوري وحسب، يعود شأنه إلى أقدم عمل روائي وأسطوري عرفه العالم. إنّه بطل مُلتحٍ عملاق، نراه في تمثال منحوت من المرمر في متحف اللوفر بين يديه شِبلٌ(1)، يضمُّه إلى صدره. هل هو بطل أدبي اخترعته مأساة البشر الذاهبين نحو الموت المحتم؟

تشير الدلائل كافةً إلى أن جلجامش كان في الواقع رجلاً تاريخياً وملكاً فريداً. كما تدلّ اللائحة الملكية السومرية (2)، المدونة سنة 2650 قبل الميلاد، أنه قد حكم مائة وستة عشرين سنة في مدينة أوروك التاريخية، تلك المدينة الهامة الواقعة في جنوب العراق (الوركاء). لم يعثُر علماء الآثار على قصره في أثناء تنقيبهم عن الآثار في تلك المنطقة.

لقد حرر ناسخون سومريون ينتمون إلى الحاشية الملكية لسلالة أور الثالثة (2112 – 2004 قبل الميلاد) تعود أصولهم إلى أوروك، خمس قصص روائية أسطورية. تطرق قسم منها إلى المغامرات المذهلة

لهذا الملك. إنّها قصص مليئة بشخصيات إلهية وشيطانية، وأبطال باهرين، وأناس هجين نصفهم بشر ونصفهم عقرب، وبحيوانات وحشية وحدائق مهولة، وكنوز.

دُوِّنَت قصة جلجامش وملحمته الشعرية، بنسختها البابلية الأولى منذ الربع الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد، وانتشرت في كامل مناطق الشرق القديم.

جُمِعت قصص المغامرات هذه في بابل ما بين سنة (1300 – 1200) قبل الميلاد، على شكل قصيدة غنية مليئة بالروح والأسلوب الغنائي الجميل، حرّرها باللغة الأكّادية أديبٌ ماهر حمل اسم "سين لوكونيني".

كما اكتشف علماء الآثار المعاصرون في نينوى، عاصمة الإمبراطورية الآشورية، نسخة عن تلك الملحمة محررة على 11 لوحاً، عُثِر عليها بين أنقاض مكتبة الملك آشور بانيبال (668– 627 قبل الميلاد). أما اللوح الثاني عشر فكتبه آخر، يروي قصة نزول جلجامش إلى الجحيم.

لقيت هذه الرائعة الأدبية رواجاً واسعاً في الشرق، ونال بطلها جلجامش شهرة كبيرة.

الحياة المدنية

تنقلنا الملحمة، كساعي بريد فخور إلى أزمنة بعيدة غير محددة. حكم جلجامش، ذلك العملاق المنتمي إلى سلالة تخيلية، في قلب مدينة أوروك. كان ابن الملك "لوكالابانـدا" والإلهة "نينسون"، ثلثاه إلهيَّان والثلث الآخر بشريّ. وكان هذا الملك المتغطرس والرهيب أشبهَ بثور هائج، يتمتع بسلطة طاغية، يستخدم الرجال لإنشاء سور المدينة، بينما يقضي ليالي أعراسه مع الزوجات الشابات.

خلقت الآلهة استجابة لالتماس سكان مدينة أوروك، الذين ضجروا من إفراطه في المتعة، شخصية هائلة البدن، مكسوة بشعر كثيف، عضلاتها متينة، ألا وهي شخصية أنكيدو، الذي كان يحيا في البراري متعايشاً مع الحيوانات المتوحشة، حيث كان يرتعي العشب مثلها ويرتوي من مياه ينبوعها.

إلا أن أنكيدو عملاق الغابات هذا تلقّن ملذّات الحب على يد بغي أتت إليه من مدينة أوروك. كان هذا الحب الحُرّ الرقيق الطليق، والغذاء الإلهيّ، مرغوباً في بلاد سومر. هكذا تعلم أنكيدو طريقة الأكل والشرب واللبس، منتقلاً من الحياة الوحشية إلى الحياة المدنية.

في الواقع، كان التقدم والرقي يشكلان فكرة أساسية، نمت وتطوّرت في بلاد الرافدين.

وأدى ذلك إلى أن تتخلى الحيوانات عنه، لأنه لم يعد ينتمي إلى نسق حياتها كما كانت عليه الحال في السابق.

لقد قادت البغي الماهرة أنكيدو إلى المدينة، حيث اكتشف الخبز والجعّة والملابس والموسيقى. واطلع على قوى الروح من خلال جسده.

أثناء المُنازلة بينه وبين جلجامش، واجه أنكيدو ذو الأخلاق البسيطة والعادلة والبريئة سطوةَ جلجامش الذي تجاوز الحدود. بعد عراكهما الطويل، كان على الملك جلجامش أن يتنازل عن عنجهيته. وهكذا ولدت بينهما صداقة يطبعها الإعجاب المتبادل، صداقة بين شخصين متقاربين، لكنهما مختلفان في الوقت نفسه، صداقة أتتِ الملكَ بعد انتظار طويل.

الوجود يعني الحُبّ. وكانت هذه أول مرة يشعر فيها جلجامش بمشاعر المحبة الحقيقية تنمو في داخله. وجّه عندئذ طاقته نحو أهداف أخرى، فبدل أن يُمارِس سلوك الطاغي إزاء رعاياه ويُفرِط في حياة العشق والغرام، ها هو يحقق هدفه ويقوم بإنجاح حياته في مسيرة جديدة مع صديقه أنكيدو، ودائمة مع الزمن.

"هل تساوي الحياة دون مجد أكثر من الموت؟ ذلك هو السؤال الذي طرحته مسرحية أدبية سومرية تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، معروفة باسم *"نزهة أبطال الأزمنة الغابرة"*.

هذا ما أراده جلجامش لنفسه، عندما سعى لكسب سمعة خالدة.

الرحلة البعيدة

مضى جلجامش برفقة أنكيدو كي يُحارب حارس غابة الأرز المتوحش، العملاق حمبابا Humbaba الذي يقذف ناراً، فيقطع رأسه، ويعود بعدئذٍ إلى مدينة أوروك كمِثل بطل منتظر، شاحناً معه شجرة ضخمة تُستخدم في البناء. ويجرؤ على رفض حظوات الحب التي تقدمها له الإلهة عشتار، فتنتقم منه، وتُرسِل ضدَّه وضدَّ صديقه أنكيدو "الثور- السمائي" الضخم الذي بدأ بتدمير أوروك. لكنّ الملك جلجامش تمكّن من القضاء على هذا الثور. فاحتفلت المدينة بأكملها بانتصاراته.

ألقت الآلهة التي أصابها الكدر من مقتل حمبابا، باللائمة على أنكيدو، وحكمت عليه بالموت. أَوَلم يستسلم للتكبُّر ونكران الجميل؟ يسقط أنكيدو العملاق الحسن مريضاً، فيلعن البغي التي أوصلته إلى مجتمع البشر الذي أصابه بشروره. ثم ينطفئ ويعود إلى الصلصال والصمت.

وهكذا، بكى على أنكيدو قدماء مدينة أوروك وشبابها والطبيعة بأكملها: الدّبَبة والضباع، والفهود، والنمور، والجبال، والطرق، ونهر الفرات النقي، ناح الجميع بمرارة.

"كيف أسكتُ؟" صرخ جلجامش الهائج، من صدى هذا الحادث الرهيب الذي دفعه إلى التمرُّد.

عاش جلجامش مع "أخيه" أنكيدو عيشَ قصَبتين مزركشتين ضمن بستان القصب، وها هي العاصفة تهب وتعمل على تفريقهما الواحدة عن الأخرى. لقد عاش في عالم اللامبالاة والطيش وها هو اليوم يجد

نفسه وجهاً لوجه أمام فاجعة وفاة صديقه، فيُدرك أن أجلَه وشيك أيضاً. ولعلّه أدرك في هذا جانباً من مأساة الحياة.

ترنّح جلجامش واستوعب الجانب الهزلي والعبثي لعلاقات الصداقة التي لا تترك آثاراً تزيد أو تقل عن الآثار التي تتركها قطرات زخة المطر. يُقلقه الوجود المجهول وانتظار الموت.

ما العمل؟ قرر الملك أن يواجه التحدّي الذي فرضه القدر عليه. عندئذ تخلّى عن ملابسه الفاخرة، وعن هوية المِلك، وخرج من المدينة. هام على وجهه في الصحراء، كساؤه جلد أسد. كان شاردَ الذهن، أشعثَ الشعر. راح يفكّر بالأخطاء المشؤومة التي ارتكبها. سأل نفسه، لماذا لا أتوجه لرؤية أوتا ـ نابيشتي Uta-Napishti، ملك المدينة الملوكية شورو باك Shuruppak، الشخص الوحيد الذي نجا من الطوفان، يسكن في ما وراء أرض البشر ويعرف سر الحياة الخالدة؟

جعل جلجامش المُصادفةَ طريقاً، وباشر رحلة صوب الشرق المليء بالمكائد. وصل في النهاية إلى الجبلَين التوأمَين اللذَين يحرسهما "الرجال ـ العقارب". أجبر أحدَهم على أن يدَعه يعبر بوّابة الجبلَين. مشى في المعبر الضيق المُظلِم غير قادر على أن يرى شيئاً لا أمامه ولا خلفه.

توجّه جلجامش صوب المجهول. وصل مندهشاً إلى حديقة بديعة كانت أشجارها تُشِعّ من ضوء النهار دون أن تحترق وهي تنحني تحت ثقل ثمارها، إنّها جواهر متعددة الألوان، منها الزرقاء والبنفسجية كأنّها حبّات عناقيد العنب الجميلة.

بدأ يسمع البحر غير البعيد يزمجر أمواجاً. اقترب جلجامش من الشاطئ. رأى صاحبة الخمارة سيدوري Siduri، فطلب منها أن تدلّه على الطريق المؤدي إلى أوتا نابيشتي Uta-Napishti الحكيم.

كان عليه أن يُجاوز، بمساعدة المُعدِّي "أور–شانابي" Ur-Shanabi، البحر الذي ما استطاع إنسان أن يعبره، أو يخوض غمار مياهه، مياه الموت. المجاديف التي تدفع السفينة غير كافية. كان

عليه أن يخترع شِراعاً لذلك. وأخيراً وصل المسافر الكئيب الذي لم يكن كِساؤه سوى قطع من الجلود الممزقة والمتسخة إلى تخوم العالم حيث تسطع الشمس الأبدية. وتقدم جلجامش نحو الأمام للقاء "أوتا ـ نابيشتي" Uta-Napishti. كان يأمل أن يشرح له هذا الرجل الحكيم سرَّ مصيره!

دعاه أوتا ـ نابيشتي بطل الطوفان، آخرُ ممثل لزمن غابر، إلى أن يُهدِّئ من روعه وأن يستسلم للمصير المحتوم، ويقبل الموت الذي هو قَدر البشر جميعاً. "لا بدَّ أن تنكسر الإنسانية انكسارَ قصبة السكر."

هذا ما قررته الآلهة الكبرى:

"لقد فرضت علينا (الآلهة) الموت، كما فرضت علينا الحياة، تاركة (لنا) جهل اللحظة التي يأتي الموت فيها."(3)

عندئذ روى له الرجل الحكيم أوتا ـ نابيشتي Uta-Napishti قصة الطوفان. وأعلمه بقرار رئيس الآلهة إنليل Enlil الذي منحه وزوجتَه الحياةَ الخالدة. لم يكن ملك أوروك لِيأمل بأن يحصل، هو أيضاً، على هذا الامتياز الفريد ويعود إلى بلده.

على أن زوجة البطل الحكيم، أشفقت على جلجامش وطلبت من زوجها قبل مغادرته، بأن يكشف سِرّ البقاء على حياة الشباب الدائم. وكان الأمر يتعلق بنبتة الحياة، النبتة السحرية التي تنبت في قاع البحر، ويمكن للشخص الذي يمتلك هذه النبتة أن يعود إلى صِباه.

غطس جلجامش في أعماق المياه واستولى على هذه النبتة كأنه يستولي على لؤلؤة ثمينة. غير أن أفعى واجهته وهو يسير على طريق العودة وسرقتها منه عندما كان يسبح في ماء البحر.

يستبدّ بالملك الشجاع يأس جديد، إذ لا مجال أمامه للهروب من المصير المحتوم، الموت. لم يكتشِف جلجامش، على الرغم من وصوله إلى نهاية العالم، أكثر من أنّه بشرٌ فانٍ. فما كان منه وهو يستسلم

لقدره برفقة البحار "أور- شانابي" Ur-Shanabi إلا أن يعود بسرعة فائقة إلى نقطة البداية. جاوزَ بوابات أوروك، المدينة التي كانت وما تزال ملاذَه الأول والأخير، فهي مدينة الحنان والهناء التي فيها تكتمل الدورة.

انتهت ملحمة جلجامش نهاية مأساوية، بعد أن حاول بطلها أن يُواجِه قدَره، ويخرج من شروط ضعفه الإنساني ويتخلّص من الموت. إلا أنه لم يجد من سبيلٍ إلى تغيير النظام الكوني.

جلجامش يرسم معنى حياته من خلال أعماله

استقر جلجامش ثانية في مدينته الطيبة أوروك فنحت ونصب مسلّة تروي قصص أعماله البطولية. وعرض أسوار مدينة أوروك الرائعة على البحّار "أور-شانابي" Ur-Shanabi الذي جلبه معه إلى عاصمته. (ويمكن رؤية آثارها).

يقول جلجامش:

"اِصعَد يا أور- شانابي
وتنزه فوق أسوار أوروك!
تمعّن في هذا الرُّكن،
وتفحَّص هذه الأساسات وقواعدها المتينة
أو ليس (كل هذا) من الآجُرّ المشويّ؟
وهلا وضع الحكماء السبعة بنفسهم أساساتها؟
المدينة تمتد إلى ثلاث مائة هكتار،
ومثلها الحدائق
ومثلها أيضاً الأراضي الخصبة،

إنّها حارة معبد عشتار.
اِلْق بنظرك على الألف هكتار هذه،
إنّهَا اتّساعُ مدينة أوروك... 4
كيف قضى جلجامش باقي حياته في مدينة أوروك؟
لقد شيَّد مدينته وجملّها. اختبر فيها لوناً من الحرية التي أتاحت له رسمَ حياتِه ومَنْحها معنىً من خلال ما أنتج خياله المبدع من أعمال، ومن صياغة معنى وجوده. فهل برع المِلِكُ في أدائه ؟ لقد تدرَّج في اكتِّشاف مطامحه الحقيقية، واختبر نفسه عبر مراحل حياته، مُضفيًا عليها لونَ عبقريته الشخصية. فخرج مولوداً جديداً من أعماق البحر، ولم يعد يشكل نصف إله ونصف إنسان، بل صار رجلاً حكيماً متمكّناً من *"السيطرة على نفسه"*، بحسب مقولة الشاعر المشهور "غوته"، الجميلة.

هل غدا، في أيّامه الأخيرة، فريسة القلق من حتمية الموت ؟ هل أبحر في أعماق ذاته الإبحار الحقيقي؟ هناك حيث لا أهمية للمسافة والزمن، وحيث يتوافق السلام والتناغم مع العالم وقواه السامية. هل حلم بحديقة الأحجار الكريمة الرائعة، وبرجل البحر أور–شانابي Ur-Shanabi وجزيرته السعيدة، أو بخمارة سيدوري التي التقى بها على شاطئ البحر؟ قالت له تلك المرأة الحكيمة: لن تعثر أبداً على الحياة الخالدة. دعته إلى أن ينظّم نفسه، ويبني ذاته، ويرتب لها وجوداً مليئاً غنيَّ الأعمال. إنّما العمل وحدَه يُلائم الإنسان الذي ينبغي أن يعيش الأبدية في كل لحظة من حياته، ويستخلص منها ماهية الحياة والسعادة.

تقول له سيدوري:
"أمّا أنت،
فاملأ جوفك، وكُن سعيداً،
نهاراً كما في الليل.

عليك أن تعيش دوماً
كما تعيش في العيد.
ارقص وتسلّى، ليل نهار.
اِرتدِ الملابس النظيفة، واغتسل واسْتحمَّ.
انظر: بحنان إلى صغيرك الذي يُمسِك يدك.
واجلب السعادة إلى زوجتك وهي تعانقك.
هذا هو نصيب البشر. (5)

قصيدة سومرية

هاكم قصيدة سومرية معروفة باسم *"موت جلجامش"*، موضوعها وفاة ملك أوروك الذي حلم، وهو يعاني من سكرة الموت، أن الآلهة اطّلعت على أعماله البطولية وعلى استحقاقاته، فمنحته دور قاضي الموتى، وقدّمت له في العالم السُّفلي، الحياة الخالدة التي طالما رغب فيها.

لقد اشتُهر جلجامش ونال التكريم بوصفه معبوداً منذ الألفيتين الثانية والأولَى قبل الميلاد.

الذاكرة هي وحدَها العنصر الخليق بأن يجعل الزمن سامياً. إن ملحمة جلجامش ملك أوروك، الذي عبرَ ذِكره آلاف السنين بفضل أعماله البطولية وأفعاله المأثورة، وبفضل سحر الكتابة ومعنى رموزها المنقوشة على ألواح الطين.

لا تعود حكمة هذه الملحمة إلى بلاد الرافدين وحسب، بل تنتمي إلى العالم أجمع. إذ ألهمت، بوصفها مصدراً للأساطير الكبرى، العديد من فصول العهد القديم من الكتاب المقدس، كقصة الطوفان، وسِفر الجامعة على سبيل المثال. كما ألهمت قصص الإغريق القديمة، وأعمال هرقل، والصداقة بين آشيل وباتروكل المذكورة في "إلياذة"

هوميروس المشهورة. وقد تأصّلت الحضارة الغربية باستقائها من ماضي الشرق القديم. ومن ثمّ أوحت ملحمة جلجامش المترجمة إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية، بكثير من القصص والروايات والمسرحيات والموشحات الدينية وأوبراً الروك. بالإضافة إلى أنّ جلجامش يشكل أوّل ابتكار للتفكير الفلسفي، ولا سيّما عندما يوجه لنفسه وللآخرين الأسئلة الكبرى حول الإنسان ومصيره. لقد تغيّر العالم، ولكن قلب البطل والإنسان بقي كسابق عهده مُتعطّشاً للمغامرات والمجد وميّالاً إلى الصراع، وإلى الأمل الكبير.

في الواقع، مصير الإنسان وقدره، هو الإنسان نفسه.

هوامش الفصل الأول :

1-اليوم، في متحف اللوفر، خورسآباد (Khorsabad)، القرن الثامن قبل الميلاد.

2-اللائحة الملكية السومرية، التي تُحصي السلالات، مدونة حوالي سنة 1850 قبل الميلاد.

3-جان بتيرو (Jean Bttéro)، **ملحمة جلجامش** L'épopée de Gilgamesh، دار غاليمارد، 1992، ص 182.

4- المرجع السابق، ص 204.

5-نفسه، ص 258

الفصل الثاني

إيباناتوم (Eannatum) ملك لكش

في فجر التاريخ، تبوّأ ملك قوي عرش مدينة لكش (اسمها اليوم تل الهيبا)، البلد الواقع جنوب سومر، هو الملك إياناتوم الذي حكم (حوالي 2454 – 2425 قبل الميلاد) وحمل لقب لوغال Lugal (الرجل الكبير). هذا الملك ابن أكورغال Akurgal وحفيد أور–نانشيه Ur-Nanshé، المشيِّد الكبير ومؤسس السلالة الأولى لمدينة لكش حوالي سنة 2520، السلالة التي هيمنت على هذه الدولة قُرابة قرنين من الزمن. وقد ترك لنا حوالي خمس عشرة كتابة رسمية.

تشير المراجع إلى أن إياناتوم منح نفسَه أباً، هو إله العاصفة والحرب نين – جيرسو Nin-grisu، وهو يُمثله على الأرض. ويُروى أنَّ الملك رضع حليب الإلهة نين – هورساغ Nin-hursag.

ذاع صيت الملك نتيجة نزاعٍ محلي، النزاع الذي عُرفَ بفضل مِسلّة النسور المشهورة. توجد هذه المسلة التي عُثِر عليهَا، أثناء التنقيبات الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر، مكسورةً إلى عدة قطع في منطقة تلو (جيرسو) الواقعة جنوب العراق، وهي اليوم محفوظة في متحف اللوفر. إنّها واحدة من أقدمِ الشهادات على النزاعات الحاصلة بين قوات متحاربة ومجهزة تجهيزاً جيداً.

ثمّة مشكلة حدودية هامة منذ فترة طويلة، أدت إلى خصامٍ مسلح بين "المدينتين ـ الدولتين" أوما Umma في الشمال (حالياً

جوها) الواقعة على أحد أذرع المنظومة النهرية، ولكش في الشرق المجاورة لها على مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً. نشب هذا النزاع على قطعة أرض معروفة باسم "كو إدينا Gu-edina" كانت تعبرها عدة قنوات تؤمن الوصول إلى اليابسة وإلى الماء.

كانت مدينة أوما الواقعة في أعلى سهل بلاد الرافدين، مرويّة ومزروعة جيداً وتتحكم بضخ مياه القنوات المتفرّعة على مجرى نهر الفرات إذ قطعت المياه مرارًا عن مدينة لكش الواقعة في الأسفل.

غير أن قادة مدينة أوما احتلوا كوادينا، في عهد الملك أور – نانشيه والملك أكوركال.

ما لبث الملك لكش إياناتوم، الباسل والقوي بحماس شديد، أن استأنف المعارك التي كان أسلافه قد شنّوها على العدو:

"أنا إياناتوم، كمِثل ريح عاصفة رهيبة،
أنشر العاصفة."

مِسلّة النسور

أظهر الملك إياناتوم التحدي تجاه ملك أوما وانتهى به الأمر إلى استعادة الأراضي المتنازع عليها، أراضي كو إيدينا. عندئذ نصب مسلةً فوق مكان المواجهة، بلغ ارتفاعها متراً وثمانين سنتمتراً، واجهتاها منحوتتان. تُمجِّد المسلّة مآثره السامية، وانتصاره على مدينة أوما وحاكمها.

لم يتمكن الزمن من محو آثار تلك المسلة المتكوِّنة من حجر الكلس ولا آثار ذلك الانتصار الحاسم. قاومت ذكراها فعل السنين لأنها منحوتة على الحجر الصلب. ويكفي المرء أن يلقي نظرة عميقة على إحدى واجهتي هذا الأثر، كي يظهر كل شيء أمامه وتستعيد الأحداث وهجها، وتتحرك جوانبها.

تعرض مسلة الملك إياناتوم، وهو يرتدي قبعة على شكل خوذة مصطنعة بشعره المُسترسل، يلبس جزته الصوفية الكثيفة، الموضوعة على أحد جنبَيه. وتُبرز اياناتم مُتقدّماً على رأس جيوشها المتناسقة في تسعة أنساق، في كل منها سبعة أرتال.

يمكن رؤية الجنود الذين يرتدون خُوذاً جلديّة ومسلحين برماح طويلة ومحميين بدروع كبيرة مستطيلة الشكل وهم يبرزون أكتافهم ويتقدمون بحركة متوازنة. فيشنون المعركة، ولا يمكن لأي شيء أن يوقف حماستهم، التي تظهر عبر حمولتهم الثقيلة وتلاحمهم والرماح الطويلة وهي ترتعد وتتلامس في ضوضاء الحرب. وهكذا تنتهي بالانتصار، وسعادة النصر وبهجته بادية على الوجوه. تجد مُحاربي مدينة لكش يتحرّكون ويدوسون بأقدامهم على قوات مدينة أوما التي سقطت على الأرض. وعندئذ تحلق النسور الساغبة في السماء وتستعد كي تساهم وتأخذ حصتها من الحفلة التي تلت الانتصار وتلتهم أجسام القوات المغلوبة.

يظهر الملك إياناتوم، على الجانب السفلي من المسلة، وهو يركب على عربة ويمرّ رافعاً أسلحته وملوحاً بها دلالة على الظفر، ويليه رجاله عراة الصدور وهم يحملون الرماح وفؤوسهم مثبتة على أكتافهم. تبدو عربته المجهزة بالعجلات المتينة وهي تطلق أصوات صريرها لكي تنقله إلى عالم المجد وإلى ذاكرة القرون القادمة.

ويعرض القسم الثالث المنحوت في الأسفل، أجساد جنود لكش المكدسة، التي يجري العمل على تكفينها بأدب ودفنها باحترام. ويقوم رجل على اليمين، يسكب الزيت المقدس.

وتبرز المسلة، على واجهة أخرى الإله الخاص لمدينة لكش، نين – جيرسو Nin-girsu، بوجهه القاسي ومظهره المتحكم، وصدره العاري وذراعيه الضخمين. يظهر هذا الإله في المسلة، يلبس سروالاً

مجهزاً بالفتائل الصوفية المتدلية وبقبعة من الشعر المستعار المتدلي وبلحيته المتموجة. يُمسِك الإله بيده اليسرى شبكة مسدودة بقوة نسر أسدي الرأس. هذا النسر رمز الإله. وفي تلك الشبكة يظهر جنود مدينة أوما وهم متراكمون بعد أن تجرؤوا على مقاومته عندما هبط على موقع اشتباك الجيشين. تعرض المسلة يد الإله اليمنى وهي تمسك بقوة كتلة صخرية يستخدمها للقضاء على أعدائه الأسرى.

أمر إياناتوم بكتابة نص بلغ عدد سطوره 465 سطراً على تلك المسلة، باللغة السومرية وبالحروف المسمارية، لكنها تعرض جزئياً إلى التشويه، و تروي الكتابة مختلف مراحل الحرب منذ البداية ولغاية انتصار الملك، الذي تمكن من حطم دولة أوما.

فيقول ملك لكِش :

"كان أمير أوما، يريد في كل مرة مع قواته (...) أن يستولي على كوأدينا، المنطقة المفضلة (للإله) لنين – جريسو فقضى (هذا الأخير) عليه. ضرب (الملك) إياناتوم أوما وقام بتقطيع أوصال 3600 جثة بسرعة... واقتحم إياناتوم حدود أوما و(نصب) في المكان نفسه مسلة. ليعمل (رجل أوما) على عدم تحريكها من مكانها. إذا اجتاز الحدود، فلتسقط على أوما، شبكة إينليل الكبيرة، إينيل ملك السماء والأرض الذي أدى قسم اليمين باسمه." 1

قدم إياناتوم، الأمير الحكيم والمنتصر الذي لم يعد قادراً على احتواء فرحته، قدم قرباناً على شكل حمامتين إلى أوتو Utu، إله الشمس. وتم رفع تلة بين أراضي المملكتين لتثبيت الحدود بينهما.

وتتطرق الكتابة أخيراً إلى القسم الذي أداه الملك أمام الآلهة وعقد اتفاقية مع أوما، فترك لسكانها إمكانية الزراعة في كوإدينا التي تخضع إلى لكش، مقابل دفع ضريبة له.

انتصارات أخرى لإياناتوم

حاز إياناتوم على انتصارات أخرى. وتبين كتابة منقوشة على صخرة جبسية تم العثور عليها في موقع تيلو (جيرسو) بأنه قد سيطر على بلاد الرافدين الجنوبية، ومنها أوما وأوروك وأور الوسطى وكيش. ويبدو بأنه ربما وصل إلى منطقة ماري (Mari) الواقعة على نهر الفرات الأوسط، في سوبارتو (آشور). وكان قد شن، في الشرق حملات منتصرة ضد بلاد عيلام (Elam)، بفضل حماية إلهه. وقد تمكن هذا الملك الفاتح الذي كان يقاتل كالأسد، من جعل مدينة لكش التي كانت في السابق باهتة، "مدينة ـ دولة" تميزت بقوتها لفترة طويلة.

كما تم العثور من قبل علماء الآثار الأمريكان، بالإضافة إلى المسلة هذه، على مبنيين ثقافيين، بدون أي شك، شيدهما إياناتوم، وهما معبد إيكا Ibga المكرس إلى الإلهة إينانا Inana ومبنى مهدى إلى الإله نين جيرسو Nin-girsu.

لم ينته النزاع مع دولة أوما، وها هو يندلع مرة ثانية عندما استعاد " أهل أوما" قدرتهم السابقة.

للأسف الشديد، الصراعات على الحدود لم ولن تتوقف أبداً على امتداد الأزمنة السابقة منها والحاضرة.

هوامش الفصل الثاني:

1 مقطع من كتابة مسلة النسور، جان لوي هيو (Jean-Louis HUOT)، السومريون (Les Sumériens)، نشر دار أيرانس (Errance)، 1989، ص 237

الفصل الثالث

أوروكاجينا (Urukagina) ملك لكش

المدافع عن الضعفاء

برز وجه شهير آخر، بعد قرن من الزمن، في سماء بلاد الرافدين، ألا وهو أوروكاجينا الحكيم والإصلاحي (حوالي 2351–2342 قبل الميلاد). هل وصل هذا الملك إلى عرش دولة لكش من قبل شعبه أم أنه استولى عليه بنفسه؟

تعرضت المدينة ـ الدولة إلى الضعف نتيجة نزاعها القديم مع مدينة أوما. حكم هذا الملك لمدة تراوحت بين ثمانية إلى تسعة أعوام، وتمكن من بسط ونشر الرفاهية على امتداد مملكته الصغيرة. وكان خلال حكمه، ينشر نسيم النظام والحرية والعدالة والمساواة. وكان يشعر بأنه مسؤول عن سعادة رعاياه.

هناك ستة كتابات ملكية منقوشة على ثلاث إسطوانات تم استخراجها سنة 1878 من قبل علماء الآثار الفرنسين في منطقة تلو (جيرسو الواقعة في جنوب العراق) تبين لنا بأن أوروكاجينا الأول، ربما هو أول من قام بإعداد مجموعة من الإصلاحات الاجتماعية، " ضد التعسف في الأيام الآنفة". وكان يرغب في تأسيس نظام

اجتماعي جديد. نددد بالأخطاء المتراكمة التي ارتكبها الملوك السابقين له في الحكم.

وتمكن من إنقاذ الدولة من هيمنة أصحاب الرتب العالية ومن الجباة والمستفيدين الذين كانوا يغالون في الاستفادة من امتيازاتهم، والذين كانوا يضاعفون الضرائب والرسوم على الشعب مثل الضريبة المفروضة على جزّ الخرفان البيضاء على سبيل المثال أو على صيد الأسماك. فكانوا يحصلون على أكثر من مستحقاتهم. وبذلك كانوا ينتهكون حريات المواطنين والمزارعين والصيادين وأصحاب الحرف والمهن والتجار.

عقد الملك ميثاقاً مع "نين ـ جيرسو"، إله لكش الوصي على الدولة وتعهد له بأن "لا يسلم الضعيف والأرملة بأيدي القوي" وعلى أن يدافع عن الفقير ضد الغني وحماية الحقوق الفردية للمواطنين.

هوذا مثال على إصلاحاته الهامة:

"إذا كان منزل رجل عادي مجاوراً لمنزل رجل هام. وقال له الرجل الهام:

ـ أنا أريد أن أشتريه.

فإذا كان الرجل العادي قد قال للهام الذي أراد شراءه:

ـ ادفع لي المبلغ الذي أعتقد بأنه السعر المعقول.

وإذا لم يشتريه الرجل الهام، فلا يجوز للرجل الهام أن ينتقم من الرجل العادي." 1

يعتقد الباحث الفرنسي المتخصص في الشؤون السومرية، جان بوتيرو (Jean Bottéro) بأن أوروكاجينا كان أول حاكم تحدث عن النبيذ عندما تطرق في إحدى كتاباته إلى مخزن الذي قام ببنائه وكان يجلب إليه من "الجبل" آنية مليئة بالنبيذ.

وكان لزوجته ساساك Sasag، سلطة إدارة اقتصاد المعبد المكرس للآلهة بائو Ba'u، زوجة الإله نين جيرسو، في العاصمة الدينية جيرسو، وكانت تتصرف في مواردها تصرفاً كاملاً. وقد عثر علماء الآثار على 1200 لوحاً تابعة لإدارة هذا المعبد، إنّها كتابات رسمية، ووثائق.

على أن محاولات الإصلاح التي قام بها أوروكاجينا تعرض للأسف قسم منها إلى الفشل. فقد تم خلعه من العرش عام 2342 قبل الميلاد من قبل لوكالزاجيزي Lugalzagesi ، حاكم أوما الذي اجتاح لكش وتمكن من تسوية النزاع الدائم نهائياً مع هذه الدولة.

وتعرض كتابة دونها أحد سكان لكش، منقوشة على لوح من الصلصال، حيث يقول متألماً إن لوكالزاجيزي أضرم النار بتلة الحدود لهذه الدولة، وقام أيضاً بحرق معبد أنتاسورا Antasura فنهب الفضة منه. وكذلك نفّذ مجازر في معبد تيراس Tiras وفي مصليات إنليل وأوتو (إله الشمس)، عاملاً على هدم تلك المعابد.

وتروي هذه الكتابة قائلة:

"لقد تعرض حقل جيرسو بمزروعاته الممتدة إلى أبعد الحدود للدمار، (وقام رجل أوما) بشلع الشعير منه.

رجل أوما، كان قد دمّر لكش فارتكب خطيئة ضد نين – جيرسو.

أما أوروكاجينا ملك جيرسو فإنه لم يرتكب قط أية خطيئة.

لتقمْ "نيادابا Niadaba"الاهة لوكلزاجيزي بصبّ هذه الخطيئة على رأسه." 2

وابتهل أوروكاجينا بأن تصب لعنة آلهة لكش على رأس أمير أوما.

ويذكر العلماء بأن أوروكاجينا، ربما قد عثر أخيراً على ملجأ له وأنهى حياته في مدينة أكّاد Akkadé الواقعة في جنوب بلاد الرافدين.

هوامش الفصل الثالث :

1- ترجمة أرنو بويبيل (Arno Poebel)، ومذكورة من قبل أس أن كرامير (S.N. Kramer) في كتابه المعنون التاريخ يبدأ في سومر (L'histoire commence à Sumer)، نشر دار أرتو (Arthaud)، 1957، ص 86.

2- كتابة حول أوروكاجينا، انظر: جان لوي هيو (Jean-Louis HUOT)، السومريون، نشر دار أيرانس (Errance)، 1989، ص 241.

الفصل الرابع

لوكلزاجيزي (Lugalzagizi)

ملك لدويلات سومر

بعد أن انتهى من فتح لكش، تابع لوكالزاجيزي (حوالي سنة 2342 قبل الميلاد) في سير معاركه. كان هذا القائد ميالاً إلى التصور بأن الحظ لن يتركه في القتال. وحسب اعتقاده الشخصي فإن الإله القوي إنليل Enlil الذي كان يحمي المملكة، قد سمح له الاستيلاء على مدينة أور وأوروك.

ثم تمكن من جمع وإخضاع وتوحيد الدويلات السومرية الواقعة في جنوب بلاد الرافدين سياسياً واقتصادياً لأول مرة في تاريخها. وأبقى في مكانها الدويلات الأميرية المحلية التي احتلها. ولهذا منح لنفسه لقب "ملك أوروك والبلاد"، أي ملك سومر. وقد تم العثور على كتابات في نيبور Nippur المدينة الدينية والمركز الثقافي السومري، منقوشة على كسور خزف، يزيد عددها على ستين وعاء خزفياً من الكلس، مهداة إلى الإله إنليل. تروي لنا أعماله العظيمة ورغبته في أن يسود السلام في بلاده وأن تعمّ الرفاهية والسعادة في أرجائه.

تقول الكتابات:

"عندما أعطى الإله إينليل ملك جميع البلدان، إلى لوكالزاجيزي، ملوكية البلد... وعندما وضع كافة البلدان تحت خدمته (و) وأخضعها

لقانونه، الممتدة من المشرق إلى المغرب ومن البحر السفلي [الخليج]، ومن دجلة والفرات إلى البحر العالي [البحر الأبيض المتوسط]. وجعل الإله [إنليل] الطرق الآمنة له. وقضى إنليل على الرعب من المشرق إلى المغرب. وهكذا كان البلد يعيش بسلام والشعب يسقي أراضيه بسعادة، وكانت كافة دويلات سومر (و) أمراء كافة البلدان ينحنون أمام أوروك وأمام قانونها الأميري...

وقد أهدى لإلهه إنليل سيده المحبوب، هذه الكتابة: ليرتلْ إينليل ملك كافة البلدان، صلاتي هذه وليقدمها إلى آن An، والده المحبوب! وليزدْ الحياة لحياتي!

وليجعل كافة الشعوب تعيش في سلام! وليعمل على تنمية الشعب كنمو العشب! ليجعل المرابط السماوية عامرة! ولينظر بحنان إلى الشعب! وليعمل على عدم تمويه الحظ السعيد الذي أقره لي! ولأمكث إلى النهاية الراعي (و) الساقي الأول." 1

لكن إنليل والآلهة لم يسمعوا صلوات لوكالزاجيزي، لأنهم غيّروا القدر الذي كانوا قد منحوه له وأسدوا للآخرين العناية بالبلد. ثم جاء ملك سامي منتصر، سرجون ملك أكد لكي ينتصر في ساحات القتال على ملك أوروك وأوما القوي. هناك كتابة منقوشة في مدينة نيبور تروي المصير المأساوي الذي شاهده لوكالزاجيزي:

"اقتحم سرجون، ملك أكد وملك البلاد، مدينة أوروك، ودمر أسوارها وقاتل رجال أوروك وانتصر عليهم وقاتل لوكالزاجيزي ملك أوروك ووضعه في الأسر وجلبه إلى مدينة نيور، مكبلاً عنقه بطوق حديدي" 2

يا لوكالزاجيزي، دعني أترحَّمْ على سوء حظك العاثر، وعلى المصير الذي أصابك! ها أنت تصل إلى نيبور بوجه مملوء بالدم والعرق، وها أنت الآن معروض على باب "إيكور" معبد إينليل. تتغذى بطعام الهزيمة الوحيد، غذاء الإهانة والمرارة. لقد كانت ساعتك

قصيرة جداً، وها هي بسالتك تتعرض إلى نسيان، وانتصاراتك أصبحت بدون جدوى وتحطم حلمك. ها هي الدائرة تنقفل أمامك والليل يهبط ليغطي مملكتك، ولم يبق لك سوى الظل والأغبرة التي تنتظرك.

هوامش الفصل الرابع:

1- جان لوي هيو (Jean-Louis HUOT)، السومريون، نشر دار أيرانس (Errance)، 1989، ص 241-242

2- انظر: منشورات تايمس – لايف (Times-Life) سومر، أمستردام، 1993، ص 119.

الفصل الخامس

سرجون الأكّادي

قوس وخاتم بلاد أكّاد

يمكننا القول إن سرجون الأكدي الذي حكم ما بين (2335–2279 قبل الميلاد)، هو الملك الشرقي الذي يتنافس القائد المقدوني إسكندر الكبير، إنه الملك الأول في تاريخ المنتصرين العظام وذي القلب الكبير. لقد احتل، بنظر العديد من المؤرخين العالميين نفس الدرجة التي احتلها قيصر وشارلمان ونابليون، أولئك القادة الأوروبيين المشهورين الذين حكموا إمبراطويات واسعة.

نجح سرجون في إنشاء دولة وإمبراطورية وسلالة دامت لمدة بلغت مائة وثمانين عاماً متواصلاً. أورث للذين أتوا من بعده مبدأ الشدة والبأس، واستمرت أسطورته كبطل حضاري، خالدة إلى ختام حضارة بلاد الرافدين القديمة.

أصوله المتواضعة

تشير الدلائل إلى أن سرجون المنحدر من أصول متواضعة حكم لمدة خمسين عاماً. كما أن اسمه الحقيقي غير معروف، إذ إن سرجون الأكدي أو شارو – كين "الملك الشرعي" ما هو إلا كنية أطلقت عليه.

كان السومريون يعيشون منذ فترة طويلة في بلاد الرافدين، في منطقة كيش وبقية المناطق سومرية. وفي ذلك الزمن، تمكن سرجون الملك السامي الطموح والمليء بالحيوية والمهارة في التخطيط لبسط سلطته والهيمنة بالقوة على جميع الأراضي الرافدية وتوحيدها سياسياً. تمكن بفضل انتصاراته العسكرية المشهودة، أن يُنشئ أول إمبراطورية تميزت بامتلاكها طموحات كونية واسعة في التاريخ، ووضع حد للدويلات السومرية الصغيرة.

تسرد أسطورة سرجون المحررة من قبل أحد المدونين الآشوريين في القرن السابع قبل الميلاد، كيف ولد في أزوبيرانو Azupiranu "مدينة الزعفران" من كاهنة كبيرة، ونظراً لعدم تمتعها بحق إنجاب الأطفال، قامت بوضع طفلها هذا داخل سلة مصنوعة من أغصان نبات الصفصاف تاركة إياه طافياً فوق مياه نهر الفرات. فوصلت هذه السلة إلى مدينة كيش، تلك المدينة الفخمة الواقعة داخل سهل مزروع بأشجار النخيل الباسقة. ألم تذكر التقاليد الشائعة، بأن الملكية هبطت في لكش بعد قيام الطوفان. وقام بستاني بالتقاط الطفل وتكلف بتربيته. وأصبح فيما بعد الطفل المفضل للآلهة عشتار، آلهة الحب والحرب.

وتقص الكتابة:

"أنا سرجون، الملك القوي، ملك أكد. لقد حملتني أمي الكاهنة الكبيرة وجاءت بي إلى العالم في السر. أبي، أنا لا أعرفه. أخوة أبي، يعسكرون في الجبل. المدينة التي [ولدت فيها] هي "أزوبيرانو" الواقعة على ضفاف نهر الفرات.

لقد حملتني أمي، الكاهنة الكبيرة، وولدتني في العالم سراً. ووضعتني داخل سلة من القصب وأغلقت فتحتها بالقار، ورمتني في النهر بدون أن أتمكن من الخروج.

حملني النهر وأوصلني لغاية "أكي Aqqi"، غارف المياه تبناني كما لو كنت ابنه وقام بتربيتي، [وقام] بتعليمي مهنة البستاني التي كان يمارسها. وبينما كنت أعمل بستانياً، وقعت الآلهة عشتار مغرمة بي، وهكذا فقد مارست الملوكية لمدة ست [وخمسين سنة]." 1

تبين قائمة الملوك السومريين التي تمت صياغتها في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد والتي تشمل على خمسة عشر لوحاً، بأن سرجون كان ابناً لأحد مزارعي النخيل. وأصبح فيما بعد ساق لدى أور – زابادا، ملك كيش.

وبعد أن حالفه الحظ، تمكن من الاستيلاء بمهارة على العرش حوالي سنة 2335 قبل الميلاد. فهل تم اختياره كوريث للعرش هذا، أم أنه تمرد على سيده أور – زابادا واستولى على مقاليد الحكم؟

الفاتح

نُصبت تماثيل ومسلات من قبل سرجون نفسه ومن قبل الملوك الذين أتوا بعده في معبد إنليل داخل مدينة نيبور. غير أنه لم يتم العثور على أية واحدة منها.

وتم مع ذلك العثور على قطع من مسلة مصنوعة من حجر الديوريت البركاني المنقوش على لوحة منحوتة (حالياً في متحف اللوفر) أثناء التنقيبات الجارية في نيبور في القرن التاسع عشر. وهي القطع التي تعرض علينا الملك المنتصر واقفاً تحت قبة التعظيم، وهو يضرب بحضور الآلهة عشتار أعداءه المغلوبين داخل شبكة، بينما تظهر جثث هؤلاء الذين اعترضوه متروكين طعماً للحيوانات والطيور المفترسة. كما تظهر هذه اللوحة عدداً من الأسرى مقيدي الأيادي خلف ظهورهم وهم يسيرون نحو مصيرهم المحتوم.

وتقدم لنا الكتابات المنقوشة على لوح صغير أعمال سرجون البطولية، ذلك الملك الجريء والتقي في نفس الوقت.

لقد تمكن هذا المحارب الذي اشتهر بقوة طالما قارنتها الكتابات بقوة الأسد والذي لم يعرف الرعشة في حياته أبداً ولا الشك ولا الضعف. وضع ثقته كاملة في الآلهة وفي حسن نجمه بصورة غير معهودة وتمكن من صناعة حلمه مثل حداد يصنع سيفه بنفسه. انتصر انتصاراً باهراً على "لوكالزاجيزي"، ملك أوروك القوي. وحطّ بقدميه على المدن السومرية الأخرى، مثل أور وأوما ولكش وهدم أسوارها وأخضعها جميعها. ووضع حدا لصراعاتها المستمرة. وهكذا ساد ملكه وحكمه على كامل البلاد.

منح سرجون لنفسه لقب ملك أكد وملك كيش وملك البلد بعد أن تمكن من توحيد بلاد الرافدين السفلى. إنه رجل مقدام يتمتع بقلب حديدي، لم يتردد في إدارة أعماله كوميض البرق الوهاج بانتصاراته الباهرة، ليس فقط على البلدان التي خضعت له صاغرة ولكن بشدة ضيائه الزاهي ونجومه الجديدة!

مؤسس الإمبراطورية الأولى في الشرق الأوسط

توفرت لسرجون وسائل عسكرية هامة، تمثلت في جيشه الدائم الحضور والقوي والمخلص لقائده الذي كان يتكون من عدد وصل إلى 5400 رجلاً. كانوا يتناولون وجبات طعامهم أمامه في كل يوم، كما هو مذكور في كتابة بهذا الصدد تم العثور عليها. لقد كانت القوات والدروع والأقواس والرماح والفؤوس والعواصف والأعاصير أدوات حظ رافقته في كل حروبه ضامنة له الانتصار تلو الانتصار ومانحة له ولجيشه الغنائم والمزيد من الأراضي.

ألم يرتاح بسلام قلب ملك أكد بثمار أعماله وفتوحاته؟ وهل دفعه طموحه إلى توسيع قدراته للانطلاق في فتوحات أخرى لأجزاء أخرى من مناطق الشرق الأدنى وإنجاز انتصارات أسمى من انتصاراته السابقة؟

تذكر لنا قصص وأساطير متنوعة بأنه سيطر على بلاد عيلام في الشرق وتقدم لغاية الخليج، وبأن جنوده قد غسلوا أسلحتهم بمياه البحر. كما أنها تشير إلى تقدمه باتجاه الشمال الغربي واستيلائه على مدينة ماري ثم على مدينة إبلا. وتطرقت ملحمة حملت اسم "ملك مقاتل" بأنه وصل إلى غابة الصنوبر (لبنان وأمانوس) ودخل إلى الأناضول. كما تروي قصة بطولية أخرى بأنه ربما اخترق البحر الغربي إلى أن وصل إلى جزيرة قبرص.

يلخص التاريخ البابلي هذه الانتصارات الباهرة:

"بخصوص سرجون ملك أكد و بإشراف سلطانة الآلهة عشتار، لم يظهر في زمانه أي منافس له ولا أي عدو. نشر بريقه على كافة البلدان واجتاز البحر وصولاً إلى المشرق. واجتاح في عامه الحادي عشر بلد المغرب إلى أن وصل إلى أقصى حده، فوضعه تحت سلطته الوحيدة ونصب فيه تماثيله وقام بتوصيل الغنائم على القوارب." 2

وهكذا نشأت الإمبراطورية الأكّادية، في قلب سهول بلاد الرافدين وانطلقت عبر التلال والهضاب. وهنا يخطر سؤال، ما هي الإمبراطورية؟ كان هذا المصطلح غير معروف لدى سكان بلاد الرافدين القديم؟ هل يدل على مجموعة من الممالك المغلوبة والأراضي المأهولة بأقوام متنوعة وخاضعة لسلطة الملك، أو يدل على دولة واسعة تُدار من عاصمة معينة؟ إن المصطلح يدل على مرحلة من مراحل التنظيم السياسي للبشرية.

قام سرجون، ملك كيش وملك "العموم"، أي ملك الأرض بأكملها، وفقا للكتابات التي ذكرته، بإدارة وقيادة إمبراطوريته بحنكة سياسية

حقيقية. فنصيب حكام أكديين مدنيين وعسكريين في المقاطعات التابعة لإمبراطوريته، وقام أيضاً بتعيين بعض القادة المحليين لإدارة مناطقهم وثبّتهم في السلطة وجعل منهم موظفين مألوفين. وتمكن من إضعاف القوة الاقتصادية للمعابد وتأثيرها على السلطة. وقام أيضاً بإعداد رؤية خاصة وجديدة للعالم، حيث يتم الاعتماد على البنى الاجتماعية والعسكرية والدينية. وهكذا حسب اعتقاده، كللته الآلهة بالمجد وسطع بريق أيامه.

أكّاد، العاصمة الجديدة

تشير الدلائل المذكورة في *"قائمة الملوك السومريين"*، بأن سرجون ربما كان قد أسس عاصمته الجديدة "أكّاد" في مكان ما، بمنطقة بابل وكيش وسيبا، وصممها على أن تكون مدينة خالدة مثل الماء والسماء. شيد فيها القصور والمعابد، وكرّس ومنح معبدها الكبير هدية للإلهة عشتار، التي سهّلت وصوله إلى السلطة.

هناك قصيدة سومرية طويلة تم تحريرها في بلاد سومر، وبلا شك في مدينة نيبور، في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وهي قصيدة *"لعنة أكد"*، تقدم لنا وصفاً باهجاً لمدينة أكّاد الغنية والحافلة بالرفاهية والمحاطة بسور كبير، ويتيح للمرء التجول في شوارعها المحاطة بالمنازل الفخمة والموسرة.

تروي القصيدة:

"في ذلك الزمن، كانت منازل أكد مليئة بالذهب وبيوتها الساطعة مليئة بالفضة، وكان النحاس والقصدير وقطع اللازورد مكدساً بكميات كبيرة في مستودعاتها مثلها مثل الحبوب التي كانت مخازن الغلال تفيض بها في كافة المناطق. وكانت النساء المعمرات يمتلكن موهبة تقديم النصائح للآخرين بينما كان الرجال الكبار يبرعون في الفصاحة.

وكان الشباب يبدعون في استعمال الأسلحة والأطفال يمرحون بقلوبهم السعيدة... لقد كانت أغاني المرح تشدوا في أرجاء المدينة، يرافقها العزف على القيثارة وأصوات الناي تصدح خارج المدينة مع الأغاني المصاحبة لها." 3

كانت المدينة ثرية بمعابدها وزقوراتها وقصورها المشيدة بالقرميد، ترسم لها صورة أصيلة في الميناء. تدخل السفن محملة بالمنتوجات الغريبة والثمينة مثل الذهب والنحاس والحجر البلوري واللازورد والعقيق الأحمر واللؤلؤ والعاج والخشب والتمر، الواردة من ميلوخا Melukhkha (من إيران أو وادي الهندوس) ومن ماكان (عمان) ودلمون (البحرين،) وهي ترسو بسعادة على أرصفة نهر دجلة، ناشرة عيداً من الألوان والعطور والأصوات والأضواء أمام عيون المتجولين المنبهرة.

كان سرجون الأكدي، يدير بلاطاً ساطعاً وكانت التجارة نشيطة في إمبراطوريته، ونمت الفنون في ربوعها الواسعة لتمجيد ملكها القوي.

الكاهنة الكبيرة، إين هودو أنا En-hedu-ana

أعلن سرجون نفسه "نائباً عن آنو"، إله السماء السومري وجعل من "إنانا ـ عشتار" آلهة عظمى لمدينته أكّاد، ومنح أيضاً التكريم والإجلال للإله القوي إنليل في مدينة نيبور. استغل سرجون عادة تقليدية كانت متداولة في العصر السابق له، بتعيين ابنته المولودة من زوجته تاشلولتوم، كاهنه كبرى لإله القمر السومري "نانا" في مدينة أور، بغية استمالة بركات الآلهة له والتحكم الكامل على السكان الجنوبيين. كان هذا التقليد متبعاً لمدة طويلة في تلك المنطقة. وقد اتخذت هذه الفتاة الشابة عندئذ اسماً سومرياً "إن – هودو ـ أنا" وعاشت حياة عفيفة داخل محيط المعبد وأنجزت بحماس مهمتها الممنوحة لها.

وكان اسم "إنانا ـ عشتار" ملكة السماء يسطع بين شفتيها وكرست لها ترتيلة جميلة، وألّفت أناشيد للمعابد وللأماكن المقدسة في سومر وكتبت قصائد أهدتها لها باللغة السومرية.

يمكننا أن نرى صورة "إن – هودو ـ أنا" منقوشة على قرص نذري معمول من حجر الكلس، لقد تم العثور عليه في مدينة أور وهي ترتدي ثوباً منمقاً وتشارك في احتفال لتقديم النذور إلى الإله نانا. ويمكن من قراءة كتابة منقوشة في ظهر القرص نفسه هذا (الموجود اليوم في متحف فيلاديفيا)، تذكر الألقاب الممنوحة لها: الكاهنة الكبيرة، زوجة الإله نانا وابنة سرجون.

سرجون، البطل المؤسس

كان من الصعب جداً حكم وإدارة إمبراطورية واسعة مثل إمبراطورية سرجون. وقد أبدت المدن السومرية رغبتها في الهيمنة على مصيرها وأظهرت نوعاً من عدم تحمل الخضوع إلى سيطرة أكد عليها. وحينما بلغ سرجون عمر الشيخوخة، واجه تمرداً نشب ضده.

يذكر *تاريخ الملوك القدماء*:

"من الشرق وحتى الغرب، نشب تمرد ضده وكبده ذلك الإرهاق "4

تعرض سرجون إلى حصار في عاصمته، لكنه نجح في القضاء على التمرد، وبذلك بلغ غاياته القصوى الباهرة. لقد أدت ثروته الجلية وأعماله البارزة وانتصاراته وتاريخه الملحمي، إلى أن يدخل إلى عالم الأساطير والروايات التي غمرته من كل جانب. وهكذا أصبح بطلاً ومؤسساً مثل جلجامش. وصار ختماً وقوساً ورمحاً وعلامة مشهودة لدولة أكد.

نُصبتْ تماثيل للملك سرجون بعد فترة طويلة من وفاته، في قصور بلاد ماري Mari وفي معابد بابل التي طالما حظيت بالإكرام.

وورث من بعده ابنه ريموش (2278–2270 قبل الميلاد) إمبراطورية زاهية ولكنه اضطر إلى مواجهة تمرد بعض من المدن التابعة لإمبراطوريته الواسعة مثل أور ولكش وأوما فقام بقمعها بقسوة. واستمر باقتفاء سياسة والده، لكنه تعرض للاغتيال من قبل خدمه، كما يروي ذلك نصّ تاريخي. إذ يظهر هذا الملك في مسلة معمولة من الآجر تعرضت كتابتها إلى التلف جزئياً وهو يخوض القتال طارحاً أحد أعدائه على الأرض وواضعاً قدمه على بدنه.

ثم حكم بعده أخوه، مانيشتوسو (2269–2255 قبل الميلاد)، الذي أخذ كناية "ملك كيش، ملك العالم"، وقام بحملة في الجنوب الشرقي من إيران. ويظهر هذا الملك في تماثيل معمولة بالحجم الطبيعي ومصنوعة من الحجر البلوري البركاني، وهو جالس أو واقف، مرتدياً ثوباً طويلاً منسوجاً ومزيناً بالأهداب **وبخال** صوفي. ويروي نصب رائع مصنوع من الصخر البركاني البلوري، هرمي الشكل ومغطى بكتابات رشيقة، عمليات شراء الأراضي من قبل هذا الملك في منطقة كيش، وكان يقوم بتوزيعها فيما بعد على موظفيه ذوي الرتب العالية (النصب في متحف اللوفر).

تبنى واستعمل الأكاديون الكتابة المسمارية التي أبدعها السومريون، لكن أصبحت لغتهم الأكادية، وهي إحدى اللغات السامية، اللغة الرسمية للإمبراطورية الأكّادية وبدأت بالهيمنة على مختلف المناطق. لقد استمرت هذه اللغة بنشر إشعاعاتها ما يقارب ثلاثة آلاف سنة، قدمت نصوصاً أدبية هامة، لا بد وأن تفتخر بها حضارة بلاد الرافدين.

هوامش الفصل الخامس:

1- ترجمة أر لابات (R. Labat)، أديان الشرق الأوسط الآسيوي (Les religions du Proche-Orient asiatique)، نشر دار فايارد/نويل (Fayard/Noël)، باريس 1970

2- تاريخ الملوك القدماء (La Chronique des rois anciens) في تواريخ بلاد الرافدين، جي غلاسنير (J. Glassner)، باريس، الآداب الجميلة، 1993، ص 219.

3- لعنة أكد

4- انظر: المصدر السابق أعلاه، تاريخ الملوك القدماء (La Chronique des rois anciens) في تواريخ بلاد الرافدين

الفصل السادس

نارام – سين (NARAM-SIN) الباهر

عشتُ فترة من الزمن في بغداد. ذهبتُ في يوم من الأيام إلى متحف الآثار القديمة، فدخلت في متاهة السنين الماضية والغنية لبلاد الرافدين، ولم أجد نفسي إلا وأنا واقف في إحدى القاعات أمام تمثال لرأس جميل مصنوع من البرونز وبالحجم الطبيعي. كان الأمر يتعلق بدون شك بتمثال هامة نارام – سين (2254–2218 قبل الميلاد)، ابن مانيشوتسو وحفيد سرجون. كان تمثال الهامة البرونزي مصنوعاً بطريقة فنية ومزركشاً، وكانت تبرز جلياً رقة وواقعية في تصميميه وإعداده. لكن للأسف الشديد هناك أعداء، عملوا في السابق على كسر جزء من هذا العمل الفني الجميل الذي تم العثور عليه في مدينة نينوى، إذ قاموا بكسر أنفه المعقوف وقطعوا أذنيه. وبقي محجرا العنين الواسعتين، المكسوتان في السابق بالأحجار الكريمة، تراقبان المعارك، فارغتين وعجيبتين. بدا لي هذا العمل البرونزي الذي حافظ على آثار التأكسد والذي لا تزال روح ذلك الملك القوي عالقة به، وكأنه يعبر عن سلطته الأكيدة وهيمنته التي طالما تأججت شعلتها في سابق الأزمنة الماضية.

كان وجه الملك ذي الملامح الذكية والنبيلة والصافية محاطاً بخصلات شعره المضفورة والمعقودة على عنقه على شكل جديلة

وبعصبة مسترسلة على جبينه وهو يلتحي بلحيته الطويلة والمجعدة. لابد وأن يكون هذا الوجه الجميل قد خضع في السابق إلى رسم دقيق وتصميم نموذجي ليبقى دوماً خالد المظهر وليحيا في نوع من الديمومة الفاتنة، إذ تفنن في صنعه حرفي أكادي ماهر. وهكذا تمكن هذا التمثال من أسر قلبي بجماله الأخاذ ولم يغادر مخيلتي أبداً.

وبحنين راقبت ضوء مادة صنعه وسألت نفسي عن الوجه الحقيقي للملك نارام – سين.

يا ملك أكّاد، ما هي الأفكار والرغبات، والمشاعر الملتهبة والأحلام الواسعة والظريفة التي وشحت عينيك، يا أيها الملك الصامت؟ ما ابتسامة الدعابة التي كانت تنزلق على شفتيك المعقوفتين قليلاً؟ ماذا حل بأولادك وزوجاتك وسفنك ومدنك التي كانت تنطلق منها المعارك ضد ملك بلاد "ماكان"؟ هل حدثت كل هذه الوقائع منذ زمن بعيد جداً؟

تملكتني رغبة لاكتشاف دقات قلب هذا الملك الكبير الذي برز تاريخه ونضج ذكره مثل فاكهة جميلة ودام على مرّ الزمن مضيئاً بأقمار حياته.

الفتوحات

قام نارام – سين المحارب الشجاع المجهز برمحه المنيع والمخطط العنيد، واثقاً بأن الآلهة اختارته وتقدم له الحماية. وبفضل عبقريته العسكرية، شن الحروب دون توقف للدفاع عن إمبراطوريته ولتوسيع حدودها. وقام بحملات متجهاً نحو الشمال الغربي، وادّعى بأنه تمكن من تدمير مدينة إبلا في سوريا. وسار باتجاه قيليقية، فوصل إلى بلاد الأناضول لغاية بلوغ منطقة ديار بكر الحالية. وسيطر على بلاد آشور ونوزي (في كردستان العراق) وشوش عاصمة عيلام وماكان (جزيرة عمان). و"ذهب إلى الأماكن التي لم يتمكن أي ملك آخر من الذهاب إليها قبله."

سجل أحد كتاب عصره فيما بعد مآثر هذا القائد قائلاً:

"فتح نيركال (إله العالم السفلي) الطريق أمام نارام – سين القوي ومنحه أرمانوم وإبلا. وقدم له أيضاً أمانوس، جبل الصنوبر (لبنان) والبحر العالي (البحر الأبيض المتوسط)." [1]

وقبل فترة، تم اكتشاف أطلال تعود إلى قلعة هامة كان الملك نارام ـ سين قد شيدها في منطقة ناكار (تل براك)، الواقعة في الشمال الشرقي من سوريا.

وهناك مسلة مصقولة داخل صخرة في مضيق داربند أيكوار الواقع على مسافة 45 كيلومتراً جنوب مدينة السليمانية، تروي انتصار الملك نارام – سين. كما تروي انتصاراته، قطعة معمولة من حجر البازلت عُثِر عليها في كردستان العراق وتعود إلى مسلة أخرى.

ولكن المسلة الأكثر شهرة، هي تلك المعمولة من الصلصال الرملي والتي كانت منصوبة في سيبار وجلبها فيما بعد إلى منطقة شوش ملك عيلامي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهي محفوظة اليوم في متحف اللوفر في باريس. تحتفي هذه المسلة بانتصار الملك نارام – سين على اللولوبيين القادمين من زاغروس في الشرق من نهر دجلة.

وهي تظهر الملك يسير في يوم مشرق من أيام أكد نحو قمة جبل تحيطه الأشجار، وتبدو علامات الانتصار مرتسمة على قسمات وجهه، وتبرز عيناه مزخرفة من الجانب. إنه يرتدي وزرة ويحتذي نعلين في قدميه ومسلحاً بقوس وبفأس وحربة. كما تعرض هذه المسلة ملكاً مليئاً بالجرأة والحماسة تلوح عليه سيماء رجل أكبر من أيام تاريخه وهو يستعرض بدنه الضخم وقواته (ممثلة بتسعة جنود) يواجهون جيش العدو (الممثل بتسعة جنود أيضاً) وهم يتقهقرون بسرعة كبيرة أمام تقدم قواته الزاحفة، وهم يرفعون أعينهم نحوه.

ويظهر هذا الملك المجيد مرتدياً قلنسوته المجهزة بقرون بارزة، التي ترمز إلى الخصال الإلهية، وهو يتسلق بخفة عالية قمة الجبل

حيث النجوم المضيئة ترمز إلى الآلهة، متوجهاً نحو قمة بهاء عصره. كان يعيش يوماً مليئاً بالنشوة وطويلاً كسنة كاملة وها هو يتلذذ بنصره. لقد خلّد ارتقاءه في ذاكرة الرجال.

التمرد العام

تتطرق بعض الكتابات المنقوشة على البرونز إلى إنجازات نارام – سين في مدينته أكّاد إضافة إلى تسعة انتصارات حاز عليها هذا الملك الاستراتيجي الماهر خلال سنة واحدة: "عندما تمردت أربعة مناطق سوية ضدي..."، وهي المناطق العائدة للجهات الأربعة الرئيسة.

أجل، لقد نشب تمرد كبير، ضد نارام – سين، بتاريخ غير محدد تماماً، كما تذكر لنا ذلك رواية متأخرة تعود إلى العصر البابلي القديم (2004–1595 قبل الميلاد)، وتروي بأنه تمردت مقاطعة سوريا وعيلام ضد حكمه.

وفي تلك الأزمنة، قام الملك بإخضاع مدن سيبار وكيش في الشمال ونيبور وإيزين وأوما ولكش وأوروك وأور في جنوب البلاد المتمردة بالقوة ونشر السلام فيها... وحاز عندئذ على نصر ساطع بأسرع وقت ممكن. كما أنه تمكن فيما بعد من القضاء على ثورات أخرى نشبت ضده في سوريا والأناضول.

الإصلاحات

باشر نيرام – سين الذي كانت تمتلكه رغبة في تحقيق طموحات كبيرة، بإصلاح الإمبراطورية الأكّادية، دينياً وسياسياً واقتصادياً. وجعل من "المدن ـ الدولة" مقاطعات خاضعة للمركز، كما أنه اهتمّ بالزراعة اهتماماً خاصاً.

وبالرغم من منحه الأولوية إلى الإله إنليل، فإنه فضل بصورة خاصة في مدينة أكّاد عبادة الآلهة إنانا/عشتار. وقام الملك العمران، بإعادة تشييد معابد في مختلف المدن، منها أكد وسيبار، وأور حيث عين ابنته إنميناننا، كاهنة عظمى لنانا. وقام بأبهة إعادة تشييد في العاصمة الدينية نيبور معبد الإله إنليل المعظم، وعمل على توسيعه.

وكان مفهومه للملكية يختلف عن المفهوم السائد لدى أسلافه، فقد تغلب النظام الملكي على كافة الأنظمة الأخرى في عصره. لقد اتّخذ نارام – سين ملك أكد وكيش مثل سرجون الأكّادي الذي كان يدعي بأنه يتطلع إلى الحصول على الملكية الكونية، اتّخذ لنفسه لقب "ملك المناطق الأربعة (في العالم)"، لأن عاصمته أكّاد في بلاد الرافدين كانت مركز العالم بالنسبة له ولمعاصريه. وكان سكان هذه المدينة يتضرعون إلى الآلهة لكي تعترف بالخصائل الإلهية للملك نارام – سين، حامي النظام الكوني الذي اهتم بحماية المدينة وعمل على تخليصها من الخطر. قام الملك بوضع عبارة خاصة ومميزة قبل اسمه، وهي العبارة التي تميز الآلهة ولقب الآلهة (*إيلوم* باللغة الأكّادية). وارتدى القلنسوة ذات القرون البارزة التي كانت ترمز إلى الآلهة، كما يظهر ذلك في مسلة سيبار التي تم نصبها احتفاء بانتصاره على اللولوبيين، ولكنه بقي رجلاً حقيقياً وسامياً مقارنة بالآخرين. لقد تملكته الرغبة في عرض سلطته المطلقة.

كما قام نارام ـ سين أيضاً بإصلاح الكتابة المسمارية المعقدة وبسّطها وجعلها خطوطاً أكثر أناقة في الأعمال الإدارية. وباشر بإصلاح إملاء اللغة الأكّادية التي كانت مستعملة في الوثائق الرسمية والتي انتشرت فيما بعد في كافة بلدان الشرق الأوسط والأدنى كلغة للقانون والتاريخ والمعاملات. وازدهرت في عهده الثقافة والفنون الجميلة، ويشهد على ذلك الرأس البرونزي المشهور والموجود في متحف بغداد.

بلغت الإمبراطورية الأكّادية تحت رئاسة الملك نارام – سين، أوج عظمتها وامتدت لتشمل أراضٍ واسعة، وهو الامتداد الذي سبب صعوبات للملك. دافع سياسياً وعسكرياً عن حدوده وصد هجمات البرابرة الذين كانوا يتقدمون نحو سهول بلاد الرافدين بين فترة وأخرى لشن الحروب ضدها.

لعنة أكد

كيف كانت السنوات الأخيرة من الحكم الطويل للملك نارام – سين، ذاك الملك القوي والمنتصر؟ تنقصنا معرفة الأحداث لتلك الفترة؟

أصبح نارام – سين بعد وفاته، بطل القصص والروايات المتنوعة. وقد حاز على التمجيد لمدة طويلة مثل الملك سرجون، بل إن الأمر وصل إلى أن يكون موضع عبادة في المعبد، لينال حظوة إله معبود ومعصوم من الأخطاء!

وكان آخر حكام الدولة الآشورية الجديدة (721-612 قبل الميلاد) يعتبرون أنفسهم مكملين وعلى خطى الملكين الأسطوريين سرجون الأكّادى ونارام – سين الذين اختاروهما كمثال لهم واحتذوا بسيرتهما.

وبالإمكان تقديم رؤية أخرى، لا تصب في مصلحة الملك وفق الظروف السياسية والفكرية للفترة التاريخية التي حكم فيها. لقد تعرض الملك نارام – سين إلى الانتقاد بالرغم من انتصاراته الواسعة، واتُّهم بتخليه عن التقاليد المتداولة وعمل على إثارة غضب الآلهة والتسبب في نشوب أعمال التمرد والغزو، الناتجة عن تكبره وعدم خضوعه لإرادة الآلهة وتجاوزه على حدودها، مما أدى إلى سقوط أكد.

تروي قصيدة سومرية طويلة مؤثرة، نُسخت مرات عديدة، وهي قصيدة لعنة أكّاد (من المحتمل أنها كُتبت في نهاية الألفية الثالثة

ق.م.) كيف ارتكب نارام – سين خطأ وأهمل تقديم عبادة كافية للإله الكبير انليل وتخلي عن منح الأولوية المطلوب له. ولعله كان قد حاد عن الطاعة المفروضة تجاه الآلهة التي تعتمد عليها رفاهية المملكة حسب اعتقادهم.

وربما كان الملك قد سمح في مدينة نيبور لجنوده بنهب "إنكور"، معبد إنليل الذي كان قد قام بترميمه، وتحطيم أخشابه المقدسة وجلب الغنيمة إلى أكّاد. لذلك فإن الإله إنليل الذي تعرض إلى الإهانة، أرسل إلى بلاده من جبال زاغروس الغوطيين، ذاك الشعب البربي. وتصفهم كتابة قديمة "بأن هذا الشعب لا مكان له بين الشعوب المتحضرة، لأنه لا يتقبل أية سلطة عليه". وهكذا رمت الآلهة الغاضبة لعنة رهيبة على نارام – سين متهمة إياه بانتهاك المقدسات وعلى من بعده وعلى عاصمة أكد التي تعرضت إلى الإهمال:

"إيه يا أكد، ليعد صلصالك إلى الأبزو (منطقة المياه الأولية)... ولترجع حبتك إلى مكانها. لينهار القصر المشيد في أجواء الفرح وليحدث ذلك وسط القلق. وليُظهر الأشرار أصداء عويلهم في الهضبة القاحلة... لتلتقي العربات السائرة على الطريق بعشب النحيب ..."[2]

وبناء على هذه القصيدة، يبدو أن أكّاد قد تعرضت إلى هجمات شنتها عليها الأقوام الغوطية حيث هدمت أسوارها وحطمت قصرها. وتختتم القصيدة أبياتها الحزينة بكلمات ملؤها الأسى: "لقد تهدمت أكّاد، وحمداً للآلهه إنانا!"

لم تتوفر لنا أية دلائل تُسند عليها هذه القصة التي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال، ولم تظهر التنقيبات المنجزة في إيكور أو في نيبور أية علامة تشير إلى أن تدمير مدينة أكّاد يعود إلى فترة حكم نارام – سين.

ظهر نص آخر، يقص مسؤولية نارام – سين، ويروي لنا بعض الأحداث المأساوية التي حدثت خلال مدة حكمه. وقد تم تحرير هذا النص من قبل مدّون كتبه على مسلة طلب الملك بنصبها فيما بعد داخل معبد الإله نركال في منطقة كوتا أو كوتو (تل إبراهيم الواقع في الشمال من بابل)، في حالة غزو البلد من قبل البرابرة. هذا النص الجميل معروف على شكل نسخة تعود إلى الفترة الآشورية الحديثة، موضوعة في مكتبة آشور بانيبال في نينوى. ولقد تم إعادة تشكيلها وترميمها استناداً على بعض قطع متبقية من مسلة أكثر قدماً. وتبين لنا كاتب الملك واثقاً جداً من نفسه وثقته عالية بحريته، وهو يتحدى الآلهة في غمرة قوته.

وتتحدث هكذا:

"وهكذا قلت لنفسي: "يا ترى أي أسد استشار جواب الآلهة؟ وأي ذئب استجوب [بتاتا] العرافة؟ أريد أن أذهب مثل ناهب، كما تملي عليّ رغبتي وأتحدى الإله (؟) وسأضع مصيري في يدي." 3

وكان الاعتقاد بأن التقصير في طاعة إرادة الإله لابد وأن يؤدي إلى العقاب وإلى بؤس شديد ينتاب الملك وشعبه: كالتمرد والغزوات والجوع والرائحة النتنة والموت. ذلك هو ما يحدث في مثل هذه الحالة.

يتطرق نارام – سين إلى حملاته الثلاث الأولى التي شنها ضد الغزاة، اللولوبيين (القادمين من منطقة زاغروس) وخاصة ضد الغوطيين. وقد أدت هذه الحملات الرهيبة إلى فقدان حياة الألوف من جنوده. حشد الملك في السنة الأولى عدداً بلغ 12000 جندياً، ولم يعد منهم جندي واحد حي، كما أنه عبأ 50000 جندياً في السنة الثانية وكذلك 60700 في السنة الثالثة. ومع ذلك بقي النصر بعيداً. ها هو الملك اليائس يعترف بعجزه ويقول:

"أصابني عندئذ يأس كبير، وبؤس وحزن،
كنت أتألم وأتأوه وأتحدث مع نفسي:
ماذا سأترك لوريث عرشي،
أنا، الملك الذي لم يتمكن من إنقاذ بلده،
وأنا، الراعي الذي لم يتمكن من إنقاذ شعبه؟" 4

قدّم نارام – سين وهو حزين، قرابين إلى "إيا"، إله المياه العذبة والحكمة. وشن عندئذ بشجاعة بطولية حملته الرابعة لإنقاذ بلده من البرابرة:

"بدأت الفؤوس تسيل بالدم...
هرب من بينهم (الأعداء) اثنا عشر مقاتلاً، للتخلص مني،
وانطلقت بسرعة لملاحقتهم،
هؤلاء المقاتلين، تمكنت من القبض عليهم،
هؤلاء المقاتلين، أخذتهم أسرى." 5

أخيراً، أنقذت الآلهة الملك بفضل تدخلها، فصد أعداءه وأخضعهم لإرادته. هل كان عليه أن يحكم بالموت عليهم؟ استشار الملك عندئذ رأي وسيط الإله، فجاوبه بأن يترك الأمر للآلهة لكي تعاقب الأسرى، وأطاع ما قال له.

أخذ نارام – سين، الغني بتجربته الطويلة، الدروس لكي يتفادى ورثته الملوك والحكام في المستقبل أن يرتكبوا نفس الأخطاء التي ارتكبها هو في الماضي. وقدم لهم نصائحه بنبرة تقية ومتواضعة ورشيدة. يدعوهم لكي يعيشوا الحاضر ويستفيدوا من الحياة ويبحثوا عن السلام:

"أنت، مهما كنت حاكماً أو أميراً أو أي كائن ما،
أنت الذي اختارك الإله للممارسة الملكية،
قمت لأجلك بصنع لوح من العاج، وكتبت هذه المسلة (...)
استشر هذه المسلة، أو ليقرأ عليك قارئ ما تقول هذه المسلة (...)
إذا أردت أن تكون أساساتك ثابتة،

وأن تمارس الحب في أحضان زوجتك،
ضع ثقتك في أسوارك،
واملاء خندقك بالماء،
وأدخل صناديقك وحبوبك وفضتك وأثاثك،
داخل مدينتك المحصنة،
احزم الأسلحة ولا تتركها في الملجأ،
احتفظ ببسالتك وأمّن سلامك الشخصي (...)،
ليقم المدونون العلماء بتحرير مسلتك الشخصية،
أنت الذي عرفت مسلتي، تقدر أن تنقذ نفسك،
أنت الذي باركتني، ليباركك شخص آخر من بعدك،
بدوره هو أيضاً! "6

ينصح نارام سين في وصيته هذه كل حاكم عندما ينوي العدو غزو بلده، ويوصيه بألا يغامر وألا يقترب منه وأن يكون صبوراً على استفزازاته. ويوصيه أيضاً بالحيطة والتواضع والرفق كجواب على الإهانات الصادرة من العدو، وأن يرسل له الهدايا كعلامة للدلالة على التحاور. يعني ممارسة الطف واللاعنف.

يبدو أن نارام – سين، ووفقاً لهذا النص الملحمي، قد اكتسب حكمة كبيرة في نهاية حياته، وكان يدير إمبراطورية واسعة لكنها هشة أيضاً.

غسق إمبراطورية أكد

حكم ملك أكّاد ابن نارام – سين، "شار – كالي – شاري" (2217–2193 قبل الميلاد)، الإمبراطورية فترة طويلة. واستمر بتجديد "إينكور"، معبد إنليل في نيبور تجديداً فاخراً، كافح ضد المتمردين وقاوم محاولات اختراق الحدود الإمبراطورية من قبل الشعوب

البربرية، اخترق من الشرق العيلاميون والغوطيون حدود البلاد ومن الغرب العموريون أيضاً. وخلفه في الحكم أكثر من أربعة حاكم.

ثم أخذت الشمس تتجه إلى غسقها، ونشبت الإضطرابات في الإمبراطورية... وانتشرت الفوضى في أركانها. وأخذت فيما بعد، *قائمة الملوك السومريين* تسأل: "من يا ترى كان ملكاً؟ ومن لم يكن ملكاً؟"

انتهى الأمر بالإمبراطورية التي هددتها الإضطرابات، بأن تتهاوى وتسقط (حوالي سنة 2155 قبل الميلاد). فهل اجتاح الغوطيون الذين جذبتهم ثروات هذا البلد الغني؟ أو استولى "أورنيجين"، ملك أوروك على أكاد العاصمة؟ وفق ما أظهرته بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة، ربما حدث جفاف كبير في المنطقة وأدى إلى إضعافها.

"لم تعد الحقول الكبرى توفر الحبوب"، و"لم تعد الغيوم الكثيفة تمنح المطر."

تشير أكثر الدلائل الأثرية، بأن إمبراطورية أكد قد تعرضت للانهيار بعد اجتياحها من قبل الغزاة، ولكن رغم ذلك، فإن الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى سقوطها بقيت سراً مجهولاً.

لم تزلْ عاصمة أكّاد في ضباب التاريخ. فقد نهضت وترأسها حاكم تولى السلطة فيها في عصر دولة أور الثالثة (2112-2004 قبل الميلاد). وتم التأكيد على وجود المدينة تحت حكم حمورابي البابلي (1792-1750 قبل الميلاد) وفي زمن حكام الكيشيين، لكنها تعرضت للنهب والسلب على يد العيلاميين في القرن الثاني عشر.

واليوم، لم يُحدَّد موقع مدينة أكّاد تحديداً دقيقاً. للأسف، إنّ التنقيبات الأثرية لم تستمر في أعمالها لكي يتم الحصول على تحديد المكان. ورغم ذلك يبقى لنا الأمل بأن يتم اكتشافها في المستقبل والتعرف على آثارها ومعلمها.

كان قدماء بلاد الرافدين يعتقدون بأنّ كل شيء يعود دورياً إلى نقطته الأولى، كدوران السماوات والأعياد والفصول والمدن، ربما قد تستعيد أكاد يوماً ما مكانتها في الأفق الواسع، بقصورها ذات الألوان الشمسية وبمعابدها الزاهية ضوءاً! ليت صوت موسيقى تاريخها لا يصمت! ولْتغنِّ القيثارات والناي من جديد مجدَها، خلف أسوارها الأسطورية!

هوامش الفصل السادس:

1- انظر: كي راشيه (Guy Racher)، حضارات الشرق القديم (Civilisations de l'Orient ancien)، لاروس (Larousse)، 1999، ص 292

2- انظر: بروشويلير(F.Bruschweiler)، المدينة في النصوص الأدبية السومرية (La ville dans les textes littéraires sumériens)، بيتيرس (Peeters)، ص 194

3- ترجمة لابات (R.Labat) أديان الشرق الأدنى الآسيوي (Les religions du Proche-Orient asiatique)، دار فايارد ودينويل، باريس 1970

4- انظر: عامر حمداني (.Amar Hamandi)، سومر، الحضارة الأولى الكبرى (Sumer, la première grande civilisation) ، نشر فارمو (Farmot) 1977، ص 204

5- نفس المصدر السابق، ص 204-205

6- نفس المصدر السابق، ص 205-206

الفصل السابع

كوديا (Gudea)، حاكم لكش

مآثره وإنجازاته

كانت جيرسو عاصمة دولة لكش منذ الزمن السابق مدينة كبيرة، وتقع جنوب بلاد سومر، تحمل اليوم اسم "تلو"، إنّها المدينة الصحراوية والرملية بأراضيها المكتوية بإشعاعات الشمس اللاهبة.

أمام موقع هذه المدينة الحالي والمؤسف، حاولت مخيلتي الجانحة كما لو كنت عالم آثار، أن تعمل على إبراز "صور رقمية عريقة" من ذاك الماضي على شاشة عقلي، لكي تعرض لي المعابد والقصور والأحياء السكنية ذات الشوارع الضيقة، لكن دون جدوى.

عندما سقطت سلالة سرجون وحفيده نارام ـ سين الأكّادية، استعادت دولة لكش جزءاً من استقلالها المفقود. وكانت قد هيمنت لفترة طويلة على جنوب سومر بفضل الملكين إناتوم وأوروكاجينا، على الرغم من هجمات الغوطيين في بلاد الرافدين.

حكم كوديا (الأمير) دولة لكش، ما بين 2141–2122 قبل الميلاد وجاء خلفاً لوالد زوجته "أور ـ باو". فحكم كوديا لمدة 17 أو 18 سنة.

ادّعى كوديا الرجل التقي والذكي والعالم والحكيم، الذي أعار اهتماماً خاصاً لآيات الآلهة، وقال إنه ابن الآلهة "كاتومدوك". ولم

يتطرق هذا الملك في كتاباته العديدة التي تركها إلا إلى القليل من الأحداث الدبلوماسية والاجتماعية والعسكرية، كما لو كانت دولة لكش معزولة في وسط بلاد سومر ومكتفية اكتفاء ذاتياً. رغم ذلك أظهر قوته بشنّ حملة مُظفّرة ضد العيلاميين.

الملك البناء

عرفت دولة لكش تحت حكم كوديا، "الراعي الصالح"، فترة سلام ورخاء وعصر رفاهية وثقافة واسعة. لقد أظهر بأنه كان رجلاً إدارياً بارزاً.

كان كوديا مغرماً بالإنجازات المعمارية، واتته فرص كي يكرس نفسه للقيام بها. أعاد بناء الهياكل وأماكن العبادة في دولته وحرص أن تُحسِن القيام بمهمتها. واستمر، عندما توفي والد زوجته أور — باو، في رفع عاصمته جيرسو من أنقاضها بمحبة كبيرة. كانت قد تعرضت للسلب والنهب، كبقية بلاد لكش على يد لوغالزاجيزي ملك أوروك وأوما، قبل قرنين من وصوله إلى سدّة الحكم وأعاد لها رونقها المفقود.

يتوفر لنا اليوم نوعان من الأناشيد الطويلة المدونة على إسطوانات من الصلصال، يبلغ ارتفاعها حوالي ستين سنتيمتراً، إنّها محفوظة في متحف اللوفر. وتتطرق بطريقة شعرية هذه الإسطوانات التي تمثل من أروع مؤلفات الأدب السومري، إلى إعادة ترميم جزء من معبد "نين — جيرسو" والاحتفال بيوم تدشينه. وكان قد باشر أور – باو بإعادة تشييده في نهاية حكمه.

تذكر تلك الأناشيد والروايات أن "نين جيرسو" إله المدينة والوصي عليها والمحاط بالأسود النائمة، قد أوحى إلى الملك كوديا أثناء حلمه، ببناء مشروع معبد الذي حمل اسم "إي– نينو"، أو المنزل الذي يمتلك خمسين طيراً أو رموزاً للقدرة الإلهية. كان هذا المجمّع الكبير

المقدس يغطي ببريق إشعاعاته مناطق واسعة، ويمنح لدولة للكش الرخاء والوفرة. وباشر كوديا الذي سخّر نفسه لهذه المهمة الكبرى، بإنجاز عمله. فجمّع العمال وأشرف بنفسه على البناء وجلب من لبنان والبلدان البعيدة مثل "كيماش" و"ماكان" (عمان الحالية) و"ميلوخا" (وادي الهندوس) المواد الثمينة الضرورية للقيام بالبناء. ويروي قائلاً:

"قدم العيلاميون من عيلام، وحضر الشوشيون من شوش. ومن ماكان وميلوخا، جمع أهلهما الأخشاب من جبالهم... جلب كوديا كل ذلك إلى مدينة جيرسو...

فتح كوديا الكاهن الأعظم لإله "إين"، التابع لمدينة جيرسو، في جبال الأرز طريقاً لم يسبقه القيام بذلك أي شخص من قبله. قام بقطع أشجار الأرز بالفؤوس الكبيرة، ونزلت أشجار الأرز كالأفاعي العملاقة من جبل الأرز وهي تطفو على مياه النهر، انحدرت طوافات خشب الصنوبر من جبل الصنوبر...

فتح كوديا، الكاهن الأعظم في نين – جيرسو، طريقاً في مقالع الحجر، حيث لم يدخل فيه أي شخص قبله وجُلبت الحجارة منها بأحجامها الكبيرة. كما جُلبَ الكثير من المواد الثمينة إلى الحاكم، مشيّد معبد إي– نينو. واتى بالذهب أيضاً من جبل النحاس في كيماش مثل التراب. ولأجل كوديا، استُخرجَت الفضة من الجبل وأُحضِرَت كميات كبيرة من الأحجار الحمراء من ميلوخا." 1

تتطرق أسطوانة أخرى إلى الحفل الرسمي الذى أقيم لنين – جيرسو في معبده، وأشارت إلى الاحتفالات الكبرى التي جرت فيه بهذه المناسبة. لم يبق للأسف الشديد من معبد إي – نينو سوى الأنقاض.

لا شيء يدوم على هده الأرض، ولا أستطيع إلا أن أحلم برؤية ذاك الصرح الرائع كما كان عليه في زمنه وبالأمير الذي شيّده بكل اعتزاز.

استطاع سحر الفن، تخليد اسم كوديا أمير لكش ووجهه وسرّه، رغم مرور الزمن وتعاقُب العصور.

في نهاية القرن التاسع عشر، وأثناء قيام إرنست دي سارزيك Ernest de Sarzec، نائب القنصل الفرنسي بتنقيبات أثرية في منطقة تلو (جيرسو عاصمة لكش في الجنوب) استخرج حينذاك العديد من المعدات، منها التماثيل الصغيرة والمسامير والألواح والأختام الإسطوانية والأسلحة والأوعية الفخارية والمسلات. وعُثِر أيضاً على ما يقارب عشرين تمثالاً كبيراً من تحت الأرض. كانت هذه التماثيل ضخمة الحجم وتُظهر نقاءً مشهوداً في خطوطها المنحوتة، لقد كانت منقوشة بشكل بديع وبحس صادق. إنّها مصنوعة ومصقولة من حجر البراكين البلورية السوداء، التي جُلبت من بلاد "ماكان". كانت التماثيل مهداة إلى آلهة الدولة وإلى الإله نين- جيرسو كبير آلهة لكش. في الزمن السابق، كانت تزين المعابد وتمنحها روعة في مختلف زواياها. وللأسف الشديد، تم العثور على البعض منها وهي مقطوعة الرأس. كانت تمثل كوديا وهو يصلي وعيناه مفتوحتان بشكل واسع ويداه متلاحمتان بشكل متواضع، وهو واقف أو أحياناً جالس في زمنه الغابر. كما يبدو من خلال تماثيله، كان هذا الملك قصير القامة، وكان ذو العنق المتين والبدن السمين بذراعيه القويتين. يجسد القوة والحكمة والعدالة التي يتمتع بها أمير بهذا المركز الهام. اهتم براحة وتناغم بين شعبه وتآلف بين سكان مملكته والعالم المحيط به. ملكنا هذا، سواء كان حاسر الرأس أو حاملاً قبعة ملوكية، مكث يرتدي لباساً بسيطاً مزيناً بحواشٍ تتدلى على ذراعه الأيسر، تاركاً بذلك كتفه الأيمن مكشوفاً تماماً.

وبعد اكتشافها واقتنائها تم شراء تماثيل أخرى من قبل متحف اللوفر عام 1881. لم يتمكن الزمن من التأثير في حسنها المشهود.

السنة الماضية، تجولتُ خلال إحدى زياراتي لهذا المتحف، بين هذه التماثيل في القاعة المُخصّصة لها، وحاولت أن أتذكر تواريخ وأحداث هذا الأمير. ولاحظت تلك الدقة التي استعملت لصنعها ونحتها، ورأيت تأثيرات الضوء والعتمة فيها، وفي الوقت نفسه لمستُ صلابتها وصمودها وديمومتها عبر الأزمنة. كان كوديا يعيش حياة باهرة، ليس في القصور والمعابد كما كان يقضي جل وقته هناك في السابق، ولكنه الآن في متحف اللوفر الذي احتضن تماثيله، كما لو كان التاريخ قد توقف فجأة لتخليده.

لقد منحني الأمير الجالس هنا في المتحف كامل هيئته، يضع يده على صدره وتظهر جبهته الصافية وخدّاه البارزان وذقنه المربعة. وبدا لي بأن عينيه المفتوحتين بشكل واسع تحت قوس حاجبيه المجنحين المعقودين على جبهته، كانتا تنظران إليّ بهدوء حذر وإباء. تتجاوزان أفق عيني وتضيعان في الفضاء، إنه تمثال كوديا الصغير، في وضعية الجلوس.

هنا، كان كوديا يمسك بيده مسطرة وآلة مهندس المساحة (مسطرة البناء). أراه يضع يديه متقاطعتين تعبيراً عن تقواه، وكأن خارطة المعبد التي عرضها عليه في الحلم الإلهُ نين- جيرسو موضوعة فوق ركبتيه مع المسطرة. بدا لي كوديا، كما قال الكاتب الفرنسي المشهور أندريه مالرو André Malreaux2 كأنه العابد والإله والمعبد في آن معاً.

هنا في اللوفر وفي مكان أبعد قليلاً، وقع نظري على تمثال كامل مصنوع من مادة الكلسيت يظهر كوديا ممسكاً إناء متدفقاً، تسيل منه مياه مليئة بالأسماك التي تسبح باتجاه معاكس لجريان المياه، كرمز للخصوبة، وهو الإناء الذي كان قد قدمه الأمير التقي قرباناً للآلهة "جيشتينانا". يُبين هذا التمثال هيبة هادئة وتقوى كبيرة وسكينة مفرحة.

تركتُ عندئذ سيد لكش وقوة روحه الخالدة وتقواه وحيوته سابحاً في فجر عالمه الفني وعظمة حجره البلّوري الجميل.

حصل كوديا على كنية الألوهية، وحظي بعد وفاته بمراسيم العبادة والتكريم بكافة أنواعها. على أن زخارف الزينة التي بقيت من زمن حكمه، وقطع الآجر والكتابات المدونة على أدوات النذور والقرابين والتماثيل والأناشيد، لابد أن تكون كافية لكي تمنحه اسماً "خالداً" وتحافظ على هذا الاسم وتؤمن له بقاء ذكره.

كنت ومازال أذكر هذا الملك العالم والأديب يجول فوق موقع جيرسو.

اقتفى ابن كوديا، أور- نينجيرسو، مسيرة والده وخلفه في الحكم. ولم يُعثَر إلا على تمثال واحد له، التمثال المصنوع من المرمر الجبسي والمهدى إلى إلهه الشخصي، نينجيزيدا. غاب هذا الملك هو الآخر وانتهت مسيرته خلف ضباب الأفق المضطرب.

عاشت دولة لكش المستقلة أيامها الأخيرة. وضُمَّت إلى إمبراطورية واسعة أخرى، وهي إمبراطورية أور الثالثة السومرية، فتحولت إلى مجرد مقاطعة بسيطة بعد أن سطع نجمها لسنين طويلة.

هوامش الفصل السابع:

1- انظر: ميخائل رواف (Michael Roaf)، *أطلس بلاد الرافدين*، دار بريبولس (Prepols)، ص 99

2- أندريه مالرو (André Malreaux)،(، مقدمة كتاب *سومر*، نشره دار غاليمار، 1981

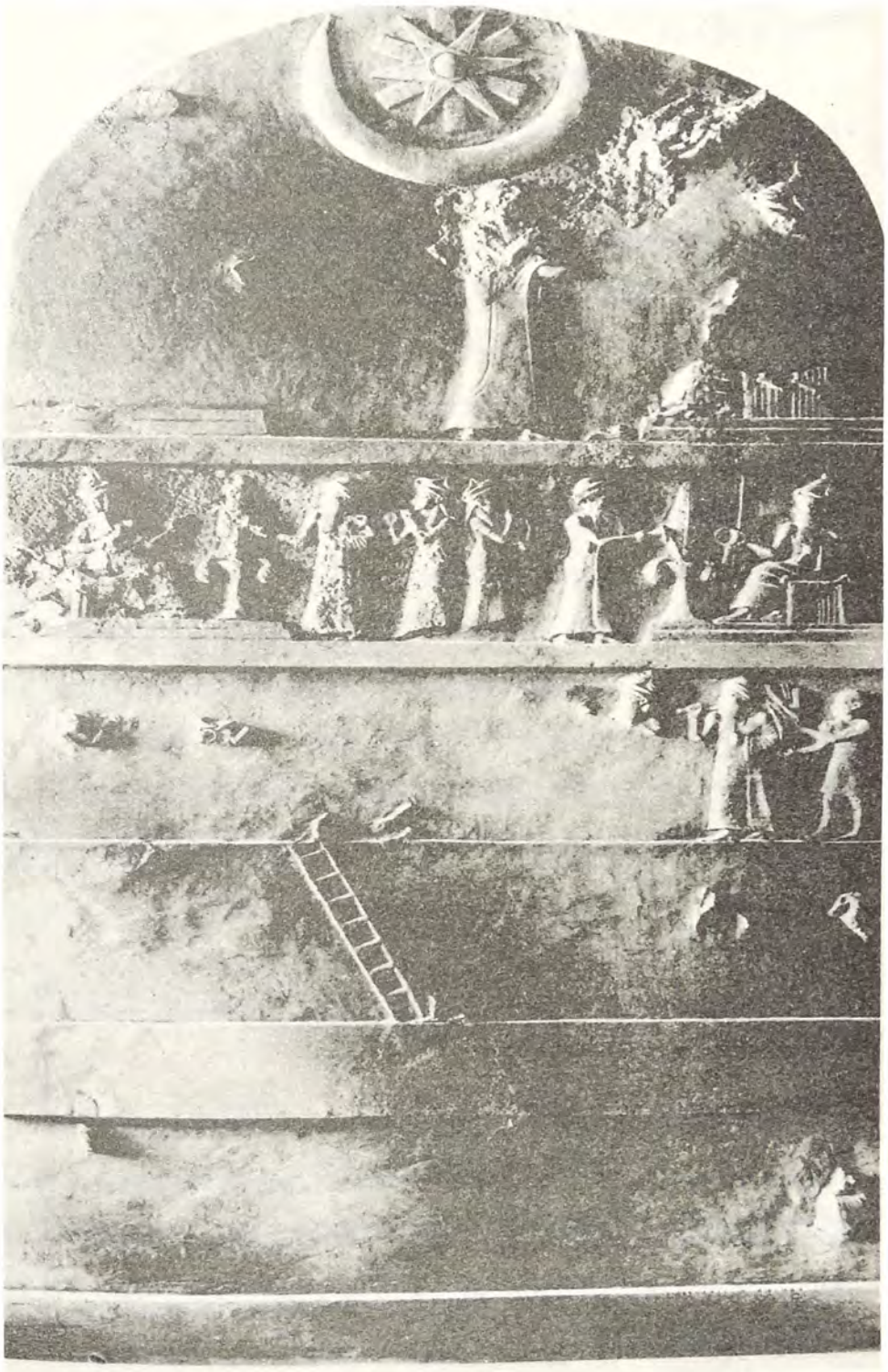

الفصل الثامن

أور – نامو (UR-NAMU) وإمبراطورية أور الثالثة

زرتُ مؤخراً وباشتياق كبير موقع مدينة أور الأثري، القريب من مدينة الناصرية في جنوب العراق. اكتشفتُ هناك روعة الزقورة المدهشة، التي تشبه نوعاً من الأهرام متعدد الطوابق والمشيدة بالآجر. وإن تعرضت إلى بتر وتقطيع بعض أوصالها، رغم ذلك ترتفع شامخة على ارتفاع حوالي عشرين متراً، تهيمن على سهل واسع رمادي قاحل المظهر. (رُمِّم قسم من زقورة أُور بين أعوام 1960و 1970).

كانت الزقورة التي بدأ الملك أور– نامو (2112–2095) بإنشائها فوق موقع معبد قديم، وأنجز بناءها ابنه المعروف باسم شولجي. كانت هذه تحتوي على عدة طوابق وتحمل، في هامتها معبد مقدس واسع. وكانت جزءاً من مجمع ديني مُخصَّص للإله "نانا"، إله القمر، ابن الإله الكبير "إنليل". وكان الدرج الرئيس للزقورة يربو على مائة درجة، يؤدي بمرونة إلى الطابق الأول للمبنى.

كانت مدينة أور القديمة التي بُنيَت في العصور القديمة على ضفاف نهر الفرات، ترتفع بأسوارها ومعابدها المضيئة بأنوار الشمس والكواكب ومواكب المؤمنين الطويلة القادمين لتقديم بواكير حصاد

مزارعهم إلى الآلهة نانا، وتزهو بقصورها المشرقة ومستودعاتها الغنية وبلياليها المرصعة بالنجوم الساطعة.

حكمت مدينة أور سلالتان سومريتان خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، ولكن السلالة الثالثة كانت قد سطعت بكامل بريقها على أراضي بلاد النهرين.

وقفتُ، وقد تملكني حب الاستطلاع، أمام الزقورة وهي تهيمن على ضفاف الأزمنة والفتوحات والانتصارات والصرخات والمآسي.

أور- نامور، ملك سومر وأكد

تذكر التقاليد بأن إله القمر "نانا"، بعد سقوط إمبراطورية أكّاد وانتهاء فترة طويلة من الاضطرابات، اختار أور نامو ليمثله على الأرض ويحكم بلاد سومر. فأنشأ الملك عندئذ دولة أور الثالثة وحكم حوالي 17 سنة.

وتقدم لنا بعض الكتابات الرسمية ونصوص وثائقية مكتشفة من موقع جيرسو وبعض الأناشيد المكتوبة باللغة السومرية المنقوشة على ألواح الفخار، معلومات تعرض بطريقة رئيسة، صورة عن حياة أور نامو وعن انتصاراته وإصلاحاته، مثل هذا النص الذي يروي على لسانه، قائلاً:

"أنا أور نامو، الراعي، لتكن الحياة مكافأتي... لقد هبطت الملكية من السماء نحوي."

لاتتوفر لنا معلومات دقيقة عن أصل هذا الملك الذي ادّعى أنه وريث جلجامش، ملك أوروك. ربما كان حاكماً عسكرياً لمدينة أور وكان يعمل لحساب والده أو أخيه المدعو "أوتو- هيغال" (2019-2013)، الذي حكم مدينة أوروك وتمكن من طرد الغوطيين البرابرة من بلاد الرافدين.

ويبدو أنه قد استولى على الحكم بعد وفاة أوتو- هيغال وسيطر على عرش أوروك وإريدو وقام بغزو الإمارات السومرية الأخرى المتمثلة في جيرسو وأوما ونيبور، وجعل من مدينة أور عاصمته. وقام عندئذ أور- نامو السومري، مقتدياً بأعمال ملوك أكد ومستوحياً منهم الدروس، بإعادة وحدة الإمبراطورية القديمة الرافدية. وأصبح بذلك أول ملك باشر بإتباع التقاليد التي ورثها من الملك سرجون الأكادي وتبنى مثله لقب "ملك سومر وأكد". ولا بد أنه تمكن خلال الجزء الثاني من حكمه، من إزاحة دولة لكش المجاورة لدولته بعد صراعات شديدة مع الملك "نمهاني" آخر ملوك لكش، واستطاع قتله أو ربما قد وضعه تحت سلطته.

سياسة فعالة

عمل أور- نامو على حماية مدينة أور "مدينة سومر الأميرية" وشيد لها سوراً عالياً، طول ارتفاعه يساوي "ارتفاع جبل متألق"، وبنى فيها قصراً رحباً. وقام الملك الذي اشتهر بتقواه في حياته الدينية، بإعادة بناء معبد نانا وعيّن ابنته المسماة "إنيرغالانا" كاهنة للإله القمر. كما أعاد تشييد "إيكور"، معبد إينليل، إله نيبور القوي. وقام بإنشاء زقورات لتلك المعابد.

وبفضل إعادة التنظيم الإداري والاقتصادي واعتماد نظام المركزية في دولته، توصل هذا الملك إلى تأسيس نظام تمكن من خلاله، أن يكون مطّلعاً على كافة الأحداث التي كانت تجري في مملكته. جعلها الدولة العظمى في بلاد الرافدين الجنوبية. وحفر وصان قنوات الري وشجّع الزراعة وغرس أشجار النخيل التي كانت ثروة سومر وأكّاد. استخدم التمر لتغذية السكان وصناعة العجينة والدبس والنبيذ المقطر. وكان

يُستخرج من النخيل ألياف الخشب، ويصنع من جذوعها وسعوفها مادة الحياكة والنسيج المجدول.

طور أور- نامو شبكة الطرق البرية وحركة الموانئ، فاستقر الأمان وعمت الرفاهية. ترمز إلى هذا الرخاء صورة الثور وسنبلة القمح في إمبراطورية أور الثالثة التي دامت قرناً كاملاً من الزمن.

كما أنه تمكن من ضمّ أراضي جديدة واسعة إلى إمبراطوريته، لاسيما تلك التي كانت واقعة في شرق بلاد الرافدين.

أور. نامو، المشرع الكبير

كان أور- نامو شغوفاً بالنظام والمساواة والإنصاف والسلام. ووضع حداً للتعسف الذي كان يمارسه الموظفون، وكانوا يمنحون لأنفسهم أكثر مما يستحقونه من أموال الدولة، وعمل على حماية الضعفاء. تشير المعلومات بأنه من المحتمل، قد أعد مع ابنه شولجي، قانون التشريع المحرر باللغة السومرية. ولم يصلنا منه إلا 73 مادة من تشريعاته. ذكرت ديباجة افتتاحية قانونه الذي تم اكتشافه في موقع نيبور الأثري ما يلي:

"عزز أور- نامور، المحارب القوي، ملك أور وسومر وأكد، المساواة في كامل البلد، مستبعداً القدح والعنف والاشتباكات. ولم يعد اليتيم متروكا بيدي الغني، ولم يعد ممكناً تسليم الأرملة بيد الشخص القوي"1

وحدد الملك نظام الأوزان والقياسات، وأمر بصنع مقياس من النحاس وصنع أيضاً الشاق (المثقال). وأعد قواعد الاستعمال للقيام بقياس المساحة وتنظيم ثقل الأوزان.

ويقول الملك:

"قمت بتنظيم قياس الشاقل الواحد (840، 0 لتر) من الخرزة النحاسية، وحددت قيمته على 1 مانا". " 2

كان "مانا"، الذي استعمل حينذاك أساساً لمكيال الوزن، يزن حوالي 505 غرام. بينما كانت قيمة الشاقل (المثقال) الفضي تبلغ 60/ 1 من المانا.

كما أن قانون ـ أور نامو تناول أيضاً المواضيع التشريعية مثل القوانين المتعلقة بالعائلة والزواج والطلاق والملكية والرقّ والتصريحات الزائفة.

لنرى فيما يلي جزءاً من هذا القانون:

"إذا قام رجل تجاه رجل آخر،
بقطع قدمه بآلة:
عليه أن يدفع 10 شاقلاً من الفضة.
وإذا قام رجل تجاه رجل آخر،
بكسر عظمٍ ما بسلاح...
عليه أن يدفع له... 1 مين فضي." 3

كانت تُدفع غرامات لتعويض الضرر الناتج عن أعمال العنف البدنية بدلاً من فرض العقوبات البدنية على مرتكبها. وكان ذلك يشكل نوعاً جديداً من القانون الأخلاقي، وهو القانون الأكثر رأفة من قانون الغاب، أي "قانون السن بالسن والعين بالعين" المعروف، الذي استعمل لمدة طويلة لدى العبرانيين. لم يجسّد أبداً قانون الغابة العدالة، بل لم يتوافق معها، كما عبر عن ذلك فيما بعد الفيلسوف الإغريقي أرسطو (في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخس، الجزء الخامس).

كانت اللاعدالة واللامساواة والأفعال المذنبة والشر، تعارض القوانين والنظام الاجتماعي المبني على قيم وأسس العائلة والمُلكية الخاصة. وكانت مرفوضة تلك الانتهاكات في إمبراطورية أور- نامو.

النهاية المبكرة لأور. نامو

أنجز أور ـ نامو، "الرجل القوي وملك سومر وأكد"، الذي كانت يداه الشديدتان قد رسمتا لوحة إمبراطورييه. وبغتة يأتي أجله كأي بشر آخر، إذ قاده قدره عام 2095 إلى وادي، ربما كان وادي ديالى أحد روافد نهر دجلة، واختفى في تلك المنطقة أثناء معركة خاض خلالها قتالاً عنيفاً. ولم يتم العثور على جثته وبقي متروكاً في ساحة القتال مثل "وعاء مكسور". لقد بحث القمر عنه في تلك الأمسية المأساوية لكن دون جدوى. مسحت المعركة قسمات وجهه النبيلة وأتاه الموت، لكن لم تطله يد النسيان، وكم كانت رعبته شديدة بأن يبقى ذكره خالداً.

ذكر أور. نامو

مازال ذكر أور ـ نامو قائماً، لأنه كان راعي شعبه الكبير والمصلح الاجتماعي. ومازالت الزقورة الكبيرة التي شيدها والقانون الذي سنه والأناشيد التي نشرها قائمة، تحافظ كلها على ذكره، ونستعيد من خلالها على مرّ الزمن، سيرة ملك سومر وأكد الكبير ونذكر مجده العابر مادياً وخالداً روحياً.

حمل الكثير من قرميد الآجر اسمه، وظهرت صورته على العديد من أسس المباني وعلى الوثائق المطمورة تحت الأرض، وجميعها تشير إلى الملك أور ـ نامو الشهير. وتم العثور على واحدة من صوره في مدينة نيبور داخل معبد إينليل، فتظهره وهو يرتدي ثوباً طويلاً حاملاً فوق رأسه حجراً كبيراً موضوعاً داخل سلة.

كان أور ـ نامو قد نصب في زمانه مسلة مصنوعة من الكلس. وجدها عالم الآثار الإنجليزي ليونارد وولي Léonard Woolley على شكل قطع متناثرة بالقرب من زقورة أور، أثناء إنجاز أعمال

التنقيبات الإنجليزية عام 1926. وهي محفوظة منذ ذلك التاريخ في متحف جامعة فيلادليفيا الأميركية، بعد أن تم ترميمها جزئياً. وتمنح اليوم هذه المسلة للزوار فرصة لتعرف على تفاصيل وجهه النبيل، والتي يزيد عمرها على أربعة آلاف سنة. وكأن حجر المسلة يعطل سير الزمن، فيكشف الزوار بإلقائهم نظرة عميقة عليها، كأنهم يعيشون مع أور- نامو...

هوذا الملك يظهر واقفاً تحت هلال القمر، رمز الإله نانا، وهو يرتدي ثوباً موشحاً بطيات فضفاضة. ويظهر على الجانب الثاني، وهو يرتدي قبعة بوجهه المزين بلحية مجعدة طويلة، لترمز إلى الخصوبة والشجاعة والحكمة. يسكب النبيذ والحليب والجعة للآلهة (نينكال زوجة نانا؟). التي تمد له دائرة وعصا، بما هما علامتا الملكية. وعلى اليسار، نجده أيضاً واقفاً بخشوع أمام نينكال مؤدياً لها مراسيم العبادة نفسها.

يحمل الملك على كتفه، كما هو ظاهر على القسم السفلي للمسلة، أدوات البناء الضرورية لتشييد المعبد، يظهر العمال وهم يمسكون السلال ويعرض واحد منهم سلماً متكئاً على جدار عال.

تعطي هذه المسلة حارسة الذكر الخالد، دليلاً على وجود أور- نامو وتشهد على إرادته وإيمانه وعلى الطقوس التي كان يحافظ على ممارستها. وكأنشودة تمدح، مزايا الحاكم وصفاته وتقواه وإخلاصه ودوره كبناء لمعالم بلاده.

مرثية وفاة أور- نامو الحزينة تروي قصيدة يعود تحريرها إلى ما يقارب ألفي سنة قبل التاريخ، وتقص بأن الملك قد توجه بعد وفاته إلى المناطق السفلية وقدم القرابين إلى الآلهة.

تبدو وفاة الملك في نظر الشاعر، كما لو كانت عملاً غير عادل نفذه الإله "آن"، إله السماء وأب الآلهة وأب إينليل، السيد السامي للسومريين الذي يدير الملكية. ويركز المؤلف فيها على أن الالهة قد غيروا قدر الملك أثناء تقلده الحكم. فيقول هكذا:

"ضرب البؤس بلد سومر، وأخذ الموت الراعي الشاب،
رحل الراعي العادل أور نامور،
نعم، لقد رحل الراعي العادل!
وغيّر (الإله) "آن" كلامه المقدس، وصار القلب [...] لا يتحمل المواساة،
وتمكن إينليل بالخداع، من تغيير كافة الأقدار المحددة."

يتحصر أور- نامور، وهو قابع في العالم التحتي، شغفاً وحباً على أسوار مدينة أور وعلى القصر الذي شيده بدون أن يتمكن من التمتع الكافي به وعلى زوجته وابنه الذي لم يعد قادراً على أخذه على ركبتيه. ويدلي بالتذمر الذي يكسر القلب:

"أما بالنسبة لي، هوذا كيف تمت معاملتي،
لقد خدمتُ الآلهة جيداً،
وحضّرت لهم [...]،
إلى أنونانكي (آلهة المناطق السفلية)،
قمت بتأمين رفاهية عالية لهم،
وقدمت الكنوز بكثرة لمعابدهم المزينة باللازورد،
ومع ذلك، لم يقدم لي أي إله منهم النجدة ولم يخفف لي القلب...،

لقد اختفى فأل حظي إلى أبعد من السماء،
أنا الذي خدمت الآلهة ليلاً كما في النهار،
وماذا كان ثمن أتعابي؟
أنا الذي خدمت الآلهة ليلاً كما في النهار،
ها هو النهار ينتهي بدون نوم!
كما لو كان مُحذَّراً من أعالي السماء بعاصفة،
وا أسفاه! لم أعد اليوم قادراً على بلوغ
أسوار أور المحطمة المكدسة،

وكما لو كانت زوجتي قد غرقت،
ها أنا أقضي النهار غارقاً بدموعي وبالشكوى المرة،
لقد خارت قواي أنا، المحارب،
لقد امتدتْ يوماً ما يد القدر علي [...]."[4]

حاولت الآلهة القوية إنانا الابنة البكر لإله القمر سين وحاكمة أور، أن تساعد الملك أورـ نامو المنحدر أصله من مدينتها، لكن بدون جدوى. فدخلت بكل تواضع في "إيكور"، معبد إينليل في مدينة نيبور، وتقدمت أمام الإله المرعوب وهو يدور بعينيه ويقول لها:

"إن هذا الشخص الذي مات سوف لن يصعد من أجل حبك له."

ساد السلام على موقع أور وانتشر الصفاء في أجوائها. وبقيتُ واقفاً أمام الزقورة الحمراء الهائلة، إنّها أنشودة الآجر المشعة التي رفعها الملك الورع أورـ نامو هو وابنه شولجي، من الأرض نحو السماء.

وهبطت الليلة النقية المخملية بهدوء. وحلت ساعة النجوم وهيمن القمر على أطلال الموقع. ولمس الضوء الأزرق الحليبي واجهة الزقورة بنغمة ألوانه الجميلة وهو يطبع على محيطها بصمته المشرقة جاعلاً منها مكاناً خارجاً عن نطاق العالم الحقيقي.

هوامش الفصل الثامن:

1- انظر: منشورات تايمس – لايف (Times-Life) سومر، أمستردام، 1993، ص 142

2- مقدمة القانون : سيلا من الحبوب تزن مانا واحدة

3- صامويل نوا كرامير (Samuel Noah Kramer)، التاريخ يبدأ في سومر (L'histoire commence à Sumer)، نشر دار آرتو، باريس 1957، ص 92

4- دفتر الانجيل (Cahier de l'Évangile)، حكمة بلاد الرافدين (La Sagesse de la Mésopotamie)، ملحق العدد 85، شكوى أور- نامو ، ص 73-74

الفصل التاسع

شولجي (Shulgi) ملك أور الموسيقي

جاء شولجي (2094–2047 قبل الميلاد)، ليخلف والده، أور – نامو على السلطة في بلاد الرافدين، ذلك "الفتى النبيل" راعي ذوي الرؤوس السوداء، يعني السومريين.

قمتُ بقطع المسافات الطويلة لكي أجد هذا الملك العظيم ولكي أكتشف بطولته، وأحلام عظمته القافزة مثل وثبات الأسود، وتقواه المحاطة بهالة قمر، وفهمه واستيعابه لمعنى العدالة، وباختصار للاطلاع على موسيقى تاريخه العريق.

نظم الشعراء العديد من أناشيد المدح تكريماً للملك شولجي، ومجدوا أعماله الدينية وانتصاراته في الحرب وفي الصيد، وثقافته الواسعة وإدراكه لمفهوم الحقّ. وقد تم تحرير هذه الأناشيد لكل من يريد إنشادها بالاسم المتكلم أو المخاطب أو المجهول، وكان من الممكن غناؤها أو ترتيلها بمصاحبة عزف على مختلف الآلات الموسيقية.

شولجي، المشهور بالحكمة

يشير نشيد مشهور تحت اسم *"ملك الطريق"* إلى انتساب الملك شولجي إلى سلالة الآلهة والآلهات السومرية. ويعتبر الملك نفسه بكامل

رغبته أسداً، لأنّ الأسد يجسد السلطة والعدالة والقوة، وحماراً لأنّه حيوان مقدس يرمز إلى الملك وإلى سلطته، والحصان الذي يسرع خطاه بطفرة على الطريق، ويدل على عنفوان الشباب وحمية الرغبة:

"أنا ملك الأركان الأربعة (للكون)،
أنا الراعي لذوي الرؤوس السوداء،
أنا أستحق ثقة، إله كافة البلدان،
أنا ابن نينسون (آلهة الرعي)
أنا شولجي، المختار، لحب إنانا،
أنا حمار أميريّ، مُهيَّأ للطريق الطويل،
أنا حصان ذو ذيل أنيق على الطريق،
أنا حمار نبيل لسوموكان (إله الحيوانات)،
أنا الشهم في السباق..." 1

ويدعى شولجي بأنه كان كاتباً للآلهة نيسابا ويفتخر بحكمته وببطولته وقدرته السامية، و كان يتباهى بحبه للعدالة وكراهيته لأعمال الشر والأحاديث الشريرة.

ويمجد نشيد مكتوب بمناسبة إنشاء طريق بين مدينتي أور ونيبور تلك المدينة المكرسة للإله إنليل الكبير، بأس وقابلية الملك على التحمل، وأيضاً استطاعته على قطع عدة فراسخ من الطريق على الأقدام في يوم واحد بين هاتين المدينتين. وقد تم اختيار هذه المأثرة الرياضية المشهودة، لتحديد السنة السابعة من حكمه.

شولجي الشاعر والموسيقي

لا نعرف الكثير عن فترة طفولة أور – نامو، بينما نستطيع الحصول على معلومات أكثر عن طفولة ابنه شولجي، لقد حصل على تربية ممتازة وكاملة، مقارنة بعصره.

تروي أنشودة بأن الآلهة وهبت للملك شولجي ذكاء وحكمة ومنحته منذ صباه معرفة واسعة وأعطته البأس والشجاعة. ذهب الصبي الصغير إلى مدرسة الكتّاب السومرية المعروفة باسم "الأدوبا" وتمكن بفضل مهارته اليدوية، إظهار براعة فن الكتابة المسمارية.

هوذا النشيد يؤكد هذا القول:

"عندما كنت صغيراً، ذهبت إلى المدرسة وتعلمت فن الكتابة على ألواح سومر وأكد.

ولم يكن أي شخص آخر، من بين النبلاء، قادراً على الكتابة مثلي.

وفي المكان الذي كنا نذهب إليه بانتظام لتعلم فن الكتابة، أتقنت علم الطرح والجمع والحساب والمحاسبة.

ومنحتني الآلهتان الجميلتان نانيكال ونيسابا الإدراك والمعرفة الغزيرة.

إني كاتب خبير لا يهمل أي شيء.

أقفز بفضل عضلاتي مثل الفهد وأركض مثل الأحقب سريع العدو." 2

أتقن شولجي كاتب نيسابا آلهة الكتابة، كافة المعارف واهتم على امتداد حياته كلها اهتماماً كبيراً بعلم الفلك والفنون والشعر ولاسيما بالموسيقى ذي المنشأ السني.

أجل، إن الموسيقى والفنون المعمارية وفن الكتابة والمعرفة كانت جميعها تشكل العناصر الأساسية للحضارة السومرية وكانت تشكل جزءاً بما يعرف بمفهوم "مي"، تلك المجموعة المتكاملة من الحكمة أو القوانين والأنظمة والقوى الهائلة التي كانت تشمل نشاطات البشر.

كان شولجي عارفاً وماهراً بالموسيقى، قبل داوود ملك العبريين الشهير، إذ كرّس لها نفسه من كل قلبه. وكانت الآلات الموسيقية،

الوترية منها أو الإيقاعية (تيجي) والطبول (أداب)، تنشد بفرح تحت أنامله الماهرة والرشيقة

وها هو يصرح:

"أنا، شولجي ملك أور، لقد كرست نفسي للموسيقى. لا شيء يصعب عليَّ. لأني أعرف عزف [الأدوات الموسيقية] التيجي منها والآداب، سواء بالعرض أو بالعمق لأني أتقن فن الموسيقى. وعندما أثبت مُكسّرة العود التي تنعش القلب، فإنني لا أكسر أبداً قبضته. درستُ القواعد التي تعمل على زيادة وتخفيض الفاصلة فيما بينها.

أعرف القيام بتوافق أنغام القيثارة غو- وش ذات العشرة أوتار (...). وإن أعطوني، كما يحدث لموسيقار خبير، آلة لم أسمع العزف بها سابقاً، فإنني قادر على تأليف نغم صوتها حال البدء في العزف عليها. أنا قادر على العزف بها، كما لو كنت قد استعملتها سابقاً. فتنظيم الآلة وتركيب أوتارها وفك تركيبها أو تثبيتها، لا شيءَ منها مستحيل ليديّ.

لم أجعلُ الناي يصدر بمبادرة مني صوتاً مزدوجاً، كما يحدث بالنسبة للمزمار، بل إني قادر على غناء "شموشا" أو ترنيم مرثية كما فعلت ذلك مراراً". 3

يُقال إنّ شولجي، الملك التقي والمطيع للآلهة كان يكلم الناس من خلال العلامات، لأنه كان يعرف قراءة الفأل. وكانت تصدر بأمره مراسيم تقديم القرابين الخاصة بشعائر العبادة، وكانت هذه الطقوس تتم بمصاحبة الموسيقى بغية نيل نعمة الآلهة. وفي تلك المناسبة كان يُقدم عدد كبير من الخرفان مصحوبة بالدق على الطبول والعزف على آلات التيجي الموسيقية.

وكانت الموسيقى بمختلف الآلات ونغماتها وإيقاعاتها ترافق الحياة المهنية للملك وتمنح البهجة للاحتفالات الدينية ولأعياد استلام الحكم، مثلها مثل أعياد الخريف الكبرى التي كان الاحتفال بها يتم

حول مدينة نيبور، المركز الديني للإمبراطورية. وكانت المسيرات الدينية والدعاء والصلوات تشير وتحتفل بقدرة الآلهة إنليل، وكان حبور الجماهير ينعش تلك الأعياد.

إن الموسيقى تنقذ العالم من الفوضى الكونية، وتقوده إلى حالة من الارتعاش وتسير به إلى أقصى حدود المشاعر الربانية.

ليت الجميع يستمع دائماً إلى أناشيدي!

أنشأ شولجي صديق الأدب، مدارس للكتبة في أور وفي نيبور تحت رعاية آلهة الكتابة "نيسابا"، وربما هو الذي قام بتأسيس "المكتبة" الأولى.

وكان الطلاب ينسخون فيها أناشيد الأزمنة القديمة على ألواح الطين، وأناشيد المدح التي كان الملك يحررها بنفسه، وفي أغلب الأحيان كانت تتداول شفوياً من جيل إلى جيل، ثم ينقلونها كأعمال أدبية إلى الأجيال القادمة بعدهم. وهكذا يؤمنون ديمومتها ويبقى ذكر شولجي خالداً.

لنقرأ أمنية أقرّها الملك:

"ليت أناشيدي تصدح عبر كافة الأفواه، وليت الجميع يستمعون إلى أغنياتي!

وأملي بألا يتعرض إلى النسيان إطراء شهرتي ولا الكلمات التي نطق بها الإله إينكي باتجاهي، ولا تلك التي لفظتها الآلهة "جيشتين-أنا" بفرح في قلبها والتي أعلنتها من بعيد، لذلك قمت بكتابتها سطراً بعد سطر في بيت الحكمة للآلهة نيسابا، على صيغة كتابة مقدسة سماوية مثل روائع العلم الكبرى.

يجب ألا ينساها أحد قط " 4

وقد تم العثور على حوالي عشرين أنشودة من تلك الأناشيد. ربما كان الطلاب ينشدونها مثل الملك نفسه.

لم يكن شولجي ملكاً عالماً ومولعاً بالموسيقى فقط، بل إنه استمرّ في إعادة تنظيم إمبراطورية أور الثالثة التي وصلت تحت حكمه الذي امتد لمدة سبع وأربعين سنة إلى أوج عظمتها.

باشر شولجي، في داخل البلاد بإنجاز مجموعة من الإصلاحات السياسية والإدارية والاقتصادية. شيد دار لإقامة الملوك، وبنى أو رمّم عدة معابد، وجعل من مدينة نيبور مكاناً وطنياً مقدساً.

تُطلعنا بعض الوثائق الإدارية التي يعود تاريخها بشكل خاص إلى النصف الثاني من حكمه، على الطريقة التي كانت تعمل فيها هذه الدولة المركزية جداً. لقد كانت دولة تتحكم في أمور الزراعة وتربية الحيوانات والصيد وصنع الجلود والنسيج والتجارة مع بلدان مثل الأناضول والبلدان الأخرى الواقعة خارج البحار. إنّها إمبراطورية منظمة تنظيماً دقيقاً لتأمين الرفاهية لسكان البلد، الذين عرفوا تحت حكم شولجي ازدهاراً مشهوداً. وهناك العديد من الكتابات التي عُثِر عليها تروي لنا ذلك.

كان يهيمن الملك على كافة السلطات، ويحتل المرتبة العليا واضعاً نفسه في قمة الإمبراطورية المقسمة إلى مقاطعات إدارية. ويقوم بإدارة المقاطعة حاكم مدني يدعى "إينسي" وقائد عسكري يدعى"شاجن". وكان عدد كبير من الكتبة يضعون كامل اهتماماتهم لجباية الضرائب التي كانت المقاطعات ملزمة بتأديتها. وكان على هذه المقاطعات أن تقوم حينما يأتي دور كل واحدة منها، بتنفيذ (نظام بالا) يعني قيام المراكز المخصصة بجمع استحقاقات الدولة من الماشية والمنتجات المتعددة، ومن بين تلك المراكز الشهيرة، مركز بزريش ـ داكان الواقع في جنوب نيبور.

ثم واصل شولجي إعادة فتح القنوات المائية الكبرى لكي تعمل بصورة جيدة، وكان والده قد بدأ بإنشائها في زمانه، ولم يهمل بتطوير شبكة الطرق العديدة على امتداد إمبراطوريته الواسعة.

كما أنه فرض تقويماً جديداً لأشهر السنة وهو تقويم مدينة نيبور الشهير، الذي استلهم منه بعض التفاصيل فيما بعد ملك بابل حمورابي.

ويبدو أنه عمل في إعادة ترتيب نظام الأوزان والقياسات. ويمكننا أن نرى في متحف اللوفر وزناً مصنوعاً من حجر الديوريت، إنه نصف مينة (حوالي 250 غرام)، يحمل علامة الهلال القمري إنه مخصص من الملك إلى الإله القمر "نانا" في أور.

أحب شولجي العدالة والخير، وعمل على حماية الضعفاء واليتامى والأرامل من الطغيان الذي كان الأغنياء يمارسوه ضدهم.

و بغية فرض حكمه، كتب اسمه بشعار مخصص للألوهية، المتمثل في عبارة دينجير (dingir)، كما فعل ذلك من قبله ملك أكد نارام-سين. وتم ذلك ما بين السنة العاشرة والحادية والعشرين من حكمه. وكُرست له معابد مزينة بالتماثيل كما خُصصت له أعياد دينية كثيرة، وأصبح موضوع عبادة وهو حيّ.

باشر الملك في المناطق المجاورة واعتباراً من السنة العاشرة من حكمه، بشنّ سلسلة من الحملات العسكرية في الشمال ضد إمارات زاغروس الآهلة بالغوطيين واللوليبيين والحوريين، وفي الجنوب قام بحملة ضد الدولة العيلامية القوية.

هل كانت الموسيقى تحتل مكاناً كبيراً في وقت الحرب، كما حدث في الأزمة اللاحقة، أي في العصر الآشوري الجديد (934 – 610)؟

كان يسمع الأعداء عند اقتراب الجيش أصوات دقّ الطبول والصنوج والصخب والجلب التي كانت ترافقه في حملاته وضجيج الأسلحة وصفير الأسهم.

وبلغ شولجي الدبلوماسي الماهر مرامه العسكري، بمنح بناته زوجات إلى الأمراء الأجانب وإلى الحكام لتأمين تحالفهم معه.

كما باشر بإنشاء سور بين نهر الفرات ونهر ديالى أحد روافد دجلة لأنه يشعر بضرورة حماية حدود بلده وصد دفق الغزاة والمحافظة على السلم في بلاده. وقد أطلق على هذا السور، تسمية باد. إيجي. هور. ساغ. كا (Bad.Igi.Hur.Sag.Ga) لأنه كان مواجهاً للجبل.

ملك غير تقي

ترسم *"مدونة أوروك الخاصة بملوك أور"*، متأخرة ومحررة باللغة البابلية، صورة للملك شوكلي متهمة إياه بأنه غير تقي، إذ لم يكمّل جيداً الشعائر الدينية، بل قام بإفساد الاحتفالات الدينية.

ويروي هذا النص المتأخر زمنياً:

"لقد عمل شولجي الرباني، ابن بنت أوتو هيكال، ملك أوروك [...] على إفساد شعائر "آنو" بدون حق، وخرق شرائع أوروك [...] وعلم سر الحكماء. وطرح أرضاً في كتابته الخدمة الواجبة "لسين" رب أور.

وقام [في فترة] حكمه بكتابة مسلات كاذبة ومدونات وقحة [تتعلق] بالشعائر المعدة للآلهة، وترك ذلك للأجيال اللاحقة. " 5

ومهما كان الأمر، فإن شولجي توفي بعمر متقدم جداً بعد حكم طويل ومزدهر، وحدث ذلك في بداية الشهر الحادي عشر من سنته السابعة والأربعين من حكمه.

أدت وفاة شولجي إلى إقامة احتفالات كبيرة وقُدمت له مراسيم تأبينية دينية. تعالت أصوات دق الطبول والناي والقيثارة للتعبير عن النكد والحزن وهي ترافق الصلوات والأناشيد والنحيب.

دُفِن داخل ضريح رائع من القرميد المرصع جدرانه بالذهب، وبالسقوف المزينة بالنجوم.

هل ضحّت زوجتان من زوجاته، هما "شولجي ـ سيمي" "و جيم ـ إنلينا"، بنفسيهما تكريماً له بعد بضعة أشهر من وفاته، لمرافقته في العالم الآخر؟

في موقع أور، تمكنتُ من رؤية السلم والقباب العالية للكهف التي دفن فيها هذا الملك وابنه أمار ـ سين.

وتشير إحدى الوثائق الإدارية بأن شولجي الذي ألّه في حياته، قد "صعد إلى السماء" مباشرة إلى مسكن الآلهة، بدلاً من بقائه في مملكة الموتى تحت الأرض كبقية الملوك والأبطال والبشر.

لقد بقي راسخاً مدةً طويلة لدى أبناء الرافدين، ذكر هذا الملك المقدام والماهر في الحرب والصيد ومنظم دولة مركزية كاملة. لقد أعطى صورة عالمٍ في الثقافة وعادل في الحكم وأصيل في شخصيته. كان عازفَ ناي ماهراً ومغنياً مغرماً من كل قلبه بأناشيد الحب.

ابني شولجي

خلف شولجي في الحكم ابنيه أمار ـ سين (2046 – 2038 قبل الميلاد) الذي حكم ثماني سنوات وضم جزءاً من بلاد آشور إلى مملكته.

عزز شو– سين (2037– 2029 قبل الميلاد) الابن الثاني، خلال السنة الرابعة من حكمه السور المشيد من قبل والده الملك شولجي، إذ إن أقوام المآرتو أو البدو العموريين القادمين من سوريا ومن الجزيرة العربية كانوا غالباً ما يقومون باختراقات حدود إمبراطوريته ويتوغلون في بلاد الرافدين ويهددون سلامة المملكة.

عُثِرَ على أنشودة حب لكاهنة مشغوفة بالملك شو ـ سين الفاتن، وكانت قد أنشدتها أثناء عيد رأس السنة الجديدة. وتجعلنا هذه الأنشودة الغرامية، نتقاسم دقات قلب هذه المرأة المكرسة إلى الإلهة إنانا، إلهة الحب.

وتقول:

"أيها الزوج الغالي على قلبي
كبير هو جمالك، إنه شهي مثل العسل
أيها الأسد الغالي على قلبي
كبير هو جمالك، المحبوب على قلبي. "

مع مرور الزمن غيّر نهر الفرات مجراه، منزلقاً شيئاً فشيئاً نحو غرب البلاد.

وفي نهاية الألفية الثالثة، شكل العيلاميون في الجنوب الغربي من إيران مع العموريين تهديداً، وتحول تدريجياً إلى خطر كبير على إمبراطورية أور الثالثة وعلى عاصمتها الساطعة بكل أنوارها وعلى مينائها الهام الذي كان يؤمن لها رفاهيتها الواسعة.

هوامش الفصل التاسع:

1- أس أن كـرمير (S.N Kramer) التـاريخ يبـــدأ في سـومر (L'histoire commence à Sumer)، بـاريس، دار آرتـو، 1957، ص 176

2- أنشودة بي شولجي، مستقطعة من مقال منشور على الإنترنت The Electronic Text Corpus of SumerianLiterature www.etcl.Orient.ox.ac.uk (http : مأخوذ من قبل فيرونيك غراند بيار، تاريخ بـلاد الرافـدين، Folio Histoire، ص 159

3- نفس المصدر أعلاه، أنشودة بي شولجي

4- راجع شاربين (D. Charpin)، أنشودة إي شولجي

5- كلاسنير (J. Glassner)، تاريخ بلاد الرافـدين (Chronique Mésopotamiennes)، باريس، الآداب الجميلة ص 230.

- كرامير (S.N Kramer) التاريخ يبـــدأ في سـومر (L'histoire commence à Sumer)، نشر دار آرتو، 1957، ص 189

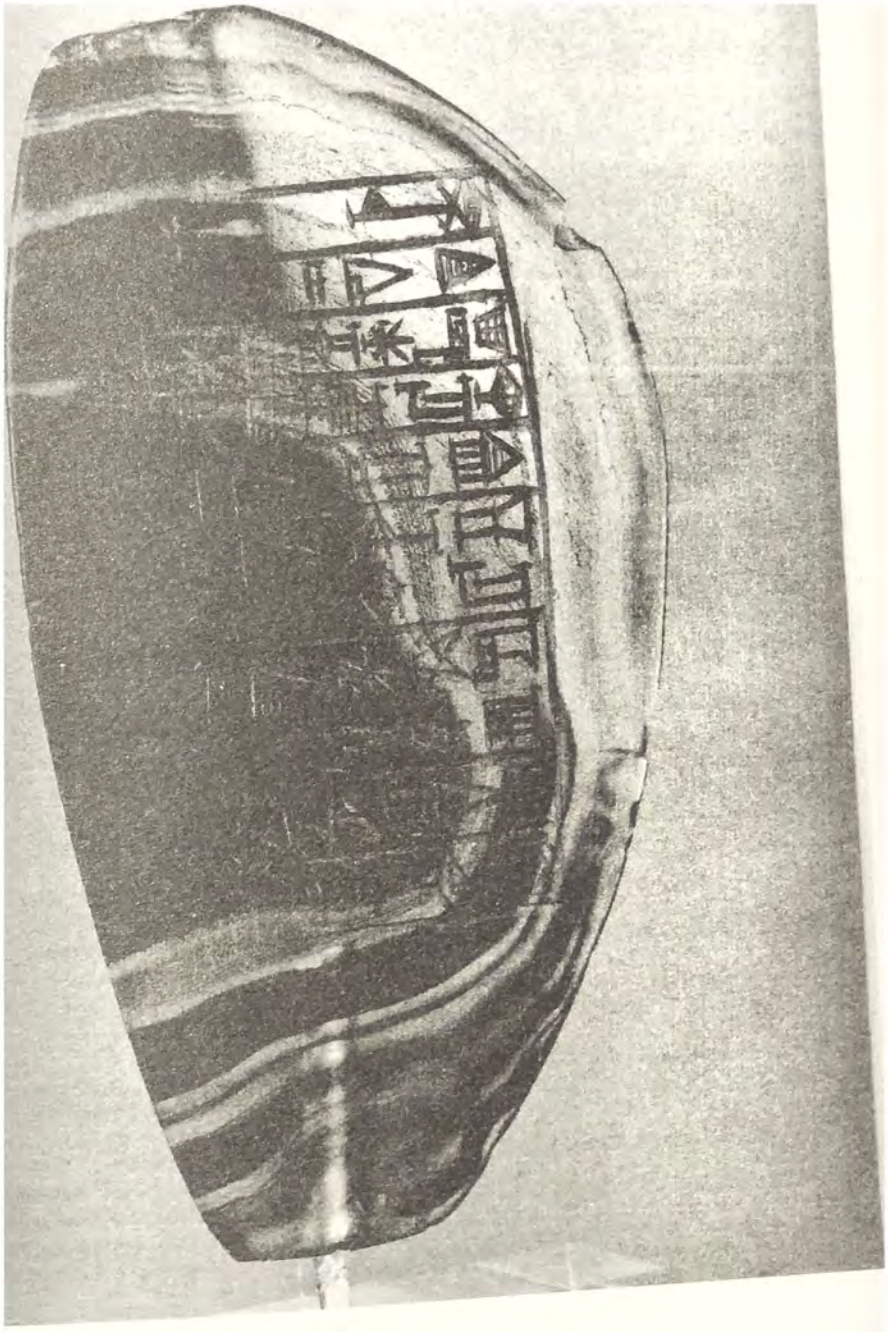

الفصل العاشر

إبي – سين، (IBBI-SIN) الملك واللؤلؤة

إبي ـ سين (2028– 2004 قبل الميلاد) السومري هو ابن شو ـ سين، حفيد شولجي، ورث دولة هشة، وكان من الصعب عليه فرض نظام الدولة الموحدة المثالية. طلب هذا الملك من إله القمر نانا أن يعمل على مساعدته، فكرس لؤلؤة جميلة مصنوعة من العقيق، وهي اللؤلؤة المحفوظة اليوم في متحف اللوفر في باريس، يقول الملك:

"إلى [الإله] نانا، سيد إبي ـ سين، وإله بلاده.

أنا الملك القوي، ملك أور، ملك المناطق الأربعة، الذي كُرست له [هذه اللؤلؤة] في فترة حياته." 1

تعرفنا الرسائل التي تبادلها إبي ـ سين مع حكام المقاطعات الذين كان قد اختارهم من بين العوائل الكبرى، على التدهور الذي حل بإمبراطورية أور الثالثة، لأنها لم تنجح في المحافظة على تماسكها. فقدَ الملك المقاطعات الخصبة والمدن الكبرى، مثل إشنونا وأوما ولكش وديير التي انفصلت عن بلد سومر واحدة بعد أخرى.

في عام 2017 قبل الميلاد، اخترق العموريون حدود بلاد سومر وشنوا هجوماً عليها. وأصبحت المواد الغذائية نادرة وارتفعت الأسعار

في أور الموسرة عاصمة المملكة، مدينة الفنانين الحرفيين والتجار والفخارين.

لذا، فكّر الملك أور "بإشبي ـ إيرا"، أحد ضباط جيشه من مدينة ماري (المدينة الواقعة في منطقة الفرات الأوسط) والذي لم يكن ينتمي إلى الأسرة السومرية، وإنما كان من أصل أكّادي، فكلفه بأن يشتري الحبوب من إيسين، تلك المدينة الواقعة في جنوب نيبور. وبينما كان يتوجه الملك إبي ـ سين نحو بلاد عيلام المتمردة حيث عاد مهزوماً، في الفترة عينها قام الضابط إشبي ـ إيرا بجمع المواد الغذائية وباشر بتخزين الشعير داخل مدينة إيسين فقط. وادّعى بوجود صعوبات منعته من إرسال المواد الغذائية هذه إلى أور عاصمة الدولة.

وطلب الضابط إشبي – إيرا من ملك أور إبي ـ سين بأن يكلفه بحماية مدينتي إيسين ونيبور المهددتين من قبل الغزاة العموريين الذين كانوا يخترقون حدودهما. بعد فترة، طلب إدارة مدينة إيسين. وأعلن فيما بعد استقلاله منتهزاً فرصة ضعف الإمبراطورية، واستولى أيضاً على مدينة نيبور.

على أن إبي ـ سين الملك الهمام والواعي بالأخطار المحدقة بإمبراطوريته، قام بتعزيز تحصينات مدينة أور. لكنه كان يعاني رغم قدراته العسكرية من ضعف إدارة والدفاع عن إمبراطوريته الهشة والمجزأة والتي تقلصت مساحتها.

هجوم العموريين

في عام 2007، اجتاح العموريون بلاد سومر، ولكنهم اضطروا إلى التراجع بمقاومة القائد إشبي– إيرا الذي استطاع التصدي لهجومهم. غير أن إعصاراً جديداً هب بعد ثلاث سنوات (2004) على بلاد السومريين، وعاد العموريون المتحالفون مع العيلاميين ومع قوم الشو

(شعب الجبال أو أهل شوش) ليجتاحوا بلاد سومر مرة ثانية، فتغيرت حالها لتصبح دولة الخوف.

حاصروا عندئذ مدينة أور التي تعرضت إلى الجوع والضعف، وكم من وقت استمرّ هذا الحصار؟ لقد سبب عنفاً شديداً وأدى إلى الذهول والصراخ والعويل، إنه شهر الدم. كيف كان الحماس البطولي الذي أظهره الملك وسكان أور لحماية مدينتهم؟ صحيح أنهم لم يتمكنوا من منع تدمير مدينتهم وحرقها، لكن رجالها تعرضوا إلى القتل ومعابدها العريقة تعرضت إلى التدنيس، والمنازل إلى النهب والسلب، وكان نصيب البساتين والحقول هو الاجتياح والأملاك أُفرغت من محتوياتها.

كما أن الطبيعة نفسها ساهمت هي أيضاً في الوصول إلى مثل هذا الخراب، إذ اجتاحت أحراشُ البرية الأطلالَ ونمت الأعشاب المجنونة داخل حقول الحنطة واقتحمت مرارة الماء قنوات أور.

أصبح إبي ـ سين تعيساً، ذاك الملك المهزوم والراعي الذي لم يتمكن، بالرغم من شجاعته المشهودة، من إنقاذ بلده ولا من حماية شعبه والاحتفاظ بمجده أمام التاريخ! لقد وجد قدره، وكانت تنتظره نهاية مظلمة ومأساوية. انغلقت العينان الحزينتان تحت الحاجبين، والنفس خافقة بالأسى، والقلب ممزقٌ. غادر الملك بأسف وحزن مرتدياً ثوبه البسيط إلى أعماق بلد "أنشان" الواقع في منطقة عيلام وأنهى حياته في الأسر. فهل حافظ لمدة طويلة على مرارة قدره القاتم؟ وهل تمتع، بعد أن جُرّد من كل شيء وأصبح أعزلَ من كل ما كان يملكه، باستعادة ذكرياته عن كل ما كان يحبه وعن قصوره وثرواته وجيشه وأصدقائه المخلصين وزوجاته؟ لابد أن مدينته أور الحبيبة على قلبه كانت حاضرة أمام عينيه وهي راقدة مثل قارب جانح، ما يكون مصيرها من بعده؟

ثم مسحت الرياح الشديدة آثار إبي ـ سين ملك أور الأخيرة الذي توفي في بلاد عيلام بعيداً عن مدينته.

أصاب الذهول أهل سومر وسكانها، وأخذ الألم مأخذه منهم، وسادهم البؤس أمام هذه الكارثة التي بدت لهم وكأنها تعلن لهم نهاية عالمهم. وشعروا بعجزهم أمام القدر، فقد غادر ملكهم إلى أرض أجنبية *"أرض ينظر إليها المرء وهو يطأطئ رأسه"*. وهكذا أطلقوا العنان لنحيبهم حول السور المهدم لعاصمتهم أور الحزينة.

مرت أجيال وأيام. استمرّ شعراؤها يحتفلون بعظمة أور أي بسومر وأكّاد، حتى بعد مرور زمن طويل على هذه الكارثة، فنظموا الشعر وكتابة المراثي الحزينة المؤلمة التي كانت ترثي دمار المدينة. لنقرأ سوية واحدة من تلك القصائد الموجهة إلى الإله القمر نانا:

"آه، أيها الأب نانا، لقد تحولت هذه المدينة إلى أنقاض...
وملء كسور الخزف موقعها عوضاً عن سكانها
لقد تحطمت أسوارها ونحب شعبها،
ها هي الجثث تضطجع تحت أبوابها،
حيث كان أهلها يتجولون في سابق الزمان في شوارعها،
وأماكن أعياد البلاد تضجع فيها اليوم قطع الأجسام.
أور، أقوياؤها وضعفاؤها ماتوا جوعاً،
وبقي الأبناء والأمهات قابعين في مساكنهم، فقد قهرهم اللهيب،
وها هم الأطفال نائمون على رُكَب أمهاتهم،
كالأسماك عندما تجاذبهم المياه.
لقد تركت الزوجة في المدينة،
وترك الطفل وتبعثرت الأملاك،
آه يا نانا، لقد تهدمت أور، وتبدد سكانها." 2

واستمر كتابها وشعراؤها يقولون متحسرين، كيف لا يصل نداء مؤلم إلى "نينكال" زوجة الإله نانا وحامية مدينة أور، عندما يتعلق

الأمر بمثل هذه الأحداث المأساوية التي تعرضت لها، فقد تم هدم معبدها الكبير؟ غادرت هذه الآلهة مدينتها، بعد أن حُرمت من منزلها ومن العبادة وبعد أن تكبدت إهانة بعد إهانة، وتوقفت عن منح الدعم والإسناد لها.

ها هو ذا نص يحكي ذلك:

"أيتها المرأة الفاضلة (ننكال) التي تهدمت مدينتها، كيف تتمكنين من الاستمرار في الوجود! لقد تحولت مدينتك إلى حقل من الأنقاض، ولم تعودي بعد اليوم سيدتها. إن شعبك الذي اقتيد إلى المجزرة، لم تعودي بعد اليوم ملكته. لقد أصبحت دموعك دموعاً غير مألوفة، وأرضك لا تبكي بعد. تشبه أرضك ذاك الإنسان المصاب، الذي يبقى فمه مغلقاً. لقد تحولت مدينتك إلى حقل من الأنقاض البالية، فكيف تتمكنين من الاستمرار في الوجود! لقد نُهب معبدك، فكيف تمكن قلبك من ارتكاب هذا الخطأ! يا أور، لقد سُلم معبدك إلى الرياح العاتية."[3]

كانت مسيرة التاريخ شبيهة بسلسلة من الأحداث الدورية لدى أبناء بلاد الرافدين، ولطالما توالت فترات المجد عليهم وتبعتها أزمنة الانحدار نحو الأفول. كانوا يعتقدون بأن الآلهة، الحائزة على ألواح الأقدار تمنح وتستعيد ما منحته، لأنها لا تحتاج إلى تسويغ أعمالها. وكانوا يعرفون أن الآلهة لم تكن دوماً مسؤولة بالنسبة لهم عن الكوارث التي تصيب مدنهم. اعتقد الناس بوجود قوة عالية لا يدركونها، لذلك كانوا يتحملون مجرى التاريخ.

وظن سكان الرافدين بأنه لا توجد مملكة ولا دولة بدون زوال، لأن الوقت الممنوح لها محدود: "صحيح أن أور قد نالت النظام الملكي، لكنها لم تستلمه إلى الأبد".

وأخيراً وصل يوم دولة أور الثالثة المجيد إلى المساء الأخير، ولكن كاتب وشاعر المرثية واثقٌ بغد أفضل ويأمل بولادة صباح جديد، فأنهى قصيدته بنغمة من الأمل:

"أيتها المدينة، ما زال اسمك باقياً، وإن كنت مهدمة." 4

إعادة تشييد أور: المركز الديني والميناء الزاخر

ولد صباح جديد وسطعت فيه إشعاعات طيف الألوان الشمسية المنيرة فوق أسوار مدينة أور، واستعادت المياه مجاريها ونبتت الحبوب من جديد وتفتحت الورود وانطلقت الأنغام في وسط حقول الحنطة المتأرجحة في مهب الريح. أُنشدتْ أغنية، صدحت بها الأفواه على نغمات العود بأيام بزوغ عصر جديد. وأحاط القمر ثانية بهالته الساطعة المدينة الشامخة. فقد نجح الملك "إشبي – إيرا" (2017–1985 قبل الميلاد) الذي كان يحكم في إيسين عاصمته، باستعادة أور من العيلاميين. ورفعها بعناية تامة من أنقاضها وأعاد تشييد بعض من مبانيها المدمرة.

في عام 1925 قبل الميلاد، استولى على أور الملكُ كونكونوم ملك لارسا الواقعة في شمال مدينة أور، التي كانت منافسة لمدينة إيسين. وبعد مدة، قام أحد ملوك لارسا "واراد ـ سين" (1834 – 1823 قبل الميلاد) بترميم باحة المدينة ومعابدها وأعاد إليها آلهتها. وكانت المدينة قد فقدت في زمن حكام لارسا قدرتها السياسية، ومع ذلك حافظت على أهميتها الدينية وحفظت على تقاليدها السومرية واستعادت قسماً من رفاهيتها. وهكذا استمرت في ممارسة نشاطاتها الاقتصادية المرتبطة بموانئها وبأعمالها التجارية مع منطقة ديلمون (البحرين حالياً).

لم تختفِ ثقافة السومريين بعد سقوط دولتهم، بل تركوا بصماتهم على الشعائر الدينية وعلى النظم الاجتماعية وعلى الآداب والفنون. بقيت وصمدت اللغة السومرية العريقة رغم تعرضها إلى التنافس من قبل الأكاديين، ومكثت قائمةً ومستخدمة من قبل الكتّاب العلامة.

استوعب العموريون بعد أن سيطروا على الحكم هذه الثقافة الغنية وطوروها. وهكذا تمكنوا من تأسيس الحضارة البابلية فيما بعد.

ليجري هذا النهر الحضاري ولتتدفق من بواطنه تواريخ الانتصارات وبزوغ المدن والممالك وظهور النزاعات والخسائر، وإن احتفظ بأسراره تحت مياهه البراقة. ليجري نهر الملوك والكهنة والكتبة والمعماريين، نهر شعب سومر وأكد، إنه نهر المزارعين والحرفيين وقادة السفن والتجار. نبع غير مرئي بدفقه السريع والعذب وبعزف الناي وقيثاراته العذبة.

هوامش الفصل العاشر:

1- متحف اللوفر، ترجمة جي شامبون (G. Chambon)

2- انظر: كرمير (S.N Kramer) نحيب على دمار أور (Lamentation over the destruction of Ur)،

3- بريتشارد (J. B. Pritchard): Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament. برينستون، 1969، ص 455-463

4- انظر: منشورات تايمس – لايف (Times-Life) سومر، أمستردام، 1993، ص 146

الفصل الحادي عشر

حمورابي ملك القانون في بابل

غادرتُ بلد سومر هذا، بنوره المشع وأرضه الشهيرة بالماضي المجيد ومدنه التي بدت لي أحياناً كأنها سراب. أشعرُ وأنا أسير في أجواء ذاك العالم الشامخ منذ آلاف السنين بأنني قد تخطيت آفاق الزمن...

توجهتُ إلى بابل "باب إيلي"، باللغة الأكّادية، أي "باب الإله". ها أنذا أرى تشكيلة واسعة من المرتفعات الصغيرة الصامتة والمغطاة بعشب ربيعي كثيف. وها هي قطعان الماشية ترعى فيها، بدت لي كأنها هنا منذ آلاف السنين. وأرى أشجار النخيل الباسقة وهي تتموج تحت سماء زرقاء ساطعة، وكأنها غابة من نجوم البحر.

توغل في نفسي هذا الاسم المقدس والأسطوري وأنا ألفظه بهدوء كلمة *"بابل"*. إنه اسم يمتلك حيوية روضة من رياض الأرض. ألمْ يُنر اسم بابل الذي طالما مجده الملوك الكبار، الشرق خلال عصور كاملة؟ إنه ما زال يشع اليوم داخل ذاكرة الناس.

بابل

يعود أصل بابل، الواقعة على ذراع نهر الفرات إلى الأزمنة القديمة. وفي زمن سلالة أكد، تحولت هذه المدينة المذكورة التي كانت

ضيعة مأهولة بالأقوام السامية، إلى مدينة محصنة. واستقرت فيها، بعد سقوط إمبراطورية أور الثالثة (2004 قبل الميلاد) دولة عمورية وجعلت منها مملكة صغيرة. وانطلقت هذه المدينة لتزدهر تحت حكم الملك حمورابي (1792 – 1750 قبل الميلاد)، الذي كان الملك السادس من سلالة ملوك هذه الدولة. وأصبحت مع مرّ الزمن عاصمة دينية وسياسية وفكرية.

لم يبق اليوم من آثار لمدينة حمورابي التي دمرها الزمن الغابر والتي غرقت بفعل صعود طبقة المياه الجوفية إليها، لكنني أستطيع أن أحلم بها وبمجدها...

تماثيل حمورابي

شكل حكم حمورابي رابطاً بين العالم السومري القديم والعالم السامي الجديد بأعماله ومشاريعه وقوانينه.

استطعتُ أن أرسم صورة لهذا الملك، ليس من خلال نزوات خيالي، بل بفضل العثور على تماثيل صغيرة تبرز ملامحه، والتي أدت إلى إعجابي بها في متحف اللوفر، وأيضاً في كتب الفن. أهدى أحد سكان مدينة لارسا في زمن الملك حمورابي، واحداً من هذه التماثيل الصغيرة إلى الإله مارتو، إنه التمثال المثبت على قاعدة متينة في اللوفر. ويُظهر هذا التمثال الصغير، الملك حمورابي وهو يؤدي الصلاة راكعاً على ركبتيه بمرونة مدهشة أمام صورة الإله جالساً على عرشه، ويده اليمنى مرفوعة أمام فمه. ويبدو الملك مرتدياً قبعة واسعة الحواشي وثوباً مزخرفاً بالبلوط، ووجهه مزين بلحية قصيرة ويديه مزركشتين بصفائح من أوراق الذهب والفضة. وتلوح في هذا التمثال عينا الملك مفرغة من حجريهما ومرصعة بقوقعة قيمة وبحجر اللازورد الثمين.

وقد عُثِر في مدينة سوس على تمثال صغير آخر مصنوع من حجر الطلق الدهني، والمنسوب عموماً إلى الملك حمورابي. وهو يعرض الملك مرتدياً قبعة عالية الأطراف تشبه في مظهرها قبعة الملك كوديا أمير لكش، وتبين على وجه الملك سيماء النحافة والإرهاق الناتجة عن تقدمه في العمر وشعوره بالقلق، وتظهر عيناه نصف مُغمَضَتَين، وشفتاه مشدودتين. كما يبرز التمثال لحية الملك وهي مجدولة بعناية تامة ومنظمة تنظيماً جميلاً وملتحفة الجانب السفلي من خديه. وتبدو عيناه تحت حاجبيه المنعقدين اللذين يلتقيان مثل سنبلتين تنظران إلى الأفق البعيد، معبرتَين بذلك عن صورة أمير سيد العالم، يملك الكثير من تجارب الحياة، وها هو ينهي عمله. كما يمكن للمرء أن يكشف وجود نوع من الحزن المخفي تحت سيماء الثقة الواضحة بنفسه. إنه ذلك الحزن المعبر عن معاناة الرجل الذي كان على وشك أن يواجه نهاية حياته وقصافة العظمة التي وصل إليها، وحتمية المصير العابر للحياة البشرية.

لاح وجه حمورابي اليقظ والكريم من خلال العدد الكبير من الرسائل التي بلغت مائة وخمسين رسالة، والتي تم العثور عليها في مدينة لارسا وفي مدن أخرى من بلاد الرافدين. تبرز هذه الرسائل – الموجهة إلى كبار الوجهاء في دولته – ما يبديه هذا الملك من الاهتمام بالموظفين الخاضعين لإدارته ودبلوماسيته المشهودة وموهبته في الإدارة. ولكن من كان يا ترى هذا الملك وما هي شخصيته؟

الفتوحات

حدث ذلك في عام 1792 قبل الميلاد عندما ورث حمورابي مملكة متواضعة، وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره، من والده سين ـ ماباليت، فتسلم مقاليد الحكم في بابل. وفي عام 1787، استل حمورابي؛ الذي كان يمتلك رغبة في توسيع أراضيه، سيفه من غمده

وغزا مدينتي أوروك وإيسين السومريتين، وبعد هذا الفتح بقي الوضع هادئاً. وانتظر بصبر قدوم اللحظة المناسبة للتحرك من جديد.

تدهورت العلاقات مع مملكة لارسا الواقعة في الجنوب لأنها استولت على مدينتي أوروك وإيسين الخاضعتين له، مما أدى إلى التحرك لشن الحرب على لارسا. وتمكن من وضع نهاية حاسمة لاستقلال هذه المملكة ووضعها إلى مملكة بابل.

واصل حمورابي فتوحاته إلى الشمال والشمال الغربي وهزم بدون رحمة أصدقاءه وحلفاءه السابقين الواحد بعد الآخر. وأخضع مدينة ماري الواقعة في الفرات الأوسط عام 1759، ثم استولى على آشور عام 1757 وإيشونانا الواقعة في بلاد الرافدين الوسطى في السنة التالية.

وتم توحيد الجزء الأكبر من بلاد الرافدين تحت صولجان حمورابي المنتصر الذي عزا نجاحاته إلى الإله مردوك، حيث أزاح شيئاً فشيئاً إله السومريين إينليل وأصبح الإله الأول في بابل.

منذئذ بذل عاهل بابل جهداً كبيراً لتوطيد متانة سلطته ولتعزيز قدرات إمبراطوريته الاقتصادية، التي شيدها في مدة لم تتجاوز العشر سنوات وجعلها إمبراطورية مركزية النظام، كما سعى إلى خلق شعور وطني لدى رعاياه. وفي عهده وضع حكاماً لإدارة مدينتي لارسا ونيبور. لقد كانت المدن تخضع لإدارة ولاة تابعين له وكان موظفو الدولة يعملون على جباية الضرائب والرسوم ويراقبون التجارة. وكان مسؤولو وسائل النقل يربطون بابل العاصمة بالمقاطعات البعيدة عنها.

قام حمورابي بتطوير بابل. وشيد فيها أسواراً، وبنى وجمّل المعابد وحفر قنوات الري وجعل من مدينته عاصمة كبرى ومركزاً دينياً وثقافياً. وأصبحت المدينة بفضل موقعها المميز في وسط البلد الخصيب، مركزاً تجارياً مزدهراً وسيطرت على الطريق الموصل بين الصين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط، إذ كان يمر بآسيا الوسطى وبلاد فارس وبلاد الرافدين.

مسلة حجر البازلت الأسود الشهيرة

أخذت الكتابة منذ مدة طويلة أهمية كبرى في بلاد الرافدين وكانت وسيلة للتأليف وللتحرير. وسابقاً كُتبت "قوانين" عديدة في أور وإشنونا وفي إيسين.

أمر حمورابي صاحب الخبرة الواسعة في هذا المجال بنقش "قانون" في كتابة كبيرة الحجم وأنيقة على مسلة عالية مخروطية الشكل ومصنوعة من حجر البازلت الأسود، ويبلغ ارتفاعها مترين وخمسة وعشرين سنتيمتراً. إنّها مصقولة بعناية تامة وهي المسلة التي أعيد نسخها ووضعت في مختلف مدن الإمبراطورية.

عثر علماء الآثار الفرنسيين عام 1901 على واحدة من نسخ مسلة حمورابي المشهورة في مدينة سوس، وكان العيلاميون قد أخذوها غنيمة من غنائم الحرب حوالي سنة 1200 قبل الميلاد. وقام علماء الآثار عندئذ بجلبها ووضعها في متحف اللوفر في باريس.

يتوقف اليوم زوار المتحف بشكل طوعي أمام المسلة السمراء الثابتة. إنّها تعبر عن عصر من عصور القوانين البشرية، ويشعر هؤلاء الزوار بوجود إرادة وحضور لعاهل كبير، وكأنه يعرض عليهم نظم ومواد قانونه العزيزة عليه.

يلاحظ الزوار صورة منحوتة على قمة هذه المسلة، إنه حمورابي التقي، واقف ويده اليمنى مرفوعة هو يصلي أمام شمش إله الشمس والعدالة. وتعرض المسلة الملك حمورابي مرتدياً قبعة مزودة بعصابة واسعة وثوباً بسيطاً وفضفاضاً ومزيناً بشارة، وهو يكشف عن كتفه الأيمن، أما الإله شمش نراه جالساً على عرشه، مرتدياً قبعة على شكل قلنسوة مزودة بقرنين وشعر معقود على شكل جديلة مسترسلة على عنقه، ويلبس ثوباً مجنحاً واضعاً قدميه على قاعدة مزينة بهضبات صغيرة، ترمز إلى الأراضي واللهيب الذي يتدفق من كتفيه. ويمد الإله له عصا (الصولجان) والطوق، رمزي الملوكية وهو يملي عليه قانونه الإلزامي.

يذكر حمورابي في ديباجته كيف منحت الإلهة إلى مردوك إله بابل، الجبروة وأعطت لبابل العظمة وأسدت له الملوكية:

"حينما ميز الإله السامي آنو؛ رب الآلهة السامية، وإينليل؛ سيد السماوات والأرض الإله الذي يثبت مصير البلد، مردوك الابن البكر للإله إيا، منحوه القدرة التامة، ومجدوه من بين الإيجيجي (آلهة الرتبة الثانية).

وهكذا (حينما) لفظوا اسم بابل العظيمة، جعلوها مهيمنة على أربعة أركان العالم. وحينما أعدوا لـ مردوك في وسطها (بابل) ملكية أبدية، أصبحت أسسها متينة مثل أسس الأرض.

وعندئذ عظّمت (الآلهة) اسمي أنا، حمورابي، الأمير الورع، الذي يمجد الآلهة؛

من أجل نشر القانون في البلاد والقضاء على الشرير والمنحرف،

ومن أجل ألا يظلم القوي الضعيف،

ولكي أظهر أمام الناس مثل الشمس التي تنير البلد.

(إنه اسمي) الذي لفظه الإلهين آن وإينليل لتأمين السعادة للناس"[1]

أعلن حمورابي في ديباجته هذه، أعماله السياسية وأفعاله التقية وفتوحاته التي أتاحت له حكم دولة قوية مثل دولته.

قانون مسلة حمورابي

لم يكن "القانون" بصيغته الأصلية وبشكله ومحتواه، قانوناً مدنياً مثل قانون نابليون، بل هو عبارة عن مجموعة من الأحكام العدلية، متكاملة إلى حد ما، ومنظمة على طريقة لوائح قانونية للسومريين، التي أرادت أن تحاكي نظام العالم. كانت بعض المواد تجيب عن حالات معينة صادرة سابقاً أو مأخوذة من الأعراف السائدة. لم يعرض هذا القانون مادة شاملة للجميع بل عرض الحالات الخاصة للناس.

وقد قام الباحثون المعاصرون بتقسيم "القانون" إلى 282 مادة. حُرر بالكتابة المسمارية وباللغة الأكّادية الغراء وبأسلوب شرطي، إذا وإذا....

رسم هذا القانون لوحة للمجتمع البابلي وأدى دوراً هاماً لتنظيم الحياة اليومية.

وكان المجتمع ينقسم في ذلك الوقت إلى طبقات ثلاث. أولها طبقة الرجال الأحرار (الأويلو) المتمتعين بكامل الحقوق، إنهم القادة والأطباء والموظفون والحرفيون والعسكريون.

الطبقة الثانية هم التابعون (الموشكينو) الذين يتمتعون ببعض الامتيازات ولكن يجب عليهم إنجاز الخدمات والأعمال المرهقة (السخرة) للدولة.

أما الطبقة الثالثة فهم العبيد (الوردو)، ويأتي ترتيبهم في أسفل السلم الاجتماعي، وهم أسرى الحرب والأفراد العاجزون عن تسديد ديونهم. وكان لديهم أمل بالخروج من هذه الحالة. إذ كانوا يتمتعون بالحقوق وبشخصية قانونية. وكان من الممكن (للوردو) حليق الرأس والحامل لخصلة تميزه عن الآخرين أن يتزوج من ابنة رجل حرّ وأن يخلّف أطفالاً أحراراً، ومن حقه أن يقتني الأملاك وأن يتحرر من العبودية. ويتعرض الوردو في حالة الفرار إلى عقوبات قاسية ومنها تنفيذ عقوبة الموت بحقه.

وكان هذا القانون يشجع النشاط التجاري، ويعطي أهمية كبيرة للشاهد وللعقد:

"إذا قدّم (تاجر) قرضاً (من الشعير أو الفضة) بدون (شهود ولا عقد)، فسوف يخسر كل شيء (كان) قد أعطاه" (المادة 65).

وكان القانون الخاص بالعائلة ذات النمط الأبوي والذي يشكل أساس المجتمع، يعالج مواضيع متعددة كالإرث والتبني. ويتناول أيضاً وضع الزوجة التابعة لزوجها، لكنها تملك شخصية شرعية

باعتبارها "مواطنة"، وكان يسمح لها بتلقي هبة تسجلها باسمها بموجب عقد، وبالسهر على مصالحها بعد وفاة زوجها".

"إذا أعطى رجل زوجتَه أرضاً أو بستاناً أو منزلاً أو أثاثاً (وإذا) كان قد سلم لها وثيقة مختومة، فبعد (وفاة) زوجها، لا يستطيع أولاده أن يطالبوا (بها). ويمكن للأم أن تترك إرثها لولدها المفضل، لكنها لا تتمكن من نقله إلى غريب" (المادة 150).

وكان الاغتصاب يخضع إلى عقوبة قاسية جداً، والخيانة الزوجية (الزنا) محظورة، وارتكاب المحارم ممنوعة تحت طائلة النفي (المادة 154). تلك الحالة لم تكن مطبقة في مصر، إذ كان الفرعون قادراً على الزواج من ابنته البكر.

وكانت بعض مواد القانون تعالج القضايا المتعلقة بالأطباء والحلاقين والفلاحين والعبيد.

في القانون الجزائي صرّح حمورابي أنه لا يمكن إدانة شخص من دون أدلة. كان همّه أن يكشف نية الجاني، وقد وضع عقوبات تتناسب مع الذنوب المُرتكَبة، لكنها كانت تتباين بحسب مقام الضحيّة. واعترف القانون بالظروف المُخفِّفة للحكم. كما أكّد مفهوماً خاصاً لتعويض الأضرار.

وظهر قانون العقوبة بالمِثْل، الذي أُخِذَ به في *الكتاب المقدّس* لاحقاً، وهو على النحو الاتي:

"إذا قلع أحد عين إنسان حُرّ، فسوف تُقْلَعُ عينهُ" (المادة 197)

ولكنه لا يدفع إلا "منة" واحدة فقط إذا كانت الضحية من طبقة النبلاء.

وكانت العقوبات تطبّق أيضاً على حوادث عائدةٍ إلى الإهمال، مثلاً:

"إذا عمّر بنّاء بيتاً لأحد الناس، ولم يُدعّم بناءه، ثم تهدّم هذا البيت ومات صاحبه، فسوف يُقتَل البنّاء" (المادة 229).

قدم حمورابي نفسه في ديباجة قانونه المحرر على شكل أنشودة تمجده وتحيي ذكراه، لأنه الراعي الصالح. فهو الملك الذي وفّر لأهل

سومر وأكد السلام ومياه الرخاء وهو الذي أظهر اهتماماً بالإنصاف والعدالة، فبلغ منشأ الحكمة.

ويقول:

"الآلهة العظيمة هي التي سمَّتني، وأنا وحدي الراعي المُنْقِذ ذو الصولجان القويم. يمتد ظلي الملائم على مدينتي. وقد ضَمَمْتُ إلى صدري شعْب بلاد سومر وأكاد. وبفضل حمايتي لهم عرفوا رَغَد العيش، إذ لم أتَوانَ عن حُكْمهم في جوٍّ من السلام. وبحكمتي حميْتُهم" (مقدمة المسلة).[2]

طلب حمورابي من الملوك الذين خلفوه من بعده التقيد بهذه القوانين، والتمس من آلهة السماء والأرض الكبرى أن تصيب اللعنة كل شخص يجرؤ على تشويه مسلة القانون.

العدالة التاريخية المجسدة

أراد حمورابي من خلال سهره على كتابة "قانونه" أن يُنظِّم الحياة السياسية والاجتماعية في إمبراطوريته. فهل كان يحاول أن يصنع وعياً وإرادة قوية لرعاياه؟ أم أراد أن يكتشف أغوار نفس البشر؟ فالحرية لم تكن تعني أن يترك الإنسان نفسه لقيادة الغرائز والنوازع والأهواء. فلا يوجد مجتمع من دون قانون عند مواطني بلد مُنظم، ولا دولة من دون شرائع تعطي العقوبات على الجرائم المرتكبة. ومن غير الممكن أن تتوفر الحرية بدون قانون يتكفل بتنظيم العلاقات بين الناس وبين الشعوب.

ويبدو أن قوانين حمورابي كانت تعاقب خصوصاً الانتهاكات الموجهة ضد النظام الاجتماعي والعائلة والملكية، بدون أن يهمل الممارسات الفردية.

هل كان حمورابي ملكاً عادلاً وشفوقاً؟ لقد أرسى دعائم الشرع في المدينة، وأقام بعض المساواة بين مختلف الأفراد أمام القانون. وإن لم يضع نهاية للامتيازات العائدة إلى النسب والوظيفة، لكنه لم يحط من

شأن أصوات رعاياه من الدرجة الثانية الذين أثّروا إلى حدّ ما في سياسته. فقد حمى الملك الضعفاء، والذين لا سند لهم، والمظلومين، واليتامى، والنساء، والأرامل، حماهم من البؤس وسوء المعاملة والإهمال وشجن الطلاق. ورفض تهميشهم وإضعافهم، وهذا ما لم تحققه دوماً الأوطان الحديثة، أو التي تدّعي اليوم الحضارة. كما أظهر اهتماماً بالمساواة بين أفراد كل طبقة، لأن كل واحدة من الطبقات الثلاث المتواجدة في المجمع لها أحكامها. بل كان الحق والكرامة واحترام حقوق كلّ فرد يطبق وفق مستواه الاجتماعي.

إنّها عدالة واقعية، مرتبطة بزمانها، وبقواعدها، وثقافتها، ومجتمعها المتأثر بالدين، والقاسي أحياناً.

تقويم نيبور

بالإضافة إلى قانونه، فرض حمورابي على كامل أجزاء بلاد الرافدين، استعمال تقويم مدينة "نيبور"، ذلك المركز الديني الكبير لبلاد سومر. استعمل هذا التقويم فيما بعد لمدة وصلت إلى ألف وخمسمائة سنة، أي لغاية فتوحات الإسكندر الكبير، وتبني بعدئذ أبناء الرافدين التقويم السلوقي الذي يستعمله السريان لغاية اليوم.

كان تقويم نيبور مثله مثل كافة التقاويم السومرية يرتكز على أخذ بداية القمر كنقطة مرجعية رئيسة. فتبدأ السنة اعتباراً من يوم اعتدال الربيع، وكانت الأعياد الرئيسة لإكيتو (السنة الجديدة) تمثل مناسبات للاحتفال بها. وكان الشهر الواقع بين ظهورين متتاليين للقمر الأول، مقسماً إلى 29 أو 30 يوماً، ومن الضروري إضافة شهر للسنة بين فترة وأخرى، أي نوع من الشهر المزدوج. أجل، لقد أمرَ حمورابي باستعمال هذا التقويم وإضافة شهر جديد لأسباب اقتصادية، و تم ذلك عندما طلب من أحد حكامه:

"يكون شهر إضافي لهذه السنة. ويجب أن يتم اختيار الشهر الآتي كما لو كان شهر "إيلولو ثاني" (آب ـ أيلول) وفي كل مكان حيث يتم فيه جلب الضريبة إلى بابل بتاريخ 25 من شهر تشريتو آأيلول – تشرين الأول)، فيجب من الآن فصاعداً أن يتم جلبها إلى بابل بتاريخ 25 من شهر أيلولو الثاني." 3

كان النهار يبدأ عند الفجر و ينقسم إلى اثنتي عشرة مدة، مساوية لساعاتنا الحالية. وكانت الساعة المائية (العاملة بالماء)، والمزولة الشمسية والبولوس (نوع من الساعات) كانت تستعمل لقياس الزمن في أرجاء الإمبراطورية.

شهرة حمورابي

أدى "هذا القانون" إلى منح الشهرة لحمورابي. وأصبح قانون حمورابي شاهداً كبيراً للتاريخ السياسي والاجتماعي لمدينة بابل. لم يكن مجرد وسيلة لتربية يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وإنما لم يصل أي قانون قبله إلى مثل هذه السعة، أو تمكن من إدخال مثل هذا العدد الكبير من الإصلاحات.

استُخدم هذا النص الذي تمت كتابته بعناية تامة لمدة قرون عديدة، كنموذج يحتذى به في مدارس بلاد الرافدين التي أعادت نسخه مرات كثيرة، ونموذجاً في ما بعد للتلاميذ الدارسين اللغة الآشورية. وقد بلغت فيه اللغة الأكّادية البليغة غاية الكمال في تركيبات جملها ومفرداتها. وقد أدى أسلوب مسلة حمورابي الوجيز وجمال كتابتها إلى تسميتها بالكتابة الفاخرة وكانت تمثل عملاً فنياً رائعاً.

وعلى الرغم من ثغرات هذا "القانون" المشهور والمتميز بقيمه الكونية، فقد وجّه البلد بأكمله وأدخله في طريق النظام المنصف، وألهم كل بلدان الشرق القديم.

تركتُ بابل وغاباتٍ نخيلها الباسقة، وأنا أحمل ذكريات حمورابي، الملك المنتصر والبنّاء والمخلص للآلهة وراعي شعبه والمشرّع الكبير. وكنتُ أعلم حق المعرفة بأن الغرب قد خلد اسمه عبر بلاد اليونان وروما.

لم يعمل هذا العاهل القوي على حجب مجد سرجون ونارام ـ سين أو شولجي، الملوك المشهورين الذين سبقوه، ولم يحاول أن يكون معبوداً بعد وفاته ولا بطلاً أسطورياً. ولكنه بقي مع ذلك الحاكم القوي، وشمس بابل، وواحداً من أشهر الوجوه المعروفة في بلاد الرافدين.

أورث حمورابي لابنه شامشو ـ إيلينا (1749 – 1712) إمبراطوريته، ولكن هذا الأخير لم يبق على العرش سوى بضع سنوات، وهو الذي رأى أراضيه تنحسر شيئاً فشيئاً، وموارد دولته تنخفض تدريجياً، والحالة الاقتصادية والاجتماعية تتدهور.

وكان عليه أن يواجه أهل بلدان البحر، تلك المناطق المجاورة للخليج، ويجابه الكيشيين القادمين من زغروس، الذين ازداد عددهم سنة بعد أخرى في بابل وانتهى بهم الأمر إلى أن يستولوا على العرش. وهكذا أسسوا فيما بعد دولة كبرى وحكموا المنطقة خلال قرون كاملة من الزمن.

هوامش الفصل الحادي عشر:

1 قانون حمورابي: A. Finet دارالنشر Cerf باريس 1996 ص31.

2 قانون حمورابي، A. Finet دارالنشر Cerf باريس 1996 ص، 136.

3 F. Joannes قاموس حضارة بلاد الرافدين، باريس ص 153.

القسم الثاني

موطن آشور وبلاد الكلدان

قبل مدة، كتب عالم الآثار الفرنسي المشهور أندريه بارو André Parrot في مقدمة كتابه عن آشور:

"تمثل كلمة آشور بمقطعين لغويين فقط، مهد شعب لم يكن ميله الرداءة أبداً..." 1

في الألفية الثالثة قبل الميلاد، استقرت شعوب في بلاد آشور الواقعة في بلاد الرافدين العليا. وكانت "المدينة ـ الدولة" لبلاد آشور الواقعة على نهر دجلة، تشكل مقاطعة تابعة إلى الامبراطوريات الأكّادية (2335 – 2155 قبل الميلاد) وأور الثالثة السومرية (2112 – 2004 قبل الميلاد). وأصبحت آشور بعد سقوط هذه الإمبراطورية الأخيرة مستقلة وغنية بفضل التجارة التي كان يمارسها أهلها باتجاه بلاد الأناضول وقبدوقيا.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، قام شامشي ـ أدادا (1807 – 1776 قبل الميلاد) عموري الأصل، بفتح بلاد آشور وأسس

مملكة صغيرة فيها. أصبحت آشور في القرن الثامن عشر خاضعة إلى حمورابي عاهل بابل، ثم صارت في سنة 1500 قبل الميلاد تابعة إلى دولة ميتاني المتمركزة في شمال بلاد الرافدين.

ونجح ملك آشور الكبير أوباليت الأول (1365 – 1330 قبل الميلاد) بتحرير المملكة الآشورية من سيطرة القوة الميتانية، وأصبحت بذلك دولة تحكم أراضيها بفضل سلسلة من الانتصارات، وامتدت مساحتها عندئذ لتشمل المناطق الواقعة غرب آشور. وأنهى أدادا ـــ نيراتي الأول (1307 – 1275 قبل الميلاد)، وشلمناصر الأول (1274 – 1245 قبل الميلاد) الاستيلاء على بلاد الرافدين العليا. واستمر ابنه، توكولتي – نينورتا الأول (1244 – 1208 قبل الميلاد) في سياسة الحملات، وكان الملك الأول الذي أخضع بلاد بابل إلى سلطته. وهكذا استمرت ملحمة الأشوريين إلى بداية القرن السابع الميلادي.

أما الكلدان، فقد سطع نجمهم وتألقت عاصمتهم بابل خصوصاً في عهد الملك نبوخذ نصر منذ القرن السابع الميلادي واشتهرت بزقورتها وبوابة عشتار الرائعة وبعلومها وآدابها.

109

الفصل الأول

حكم مجيد

توكولتي – نينورتا الأول

كان توكولتي ـ نينورتا الأول (1244 ـ 1208)؛ ملك بلد آشور القوي، محارباً مهيباً حمل النصر إلى متاخم بلاد سومر وأكد.

ظهرت ملامحه مرتين على الهيكل المهدى إلى إله الكتابة نابو، (المحفوظ اليوم في متحف برلين)، وهو في حالة الصلاة واقفاً أو راكعاً، ويده اليمنى مرفوعة إلى الأعلى. وتراه مرتدياً ثوباً طويلاً مزوداً بأهداب مزينة، وها هي قسمات وجهه ولحيته الطويلة وحميته وملحمته تبرز جلية. إنه العاهل الذي لم تتمكن أسوار بابل من ردعه خوفاً. هوذا يمسك بيده اليسرى صولجاناً، رمز السلطة.

الملك الفاتح

باشر توكولتي ـ نينورتا خلال السنوات العشر الأولى من حكمه بشن حملات عسكرية نحو زغروس ومنطقة الكوتيين. وتتحدث الكتابات الخاصة بالملك عن أعمال تدمير وسلب المدن التي احتلها. مما أدى إلى

القضاء على أية رغبة بالتمرد، ودفع بالسكان إلى الخضوع التام ودفع ضريبة له.

أرسل الملك الحيتي "تودهاليا" الرابع الذي كان يحكم منطقة الأناضول الوسطى رسالتين إلى توكولتي ـ نينورتا وإلى وزيره الكبير بابو ـ آها ـ إيدينا، يمدح فيهما بسالة الملك، و يوصيه فيهما بعدم التوجه إلى بابانهي (منطقة ديار بكر حالياً).

على أن توكولتي ـ نينورتا شن مع ذلك، حملة نحو أعالي نهر دجلة في جبال كاشياري (طور عابدين اليوم) وفي مملكة ألشي (شمال ديار بكر). وتمكن من تحطيم حلف مكون من 40 إمارة، ثم اقتحم بلد نايري (بالقرب من بحيرة وان). وشن هجوماً كاسحاً على أراضي الحيثيين، وهو ما أدى إلى امتعاض هذه المملكة القوية منه.

الاستيلاء على بابل

قام ملك بابل الكيشي كاشتيلياش الرابع، حوالي سنة 1232 بغزو جنوب بلد آشور واستولى على مدينة رابيكوم (الواقعة على نهر الفرات) وعلى مدينة أرافا (منطقة كركوك).

ردّ عندئذ توكولتي ـ نينورتا بقوة على هذا العمل ووصل إلى بابل (كاراندونياش: كان اسم بابل) مستعيناً بالإلهين الكبيرين إينليل وشمش، فانتصر على جيش كاشتيلياش الرابع ووضع الملك "المنتهك للقسم" في الأسر. ويحدثنا بهذا الصدد في إحدى كتاباته:

"في وسط القتال، قبضت بيدي على كاشتيلياش، ملك الكيشيين ودعست رقبته الملكية كما لو كان كبشاً مقيداً وجلبته أمام سيدي آشور. وهكذا أصبحتُ حاكم سومر وأكد بالكامل وثبّتُ حدود بلدي من البحر السفلي (الخليج)، إلى بلاد المشرق." 1

وقد تم احتلال بابل حوالي سنة 1228 عندما شن حملة ثانية بالرغم من مقاومة الكيشيين، فدمّر تعزيزاتها وأباد جزءاً من سكانها أو أبعدهم وسلب ونهب معابدها ومكتباتها. وقام بنقل تمثال الإله مردوخ إلى عاصمته آشور. وروت تلك الأحداث، إحدى الحوليات المؤرخة في العصر البابلي المتأخر (القرن السادس قبل الميلاد) المعروفة باسم *"تاريخ الملوك الكيشيين"*.

وهكذا، قام توكولتي ـ نينورتا بإدارة بابل (كاراندونياش) مدة سبع سنوات من قبل حكام وملوك عينهم بنفسه لهذا الغرض. وعيّن ملكاً على بابل إينليل ـ نادين ـ شومي، لأنه كان مناصراً للآشوريين في نيبور، ولكنه تعرض بعد فترة إلى الخلع عن الحكم من قبل العيلاميين المعتدين.

وبعد فترة، تعرض أيضاً الملك عداد ـ شوما ـ إيدينا الذي كان قد تم تنصيبه في بابل من قبل الآشوريين إلى الانقلاب، والإطاحة به على يد الأعيان البابليين، وأعادوا إقامة مملكتهم البابلية، فنصبوا عداد ـ شوما ـ يوزور على عرش بلادهم.

مؤسس عاصمة

حصل توكولتي ـ نينورتا، الملك الفخور والباسل "ملك بلاد آشور"، على ألقاب ممتازة أخرى: "ملك سومر وأكد" و"ملك المناطق الأربع و"ملك سيبار وبابل" وفي عهده أمر بتحرير ملحمة جميلة، تم نقشها على لوح من الحجر حملت اسم "ملحمة توكولتي ـ نينورتا"، لكي يروي فيها أحداث حربه ضد الملك كاشتيلياش الرابع، والتغني بأعماله البطولية. وقام بإنشاء قصر جديد داخل آشور في الشمال الشرقي من المدينة وقام بتزيينه باللوحات الجدارية.

أدت الحروب وأعمال السلب وفرض الضرائب وجلب السكان إلى بلاده بالقوة إلى إغناء بلاد آشور. قام توكولتي ـ نينورتا بتشريد وجلب

مجاميع بشرية من الحوريين والكوتيين والحيثيين الذين استخدمهم كعمال، واشتغلوا في مهنة البناء على الأراضي الجدباء وفي المزارع الواقعة على ضفاف نهر دجلة، وشغّلهم أيضاً لإنشاء معبد محصن بزقورة مُخصّص لإله آشور ولتشييد مدينة جديدة تحملت اسم كار ـ توكولتي ـ نينورتا. وفي عهده أُنشئت مدينة مجهزة بسور امتد على 700 متراً وأنشأ قصراً واسعاً رحباً. وحفر الملك قناة، حملت اسم باتو ميشارو "قناة العدالة الرحيمة"، لريّ الأراضي الواقعة حولها وجعلها صالحة للزراعة.

النهاية المأسوية للملك توكولتي – نينورتا

لم تتوفر للملك توكولتي ـ نينورتا فرصة التمتع لمدة طويلة بعاصمته الجديدة وبالأعمال الكبيرة المنجزة. في نهاية حياته خسر مساحات هامة من أراضيه، ووقعت اضطرابات كان عليه أن يواجهها في بلاد بابل وبسبب قلة المحاصيل من الحبوب، أدت كل هذه العوامل إلى زيادة الامتعاض في بلاده.

هل حدث نقص في بصيرة العاهل القوي الذي كان جاهزاً لتحقيق طموحاته وأحلامه قبل أن يرى الأزمة وهي تتصاعد في بلاده؟ هل تخلى عن أخذ الحذر والحيطة والاستعداد لمواجهة الأحداث؟ في عام 1208 قبل الميلاد، تمرد ضده ابنه آشور ـ ناصير ـ أبلي (أشور ناصيربال) ونبلاء آشور. ولم يرغبوا مثل كهنة المدينة أن تفقد مدينة آشور مكانتها وشأنها كعاصمة للملكة. فقبضوا على شخصه الملكي وخلعوه من العرش ووضعوه في السجن داخل قاعة قصر كار ـ توكولتي ـ نينورتا.

يا توكولتي ـ نينورتا، ملك بلاد آشور وسومر وأكاد، ويا ملك سيبار وبابل، ها هي ساعة خيبة أملك قد دقت، وأوان وجعك وإحباطك ويأسك قد حل. لا تنتحب ولا تتأوه، فقد اقترب الأجل

بخطوات واسعة. وقع الآن بقبضة ابنك هذا القصر وهذه القاعة حيث تم احتجازك فيهما، والسلاح الذي كان قد تم طرقه عند برد صباح جميل...

كانت تفوح من نهايتك رائحة الذل، ذلك الموت الذي يرويه باختصار "*تاريخ الملوك الكيشيين*". يتهم هذا التاريخ بأن الملك الذي أصبح عجوزاً، كان قد ارتكب عملاً محرّماً عندما رفع يده ضد بابل واستولى بحماقة على تمثال الإله مردوك.

ومع ذلك فقد تم إعلان حداد عام في بلاد آشور عند وفاة توكولتي ـ نينورتا. وتوجه النبلاء الكبار والملوك الأجانب في هذه المناسبة إلى العاصمة الدينية القديمة، آشور.

تلت هذه الأحداث الاضطرابات، فتمكن من استيلاء ابن آخر من أبناء توكولتي ـ نينورتا، وهو آشور ـ نادين ـ أبلي (1207 – 1204 قبل الميلاد على العرش، ولكن آشورـ ناريلاي الثالث استولى على العرش بعد ثلاث سنوات من ذلك، وحكم البلاد لمدة خمس سنوات.

عندئذ تعرضت العاصمة الجديدة التي كان قد أسسها الملك توكولتي ـ نينورتا المعروفة تحت اسم "كار ـ *توكولتي ـ نينورتا*"، إلى الإهمال. فعادت مدينة آشور لتصبح المدينة الرائعة بعرشها الخالد ومعابدها.

هوامش الفصل الأول:

1- كريسون (A.K. Crayson)، الكتابات الآشورية الملكية (Assrian Royal Inscriptions) ويزبادين، I، ص 108.

116

الفصل الثاني

وجها آشور ناصربال الثاني

تابع تاريخ بلاد آشور مسيرته. التي اشتق اسمها من إله آشور ومدينة آشور. كان على شعب بلد الإله آشور وحكامه أن يواجهوا. اعتباراً من القرن الحادي عشر توسع الآراميين. ذلك الشعب السامي الأصل الذي كان يقطن في منطقة الفرات الأوسط. وفقدت آشور جزءاً من أرضها.

بدأ ملوكها بفتوحات آشورية اعتباراً من منتصف القرن العاشر. بفضل أدادا ـ نيراني الثاني (911 – 891 قبل الميلاد) الذي طرد الآراميين من أعالي بلاد الرافدين التي كانوا قد احتلوها، وصد البابليين الذين كانوا قد استقروا على الجانب الأيسر من نهر دجلة.

ثم قام وريثه بالهجوم المعاكس في القرن الحادي عشر الملك المعروف توكولتي ـ نينورتا الثاني (890 – 884 قبل الميلاد). واصل حملاته لإعادة المقاطعات مجدداً واجتاز جبال كاشياري (طور عابدين حالياً) الواقعة في الشمال وشن حملة في سهل أعالي نهر دجلة. ثم نزل في سنة 885 نحو الجنوب الغربي ووصل إلى بلاد لاكي وسوهو الواقعة في منطقة الفرات الأوسط، وأخذ من هذه البلاد الضرائب المفروضة عليها وجلب منها غنائم كثيرة. بعد أن قضى قسماً هاماً من حكمه بشن حملاته العسكرية، تمكن هذا الملك المقدام من إضافة

"بلدان إلى بلاده وسكان إلى سكانه". وهكذا حصلت بلاد آشور على قدراتها العالية وقويت إمكاناتها، فبدأت بتكوين إمبراطوريتها.

وكشجرة الأرز الكثيفة مدت أغصانها، وقذفت أعاليها نحو السماء.

آشور ناصربال الثاني: مؤسس الإمبراطورية الآشورية الجديدة

يُعَدّ آشور ناصربال الثاني (884 ـ 859 قبل الميلاد) ابن توكولتي ـ نينورتا الثاني، المؤسس الفعلي للإمبراطورية الآشورية الجديدة.

توقفتُ في قاعة من قاعات المتحف البريطاني الذي زرته مؤخراً، أمام تمثال مصنوع من حجر كبير بعض الشيء. تعود ملكية هذا التمثال إلى معبد الآلهة عشتار في مدينة كالح، عاصمة بلاد آشور، إنه يُظهر آشور ناصربال برأسه المكشوف وبحجمه الطويل والفخم وبمظهره الجليل. ويبدو الملك في التمثال ملتحي الوجه وشعره مجعد بعناية، مرتدياً قميصاً مغطى برداء مزركش بأهداب يلفه حول بدنه وهو يمسك بيديه رموز السلطة المتمثلة في سلاح مقوس وسلاح آخر أشبه بالسيف. بدا لي عندئذ كأنّ الملك الكبير ينظر إليّ بصفاء. فمن كان يا ترى ملكنا هذا؟ لقد منح آشور ناصربال لنفسه في حولياته نوعاً من التضخيم في ذكر ألقابه وتغنى بسموه العالي. وكان لهذا الملك كافة صفات الحاكم الآشوري المتمثلة في القوة والطموح والطاقة والشجاعة والبهاء.

هي ذي إحدى حولياته:

"آشور ناصربال، ملك آشور، الملك العظيم، الملك القادر، الملك الذي لا مثيل له في العالم، ملك مناطق العالم الأربع، شمس جميع الشعوب، الملك الباسل...

الرجل القوي الذي يطأُ الأعداء بقدميه... والذي يستلم الضرائب والرسوم الواردة من مناطق العالم الأربع، والذي يقبض على رهائنهم. إنه المنتصر على شعوب المناطق الأربعة، ابن توكولتي ـ نينورتا، الملك

القدير، ملك آشور، ابن أدادا ـ نيراري، الملك القدير، ملك آشور. إنه الرجل الباسل الذي تؤيد أعماله آلهة آشور، حداد وعشتار ونينورتا وحلفائه أيضاً. (الملك) الذي لا يعرف أي منافس له من بين أمراء مناطق العالم الأربع، الملك القادر الذي وسع فتوحاته من شواطئ نهر دجلة حتى جبل لبنان وإلى البحر الكبير لبلد عمارو..." [1]

ولكن آشور ناصربال، الملك القوي، بقي متواضعاً وخاضعاً وتقياً تجاه آلهته، التي كانت تمثل في نظره سادة بلاده والتي كانت تسانده في كافة أعماله.

حملات آشور ناصربال الرئيسة

كان آشور ناصربال مثل أبيه، يرغب من كل قلبه في تطوير القوة الآشورية وتوسيع دائرة امتدادها.

شنّ ما بين عامي 883 و 882 في الجنوب الشرقي من آشور حملات مسلحة نحو وادي الخابور السفلي وبلاد سوهو منطقة الفرات الأوسط، ولكن سوهو تمكنت وبالرغم من ادعاته بالنصر، بالحفاظ على استقلالها.

و بعدئذ حارب بين سنتي 881 و 880 في شرق بلاده، باتجاه زاموا (منطقة السليمانية).

وأرسل جيشه أيضاً إلى الشمال الغربي، في منطقة نايري ومنطقة شمال نهر دجلة وفي جبال كاشياري (طور عابدين).

ولم يتردد في مهاجمة دولة بيت أديني الآرامية الواقعة على جانب نهر الفرات وأخضع ملكها لسلطته.

كانت الحرب عملاً منتظماً ومفيداً اقتصادياً. وهكذا، قام آشور ناصربال بإعادة تنظيم جيشه للتمكن من القيام بحملاته السريعة التي كان يخطط لها كل سنة، لإخضاع المدن المتمردة عليه وجلب الغنائم

لدولته. جهّز جيشه بالآلات الحربية وبأدوات الحصار وبالأبراج الثابتة والمتحركة المعمولة من الأخشاب المغطاة بالدروع والمزودة بالمنجنيق المنتهي برأس للرماية، وعرفت عساكر الخيالة لديه تطوراً مشهوداً.

نظرتُ وأنا موجود في المتحف البريطاني باهتمام كبير إلى لوحة منقوشة تابعة لقصر آشور ناصربال في مدينة كالح عاصمته، وهي اللوحة التي تمثل معسكراً آشورياً مسوراً وفي وضع مرحلي، وكان الكهنة يقومون فيه بتقديم قرابينهم، ويتساءلون من الآلهة عن نتائج الحملات القادمة. وكان الجنود يتفرغون للقيام بأعمالهم اليومية مثل تحضير وجبات الطعام أو غيرها من الأعمال المطلوبة منهم.

الحملة ضد لبنان

سنة 876 شن حملة هامة ضد الدويلات الآرامية في سوريا ووصل آشور ناصربال وجيشه، خلال مراحل متتالية إلى وادي نهر العاصي، ومرتفعات جبل لبنان. وهكذا، بلغ العاهل الآشوري شواطئ البحر (الأبيض المتوسط)، وغسل أسلحته في مياه البحر الزرقاء مثل الفاتحين الكبار السابقين له.

وأخذ الجزية من الملوك الفينيقيين، من مدن بيبلوس وصور وصيدا، كما هو مذكور في حولياته المحررة بصيغة المتكلم:

"في ذلك الزمن، فتحتُ جبل لبنان على كامل امتداده ووصلتُ إلى البحر الكبير لبلد عمورو. وغسلت أسلحتي في البحر الكبير وقدمت القرابين للآلهة. وكانت ضرائب الجزية المدفوعة من ملوك ساحل البحر ومن صور وصيدا وبيبلوس ومخالاتا ومايسا وكايسا وعمورو وأرفاد الواقعة وسط البحر، تتكون من الفضة والذهب والقصدير والنحاس ومن أوعية البرونز وملابس الصوف الملونة وملابس الكتان ومن القرود الكبيرة والصغيرة ومن خشب الأبنوس والبقس والعاج ومن

حيوان ناخيرو البحري. لقد استلمت كل هذا جزية منهم وقبّلوا قدماي." 2

جلب آشور ناصربال، التواق للمعادن الثمينة، هذه الغنيمة الهائلة معه إلى بلاد آشور. واحتفظ الرؤساء الذين خضعوا له باستقلالهم الذاتي ولكنهم كانوا مرغمين على دفع الضريبة السنوية له.

معركة دامداموسا

يروي آشور ناصربال أيضاً في حولياته التي تمجد بطولاته وتعظم شخصه، أحداث واحدة من حملاته الأخيرة.

في ربيع سنة 865، غادر ملك آشور مدينة كالح مع جيشه وتوجه إلى الشمال الغربي من بلاد آشور، في منطقة الأناضول الشرقية عابراً مناطق غير مأهولة، فيروي ما نصه:

"في السنة المنسوبة لحكم شامش ـ نوري، وبأمر من آشور، الرب الأعظم وسيدي، غادرت بتاريخ 13 من شهر أيار مدينة كالح واجتزت نهر دجلة وتوجهت نحو بلاد قيبانو. استلمت الضريبة من أمراء بلد كيبانو، في مدينة هوسيرينا...."

في مدينة هوسيرينا (في شمال حران)، أخذ الملك الضرائب من الأمراء المحليين، المؤلفة من الذهب والفضة والماشية الصغيرة والصوف وخشب الصنوبر.

وصعد فيما بعد باتجاه الشمال واجتاز الجبال وتوجه نحو مدينة "دامداموسا"، التي كانت تشكل موقعاً قوياً و قلعة للأمير إيلانا الآرامي.

واستحوذ عندئذ على هذه المدينة ثم توجه نحو مدينة أميدو (دبار بكر حالياً)، عاصمة بيت ـ زاماني لكي يهيمن عليها.

يروي الملك:

"بعد أن اجتزت جبل أمادانو، تقدمت نحو مدينة بارزانيشتون، وتوجهت نحو مدينة دامداموسا، قلعة إيلاني في بيت – زاماني. هاجمت المدينة. وانقض جنودي مثل الطيور الكاسرة عليها. وقتلت بحد السيف 600 من مقاتليهم وقطعت رؤوسهم وأسرت عدداً من الأحياء بلغ 400 رجلاً وجلبت 3000 أسيراً، واستوليت على المدينة. جلبت الأحياء منهم والرؤوس إلى أميدو، عاصمة المملكة. وأقمت ركاماً من الرؤوس أمام باب المدينة ووضعت الباقين على الأوتاد وخوزقتهم حول المدينة. ثم قمت بمعركة على باب المدينة وتمكنت من دكّ الجنائن." 3

لئن نجح آشور ناصربال في الاستيلاء على قلعة دامداموسا، فلم يتمكن من فتح مدينة أميدو. لكنه فرض الوجود الآشوري في المنطقة وحطم الريف المحيط بها. وأظهر نوعاً من الفرح في عدّ أعمال العنف التي مارسها ضد المغلوبين و ذكر أكداس الرؤوس المعروضة في باب المدينة والرجال المخوزقين على الأوتاد. كان الملك يستعمل هذه الطرق المخيفة لنشر الوجل لدى السكان.

كانت نظم التفكير والبلاغة الآشورية تقول إن المقاتلين الأعداء، الذين كانوا يقاومون الآلهة والملك يشكلون بعملهم هذا كفراً، وأنهم أشرار يستحقون العقوبة والإعدام دون شفقة، وأيضاً قتل جنودهم وتدمير مدنهم وحرق أراضيهم. لم تكن القواعد الأخلاقية الشرقية السائدة ذلك العصر في الشرق الأدنى تدين وتستنكر هذه الممارسات العنيفة. ويمكن العثور أيضاً على تلك الممارسات حتى في الكتاب المقدس، إذ نجد فيه أمثلة من هذا النوع من العقوبات المفروضة على الأعداء.

في قاعة العرش الفخمة الموجودة في قصر كالح، قام آشور ناصربال، الفخور بأعماله الحربية بإعداد نقش بارز على ألواح حجرية يعرض فيها مختلف مراحل معركة دامداموسا. ويظهر على تلك الألواح، شمش إله العدالة والمعارك وهو يرافق الملك المقاتل، محلّقاً فوقه ورافعاً

القوس أثناء الهجوم على قلعة إيلاني، ويزوده بالقوس بعد الغلبة والعودة. وتُظهر الألواح أيضاً الإله وهو يسلم خاتم السلطة الساطع إلى آشور ناصربال عند ذاك الانتصار.

نهضة كالو، العاصمة الجديدة

قرر آشور ناصربال، الذي لا بد وأن يكون لديه أسبابه، أن يترك مدينة آشور العاصمة القديمة، لاختيار مدينته الشخصية كالح (نمرود حالياً)، تلك المدينة الصغيرة المشيدة على موقع قديم خصب، تقع بالقرب من ملتقى نهري دجلة والزاب الكبير، وعلى مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً من نينوى. وربما كان قد شيدها أحد أسلافه، الملك شلمنصر الأول (1274 – 1245 قبل الميلاد)، ثم أصبحت مع مرّ الزمن مدينة مهملة.

قام الملك بتعبئة آلاف العمال والأسرى والمهجرين، وبدأ في سنة 878 بأعمال إعادة إنشاء المدينة وتكبيرها وتجميلها. وعمل بكامل طاقته وجلالته المألوفة على تسوية الأنقاض وبنى حولها سوراً منيعاً مربع الزوايا بطول وصل إلى 7.5 كيلومتراً. وشيد أيضاً في ذلك الموقع قلعة وتسعة معابد من بينها معبد نينورتا إله الحرب وزقورة وحيّاً سكنياً.

القصر الفريد

قام آشور ناصربال الذي كان يتمتع بحس جمالي واضح ببناء قصر ساطع في المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من القلعة تحت اسم "القصر الفريد"، وجهزه بالردهات الراقية الخاصة وبغرف هنية وقاعات واسعة لجلساته. ووضع في مداخله مجموعة من الثيران المجنحة (الاد لامو) لإبعاد الأرواح الشريرة عن قصره.

ونصب آشور ناصربال مسلة من حجر الكلس بارتفاع بلغ 1.3 متراً في مدخل قاعة العرش (المسلة موجودة حالياً في متحف الموصل) تحمل صورته محاطة برموز إلهية. وقد نقش عليها كتابة طويلة بالحروف المسمارية الجميلة. تبدأ هذه الكتابة باعتراف بصفاته الملوكية وتسرد أحداث حملاته، ثم تعرض وصفاً لإعادة تعمير مدينة كالح وتشييد قصر الشمال الغربي الرائع.

"أخذت على عاتقي إعادة تعمير مدينة كالح. وقمت بتسوية التل القديم الذي كان أنقاضاً وحفرت الأساسات لغاية الوصول إلى مستوى الماء. وقد وصلت إلى عمق بلغ 120 طبقة من الآجر. وشيدت فيها قصراً من خشب الصنوبر والسرو وعرعر الدابرانو والجنيبة والتوت والبطم والطرفاء، لكي أجعل منه سكني الملكي ومتعة لجلالتي إلى الأبد. وقد اخترت فيه ثمانية أجنحة لإقامتي الملكية. ووضعت في فتحات الأبواب ألواحاً من خشب الصنوبر والسرو ونباتات عرعر الدابرانو ومن أخشاب المسكانو وربطتها بأحزمة من البرونز المزينة بمسامير برونزية عريضة الرأس.

وزينت الجدران بالآجر المطعم بالخزف الأخضر المنقوش، وبالكتابات التي تعرض أعمالي البطولية وتقدمي نحو الجبال والسهول والبحار وانتصاراتي في كافة البلدان. كما زينت الآجر بالأحجار الكريمة وركبتها على أقواس الأبواب. " 4

كانت قاعة العرش المحروسة من قبل تماثيل أسود عملاقة، مزينة بلوحات منقوشة بالنحت البارز، وكانت تعرض مشاهد لحيوانات مجنحة ومشاهد للحاشية، وأخرى للحملات العسكرية مثل حملة دامداموسا المشهورة وحملات صيد آشور ناصربال. كان الملك يتفاخر بكونه قد قتل الأسود والثيران الوحشية وصرع الأفيال وصاد النعامات.

كما كانت توجد خلف العرش لوحة منقوشة بالنحت البارز تعرض آشور ناصربال ممثلاً مرتين، وفي كل جانب من اللوحة هناك شجرة

الحياة، حيث يظهر رمز إله يمثل الإله شمش أو آشور داخل قرص مجنح، وهو محاط بهالة من البراعم. ويظهر خلفه ثوران مجنحان يؤديان مهمة الحماية، حاملين في اليد اليمنى ثمرة الصنوبر بينما يكشفان في اليد اليسرى ثمرة أخرى. وتبدو الشجرة المقدسة المعمولة بطراز أنيق (النخلة) واضحة معبرة بذلك عن الخصوبة. فهل تذكرنا هذه الشجرة بنبتة الحياة التي تعيد الشباب مجدداً، والتي كان قد قدمها في الأزمنة السابقة "أوتا ـ نابيشتي" بطل الطوفان لجلجامش، ملك أوروك لتمنحه الخلود؟ وهل كان الملك راغباً في أن يمنح لنفسه خضرة الحياة بواسطتها، في ربيع مسالم وبريء وأبدي؟

بعد أن استقر آشور ناصربال في "قصر الحكمة"، بدأ يجذب إلى مجلسه الحكماء والكتاب وعلماء الفلك ورجال الأدب، مثل المفكر المشهور كابي ـ إيلاني ـ إرشاد.

تم تنقيب قصر آشور ناصربال في مدينة كالح (نمرود) من قبل الرحالة الدبلوماسي والمستكشف البريطاني سير أوستين هنري لايارد Sir Austin Henry Layard بين أعوام 1845 و 1851. استطاع هذا العالم إخراج لوحات وآجر تحمل كتابات منقوشة بالحروف المسمارية، إنّها تمثل أسوداً مجنحة وثيراناً برأس بشري وأوعية وأماني وأسلحة، وقام بإرسالها إلى المتحف البريطاني في لندن.

بعد أكثر من قرن بدأت مجدداً أعمال التنقيب، وفي شهر نيسان من سنة 1989 تم اكتشاف ثلاثة قبور ملوكية من قبل علماء الآثار العراقيين، كانت مطمورة تحت أرضية واحدة من الغرف الخاصة بالملك، ربما تعود إحداها إلى رجل، بينما كان القبران الآخران يعودان للكتين. واحتوت هذه القبور على مجوهرات مصنوعة بصيغة فنية حاذقة وبوزن بلغ 57 كيلوغراماً، إنّها سلاسل ذهبية وخواتم وأطواق ومعاصم مطعمة بأحجار العقيق والياقوت واللازورد، وأيضاً بالورديات النجمية المذهبة. وضمت الأختام الأسطوانية والأقداح وحجر الجات

والأوعية المعمولة من البرونز والمرمر والكريستال. وبعد أشهر قليلة تم اكتشاف قبر رابع، فهل كان هذا القبر عائداً إلى الملكة موليسو، زوجة الملك آشور ناصربال؟

الحدائق والقنوات

حفر آشور ناصربال قناة الرخاء "باتي بيغالي" لسقي منطقة مدينة كالح وسهول نهر دجلة.

وأنشأ، لمتعته الشخصية وراحته، حدائق وجنائن في ضواحي المدينة والتي تعبر عن قدرته الملكية. كان هذا الملك يحب الطبيعة وكان قد جلب إلى بلاده حوالي أربعين شجرة مثمرة من البلدان التي مر بها ومن الجبال التي اجتازها، فقام بإعادة غرسها في جنائنه:

"لقد حفرت قناة تنطلق من نهر الزاب الأعلى ومن قمة الجبل ونظمت مسارها وأطلقت عليها اسم "باتي بيغالي". وقمت بسقي المزارع الواقعة على جانبي نهر دجلة. وزرعت فيها حدائق بأنواع مختلفة من الأشجار المثمرة. وقمت بصنع النبيذ وقدمت أفضل أنواعه إلى إلهي آشور وإلى معابد بلدي." 5

وقدم آشور ناصربال وصفاً ممتعاً لحدائقه بالتفاخر وبالصيغة الشعرية:

"تجري القناة بقوة من المناطق العالية نحو الجنينات. وتنشر في الممرات [الروائح] العذبة. وتتلألأ المياه في حديقة المسرات، برّاقة مثل نجوم السماء. وترتدي أشجار الرمان عناقيد كالكرمة. تزين هذه الأشجار حديقة المسرات، وأنا آشور ناصربال، أتجول فيها وأقطف الفاكهة كالفأرة" 6

كان الملك محاطاً بالأشجار والنباتات، يعزز صلته بالأرض والهواء والضوء.

وبعد خمسة عشر عاماً من أعمال البناء، أصبحت مدينة كالح عاصمة رائعة، تلك التي كانت سابقاً مدينة خربة ومهملة، إذ بفضل غرس الأشجار والنباتات في ربوعها، فتحت منازلها وشوارعها الجديدة بفخر نحو الوادي الجميل.

جلب آشور ناصربال شعوب البلدان والمدن التي انتصر عليها والمناطق التي هيمن عليها وأسكنهم في مدينة كالح، ومن بين تلك المناطق: بيت زاماني العائدة إلى الأمير الآرامي إيلاني، وشوبريا الواقعة في شمال أميد، وسوهو الموجودة في الفرات الأوسط، وبلاد حاتي وزاموا في منطقة السليمانية الحالية، ومدينة سيركو فيما وراء نهر الفرات وعدة بلدان أخرى.

أيام العيد في كالح

لم تكن المسلة المرفوعة في مدخل قاعة العرش مخصصة للاحتفاء بالحملات العسكرية للملك آشور ناصربال وذكرى إعادة تعمير مدينة كالح فقط، وإنما كانت منصوبة أيضاً للاحتفاء بالوليمة الضخمة التي أقامها، قدم فيها وجبات اللحوم الدسمة التي حضرها لشعبه بمناسبة افتتاح عاصمته و"قصره الذي يمنح السعادة".

دعا بمراسيم دينية الإله الكبير آشور وكافة آلهة البلد لحضور حفل الافتتاح هذا. ودعا كذلك النبلاء والموظفين والسكان المقيمين في مدينة كالح ومن كافة أركان البلاد لحضور الحفل. وكان يريد تكريمهم وتعريفهم بمشاريعه العمرانية الكبرى ومقاسمتهم نخوة نجاحه والتمتع بوليمته.

في صباح ذلك اليوم العظيم، انتظر الملك وصول الضيوف الرسميين والمدعوين العديدين، مخضباً بالعطور وبأناقة مرتدياً ملابس الاحتفالات الفخمة، وقد بدت على محياه مشاعر الفخر بإنجازاته. وعرض عليهم بدهشة وإعجاب ثروات قصره الواسع، الشاهد على مجده وقدرته،

والمعبر عن عظمة الإمبراطورية التي وسّعها. بعدئذ، عبر الملك عن مشاعره من خلال كتابة ونقش تلك الأمور على مسلته قائلاً:

"[...] قدمتُ خلال عشرة أيام الطعام والشراب لعدد بلغ 47074 شخصاً من الرجال والنساء الذين أتوا من كافة أطراف البلاد، وأيضاً 5000 مدعو من الشخصيات الهامة وممثلي بلاد سوهو وهندانا وحتينا وحاتي وصور وصيدا وكركوما ومالياً وحبوشكا وجلزانا وكوما وموساسير، [وأيضاً] 16000 من سكان كالح المنتمين إلى كافة الطبقات و1500 من الأشخاص الرسميين العاملين في قصوري، بلغ عددهم الإجمالي 69574 مدعواً، آتين من كافة الأقطار المذكورة بما في ذلك شعب كالح. وزودتهم بوسائل أتاحت لهم الاستحمام والانغمار بالزيت المعطر. لقد كرمتهم هكذا وأعدتهم بسلام وسعادة إلى مساكنهم"[6]

منح هذا المضيف الكريم لضيوفه الذين كانوا قد سلكوا في بعض الأحيان طريقاً طويلة، وكانوا في أشد الحاجة إلى الاستراحة بعد الإرهاق، وسائلَ الراحة والاستحمام والانغمار بالزيت المعطر. وأسكنهم في القاعات المزينة بورود الغابات العبقة والنفيسة وفي الباحات المزودة بجدران الآجر الجميل وبالحدائق الكبيرة التي تنتشر في أرجائها الروائح المتنوعة من العطور، ونصب لهم الكراسي واضعاً إياها أمام المناضد الصغيرة الجميلة. وكان الضيوف الذين ينتمون إلى الطبقة المتواضعة يتناولون طعامهم فرحين ومتربعين على الأرض الحسنة. أمر الملك لتحضير الوليمة بذبح ألف ثور وألف عجل وستة عشر خروفاً وضأناً. وتم تجهيز المطبخ بأربعة وثلاثين ألفاً من الدواجن، وألف أيل وغزال وحوالي ثلاثين ألف بطة وإوزة وطير وعصفور.

وتم تقديم عدة أطباق وفقاً لرتب المدعوين والمشاركين في الوليمة. وقام الخصيان والخدم بجلب الأطباق مرفقة بأقراص الشعير والبصل والمخضرات. وانتهت وجبات الطعام بتناول الجبن والجوز والعسل والفواكه والعنب والرمان والتمر والتفاح والعرموط والأجاص.

كانت السماء زرقاء مثل زرقة مياه البحر التي ينعكس على صفحتها لون اللازورد، وكانت العصافير تغرد في أجواء من المتعة والسعادة وهي تنعش الجميع. وكانت كروم الجنائن تلتف أغصانها بمرونة حول نباتات الصنوبر والأشجار المثمرة. لبث الضيوف فرحين بتواجدهم معاً وهم يحتسون النبيذ والجعة، والسكينة تسود أرواحهم والفرحة تملأ قلوبهم. أما الموسيقيون فقد استمروا بعزف الأنغام على أوتار قيثاراتهم وعلى أعوادهم وسناطيرهم وطبولهم لتسليتهم في جلساتهم وسهراتهم الطويلة.

خلال عشرة أيام كاملة، كان آشور ناصربال الذي يعرف أهمية العلاقات الحسنة مع شعبه، مسروراً بمثل هذه المشاركة للطعام معه وكان حريصاً على رعاياه المعترفين بفضله عليهم، وكان يعمل على إشباعهم بأطباق المأكولات اللذيذة وبأصوات الموسيقى المرهفة. عاش معهم أجمل لحظات عمره ثم أعاد ضيوفه، إلى منازلهم بسلام وفرح. وبقي هذا العيد الساطع بالألوان والعطور والروائح العبقة وبأصوات الموسيقى، لمدة طويلة في ذاكرة الآشوريين واحتفظوا بالحنين إلى ذكرى أجوائه المتعة. بقي ذكر آشور ناصربال يحوم دائماً فوق موقع مدينة كالح عاصمته الجميلة.

قام آشور الملك بإعادة تعمير المزيد من المعابد والبلدات التي كانت مهملة، وأنشأ فيها مخازن لحفظ لقمح والتبن.

بعد بضع سنوات من ذلك، توفي وتم دفنه في مدينة آشور في القصر القديم داخل تابوت حجري. وترك وراه ذكرى محارب باسل وفاتح عرف الصرامة، وتمكن من إضافة أراض أخرى إلى بلاده.

خلّد صورة كمشيد كبير وملك منصفً وتقي، قلق على رفاهية بلده وعلى راحة وسعادة شعبه الذي عرف كيف يمنحه هذه السعادة عندما أتاحت له الفرصة.

بعد وفاة آشور ناصربال، خلفه ابنه شلمنصر الثالث (858 – 824 قبل الميلاد). قضى هذا الملك أحد وثلاثين عاماً في الحكم متنقلاً على الطرق وفي ساحات القتال، شاغلاً معظم وقته في الحروب، كالحروب التي دارت في شمال سوريا وفي البلدان المجاورة، مقتفياً أثر أعدائه مثل الإعصار. وبعدما انتصر، استلم الجزية من ملوك صور وصيدا ومن ياهُوَ (7)، ملك إسرائيل.

وتم العثور في رواق مجمّع سكاني في مدينة كالح على مسلة سوداء اللون، وهي عبارة عن كتلة من المرمر يبلغ ارتفاعها مترين. تروي بإسهاب الكتابة المنقوشة على المسلة أحداث الحملات التي جرت تحت حكم شلمنصر الثالث، وتحوي واجهاتها عشرين نحتاً من النوع البارز يمثل أحدها ياهُوَ ملك إسرائيل المشهور وهو راكع أمام ملك آشور ويُلمع نعليه بلحيته متذرعاً العفو عنه. وتُظهر المسلة حمالين يقدمون إليه الضرائب الممنوحة له ومنها: الأدوات الثمينة والحيوانات الغريبة وفيل واحد وجملين اثنين وكركدن.

شن شلمنصر خمس حملات ضد مملكة أورارتو في الشمال.

وأقام لفترة معينة في "القصر الفريد" المعروف، ثم شيد بدوره قصراً مهيباً يتكون من مئتي غرفة. واستخدمه أيضاً كثكنة عسكرية وترسانة حملت اسم "قلعة شلمنصر"، حيث كانت تجري تدريبات على الخيول وعلى عربات القتال وكان الجنود يأتون إليها للبحث عن الملابس العسكرية والأسلحة.

كما أنه شيد قصراً صغيراً في بالواط (إيمكور ـ إينليل) على مسافة تبعد خمسة عشر كيلومتراً تقريباً من مدينة كالح وثبّت ألواحاً بالمسامير المتينة على واجهات أبوابه وكان ارتفاعها ستة أمتار، إنّها

ست عشرة لوحة رائعة معمولة من البرونز والمزينة بالنقوش البارزة المطروقة، تمثل أحداث حملاته العسكرية.

تمرد عليه أحد أبناء الملك شلمنصر سنة 828 ودفع سبعاً وعشرين مدينة آشورية للتمرد أيضاً، مما أدى إلى أن يخيم الحزن والألم على ما تبقى من مساء حياته.

خلفه في الحكم، ابن آخر له، وهو شمشي ـ حداد الخامس (823 – 811 قبل الميلاد) الذي أخمد الثورة ضده. تزوج من الأميرة الجميلة سامورامات التي مارست وظيفة الوصاية بعد أن ترملت. وكان المؤلفون اليونانيون، مثل كتيزياس و هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) والمؤرخ ديودورس الصقلي (القرن الأول قبل الميلاد) يطلقون عليها اسم *"سميراميس"*، وجعلوا منها فارسة مسترجلة جازمة وملكة آشور الأسطورية، وحافظوا على تلك الأسطورة الفريدة في مؤلفاتهم. وقد أطلقت هذه الملكة العنان أيضاً لخيالات الرومان والأرمن والأوروبيين، مثل كريبيون وفولتير وفاليري غلوك وروسيني الذين ألهمهم ذكراها في مؤلفاتهم الأدبية وفي أعمال الأوبرا التي أنجزت حول اسمها وأسطورتها.

بقيت مدينة كالح العاصمة السياسية والعسكرية لبلاد آشور لغاية حكم سرجون الثاني.

هوامش الفصل الثاني:

1- فرانسيس جوانيس (Afrancis Joannès)، بلاد الرافدين في الألفية الاولى قبل الميلاد (La Mésopotamie au 1er millénaire avant J.C.) أرمان كولان، باريس، 2000، ص57.

2- مقطع من حوليات آشور ناصربال في نوسكاتي Moscati، ملحمة الفينيقيين (L'épopée des Phéniciens) فايارد، باريس، 1971، ص 37.

3- فرانسيس جوانيس (Afrancis Joannès)، بلاد الرافدين في الألفية الأولى قبل الميلاد (La Mésopotamie au 1er millénaire avant J.C.) أرمان كولان، باريس، 200، ص 34.

4- كريسون (Albert.K. Crayson)، 1972 – 1976، (Assrian Royal Inscriptions) الكتابات الآشورية الملكية، الترجمة العربية من قبل صلاح سليم علي، دار نشر إدي شير، أربيل 2005، ص 72-76.

5- انظر: أعلاه، كريسون (Albert.K. Crayson)، الكتابات الآشورية الملكية (Assrian Royal Inscriptions)

6- انظر: أعلاه، البير كي كريسون (Albert.K. Crayson)، الكتابات الآشورية الملكية (Assrian Royal Inscriptions)

7 ـ حول أعمال هذا الملك، انظر: الكتاب المقدس: الملوك الثاني الفصل التاسع والعشرين.

133

الفصل الثالث

سرجون الثاني، الملك المقاتل

1- الألقاب الرسمية

قصة سرجون نبيلة وجميلة، مثل تلك اللوحة البارزة المحفوظة اليوم في متحف اللوفر، إنّها تُظهر من جانبه وقُباله أنه أحد أصحاب الرتب العالية. تُبرز لوحة سرجون أنفه المعقوف وحواجبه الواسعة وشعره ولحيته المجعدتين وبمظهر جليل وهو يرتدي قلنسوة تظهر عليها بقايا طلاء أحمر. ها هو يمسك بيده اليمنى عصاً، رمز منزلته، بينما تستند يده اليسرى على سيف. إنه يرتدي ثوباً طويلاً منسوجاً بالورديات ومطرزاً في أهدابه. ويبدو صاحب الرتبة العالية الماثل أمام الملك - ربما يكون سنحاريب الأمير الوريث- حاملاً فوق رأسه تاجاً، وأذنيه مزينتان بأقراط ثقيلة.

تم العثور على لوحة في مدينه آشور وهي اللوحة التي تذكر ألقابه. يعلن فيها سرجون (722 – 727 قبل الميلاد) بأنه ابن تيقلات - فالازار الثالث:

"سرجون، الملك الكبير، الملك القوي، ملك الجميع، ملك آشور، ابن تيقلات ـ فالازار، ملك بلاد آشور".

أسس والده الملك تيقلات ـ فالازار الثالث (745 – 727) الإمبراطورية الآشورية الحديثة. وضع في تلك الأيام الغابرة نهاية لفترة

طويلة من الاضطرابات في بلاد آشور، وباشر في إنجاز إصلاحات سياسية وإدارية هامة. وتمكن من إضعاف مملكة أورارتو التي كانت تهدد بلاده من الحدود الشمالية، تلك المملكة الواقعة حول بحيرة وان ووادي الآراكس (في أرمينيا الحالية).

واستطاع الإطاحة بمملكة دمشق في سوريا وحوّلها إلى مقاطعات خاضعة له، وحاصر بابل واستولى عليها وتم تتويج ملك لها موالياً له وخاضعاً لإدارته.

وعيّن، ابنه شلمنصر الخامس (726 ـ 722 قبل الميلاد) أميراً وريثاً من بعده. إلا أن تمرداً حدث ضده، مما أدى إلى اختصار حكم شلمنصر الخامس، فلم يدم أكثر من خمسة أعوام.

بدايات حكم سرجون

ادّعى سرجون بأن أخاه، قد أجبر على التخلي عن العرش من قبل الآلهة، نظراً لفرضه أعمالاً مرهقة على مدينة آشور. وربما كان قد توفي مغتالاً، وتطرقت إحدى حوليات بلاد الرافدين إلى نهايته بصورة مقتضبة.

هل اغتصب سرجون العرش من أخيه عن طريق القوة؟ لقد اختار هذا الملك اسم شارو ـ كين يعني (الملك الشرعي)، مقلداً مؤسس دولة أكد سرجون الشهير، واستولى على مقاليد الحكم في نهاية شتاء 722.

حدثت داخل مملكته اضطرابات هزت حكمه. تحركت ضده مدن مثل آشور، وتمرد عدد كبير من رعايا المملكة. لكن سرجون تصرف بحذر وحكمة أمام هذا التمرد الشعبي. فقام بإلغاء الضرائب والأعمال المرهقة التي كانت مفروضة على السكان من قبل أخيه شلمنصر، وأصدر مراسيم ملكية نصت على إعفائهم منها.

ولم يمرّ وقت طويل، وإذا به يشن حملة عسكرية ضد مملكة إسرائيل للسيطرة عليها. على أن ميروداش ـ بلادان، قائد الكلدان في

بيت ياقين الواقعة على سواحل الخليج، استفاد من أعمال التمرد التي حدثت في بلاد آشور، فاستولى على عرش بابل مدعوماً من قبل همبانيكاس، ملك عيلام.

وفي عام 720، تمكن همبانيكاس من تكبيد سرجون هزيمة رهيبة أمام مدينة "دير" المحصنة (الواقعة في جنوب بغداد حالياً) وشن معركة شرسة ضده وسحق قوات سرجون وأرغمه على الانسحاب إلى بلاد آشور. أما ميروداخ ـ بلادان الذي انطلق مع جيشه لمساعدة ملك عيلام، لم يصل في الوقت الملائم.

اضطر سرجون إلى عقد معاهدة مع ميروداخ ـ بلادان في بابل الدولة المستقلة، واحترم كل واحد منهما هذه المعاهدة خلال مدة اثنتي عشرة سنة تقريباً.

وفي السنة ذاتها من عام 720، شجع يو ـ بيدي، ملك حماه الواقعة على نهر العاصي في الغرب، تمرداً ضد حكم الآشوريين وامتد إلى سوريا وفلسطين. لم يتردد سرجون في شن حرب ضده وانتصر على يو- بيدي في مدينة كواركار فأعدمه، وضم حماه إلى الإمبراطورية الآشورية.

السلطة المركزية

كان الملك سرجون يتمتع بمختلف أنواع الصفات التي ذكرها لعذر نفسه، في رسالة وجهها إلى إله آشور القومي، والتي سنتحدث عنها لاحقاً. كان يستمع بكل تقوى إلى كلام آشور والآلهة الكبرى، يطيع وصاياهم طاعة تامة. لقد كان عادلاً ومستقيماً وحذراً ورحيماً، ولا يُسمع كلاماً بذيئاً أو رديئاً.

وبصفته مقاتلاً لأعداء آشور، كان يُظهر مزايا جسدية فعلية أثناء شن حملاته العسكرية، كفارس حربي ومحارب شجاع.

وكان يعطي لنفسه أهمية كبيرة، وهو واثق من حظه، كما كان يصر على إنجاز أهدافه التي يعرضها عليه طموحه.

قام سرجون، الذي وجد نفسه حاكماً مطلقاً على إمبراطورية تضم عدة مقاطعات، بوضع حكاماً طيعين على رأسها واستعان بمجموعة كبيرة من الأجهزة الإدارية والعسكرية للتمكن من إدارة أمورها. استعمل طريقة جديدة في ممارسة السلطة وجعلها سلطة مركزية، وهكذا عزز سيطرته الفعلية في الحكم وإدارة أمور الدولة.

احتفظت الوثائق الآشورية بعدد بلغ حوالي 1300 رسالة كان قد تم تبادلها بين سرجون وموظفي مقاطعاته، الذين كان واجباً عليهم أداء مهامهم بكل مثابرة وأن يقدموا له ما هو مطلوب.

وفي مقطع من إحدى الرسائل، يعلن أحد السادة الإقطاعيين التابعين للملك، بأنه عبد وُلد في منزله وخادم مطيع لسلطته، ويبلغه بكافة الأمور التي يراها أو يسمعها إلى سيده الملك سرجون ولا يخبئ عنه أي شيء منها. 1

طور سرجون شبكة الطرقات البرية، وأعاد تنظيم الحياة في المدن المحتلة والمحررة مجدداً، واهتم بحماية رعاياه ونشر الرفاهية والازدهار بينهم.

الحملات العسكرية

كان سرجون، الملك المحارب يراقب مراقبة تامة في الشمال الغربي مملكة "فريجي" الأناضولية المنافسة، التي كان ملكها ميتاً (738 – 695 قبل الميلاد)، يعمل على زعزعة استقرار الممالك الصغيرة في الأناضول الشرقية، المتمثلة في كيي (قليقية) ومليد (ملاطيه لاحقاً) وتابال (في الجنوب الشرقي من تركيا) ويقاوم التأثير الآشوري على تلك الممالك.

كان سرجون يخشى أيضاً مؤامرة تقوم بها مملكة كركميش، الواقعة على شاطئ نهر الفرات والتي كانت تتعامل بدون حذر مع ميتا ملك فريجي. واتهم سرجون في عام 717 الملك بيسيريس ملك كركميش الذي كان يدفع ضريبة إلى دولة آشور، بأنه خرق التزاماته. ولم يتردد سرجون في ضم هذه المملكة وتحويلها إلى مقاطعة تابعة إلى الإمبراطورية الآشورية.

و بعد سنة، شن سرجون اعتباراً من عام 716 حملتين ضد مملكة أورارتو القوية التي كانت تهدد الإمبراطورية الآشورية. وكان "توشافا" ملك أوراتور، يعمل من عاصمته على تنفيذ مؤامرات وأعمال تمرد بين الممالك الصغيرة المجاورة لمملكته، والمتحالفة معه بغية العصيان على الآشوريين.

حملة سرجون الثامنة

فكر الملك سرجون بشن حملة ساطعة وأخيرة ضد "أورسا" ملك دولة أوراترو المعادية، وعُرفت بحملة سرجون العسكرية الثامنة. أصغى إلى فأله وأرسل جواسيس للحصول على معلومات عن تحركات الخصم الذي كان يعتبره قوى الشر، فجهّز جيشاً ومعدات لتنفيذ حملته الموعودة.

تتطرق رسالة تزيد على 430 سطراً مكتوبة على لوح من الصلصال حاملة تاريخ سنة 714، وهي الرسالة التي تم العثور عليها في مدينة آشور (في متحف اللوفر)، وتروي الحملة الثامنة التي تُوجت بالنصر. حرر تلك الرسالة نابو ـ شاليمشونو كاتب الملك الكبير، إنّها صادرة من سرجون الذي يعبر فيها بصيغة المتكلم من قصره في مدينة كالح، وموجهة إلى الإله "آشور أب الآلهة وإلى آلهة القدر، وإلى المدينة وسكانها وأهل قصر هذه المدينة."

من المحتمل أن يكون قد تم قراءة هذه الرسالة أمام الجماهير أثناء مناسبة من مناسبات الانتصار أو خلال احتفال هام.

يروي سرجون في هذه الرسالة بصفته وكيل الإله آشور على الأرض، كيف ترك كالح؛ مدينته الملكية، في شهر آب وفي اليوم المناسب، على رأس قواته التي أطلق لها العنان عبر الأنهار الفائضة والجبال الوعرة المغطاة بالنباتات الكثيفة، مثل جبل كيميريا.

ويحكي:

" جبل سيميريا، تلك القمة التي تنتصب مثل رمح يرفع رأسه فوق الجبال، إنه مسكن (إله) بليت ـ إيلي، الذي يسند السماء برأسه عالياً، وتصل جذوره إلى مركز الجحيم. لا يحتوي على ممر كحسكة السمك. يصعب تسلقه من الأمام كما من الخلف، وقد أحدقت به المهاوي من كل ناحية وتبعث رؤيته على الفزع، لأنه لا يمكن تسلقه بالعربات، ولا يسمح بهروب الخيول فيه، والذي يصعب للمشاة السير في مسالكه. لكن اتساع إدراكي وبالوحي الذي منحه لي آيا وبيت ـ إيلي، قد أدى إلى مدّ رجليَّ لكي أنتصر على بلدان الخصم. لقد جهزتُ طلائع جيشي بالرماح البرونزية القوية [...] وتمكنت من دفع العربات والخيالة والمقاتلين الذين انطلقوا من جانبي مثل النسور المحلقة فوق الذرا، ليعبروا هذا (الجبل)." 2

تقدم سرجون باتجاه الأراضي المعادية، وعند مروره بها، قام ملك المانيين الساكن في جنوب بحيرة أورميا بإعطائه الضريبة و"لثم قدميه".

يناجي العاهل في رسالته بتواضع الإله آشور ويرفع يداه نحوه ويتضرع إليه أن يدير المعركة ويكبد "أورسا" ملك أورارتو الهزيمة. يقبل الإله آشور التماسه المتواضع ويمنحه النصر. وأخيراً تم تحقيق النصر بفضل بطولة سرجون وجنوده، الذين تقدموا بعد سير متعب وقتال صعب عبر مسالك جبل أواوش المخيفة. وفرض سرجون صمت الموت على الجبال وأغرق العدو بالذهول والنحيب. وترك أورسا عربته وهرب، فدخل ملك آشور منتصراً بالفرح والبهجة داخل معسكر الخصم مع الموسيقيين وهم يعزفون على القيثارات ويضربون على الصنوج.

انتهت الحملة الثامنة وأرسل سرجون في الحال جنوده "مثل الجراد" إلى المدن المحيطة ببحيرة أورميا ونهبها ودمر نباتاتها واجتاح سهولها. ولكنه لم يصعد للسيطرة على عاصمة الأورارتو.

أخذ الملك طريق العودة باتجاه بلده، وقرر في اليوم السابق لخسوف القمر بتاريخ 24 تشرين الأول من سنة 714، معاقبة ملك "أورزانا" حاكم موساسير الذي لم يأت ليسلم عليه عن طريق مبعوث ويجلب له الضريبة. ولهذا السبب استولى برفقة ألف فارس، مباغتة على مدينته موساسير المقدسة الكبيرة والمحصنة، الواقعة بالقرب من منابع نهر الزاب الأعلى. لقد كانت مركزاً دينياً كبيراً، حيث كان ملوك أورارتو يقومون بتتويج أنفسهم فيها.

باشر سرجون بنهب وسلب كنوزها الهائلة والاستيلاء على كمية كبيرة من الذهب وخمسة أطنان من الفضة و190 طناً من البرونز واستولى على الأسلحة الحربية والدروع والأوعية والمجوهرات والتماثيل الملكية وتماثيل البرونز الصغيرة. ونهب معبد هالديا، الإله الحامي للمدينة. واجتاح جنائنها الرائعة.

وتبين لوحة منقوشة بالنحت البارز ومحفوظة في متحف اللوفر، موظفاً آشورياً جالساً على مقعد أمام كاتبين يعدان الغنيمة، يظهر أحدهما وهو يكتب بالحروف المسمارية على لوح من الصلصال، والآخر يقوم ببسط ورق البردي.

شعر سكان مساسير بهذا التدمير كما لو كان عملاً محرماً، فحاولوا إبعاد السكان الذين لم يهربوا.

وتنتهي رسالة سرجون المليئة بالعبارات الرسمية والشعرية بعرض نتائج الانتصار للحملة الثامنة مع قائمة بأسماء الجنود الآشوريين القتلى وكان عددهم ثلاثة فقط! لابدّ وأن الرسالة قللت من عددهم الفعلي.

وعبر سرجون عن قلقه من مصير عوائل الجنود القتلى التي أصبحت محرومة من الموارد المالية والرعاية والمضطرة إلى العيش بضنك

وبؤس. أمر الملك أحد المسؤولين القيام بتحقيق دقيق عن أحوالها وأن يرفع له قائمة بأسماء الجنود القتلى أثناء تلك المعارك وبأسماء أبنائهم وبناتهم وأن يرسلها اليه. وكان يخشى أن تضطر أرملة أو يتيم من تلك العائلات العيش في حالة العبودية! 3

إعادة فتح بابل

في سنة 710، وجه سرجون، بعد أن أصبح قوياً، أنظاره نحو مدينة بابل. وكان مصمماً على إعادة السلطة الآشورية عليها، وعلى تسوية هذه المسألة الشائكة التي لم يجدوا لها حلاً منذ سنين عديدة. شنّ عليها هجوماً، بعد أن نقض المعاهدة المبرمة مع مدينة بابل سنة 720 ونزل باتجاهها.

اضطر الملك ميروداش ـ بلادان، المهيمن على السلطة منذ سنوات في بابل، إلى التقهقر والهرب إلى منطقة الأهوار ثم إلى بلاد عيلام. فجلس سرجون على عرش بابل وتم تتويجه ملكاً فيها سنة 709، آخذاً يد إله ماردوك لحمايته، واحتفل بعيد السنة الجديدة.

عيّن سرجون حاكماً في بابل وأبعد الآلاف من الآراميين والكلدان المقيمين فيها إلى بلاد آشور.

بعد ذلك قام بنهب "دور ـ ياقين"، عاصمة ميروداش ـ بلادان وواصل الحروب لغاية سنة 707 ضد عشيرة بيت ـ ياقين الكلدانية.

تعرض عام 709 الملك ميتا حاكم فريجيا، وأحد منافسيه الرئيسين إلى غزو من قبل الكيميريين القادمين من سهول آسيا الوسطى، اضطر ميتا بعد أن ضعف موقفه إلى طلب اتفاقية السلام مع سرجون، مقابل دفع ضريبة له.

كتب سرجون، بعد هذا الحدث، رسالة إلى آشور ـ شارا ـ أوسور، حاكم مدينة كيي في منطقة تابال الواقعة في جبال طوروس، حيث

كانت تقطنها عدة ممالك صغيرة، يذكر فيها بأنه بعد أن قام ميتا ملك فريجيا بعقد السلام معه، لم يعد يهمه قط مستقبل جميع ملوك تابال، لأنهم سيتعرضون جميعاً إلى السحق والشد بالحبال. 4

واصل سرجون سياسة الفتوحات التي مارسها والده تيقلات ـ فلاصار الثالث لتعزيز سلطته، ونجح في مشروعه بفضل حملاته المتعددة وبجيشه الباسل وتطوير سلاح الخيالة. وهكذا بلغت بلاد آشور ذروة مجدها، حيث امتدت سلطته في عهده من الخليج إلى طوروس ومن زغروس إلى سيناء. وكان يتقاضى ضرائباً من ملك فريجيا ومن الأمراء القبارصة ومن بلاد ديلمون الواقعة على سواحل البحر السفلي (الخليج). وضع الطوق الآشوري في أعناق جزء كبير من بلدان الشرق الأدنى وأصبح متمدداً تحت أقدامه مثل أسد خانع.

وهكذا، تمكن سرجون من إخماد الثورات داخل إمبراطوريته، لاسيما البابلية منها. واستطاع أخيراً أن يريح نفسه لمدة من الزمن، باعثاً خلالها ابتسامته الغامضة وهو جالس على عرشه الخشبي المنقوش.

مثالية سرجون الوحدوية

كانت الألقاب الرسمية توصف سرجون بأنه "الملك القوي، ملك العام (البلدان التي كانت تدفع الضرائب للعاهل) وملك بلاد آشور". بعد تنفيذ حملاته العسكرية، على غرار تيقلات ـ فالاصار الثالث وشلمنصر الخامس، قام بإبعاد جزء كبير من سكان البلدان الخاضعة لانتصاراته إلى مناطق أخرى، أي حوالي 239258 شخصاً، لكسر أية رغبة في التمرد لدى السكان وإسكانهم في المناطق المهجورة. ومنح الإمبراطورية جنوداً وعمالاً وحرفيين ورفاهية.

وكان يتم استقبال هؤلاء المبعدين والمسبيين من قبل حكام المقاطعات، ويتم توطينهم بعد وصولهم مع بعضهم البعض وفق

مناطقهم الجغرافية القادمين منها والأثنية ومستوياتهم الثقافية. وكانوا في أغلب الأحيان يخضعون إلى معاملة حسنة كما لو كانوا رعايا آشوريين عاديين. وكان بمقدور المجموعات المبعدة أن تحافظ على تقاليدها الخاصة ونظامها ومراسيمها الدينية وعاداتها.

حدث اختلاط بين السكان وازدادت تعددية الأقوام في مدن بلاد آشور المأهولة بأناس جاؤوا إليها من زوايا العالم الأربع، والذين كانوا يتحدثون بلغتهم الخاصة وبلغات مختلفة بحسب المناطق القادمين منها سواء من المناطق الجبلية أو من السهول."

دون أي شك، لم يفكر سرجون كما فعل فيما بعد إسكندر الكبير، بإنشاء "نظام ملكي أممي" يمتد إلى حدود العالم المعروف.

غير أن ضرورة المحافظة على إمبراطوريته الواسعة وإدامة السلم والتوافق فيها، اضطر ملك آشور "الجامع للكل" أن يتبنى سياسة التوحيد. وكان يطمح من خلالها أن يجمع الشعوب الآتية من أركان الأرض الأربعة، وأدى ذلك إلى تطوير العلاقات الاقتصادية واستعمال اللغة الآرامية التي كانت في أوج انتشارها. وهكذا عاش سكان بلاد الرافدين في أجواء زمن الازدهار الذهبي داخل إمبراطورية منظمة، وتمتعوا برفاهية حقيقية. إذ كانوا خاضعين لسلطة ملك واحد ومُدارين تحت العدالة نفسها. استفادوا جميعاً من نعم حضارة بلاد الرافدين.

على أن تخالط الشعوب والمثالية الوحدوية في الحكم واستخدام اللغة الموحدة لم تكن كافية دائماً للمحافظة على السلام. طبّق سرجون منهج الحصول على المعلومات، وكان مطلعاً على الأحداث التي تدور في الخارج وداخل حدود إمبراطوريته. وقد اضطر أحياناً إلى مواجهة حركات المعارضة الداخلية وبؤر التمرد مثل تلك التي حدثت في بابل، ولم يتمكن من إنجاز كامل حلمه الإمبراطوري الكبير في توحيد كامل مقاطعاته.

2- حلم سرجون: دور ـ شاروكين

عاصمة جديدة

عمل سرجون مؤسس الدولة الكبير بإنجاز مشاريع عمرانية. ترك العاصمة كالح التي كان قد قام بإعادة تعميرها وسكن في قصر قديم. وبدأ معتقداً ومدفوعاً من قبل الإرادة الإلهية، وبفضل الغنائم الهائلة التي حصل عليها أثناء حملاته، بتشييد عاصمة جديدة خلال سبع سنوات، وهي دور ـ شاركين "قلعة سرجون"، تلك العاصمة السياسية التي اختارها بعيدة عن مدينة آشور العاصمة الدينية القديمة وبعيدة أيضاً عن كهنتها المتنفذين.

اختار موقعاً خالياً تقريباً في شمال نينوى بالقرب من جبل موسري المروي بعيون الماء، يحمل اليوم اسم خورصاباد. استولى على أراضي سكان القرية المجاورة ماكانوبا، ولكنه عوضهم بدفع أموال لهم أو منحهم أراض أخرى، وهذا ما يؤكده الملك في إحدى كتاباته:

"سوف أسدد بالفضة أو بالبرونز لمالكيها قيمة أراضي مدينة (المستقبل)، وفق ألواح الشراء التي (كانوا يملكونها). ولكي لا يعترض أحدٌ من أولئك الذين لم تكن القيمة بالفضة ترضيهم، سأمنحهم أراضٍ بنفس المساحة في المكان الذي يرغبون فيه الحصول عليها" 5

لم يبخل سرجون بجهوده لتشييد مدينة دور ـ شاروكين وتوظيف منذ سنة 717 كافة قواه وموارد إمبراطوريته من الرجال والمواد لتحقيق ذلك. وقد ساعده في إنجاز هذا العمل أخوه ووزيره الكبير وكاتبه الملكي وحافظ خزينته في إعداد مشروع لبناء المدينة وأشرفوا على إنجاز العملية.

عمل المُهجرون والعمال والبناؤون في بناء السور، وكان يصل ارتفاعه إلى أربعة عشر متراً، فاتحين فيه سبعة أبواب وطوله مطابق بشكل

رمزي لاسم الملك. وكان داخل هذا السور، شبكة كاملة من الشوارع والأحياء السكنية. كما حُفرت قنوات لإرواء العاصمة الجديدة بالماء.

تابع الملك تقدم البناء بذكاء وحكمة وذوق سليم، وقرأ تقارير الموظفين والإداريين الآشوريين وحكام المقاطعات المكلفين بتزويد الآجر والشغيلة بعناية وانتباه.

تم تشييد قلعة فيها، كمدينة داخل المدينة، وشُيد في الداخل زقورة مكرسة للآلهة إيا وسين وشمش وحداد ونينورتا إضافة إلى إنشاء معبد الإله نابو في غرب المدينة وقصور خاصة إلى أصحاب الرتب العالية في المملكة.

كان القصر الملكي المشيد بالقرب من السور، موجهاً نحو ضوء السماء، وتم تشييده من العاج وخشب الأبنوس ونباتات الشمشاد والميس والأرز والسرو والعرعر والفستق. وكان يحتوي على 209 قاعة وباحة واجهته مجهزة ببوابة ثلاثية مزينة بتماثيل ضخمة. وكان هذا القصر الملكي الفخم يدل على عظمة ومجد الملك ويشكل صورة رمزية للعالم.

علم سرجون بإمكانية تعرض المباني المشيدة بالآجر المجوف للانهدام، فعمل على حماية أعماله و تخليد اسمه على مرّ الزمن، لهذا السبب طمر ألواح الأساس تحت جدران قصره.

لقد عمل على تعبئة أفضل الحرفيين والفنانين لتزيين قصره بالألواح الحجرية المحفورة، التي كانت تغطي قاعدة جدران الباحات والممرات، تمثلت بالحيوانات الأسطورية الحامية والشخصيات الهامة ورجال الخدمة وأيضاً بمشاهد من حياة الحاشية. كما اهتمّ بتزيين بقية الجدران بلوحات ملونة غطّت كامل واجهات القصر.

أصبح القصر الملكي المكان المؤهل لإقامة الاحتفالات الخاصة ولإظهار عظمة الملك ومجده وتعظيم حكمه.

كما قام سرجون بإعداد منتزه كبير بالقرب من قصره، مليء بأشجار الفواكه الفواحة التي أتى بها من سوريا، وبأشجار السرو

والأرز اللبنانية التي جلبها إلى قصره بالطرق النهرية. إذ وصلت إلى قصره مختلف أنواع الأشجار المثمرة القادمة من الجبال مثل أشجار التفاح والزعرور واللوز والخوخ.

وفي عام 707 قبل الميلاد دخلت الآلهة أخيراً المعابد التي كان قد شيدها تكريماً لها بوقار وهيبة.

وبعد عام افتتح الملك رسمياً في فصل الخريف من سنة 706 المدينة الزاهية والقصر الذي يعيش فيه. ودعا لتدشين عاصمته أمراءً من كافة البلدان، وحكامَ المناطق المختلفة ورؤساءَ العمال والقادة والقواد العسكريين وشيوخ المملكة، لحضور مأدبة كبيرة أقامها على شرفهم. كرمهم ونصب الأرائك الوفيرة لهم، وكلف العديد من الخدم بتقديم مختلف أنواع الأطباق لضيوفه. وتذكر إحدى الكتابات الملوكية أنه أقام في هذا اليوم أيضاً مأدبة موسيقية. 6

على أن نذير الشؤم، كان يترصد بمُلْك سرجون، إذ حدثت في بداية شهر آذار هزة أرضية هامة، لكنها لم تؤدِّ إلى أضرار كبيرة، فبقيت ثقة سرجون ثابتة رغم ذلك بقي محتفظاً برباطة جأشه. وتشير إحدى الكتابات التي تم العثور عليها بأنه التمس الحياة الطويلة والصحة والرفاهية من الإله آشور والآلهة الأخرى التي كانت تقيم في معابد المدينة. أولم تمنحه هذا الآلهة "إلى الأبد" الحظّ السعيد الذي سمح له بتشييد المدينة والعيش فيها مدة طويلة؟

وفاة غير جديرة بملك عظيم

تلبدت السماء وهبط الغروب، ولم تستجيب الآلهة لصلاة خادمها سرجون الذي كان يميل إلى الاعتقاد بأن الحظّ لن يخونه أبداً. لم يتمكن من التمتع لمدة طويلة بثمرة أعماله التي أنجزها بحماس ولا تذوق سحر قصر دور ـ شاروكين. كان حكمه قد بدأ بالتمرد وانتهى أخيراً بالعنف.

إلى أي مصير توجه سرجون وهو في عظمة مجده في صباح مشرق من سنة 705؟ كان سرجون واقفاً على عربته يقود بيد ثابتة زمام خيوله ملبدةَ العرفِ وهي تسير باتجاه منطقة تابال. ابتهل الملك إلى إله حمايته آشور وإلى عشتار آلهة القتال، وكانت أقراطه الثقيلة على وشك أن تدق صوت الانتصار. على أن الموت كان في انتظاره وأتى ليقطف حياة ملك آشور القوي الذي لم ينتظر طويلا ليعرف نهاية غامضة أثناء معركةٍ ضد ملك صغير "كورفي" الكولمي. لقد تعرض معسكر الجيش الآشوري في قلب شمال البلاد الذي لم يعرف الهزيمة يوماً إلى هجومٍ مباغت أثناء الليل أنهى حياة ملك آشور القاهر. توفي سرجون تاركاً اسمه مثل قوس مكسور بعد أن سطع مجده في كافة المعارك. والغريب في الأمر أنه لم يتم العثور على جسمه لكي يُدفن بكرامة في ضريح تحت قصره.

لماذا سمحت الآلهة بمثل هذه النهاية البشعة؟ هل حدث ذلك لأنه أخلّ بالمعاهدة المبرمة مع مردوخ ـ بلادان؟ ويسأل سنحاريب الأمير الوريث، يا ترى ما الخطيئة التي ارتكبها والده؟ وفق إحدى الكتابات الدعائية ضده المسماة "خطيئة سرجون"، كان السبب استشارة العرّافين والمتنبئين وأراد أن يتخلص من الحظ السيئ.

تعرضت دور ـ شاروكين، العاصمة الحديثة شيئاً فشيئاً إلى الإهمال، وقام الموسيقيون الذين كانوا قد عزفوا في الزمن الفاتن عند إقامة الاحتفالات في حفلة افتتاح المدينة، بإسكات آلاتهم إلى الأبد.

3- لقاء مع سرجون وعاصمته

قام قنصل فرنسا السيد بول أميل بوتا Paul-Emile Botta باكتشاف مدينة دور ـ شاروكين، معتقداً في البداية بأنها آثار مدينة نينوى. كانت الورود تنشر عبقها في الربيع على هذه الأرض الخصبة

وتحمل دائماً في طياتها لون حدادٍ على الملك سرجون، وكان حلمه يكلل الأشجار المزهرة.

في شهر آذار سنة 1843، نبه أحد الصباغين المسيحيين المحليين السيد بول أميل بوتا بوجود بقايا أثرية في منطقة قريبة من مدينة الموصل. للحال باشر بإجراء أعمال تنقيب في موقع خورصاباد الواقع على مسافة 16 كيلومتر من الموصل المدينة الكبرى في شمال بلاد الرافدين (العراق حالياً). واكتشف بقايا آثار قصر سرجون الثاني، فقام باستخراجها من تحت الأرض. واستمرت تلك التنقيبات لغاية شهر تشرين الأول سنة 1844 ونجح باكتشاف الآثار الأولى من التاريخ الآشوري. ثم أرسل إلى باريس الآثار القديمة التي أخرجها من الأرض ليجهز بها الجناح الآشوري الجديد في متحف اللوفر، والذي دُشن في شهر أيار من سنة 1847.

استؤنفت أعمال التنقيب عام 1852 في موقع خورصاباد التي تمت تحت إشراف القنصل الجديد لفرنسا السيد فيكتور بلاس Victor Place، الذي كُلّف باستلام المنحوتات والإسطوانات والأوعية والمجوهرات الآشورية ونقلها إلى فرنسا، كي يستكمل ويُغني مجموعة الآثار الشرقية في متحف اللوفر. ولكن الطوافات التي كانت تنقل صناديق الآثار القديمة إلى البصرة ومن ثم إلى الخليج تعرضت لهجوم شنه البدو عام 1855 مما أدى إلى غرقها. ولم يتم إنقاذ إلاّ خمسة وعشرين صندوقاً، أي تلك التي كانت محمولة على متن بعض الطوافات. وهكذا لم تصل إلى المتحف الباريسي سوى بعض الآثار المتمثلة في ثور مجنح واحد وتمثال مجنح كبير وبضع لوحات بارزة وأدوات ثمينة.

نظم المعهد الشرقي في مدينة شيكاغو ما بين عام 1928 و 1935 بعثات لتنقيب في موقع خورصاباد، واستخرج علماء الآثار الأمريكيون من تحت الأرض مساكن إقامة ومعبد نابو وقصراً كاملاً. وقد زار الملك

فيصل، ملك العراق سنة 1933 هذا الموقع وتناول غذاءه فوق آثار قاعة العرش داخل قصر سرجون.

حضرتُ عام 1994 بفرح كبير، داخل أروقة جناح ريشيلو في متحف اللوفر، افتتاح معرض تحت اسم "من خورصاباد إلى باريس" والذي رسم مراحل سير أعمال التنقيب التي جرت في ذاك الموقع التاريخي الهام. تتباهى اليوم الآثار الآشورية القديمة التي كانت موضوعة في السابق داخل قاعات غير مضاءة كما ينبغي، في قاعات عرض جديدة تليق بالآثار المعروضة فيها.

في الأزمنة الغابرة، كان في فناء قصر خورصاباد بضعة منحوتات تزين قصر سرجون وكانت تمثل عدداً من الميديين دافعي الضرائب بعد الانتصار الذي حازه زعيمهم "دایاكو" عام 715 قبل الميلاد، إضافة إلى مجموعة من المشاهد الحربية وصور الصيد ومشاهد عن الحياة في بلاط الملك، ومنحوتات مجنحة تدل على القوة الواقية الصالحة، وهي تبارك حاملة بأياديها القرابين.

شاهدتُ بأنه قد تم إعادة تشكيل باب القصر. ووجدتُ على اليمين، لوحات محفورة تمثل شخصية هامة ملتحية وبعض الخدم الذين يقدمون للملك أثاثه وأوعيته وعرشه.

وتعرض إحدى اللوحات على اليسار، الملك سرجون وهو يستقبل إحدى الشخصيات النبيلة أو الأمير الوريث لكي يعطيه تعليماته.

تحيط البوابةَ "ألاد لامو" وهما شكلان منقوشان ومنحوتان بشكل بارز، على هيئة ثورين مجنحين ضخمين برأس إنسان ومزودين بخمسة أقدام. وتشير قلنسوتهما الأسطوانيتي الشكل المزينتين بصف من القرون، إلى طبيعتهما الربانية. ويُعبّر وجهاهما الملتحيان عن نوع من الرفق النبيل الظاهر عليهما وهما يحرسان القصر من القوى الشريرة. واحد من الـ "ألاد لامو" مصنوع من المرمر الجبسي ويحل محل الثور الذي تعرض إلى الغرق في مياه نهر دجلة عام 1855.

وثمة كتابات منقوشة بالحروف المسمارية تضم الألقاب الممنوحة إلى الملك سرجون، موضوعة بين أقدام الثورين وهي تعرض تفاصيل قصة تشييد قصره.

يبدو لي وأنا أُمعِن النظر في هذين الثورين أنهما يدوران برأسيهما نحوي ويراقبانني من أعماق العصور وهما يوجهانني ويرافقانني في بحثي عن ماض غابر.

هوامش الفصل الثالث:

1- انظر: ميخائيل غيشار (MichaPël Guichard)، (Les dossiers de l'archéologie, Khorsabad) عدد خاص، رقم 4.

2- ثورو دانجان (F. Thureau Dangin)، كلام عن حملة سرجون الثامنة Une relation de la huitième campagne de Sargon، ملحمة الفينيقيين (L'épopée des Phéniciens) غوتنير، باريس، 1912

3- رسالة سرجون.

4- كيه في صقلية.

5- سيسيل ميشيل (Cécile Michel)، في خرصبات Khorsabad عدد خاص، رقم ، 1994، ص 7.

6- بحسب كتابة آشورية.

الفصل الرابع

حدائق وإنجازات سنحاريب

وقفتُ مسروراً فوق موقع نينوى المطل على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة، مقابل مدينة الموصل حالياً، الذي يتكون من تلين اثنين، هما تل كوينجيك وتل النبي يونس. ويعرض هذا الموقع سوراً ضخماً بنيّ اللون متوجاً بمتاريس مخرمة، ويمتد على مسافة تبلغ بضعة كيلومترات. لقد تم ترميمه جزئياً من قبل مديرية الآثار العراقية، إضافة إلى تجديدها بوابتين أثريتين هامتين. فما كان مني إلا أن أستحضر ذكرى الملك سنحاريب العظيم الذي جعل من مدينة نينوى عاصمة له، و شيّد في موقع كوينجيك قصراً فخماً. وكان قد عُثر عليه في القرن التاسع عشر من قبل عالم الآثار الإنجليزي هانري لايارد A. H. Layard.

1- انتصارات سنحاريب

سنحاريب (704-681) هو أحد أبناء سرجون الثاني تربى هذا الملك في منزل خاص بالورثة "بيت ريدوتي" وفي مركز الحكم. تعلم منذ صغره كيف يكون ملكاً على يد والده. واستلم أعباءً إدارية وعسكرية هامة، ومارس الوصاية على البلاد عند غياب الملك، وكان يستقبل

المبعوثين وينقل الأخبار لوالده ويراقب الأعمال في خورصاباد تلك المدينة المحصنة الواسعة. تتوفر لنا اليوم عدة رسائل من مراسلاته التي قام بتحريرها إلى والده.

مارس سنحاريب إدارة الإمبراطورية عند مصرع والده أثناء حملة كان قد شنها في منطقة "تابال"، وبعد هذا الحادث المؤسف جلس على عرش والده. واجه مباشرة أعمال تمرد بابل التي أرادت التحرر من الحكم والوصاية الآشورية. وفي تلك الفترة عاد العاهل الكلداني مردوخ ـ بلادان من عيلام التي كان قد هرب إليها عندما قام سرجون الثاني بطرده واستولى على الحكم في بابل العاصمة.

الحملات الأولى

رد سنحاريب عام 703 على أعمال التمرد وشن حملته الأولى ضد بابل واستعادها من الملك مردوخ ـ بلادان الذي هرب داخل مستنقعات وأهوار جنوب بلاد الرافدين، ولم يتم العثور عليه. ودخل حينئذ سنحاريب إلى بابل واستولى على القصر الملكي وقام بنهب وسلب كنزه. وعيّن حاكماً على العرش منحدراً من منطقة بابل، وهو "بيل ـ ابني" الذي كان قد ترعرع وتربى في أحد قصر آشور.

واستطاع سنحاريب أثناء حملة ثانية التغلغلَ في المناطق الواقعة شرق نهر دجلة لإخضاع عشائرها المتمردة.

كما أنه شن حملة عام 701 في غرب البلاد متجهاً نحو بلاد الفينيقيين وفلسطين. في ذلك الوقت تمرد ملوك صيدا وعسقلان ويهوذا مدعومين من قبل المصريين ضد الآشوريين. عندئذ، أظهر الملك سنحاريب قوته الحازمة، مسلّحاً بقلبه الفخور وبعينيه الشامختين ووجهه القاسي، فتوجه شخصياً لمقاتلة المتمردين. وسار على رأس قواته متجهاً إلى هاتي (سوريا الشمالية). هرب الملك "لولي"، ملك

صيدا مذعوراً إلى البحر وغرق في عمقه وتم تدمير قلاعه المحصنة مثل صيدا الكبيرة وصيدا الصغيرة وساريتا. وسيطر على عكا التي كان ملكها قد أودع فيها مؤن حامياته وتم إعلان خضوعها لحكم سنحاريب. و تمكن من أسر "سيدكا" ملك عسقلون وأرسله إلى آشور.

بعد أن انتهى من إخضاع خصومه، أرسل جيشاً كبيراً لمحاربة حيزقيا ملك يهوذا. وها هو شخصياً أمام لكيش المدينة اليهودية المحصنة الواقعة على مسافة تبلغ حوالي خمسين كيلومتراً في الجنوب الغربي من القدس أورشليم. فنصب سنحاريب منجنيق وأبراج حصار وشن هجوماً كاسحاً بواسطة قواته المنظمة وحاصرها واستولى على لكش هذا المركز المحصن الهام. وبعد ذاك النصر أمر بنحت مشهد الاستيلاء على مدينة لكش بشكل رائع على جدران القاعة الكبرى في قصره الواقع في الجنوب الغربي من نينوى. تعرض أحد الألواح المنقوشة بالحفر (المتحف البريطاني في لندن) الملكَ جالساً في معسكره، حيث يدير العمليات العسكرية ويراقب مرور جثث ضحايا المدينة بعد الاستيلاء عليها. لكن بعض قسمات وجهه تعرضت إلى المحو، وربما يكون ناتجاً عن عمل تخريب بعد ما تم اغتياله.

أسفر الحصار الأول المفروض على مدينة (القدس) أورشليم إلى إخضاع حيزقيا ملك يهوذا. وتروي إحدى الكتابات المنقوشة على مسلة تم العثور عليها في نينوى، بأن الملك سنحاريب صرح بازدراء قائلاً:

"وأما حزقيا يهوذا الذي لم يوافق على الخضوع إلى إرادتي (...)، فقد حاصرته في أورشليم، مدينته الملكية، مثل طير داخل قفص. وقمت بأعمال ردم ضده، وفرضت على أي شخص يخرج من باب المدينة أن يدفع ضريبة تعويضاً لذنبه. وقد قمت بعزل مدنه المحصنة التي استوليت عليها ونهبتها واستقطعتها عن أرضه... وتمكنت روعة جلالتي من القضاء عليه." 1

وتروي تلك الكتابة بأن حزقيا خضع مرغماً لدفع ضريبة هامة إلى ملك آشور، تبلغ ثلاثين مثقالاً من الذهب وكنوزاً أخرى ومنحه مغنيات ومحظيات، لكنه أنقذ المدينة من النار. ويؤكد الكتاب المقدس هذه الأحداث راوياً تفاصيلها:

"وفرض ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا، دفعَ مبلغ قدره ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين من الذهب. فدفع حزقيا الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك كلها. في ذلك الزمان أخذ حزقيا الذهب من أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك آشور." 2

بدون شك، قاد سنحاريب حملة أخرى ضد يهوذا في نهاية حكمه. و يروي أيضاً الكتاب المقدس بأنه لم يتم إنقاذ أورشليم إلا بتدخل من "ملاك الرب"، وكان سبب ذلك، أن مرضاً معدياً انتشر في معسكر الآشوريين، فكانت حصيلته وفاة ما يقارب مائة وخمسة وتسعين ألف مقاتل آشوري.

سنحاريب ضد بابل

سابقاً لم تُسوَّ المشكلة البابلية، لذلك لاقاها سنحاريب هو أيضاً. فقاد حملة عام 700 في منطقة أهوار الجنوب التي لم يتمكن من إخضاعها إخضاعاً تاماً والسيطرة على بيت ياقين، عشيرة مردوخ – بلادان الكلدانية الذي هرب إلى المنفى في بلاد عيلام. وتم بعد هذه الحملة خلع "بيل – ابني" الحاكم غير الكفؤ عن العرش، بعد أن كان قد نصّبه الآشوريون ملكاً على بابل، واستعاض عنه سنحاريب بابنه البكر، "آشور– ناديم –شومي".

شيء فريد، أن الملك سنحاريب طلب في تلك الأيام من الفينيقيين والقبارصة بأن يصنعوا له أسطولاً حربياً، كما هو مبين في مسلة

منقوشة تم العثور عليها في قصر نينوى، وكان هدفه شنَّ عملية عسكرية بحرية وبرية كبرى عام 694 باتجاه شواطئ الخليج لسحق الكلدانيين وحلفائهم. فتمكنت قواته بسلب ونهب بضعة مدن عيلامية حيث كان قد لجأ إليها أهل بيت ـ ياقين.

فردّ ملك عيلام على هذا الهجوم وقام بالتغلغل في أراضي بابل اعتباراً من الشمال واستولى على مدينة سيبار ودمرها. وخوفاً من العيلاميين، أسرع البابليون بتسليم الحاكم الشاب آشور ـ ناديم ـ شومي ابن سنحاريب إلى ملك عيلام، واختفى أثر ملك بابل الشاب في بلاد عيلام، ربما قد توفي هناك مقتولاً.

في عام 691، اضطر سنحاريب ملك آشور مجدداً إلى مواجهة تحالف العيلاميين والبابليين وقبائل زغروس الذين تحالفوا ضده وتوجهوا لمحاربته "مثل الجراد". في المرحلة الأولى، قاد حرباً ضد هذا التحالف الكبير ولكنه وعلى العكس من الأخبار المعلنة، لم يتمكن من تفكيك جيوش هذا التحالف. بل تعرض لنصف فشل في ضواحي مدينة "هالوله" الواقعة على ضفاف نهر دجلة (بالقرب من سامراء حالياً).

وأخيراً وبعد سنتين، أي عام 689، هاجم سنحاريب، الذي أرهقته أعمال التمرد المستمرة في إمبراطوريته، مدينة بابل خلال حملة عسكرية قادها شخصياً. تملكته أيضاً رغبة في الانتقام لمقتل ابنه آشور ـ ناديم ـ شومي، فقام بشنها كعاصفة ونهر جارف. وبعد محاصرة المدينة العريقة والمقدسة لمدة خمسة عشر شهراً، استطاع أخيراً الاستيلاء عليها وأسر الملك الكلداني "مشيزيب ـ مردوخ"، ابن مردوخ ـ بلادان الذي كان قد تم تتويجه ملكاً على بابل. ونفذ عملاً غير مسبوق، إذ قام بتدمير بابل تدميراً كاملاً وحرقها، ثم أغرقها تحت مياه نهر الفرات.

وبدأ بالاستيلاء على تماثيل الإله، فنصب لهم شرفة وأودعها في "أكيتو"، معبد مدينة آشور، الذي كان قد شيده بالأحجار الكلسية.

وبذلك حصل معبد أكيتو التابع لمدينة آشور على الامتيازات الدينية الخاصة بمدينة بابل، واستعاض عن الإله مردوخ بالإله آشور كرئيس للآلهة في مجمع الآلهة العظام لبلاد الرافدين.

وتروي لنا كتابة منقوشة على صخور جبل بافيان الواقعة على ضفاف الخازر في منطقة عين سفني (شيخان)، حملات الملك سنحاريب ضد البابليين. ويمكننا الاطلاع عليها من خلال هذا النص الذي يروي فيه الملك تلك الأمور:

"في جولة ثانية، توجهت بسرعة إلى بابل التي فكرت في الاستيلاء عليها. وأسرعت الخطى مثل العاصفة وبطحتها مثل الإعصار. لم أترك أيا من سكانها، كباراً كانوا أو صغاراً، شباباً أو شيوخاً وملأت ضواحي المدينة بجثثهم.

دُمّرت المدينة والمنازل وهُدّمت وحُرقت من أساساتها حتى سطوحها، ودُمّر كل شيء فيها: الجدران والأسوار ومعابد الآلهة والهرم المدرج المصنوع (الزقورة) من الآجر والطين ورميتها في نهر أركخت.

وحفرت القنوات، في أراضي (؟) هذه المدينة وأغرقت موقعها بالمياه ودمرت أساساتها كلها، وتوجهت... أسرع من الرياح.

وغمرتها تحت المياه لكيلا يتم العثور في الأزمنة اللاحقة على مكان هذه المدينة ولا على معابد الآلهة فيها، و... " 3

ورغم ذلك، لم يعترف البابليون بسنحاريب ملكاً شرعياً عليهم.

وتحول بلدهم إلى مجرد مقاطعة بسيطة من مقاطعات بلاد آشور الكبيرة.

لم يكن سنحاريب محارباً قوياً فقط، بل كان عازماً على حفظ النظام بأي ثمن كان في إمبراطوريته وفي نواحيها الواسعة.

لقد أظهر في فترات السلم، بأنه زوج ودود، كما يتبين ذلك في الإهداء الذي قدمه إلى "إشميتو ـ شارات" إحدى زوجاته، وهو الإهداء الذي يكشف لنا رقة قلبه وحرارة مشاعره تجاهها. ويبين هذا الإهداء

بأنه كان يحيط حبيبته هذه التي اشتهرت بجمالها الرائع، بعناية وحب وعطف، حيث قام بتشييد قصر ممتاز لها. 4

2- المعماري المبدع

على الصعيد الداخلي، تخلى سنحاريب عن دور - شاروكين عاصمة والده سرجون، واستقر في نينوى تلك المدينة القديمة في البلاد الآشورية المحصنة التي كانت تقبض الأسود في سواعدها المتينة... وربما تأتي تسميتها من اسم "نين" آلهة الحب، الذي يدل على النعومة كالمداعبة الرقيقة.

كانت هذه المدينة سابقاً تابعة للإمبراطورية الأكّادية، وأصبحت جزءاً من بابل خلال حكم حمورابي الذي ذكرها في ديباجة قانونه المشهور. وقام الملك الآشوري شلمنصر الأول (1274-1245 قبل الميلاد) بتشييد قصر كبير فيها.

وفي عهد سنحاريب أنجز معالم هامة بفضل النصر الذي أعطته أسلحته المتينة وغنائم الحروب التي جمعها من الرجال ومن حصوله على الضرائب الواردة من عدة ملوك خاضعين له. وكما ذكر، بدأ بتوسيع وتنظيم وتجميل مدينة نينوى وفق خطة محددة من قبل السماء ومن الأفلاك منذ الأبد. وهكذا تمكنت الأرض من محاكاة ما كان في السماء.

يقدم لنا الكتاب المقدس نصاً يتحدث فيه سنحاريب على لسان النبي اليهودي أشعيا قائلاً:

" عملت بقوة يدي وبحكمتي
لأني فهيم.
لقد نقلت تخوم شعوب،
ونهبت ذخائرهم.

وحططت الملوك كالبطل،
فأصابت يدي ثروة الشعوب كعش.
وكما يُجمع بيض مهجور، جمعت أنا كل الأرض،
ولم يكن مرفرفُ جناح وفاتح فم ولا مصفصف." 5

جعل سنحاريب من نينوى مدينة جميلة وبلاطاً لدولته وعاصمة لإمبراطورية واسعة الأطراف. وأحاطها بسور عال جديد، شيده بكتل كبيرة من الأحجار الكلسية التي كانت "أكثر ارتفاعاً من الجبل"، وبسُمكٍ بلغ في بعض أماكنه خمسة وأربعين متراً. وكان هذا السور المتوج بالمتاريس المسننة يمتد على مسافة اثني عشر كيلومتراً وشمل خمسة أبواب، تم إهداء كل منها إلى إله من آلهة آشور. كما قام الملك بتوسيع الشوارع والساحات في مدينته وجعلها "مشرقة مثل نور النهار"، وبنى فيها مساكن فخمة وترسانة أسلحة كبيرة وشيد فيها جسراً على نهر دجلة.

قصر لا منافس له

بعد أن أصبح القصر الملكي السابق ضيقاً وغير ملائم لذوقه، قام سنحاريب بتشييد قصر جديد اعتباراً من سنة 703، في الجنوب الغربي من عاصمته، واهتم فعلاً بالبحث عن أفضل مواد لإنشاء هذا القصر ونقلها إلى مدينته.

كان الملك بحاجة إلى خشب الصنوبر والأرز والحجر، وأيضاً إلى مواد ثمينة كالنحاس والبرونز والحديد والذهب والفضة. قام حينذاك بجلبها من كافة نواحي الشرق الأدنى لتزيين أطر الأبواب والنوافذ والسقوف والأعمدة في مختلف أقسام قصره ولصنع تماثيل الثيران المجنحة والحيوانات الرمزية والعنز البري. وقام بإنشاء رواق أطلق عليه اسم "بيت هيلاني" وفق طراز القصور الحيثية.

واستمر الملك في تزيين قصره هذا بعناية كبيرة، والذي احتوى على أكثر من إحدى وسبعين غرفة. وعمل على نصب ثيران كبيرة برؤوس بشرية، وكائنات حسنة منحوتة من الحجر المستخرج من مقالع المنطقة، لكي تحرس أبواب القصر الرئيسة. كما نصب في قصره لوحات محفورة ومنحوتة نحتاً دقيقاً من الجبس، تروي كتاباتها ورموزها أحداث حملات انتصاراته التي قامت قواته الآشورية بشنها ضد عشائر جنوب بلاد الرافدين. أما القاعة التي حملت الرقم ستة وثلاثين، كانت مكرسة خصيصاً لحصار لكش الشهير في بلاد يهوذا.

وأمر بفرح ورضى قلبه، كتابة قصة أعماله في مختلف أقسام قصره.

ويروي مقطع صغير من حوليات الأحداث في ذلك الزمن، بأن سنحاريب طلب مساعدة الإله "إيا"، إله المياه العذبة والحكمة، لأنه الرب القدير الذي يعلّم البشر العلوم والتقنية ويمنحهم حدة الفكر التي تساعدهم لحل مشاكلهم.

واكتشف الملك طريقة جديدة، تمكّن الحرفيين من صهر مادة البرونز لِصُنع تماثيل سوداء اللون وثيران عملاقة بثقل يبلغ 43 طناً لكل واحد منها، وكانت تستعمل لإسناد أعمدة رواق "بيت هيلاني" الملاصق بالقصر. وتقوم هذه الطريقة بصبّ القطع بطريقة فنية مثلما هو الحال في صب قطع النقود المعدنية التي تزن نصف الشاقل، ويتم عندئذ تجميعهما سوية.

يروي الملك ويقول:

في السابق، عندما كان آبائي الملوك يرغبون بصنع تمثال من البرونز لصورتهم الشخصية ووضعه داخل المعبد، كان عملهم هذا يرهق الحرفين. لكني، أنا الملك سنحاريب، وبعد التفكير بالمشكلة... وبإيحاء من الإله "إيا"، طلبت (من الحرفيين) صنع قالب من الصلصال حيث يُصب البرونز بداخله، كما هو الحال عند صب قطع من نصف شاقل." 6

اخترع سنحاريب، الذي كان يتمتع بفكر نبه وماهر ومليء بالخيال، تقنيات جديدة أهمّ من تلك التقنيات التي استعملها الملوك السابقون، لأنه قام بتطوير مواد بناء قصره وأدخل فيها تجدداً وابتكارات متعددة.

وأصبح قصره الذي جهزه وزينه بثراء "قصراً لا مثيل له"، يبين زهواً في الأشكال المختارة والألوان الجميلة والأخشاب العطرة. فكان يمثل مرآة تعكس قدرات وعظمة الدولة الآشورية.

جنائن نينوى المعلقة

نفّذ سنحاريب في مختلف مناطق مدينة نينوى التي كانت قد تعرضت لأضرار نتيجة نقص المياه فيها، طريقة زراعية ذكية أدت إلى إنجاز مشاريع إرواء هامة وشهيرة. ولذلك قام بحفر قنوات مائية استعملها لجلب المياه من جبال المناطق الشمالية بغزارة وإيصالها إلى مدينة أربيل ونينوى لكي تُسقي الحقول العطشى والجنائن المتنوعة.

قام الملك برسم هيئة الجنائن وزينها بالتلال الصغيرة والشجيرات، فكانت تشبه المناطق الجبلية وتماثل أمانس ذاك المرتفع الشاهق العريق في سوريا الشمالية.

ونظراً لقدراته على الإبداع، ابتكر مكائن رافعة استعملها في الفصل الحار لجلب المياه من أعالي التلال وسقي الحدائق بها. وقام أيضاً بصنع قوالب أنبوبية الشكل من الصلصال اعتباراً من جذوع الأشجار، حيث كان يصب النحاس الساخن بداخلها. ويتم في هذه الطريقة بعد أن يبرد المعدن الساخن كسر القوالب الترابية، وبالتالي الحصول على إسطوانات مجوفة توضع فوق صهاريج.

وأمر سنحاريب بصنع حبال وأكبال وسلاسل من البرونز لغَرف الماء يومياً من الخزانات. واستعمل طريقة اللوالب التي كانت تدور داخل

الإسطوانات لرفع المياه إلى فوق. وتعرض إحدى الكتابات المنجزة من قبل الملك سنحاريب وصفاً لهذه الآلات الرافعة:

"اخترعتُ أدواتٍ مصنوعة من النحاس وقمت بصنعها بمهارة. ابتكرت وفقاً لخطة الإله، قوالب من الصلصال لاستعمالها في "جذوع كبيرة" وفي أشجار النخيل الكثيرة، ثم قمت بصب النحاس بداخلها. [...] ولكي أتمكن من غرف الماء كل يوم من الخزانات، طلبت صُنع حبال وأكبال وسلاسل من البرونز وقمت بوضع "جذوع الأشجار" والنخيل المصنوعة من البرونز فوق الخزانات" 7

أتاح سقي الحدائق بهذا النظام نموَّ مختلف أنواع الأشجار المثمرة في مدينة نينوى، إضافة إلى أشجار الصنوبر والتوت والكروم والنباتات العطرة التي استوردها من مختلف البلدان البعيدة وكان الملك يرسل موظفيه في مختلف المقاطعات لجمعها ونقلها إليه:

أنا سنحاريب ملك آشور المنتصر على الملوك قمت من "الشرق" ولغاية "الغرب"... بفضل (؟) مياه القنوات التي أمرت بحفرها، زرع (؟) النباتات في كافة أنحاء نينوى والغابات والكروم و ... والتي ... من كافة الجبال والنباتات من كافة الأماكن (؟)..." 8

وبما أن الملك كان شغوفاً بجلب الأشياء الغير معهودة، قام بتحديد منطقة ووضع فيها الحيوانات النادرة. وأنشأ واحة اصطناعية وزرع فيها مجموعة من أشجار قصب السكر، كما وضع فيها طيوراً تنتمي إلى فصيلة مالك الحزين الجميلة وخنازير وجواميس. فتكاثرت في مختلف مناطق هذه الواحة وأعطت صغاراً كثيرة وجاءت الطيور الحسناء وعشعشت فيها.

كانت الحدائق الرائعة المعمولة على شرفات القصر قد شكلت بالنسبة إلى الملك وحاشيته أماكن نموذجية للراحة والاسترخاء والمتعة، وكانت شبيهة "بعالم مصغر" لإمبراطوريته الواسعة. فهل كان هذا

الملك مصدر أسطورة ما يسمى *"بالجنائن المعلقة"* التي أصبحت إحدى عجائب الدنيا السبع والتي ربما كانت موجودة في نينوى وليس في بابل كما هو شائع في مختلف القصص التاريخية. ربما حدث التباس بين المدينتين من قبل الكتاب اليونانيين المتأخرين؟

لا بد أن سنحاريب كان ينسي همومه ومشاغله عندما كان يتنزه في جنائنه الواسعة، حيث كان يسترجع ارتباطه مع الأرض والماء والهواء و مع العناصر الأساسية والقوى الخفية والسرية التي تغذي جذور الحياة. ولا بد أن نسيم الهواء الدافئ الذي كان يهبّ عبر أشجار النخيل والصنوبر قد داعب وجهه. كان الملك يقف في نهاية أحد مماشي جنائنه، مدفوعاً بحب إطلاعه على إحدى النباتات المستوردة حديثاً إلى جنائنه المعروفة "بالشجرة التي تحمل الصوف" مثل الخروف، والتي لم تكن سوى شجرة القطن، ولابد أنه قد تمعنها بسعادة.

كانت أجواء حدائق سنحاريب مليئة بالعطور وتغريد العصافير، وكانت أحواض الماء البراقة تبتسم تحت شمس نينوى الساطعة وتلتف الكروم بأوراقها وأغصانها حول مختلف أنواع الأشجار. فكان يغزو قلب الملك نوع من فرح مجهول وكثيف. كان يصرف خدمه من حوله، ليبقى وحيداً في هذا العالم الذي يحترمه ويقدره ويعبر عن إعجابه به. فكل شيء يثير إعجابه ويبهره مثل الفجر الأول للإنسان.

3- على خُطا سنحاريب

كنت أحلم بالذهاب لرؤية الآثار والمنحوتات الحجرية والكتابات المنقوشة على واجهاتها، تلك التي تركها سنحاريب، ملك آشور الكبير في مناطق شمال نينوى.

بدأتُ زيارتي بالتوجه إلى قناة جيروان الواقعة في أسفل جبلٍ في شمال البلاد بالقرب من عين سفني (الشيخان).

وسلكتُ الطريق الرابط بين مدينتي دهوك وأربيل مخترقاً الجبل العالي الذي يبلغ ارتفاعه 1100 متر والذي ينحدر فوق سهل خصيب ومليء بالنباتات الخضراء حيث تنمو الحنطة والشعير، وتغزو حقولها أزهار الخشخاش الحمراء الفاقعة. وبعد قطع مسافة بلغت حوالي خمسين كيلومتراً وصلت أخيراً إلى موقع جيروان.

كانت آثار موقع قناة جيروان قائمة في أسفل التلال لجبل تغطيه الأشجار والورود، وتنتشر في أرجائها الماعز والنعاج البيضاء السمينة.

كان المنظر يمنح مشهداً فريداً. وكان من الضروري استعمال حوالي مليوني حجرة بيضاء للتمكن من إنجاز هذا العمل الفني المدهش.

أمر سنحاريب بجلب كميات كبيرة من المياه النقية من الجبال الواقعة في الشمال الشرقي (منطقة بافيان)، وتحويل مجراها عن طريق قنوات تمّ حفرها بنظام وجمعها في سد واسع بلغ عرضه 280 متراً وبارتفاع قدره تسعة أمتار.

من هذا المكان تنطلق قناة جروان البالغ طولها 50 كيلومتراً، وتمر فوق جسر عريض في وادي جيرموا ومن هناك تتوجه نحو مزارع نينوى.

وكانت البناية مجهزة بخمس قناطر هندسية وبارتفاع وصل إلى خمسة أمتار لكي تمر فيه مياه نهر الخازر.

ويمكن للمرء أن يرى في الموقع حالياً كتابات احتفالية تتطرق إلى هذا الأثر الذي تم إنجازه في مدة قياسية بلغت خمسة عشر شهراً، وصرح الملك خلال الاحتفال بتدشينه بكل فخر مبرراً إنجازه بما يلي:

"رأيت نقاط تدفق المياه وقمت بتوسيع منابعها الضيقة وحولّتها إلى خزانات، لكي تتمكن هذه المياه أن تمرّ من خلال الجبال الوعرة. وقمت بالحفر في الأماكن الصلبة أيضاً، ووجهت دفع المياه نحو السهل المحيط بمدينة نينوى. وباشرت بتقوية (ضفاف) خنادقها... وتم ذلك على مسافات طويلة اعتباراً من نهر هوسور (خازر).

وقمت بحفر قناة موجهة نحو مزارع نينوى، فتمكنت من مد جسر من الحجر الأبيض فوق الوديان العميقة، وعملت على جعل المياه تجري فوقه." 9

تم افتتاح قناة جيروان عام 691 قبل الميلاد، ومن المحتمل أن يكون هذا الافتتاح الرسمي منقوشاً على لوحة حجرية في قصر نينوى.

قام فريق من علماء الآثار قدموا من المعهد الشرقي في شيكاغو بإجراء أعمال تنقيب على الموقع بين أعوام 1933 و 1934 وكتبوا وصفاً وشرحاً لهذا الموقع الواسع.

آثار خينيس - بافيان المنحوتة

ترك سنحاريب في شمال نينوى وفي منطقة عين سفني (شيخان)، أثرَ منحوتة هامة. واصلتُ سيري وتوجهت إلى موقع خينيس ـ بافيان.

تعرضُ اللوحات المنحوتة على واجهة صخرية مضيق خينيس – بافيان جلالة سنحاريب الملك القوي ملك آشور وملك المناطق الأربع. ويبدو فيها واقفاً في حالة صلاة وهو يرفع يده باتجاه الآلهة الآشورية الجالسة على حيوانات رمزية.

تُظهر الواجهات الصخرية كتابات منحوتة بالحروف المسمارية في ثلاثة أماكن مختلفة من الصخور، التي تعرضت للأسف الشديد إلى التلف في بعض أماكنها. إنّها تقدم وصفاً للأعمال التي تم إنجازها في

نينوى والقنوات التي قام الملك بتشييدها. وتصف الاحتفالات بتدشينها، التي تخللتها مراسم تقديم الأضحية والشعائر الدينية.

ثم تتطرق كتابات سنحاريب إلى انتهاء حملاته العسكرية ضد بابل وانتصاره في المعركة وتدمير المدينة كما رأينا ذلك سابقاً. وينتهي الوصف باللعنة على الأمراء القادمين الذين قد يقومون بتدمير عمله الكبير هذا والذين يجرؤون على تغيير مجرى مياه القنوات من نينوى.

تخلد هذه الكتابات المنحوتة اسم سنحاريب للناس على مرّ العصور وتروي أعماله الجبارة. والآن، يبقى شكله الملوكي المنحوت جزءاً من المنظر الطبيعي في هذا الموقع.

وهنا أيضاً، في منطقة خينيس ـ بافيان الواقعة على ضفة نهر خازر، قام عمال في الزمن الماضي باستخراج الأحجار التي استعملوها لنحت الثيران المجنحة الضخمة ذات الرأس البشري التي زينت القصور الآشورية. بقي اليوم تمثال كبير مطروح هنا على الأرض، ربما لم يتم نحته كاملاً.

فكرت بتأثر شديد بأن من المحتمل أن يكون سنحاريب قد جاء إلى هذه الأماكن، ولابد أنه قد جلس في عربته تحت ظل مظلة تحميه ليراقب أعمال العديد من عماله. فهل نزل من عربته في يوم حار، غافلاً عن عظمة جلالته، للسير هنا ببضع خطوات؟ وهل انحنى بتواضع على ضفة هذا النهر، للعثور على العذوبة والنشوة بين الحشائش الكثيفة، منحنياً باتجاه النهر البلوري المتلألئ بالضوء في الظهر، والذي تنتشر على سطحه الشذرات الذهبية البراقة؟ لابد أنها عكست تقاسيم وجهه على سطحها واستمعت إلى أسراره. كانت ومازالت مياه النهر تجري محافظة على بريق يوم سعيد من أيامه وعلى ذكر ملك عظيم.

وتيقنت بأن موقع خينيس ـ أفيان قد تعرض لمدة طويلة إلى الإهمال وخضع إلى مخاطر الطبيعة وتقلباتها وإلى الهزات الأرضية ومختلف أنواع الكوارث.

كما قام بعض الرهبان المسيحيين، في الزمن الغابر بحفر غرف لسكناهم داخل لوحات صخور الموقع، معرضين بذلك الحضارة الآشورية (الوثنية بالنسبة لهم) إلى إتلاف قسم من لوحاتها المنحوتة، بل أيضاً حفروا غرفاً داخل ثوب الملك المنقوش على صخرها.

منحوتات معلتاي الصخرية

كما هو الحال في بافيان، قام سنحاريب بتنفيذ أعمال حفر على لوحات صخرية في ملطاي بالقرب من دهوك، تعبيراً عن شكره للآلهة التي منحته الانتصار على خصومه. اقتفيتُ أنا أيضاً خطوات الرحالة الإنجليزي والمنقب عن الآثار المشهور هنري ليارد Henry Layard (1817–1894) الذي قام برحلة خاصة لرؤية الموقع وعبّر عن إعجابه بهذه اللوحات الفريدة.

كان هذا الموقع الأثري حصناً آشورياً قديماً ونقطة استراتيجية للجيش. بالنسبة لي وللأسف، كان الموقع الجبلي شديد الانحدار ومن الصعب الوصول إلى أمام المنحوتات. فما كان عليّ بعد خيبة أملي إلا أن أشاهد من بعيد أطلال الآثار المنحوتة الباقية، إنّها محفورة فوق واجهة صخرية للجبل، وجدتُها مهملة وفي صمت ثقيل، إنّها أربعة ألواح مزينة بتسعة رؤوس بشرية وإلهية. وبغية تكريمها كان سنحاريب الملك وأحد كبار الدولة – يبلغ ارتفاع كلٍّ منهما متراً وخمسين سنتمتراً – ينتصبان أمام الآلهة السبعة الواقفة على حيواناتها الرمزية، المتمثلة بإله آشور ونينليل وإينليل وسين وشمش وحداد وعشتار، ولا توجد عليها كتابات معينة. كان سنحاريب مخلصاً لبلاد آشور الوعرة، المحاطة بالجبال، الغنية بالأنهار الدائمة. لذلك ترك بصمته الشخصية على أرضها وبلا شك يحرصها دوماً بحبه لها. في الحقيقة هناك تجاذب دائماً بين الإنسان ومسقط رأسه.

تأملتُ خاتمة قصة سنحاريب المأسوية بشيء من الألم. عاش هذا العاهل تحت تأثير كبير مارسته عليه نقيا "زاكوتو" إحدى زوجاته بتعيين ابنها المدعو أسرحدون عام 683، وريثاً منتظراً من بعده، وأدى قادة الآشوريين اليمين بمساعدة الأمير الشاب.

على أن أخوته امتعضوا من هذا العمل، وبدؤوا بالتحرك ضد سنحاريب والدهم.

وكان سنحاريب قد عانى من وفاة ابنه آشور ـ ناديم ـ شومي ملك بابل الذي اختفى ظلماً في بلاد عيلام.

وفي عام 681، قام أردا ـ موليسو ابن سنحاريب – الذي اختير سابقاً أميراً وريثاً وتعرض إلى الإزاحة – بتدبير مؤامرة ضد والده مع بعض من رفاقه.

في العشرين من شهر (كانون الثاني)؛ أكثر الأيام مرارة، عندما كان سنحاريب يصلي في معبد نيركال بمدينة كالح تحت الرعاية الإلهية، سمع صوت أقدام، فرفع رأسه وتعرف فجأة وبألم على وجه ابنه أردا ـ موليسو، القاسي والقاتم. عندها قال له: أهذا أنت، يابني!

وبعد لحظات قليلة، سقط الملك على الأرض بعد أن تعرض إلى ضربة قاضية أدت إلى وفاته، كما يروي لنا ذلك، تاريخ يعود إلى العصر البابلي الجديد.

لم يترك الخنجر اللهيف والدميم إلا شيئاً واحداً، ألا وهو جسد سنحاريب ملك آشور الكبير بدون نَفس. ذلك الرجل الذي عمل من أجل الحياة والمجد والذي قاد جيوشاً وأساطيلَ رهيبة وحكم إمبراطورية واسعة لمدة 23 سنة.

صار القصر الملكي في حالة من البكاء، وسكبت الملكات وسيدات حاشيته الدموع وانتحبن حزناً عليه. وقامت النساء بغسل جسد الملك

من الغبار والدم وأغلقن جروحه المخيفة وعملن على إخفاء أي أثر للعنف عليه. ثم مسحن جسمه بالعطورٍ ودهنّه بالزيت الراقي، وألبسنه الملابس الملوكية وسهرن أمامه إكراماً لجلالته.

وتم إعلان وفاة الملك في كل البلاد، فقدّم له السكان مراسيم التكريم، ورافقت الموسيقى الحزينة أصوات الشعائر والصلوات والنحيب لعدة أيام كاملة. دفن سنحاريب في مدينة آشور، العاصمة الدينية، تحت القصر الرئيسي، في تابوت مصنوع من الحجر بلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار. وكتبتْ على تابوته عبارة منقوشة مفادها *"قصر الناعس، قبر الراحة وإقامة سنحاريب الخالد، ملك الكون وملك آشور"*. وتم بعد ذلك ختم غطاء التابوت بأقفال من البرونز.

لم يصرف ملوك آشور مبالغ هامة لبناء قبور ضخمة ولنصب المعالم الجنائزية أو لإنشاء الأهرامات كما كان الفراعنة يفعلون في مصر، ولم يتم قط تحنيطهم. إذ لم يعتقدوا بأنهم يتجهون نحو الخلود العذب ونحو منطقة البهاء، بل كانوا يظنون بأنهم سينزلون إلى "بلد اللاعودة"، حيث يستقرون في عالم الظل والغبار.

كانت تقاليد ذاك الزمن تسأل عن الذنب الذي ارتكبه الملك تجاه الآلهة لكي يستحق مثل هذا المصير، بالنسبة إلى البابليين، كان ذنب سنحاريب يكمن في قيامه بتدمير عاصمتهم بابل وسبي التماثيل الإلهية إلى آشور. أجل، لقد جعل من الإله آشور الإله الأعظم، فأخذ مكان الإله مردوخ عند الاحتفال بعيد السنة الجديدة ولم يتقيد الملك بالشعائر السماوية المتوارثة في بابل.

ترك لنا سنحاريب شيمة أسد في القتال وسيمة ملك منتصر، وبنّاء حريص على سموه ورفاهيته. وعُرف برجل آداب وفنون وتقنيات وزوج حنون وعاشق لجمال المرأة والطبيعة. وأدت حملاته العسكرية وإنجازاته الكبيرة وحلمه من جعل نينوى مدينة ثرية تخلّد ذكره. تمكن من استعمال طاقاته الفكرية وجهوده الفعلية بغية إدخال آشور في عصر التقدم.

هرب قاتلو سنحاريب بعد فترة وجيزة من قتله إلى منطقة أوراتو (الأناضول الشرقية)، ثم اضطروا إلى اللجوء في دولة صغيرة مجاورة واقعة في أعالي وادي نهر دجلة، هي دولة شوبريا. ثم وقعوا في الأسر عام 673 عندما تعرضت دولة شوبريا هذه إلى الغزو وضمها إلى بلاد آشور، حيث نُفذت عقوبة الموت بحقهم. عندئذ جرى احتفال كبير ومراسيم باهرة تكريماً للملك المتوفي.

هوامش الفصل الرابع:

1- بلاد الرافدين (La Mésopotamie)، منشورات تايمس – لايف (Times-Life)، هولندا أمستردام، ص 107.

2- الكتاب المقدس، كتاب الملوك، 11، 18، 14، ترجمة الـ سيكوند (L. Segond)

3- تواريخ آشور وبابل (Chroniques d'Assyrie et de Babylone)، كتابة بافيان، ترجمة بونيون (H. Pognon) ، منشورات باليو 2011 (Paléo, 2011) ص 44-45.

4- ليونيل مارتي (Lionel Marti)، في ملف التنقيبات الأثرية (Les dossiers de l'Archéologie)، ، العدد رقم 348، ص 56.

5- الكتاب المقدس، ترجمة الـ سيغوند (L. Segond)، ص 10.14.

6- فيرا (M. Viera)، الآشوريون (Les Assyriens)، منشورات دي سوي، (Seuil) باريس ص 181.

7- موشور ثماني الأضلاع لسنحاريب (Prisme octogonal de Sennhachérib)، سومر 9، 1953 من كتاب (Dalley, Niniveh, Babylone and the hanging garden, cunneform and classical sourcesreconciled)، ص 56، 1994، مكورة من قبل فيرونيك غراند بيار منشورات دي سوي (Véronique Grandpierre)

8- تواريخ آشور وبابل (Chroniques d'Assyrie et de Babylone)، كتابة بافيان، ترجمة بونيون (H. Pognon) ، منشورات باليو 2011 (Paléo, 2011) ص 41.

9- فرانسيس جوانيس (Francis Joanès)، قاموس حضارة بلاد الرافدين (Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne)، منشورات روبير لافونس، باريس، سلسة كتب (Robert Laffon) ص 60.

173

الفصل الخامس

أسرحدون، الملك المنتبه لعلامات السماء

دراسة التاريخ، تعني الانجراف عبر دفق من الأحداث والدماء، والعيش في ذاك الماضي الذي وصلنا والذي لم يختفِ من الحياة تماماً، والمشاركة على سبيل المثال مع أسرحدون في صيف بلاد آشور الواسع. أنا مجبول بنسيج التاريخ وأنا وارثه.

1- أسرحدون، الملك المحارب والملك المشيد

عصفت ريح الجنوب

يروي أسرحدون (681-669)، الذي كان بدون شك أصغر أبناء سنحاريب في حولياته (في الموشور سين) بأن اختياره أميراً وريثاً، جاء بمشيئة الآلهة وبرغبة سنحاريب والده. نال هذا الأمير في صغره تربية حسنة وتمكن من إجادة المعارف الأدبية والعلمية في زمانه.

حدثت حرب أهلية في بلاد آشور بعد مقتل سنحاريب من قبل ابنه أردا ـ مليسو. إنّها الحرب التي وقعت ضد أسرحدون وكانت نتيجة مكائد ومؤامرات قام بها إخوته وبدعم قسم من أهل آشور.

واجه الأمير الشاب مع جيشه المتمردين أثناء معركة هامة، ومن حظه أن بعض قوات المتمردين انضموا إليه.

تروي حولية أحداث هذه الحرب:

"هؤلاء الأشقياء، صنّاع الاضطرابات والتمرد،
عندما علموا بتقدمي في المعركة، تركوا جنودهم وانهارت عزائمهم
وابتعدوا ثم هربوا، فوصلتُ إلى شواطئ دجلة.
وبأمر من الإلهين سين وشمش أرباب الرصيف،
دفعت قواتي لتقفز وتعبر دجلة العريض، مثل عبور الساقية.
في شهر أدار (آذار)، الشهر الملائم، وفي الثامن عشر منه،
وهو عيد إله نابو،
دخلت فرحاً وسط نينوى مدينة جلالتي،
وجلست على عرش أبي بسعادة، وهبّ نسيم الجنوب،
ريح الإله آيا، الريح ذات النسيم الحسن لممارسة نظام الملكية،
انتظرتني العلامات الملائمة في السماء وعلى الأرض،
وأيضاً النبوءة ورسالة الآلهة والآلهات،
كانت تشير إليّ بدون توقف، وتعمل لطمأنة قلبي." 1

حسب اعتقادهم، كانت رياح الجنوب تشير إلى الفأل الحسن وذات النسيم العذب ملائمة للإله "آيا"، إله المياه النقية والحكمة والسحر، لأنه هو الذي ينمي العشب والنباتات والزهور ويُبهج ويُحي. لقد سهّل وأيد هذا الاله نظام الملكية في عملها.

وأخيراً انتهت الحرب الأهلية وتم تتويج أسرحدون في مدينة آشور. وأسدى عقوبة قاسية للمتمردين.

بعدئذ، أصبحت الإمبراطورية الآشورية كاملة تحت سيادة أسرحدون بعد أن مرّت بظروف مأساوية. فما هي يا ترى الأحاسيس التي شعر بها الملك، هل هي الانفراج والفخر والنشوة، أم الخشية والألم والشعور بالذنب؟

قضى أسرحدون جزءاً من حكمه في شن الحملات العسكرية، للسيطرة على الاضطرابات التي كانت تهدد إمبراطوريته.

في عام 679، غزت أقوام السقيط Scythes الشبه بدوية التي قدمت ربما من مناطق الفولكا، واختلطت بالأقوام الكيميرية Cimmeriensالقاطنين في آسيا الصغرى، على الطرف الجنوبي من طوروس. ولكن أسرحدون أجبرها على التراجع والتقهقر.

وشن بعد سنتين من هذا الغزو، في عام 677 حملة عسكرية باتجاه الغرب ضد فينيقيا وتمكن من الاستيلاء على صيدا، وقام بقطع رأس ملكها "عبدي ـ ميلكوتي" الذي كان قد تمرد عليه. كما قام بسبي سكانها إلى بلاد آشور حسب رواية حولياته:

"إن عبدي ـ ميلكوتي، ملك صيدا الذي لم يعترف بسلطتي والذي لم يسمع الكلام الصادر من فمي، إذ وضع ثقته في البحر الكبير ورفض الخضوع إلى آشور. قمت بتدمير صيدا المدينة المحصنة الواقعة وسط البحر تدميراً كاملاً. بل حطمت ورميت في البحر أسوارها وبيوتها وقمت بالقضاء على المكان الذي تم تشييدها فيه.

" وبفضل ربي إله آشور، اصطدت ملكها عبد ـ ميلكوتي في البحر مثل السمكة، وكان قد تراجع أمام أسلحتي هارباً إلى وسط البحر، فقمت بقطع رأسه." 2

قبض أسرحدون على زوجة وأبناء وبنات ملك صيدا وسباهم إلى بلاد آشور مع العديد من رعايا المدينة. واستولى على الكثير من الحيوانات والأبقار والعجول والحمير. وأُخذتْ كميات كبيرة من الأموال النادرة والثمينة من القصر، ومنها الذهب والفضة والأسلحة والأحجار الثمينة. وأيضاً الأقمشة والصوف والكتان وعاج الفيل

وأخشاب الأبنوس والجبنوس. وهكذا تم ضم شمال مملكة صيدا إلى الأراضي الآشورية وتحويلها إلى مقاطعة خاضعة لها.

أما ملك صور الجديد، فقد أُجبر على دفع جزية إلى أسرحدون واضطر إلى إبرام معاهدة معه لتنظيم التجارة بين البلدين.

بعد ذلك اضطر ملك آشور إلى مواجهة غزوات أقوام المانيين Manéeens القادمين من جنوب أورميه، والسقيط الذين كانوا يسكنون في شمال البحر الأسود. أراد ملك آشور تهدئة الأمور، وبعدما طاب رضا الإله شمش، منح إحدى بناته زوجة إلى رئيس السقيط، المسمى "بارتاتوا" (بروتوتيس عند اليونانين) آملاً أن يجعل منه حليفاً لمملكته.

ثم شنّ أسرحدون حرباً ضد العرب وأخضع ملكهم المدعو هازايل لسلطته.

يقول الملك أسرحدون:

"مدينة أدومو (هي) حصن في بلاد العرب،

التي كان قد استولى عليها سنحاريب ملك آشور، الأب الذي أنجبني

وكان قد أخذ آلهة العرب، كغنيمة وجلبها إلى آشور،

فجاء هازايل ملك العرب، مع هدية كبيرة إلى نينوى مدينة الأرباب،

قبّل قدماي. وتوسل مني أن أرجع إليه آلهته وأشفقت عليه." 3

أعاد أسرحدون إلى هازايل آلهته العربية، بعد أن قام بتجديد هيئتها.

وقاد أيضاً حملة في منطقة ميديا، الواقعة في الشمال الشرقي من آشور وهي المنطقة التي لم يكن قد وصل إليها آباؤه الملوك أبداً، وأخضع عدة مدن مثل بارتاكا وأوراكازابارنا وبارتوكا إلى سيطرته وأبرم اتفاقية مع حكامها.

كان حلم أسرحدون الكبير فتح مصر. قام بمحاولة أولى عام 674 وأرسل جيشاً إليها، لكنه تعرض إلى الهزيمة على يد فرعون مصر المدعو "تارقا" (690-667 قبل الميلاد) الذي كانت سلالته تنحدر من منطقة كوش (النوبة العليا، في السودان).

وفي عام 671، حشد مجموعة كبيرة من الجنود وضم إلى جيشه قوات الدويلات الخاضعة له. واصطدم القائد الآشوري شا ـ نابو ـ شو بقوة مقاومة المصريين، لكن انتهت المعركة بعد قتال عنيف مع القوات المصرية بهروب الفرعون المصري تارقا. واستولى عندئذ على مدينة ممفيس الواقعة في دلتا النيل وأسر ونفى إلى بلاد آشور العائلة المالكة المصرية واستحوذ على كنز البلاد وجعل من مصر السفلى مقاطعة آشورية:

"من مدينة أيشوبري ولغاية ميمفي (ممفيس)، حيث المقر الملكي الواقع على مسافة خمسة عشر يوماً (سيراً)، قمت كل يوم بشن قتال دموي عنيف وبدون استثناء ضد ترقو (تاهركا) ملك مصر وكوش الملعون من قبل كافة الآلهة... وحاصرت ممفيس مقره الملكي واستوليت عليه في مدة نصف نهار، باستعمال الخنادق والفتحات وسلالم الهجوم. وجلبت معي إلى بلاد آشور كغنيمة حرب ملكته ونساء قصره وأرشانابورو و"وريثه المنتظر" وأطفاله الآخرين وأملاكه وخيوله العديدة وماشيته الكبيرة والصغيرة." 4

فرض سنحاريب جزية سنوية على المصريين وعلى الملوك والحكام والموظفين المُعينين في كل مكان من تلك البلاد المحتلة.

هناك مسلة جميلة تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، تم العثور عليها داخل برج سور في زنجيرلي (سمأل)، تلك المقاطعة الآشورية التي تعود إلى العصر الآشوري الجديد، تقع اليوم في تركيا على مسافة

70 كيلومتراً غرب مدينة غازي عنتاب. إنّها المسلة التي تمثل أسرحدون العارم، مرتدياً بدلة كهنوتية. وتُظهر فوق وجهه الموشح بالجلال، نقوشَ رموز الآلهة. وتُظهر المسلةُ الملك وهو يمسك في يده حزاماً مربوطاً بشفاه عدوين اثنين خاضعين تحت قدميه، ربما يتمثلان في عبدي ـ ميلكوتي، ملك صيدا و تارقو أو ابنه أرشاناهورو. وفي الجانب الثاني تعرض المسلة مظهر ابنيه، الأمير الوريث آشور بانيبال و شاماش شام أوكين، ملك بابل القادم.

إصلاحات أسرحدون

الأعمال الأولى التي قام أسرحدون بإنجازها بعد توليه العرش، هي إعادة تعمير بابل التي كان والده قد دمرها، وتوسيعها وجعلها مدينة رائعة. نقش الملك على لوح مصنوع من الحجر الأسود، قصة هذا الترميم والبناء.

استطاع أسرحدون، بفضل الغنائم التي استولى عليها أثناء الحملات العسكرية من ترميم مدن أخرى في مقاطعة بابل مثل أكد وبورسيبا ودير ونيبور وأورك. وأعاد تعمير وتجديد العديد من المعابد وأماكن الصلاة وكساها بالذهب والفضة وجعلها تزهو في رونق النهار.

وشيد أيضاً في آشور معبداً للإله آشور في مدينته وبنى قصر كالح. وأنشأ في نينوى "القصر الذي يقود كل شيء".

وقص أعماله هذه التي أنجزها خلال حكمه، في قصة تدور أحداثها بصيغة المتكلم. وإليكم مقطعاً منها:

"في تلك الأيام، أصبح القصر الداخلي في نينوى ضيقاً جداً بالنسبة لي، كان قد شيده آبائي الملوك ليضعوا فيه الأسلحة والفرس والبغال والعربات والمعدات الحربية، وللعناية بالخيول والتدريب على استعمال العربات.

لذلك طلبت من سكان البلدان التي انتصر عليهم قوسي، بأن يحملوا المجرفة وقوالب الطابوق، فقاموا بصنع الطابوق.

هدمت تماماً ذاك القصر الصغير القديم. وأخذت جزءاً من أراضي الحقول المحيطة به وأضفتها إلى القصر. وبنيت أساساته من حجر الكلس والأحجار المتينة من الجبال. وشيدت شرفة".

يفتخر أسرحدون في نصه هذا بأن اثنين وعشرين ملكاً من ملوك سوريا الشمالية وفينيقيا وقبرص قاموا بنقل عوارض وألواح من الصنوبر والأرز الفواحة بالعطور الطيبة والأحجار والطابوق المشوي والرخام إلى نينوى. جلب أيضاً الذهب والفضة والنحاس والبرونز والحديد من البلدان التي كان قد فتحها، واستخدمها في تزيين عوارض ونوافذ وسقوف وملطات البلاط الملكي ولصنع تماثيل الحيوانات وثيران مجنحة لحماية القصر:

"في الشهر الملائم وفي اليوم المناسب، شيدت على هذه الأرض قصوراً فخمة لسكني الملكي.

إن المسكن الملكي الحالي يبلغ طوله 96 ذراعاً وعرضه 31 أيضاً، لم يتم تشييد مسكن مثله من قبل أسلافي.

وكسوت جدرانه بألواح الرخام وأكملت السقف بعوارض من أشجار الأرز.

بنيتُ أيضاً قصراً من الأحجار الجيرية والعاج ومن خشب الأرز والصنوبر والقيقب والتوت، لسكني الملكي ولاستمتاعي الطيب، وقمت بتشييده بطريقة فنية.

أبواب من خشب الأرز ذات الرائحة الزكية، كسيتها بالفضة والنحاس.

ثيران مجنحة وعملاقة من الحجر "اشنان" التي تبعد الشياطين وثيران مجنحة كبيرة

وأسود وكائنات حسنة مجنحة مصنوعة من الأحجار الكلسية، نصبتها على جانبي الأبواب... لعظمة آشور ربي.

والأعمال التي أنجزتها في البلدان المعادية، قمت بنقشها بشكل المنحوتات واعتنيت بزرع منتزه كبير مماثل لمنحدرات جبل أمانوس.

أنهيت العمل بالفرح والاغتباط تحت أصوات الموسيقى.

نبلاء وشعب بلدي، كلهم سوية،

دعوتهم إلى حفلة وإلى مأدبة وأجلستهم أمام مناضد مليئة بالأطباق الشهية وبالنبيذ..." 5

بعد إنجازه هذه الأعمال الباهرة، قدم أسرحدون لآلهة آشور القرابين والهبات والشكر. ولم يبخل بتطبيق الأعراف الآشورية، بدعوته كما فعل سابقاً آشور ناصربال، نبلاء وأبناء شعب بلده إلى وليمة كبرى أثناء الاحتفال بذكرى تشييد قصره الرائع.

2- أسرحدون وحاشيته

الحكيم أبا . إينليل . داري (أحيقار)

كانت العرافة تحتل مكانة كبيرة في حياة الآشوريين والبابليين. ترتكز على تأويل علامات السماء عن طريق وسائل متنوعة منها: علم التنجيم والتنظير (فحص رئتي وكبد الحيوان) وتفسير الأحلام وتفسير ظواهر الطبيعة.

ولم يكن هدفها الرئيس متمثلاً في تنبؤ أحداث المستقبل فقط، ولكنها كانت أيضاً نوعاً من الدراية المتيقظة. بدأت اعتباراً من القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وتطورت أكثر فأكثر وأنتجت مؤلفات هامة. كانوا يظنون أنه من الممكن إبعاد الفأل المشؤوم باللجوء إلى التعزيم وإقامة الصلوات والتعويذة.

وكانت حاشية أسرحدون الشهيرة مؤلفة من الإداريين والموظفين والكتاب، تحيط بعاهل يتقن القراءة ويجمع الألواح المسمارية ويهتم

بعلوم زمانه. لعب الأطباء والعرافون والمتنبؤون والمنجمون والعزّامون دورا هاماً في الحياة العامة. وكان الملك رمز البلاد، يلجأ إلى الاستفادة منهم في مكافحة العوامل الشريرة ولمساعدته على تفسير العلامات وسبر الأسرار واتخاذ القرارات الرسمية.

"أبا ـ إينليل ـ داري" أو أحيقار باللغة الآرامية، كان من أكثر العقلاء المعروفين في تلك الأمور. كان حكيماً (إيمانو) وعالماً يمتلك معارف خاصة، تجمع في نفس الوقت بين الحكمة والعلم. شغل هذا الحكيم والعارف منصب المستشار الأكبر للملك أسرحدون، ودبّر شؤون الدولة بحنكة مشهودة. ألف سفراً روى في صفحاته أعماله وقدم فيه أمثلة ووصايا مفيدة. وقد عرف هذا الكتاب نجاحاً كبيراً في الشرق الأدنى القديم.

يمكننا العثور على اسم أحيقار، تلك الشخصية التاريخية، في قائمة قديمة بأسماء مؤلفي بلاد الرافدين. وهناك نسخة من مصنف حمل عنوان *"حكمة أحيقار"* الذي يعود تاريخ تأليفه إلى العصر اليوناني القديم، تروي بأنه في زمن الملك أسرحدون كان أبا ـ إينهيل ـ داري حكيماً بين حاشيته، وهو الحكيم الذي أطلق عليه الآراميون اسم أحيقار، واسمه في اليونانية: نيكاركوز." 6

توسل أحيقار بدون جدوى من الآلهة أن تمنحه ولداً، ثم انتهى الأمر به إلى أن يتبنى ابن أخيه نادان. وقام عندئذ بتعليمه مهنة الكاتب وأغدق عليه وصايا الحكمة:

"عليك يابني ألا تكون من هؤلاء الذين يقول لهم سيدهم: اذهبْ من أمام وجهي، ولكن من هؤلاء الذين يقول لهم، اقتربْ وابق بالقرب مني." 7

كانت رغبة أحيقار الرئيسة، كبقية رجال العلم والأدب في تلك الفترة، أن ينال موقعاً مهماً في المملكة، بحيث يتيح له أن يأخذ مكانة هامة أمام الملك ورؤية وجهه المحبوب.

على أن أحيقار تعرض للحرمان من حقوقه والحكم عليه بالإعدام، بسبب المؤامرات التي حاكها منافسوه ضده ووشايات ابن اخته نادان الغدار. تمكن هذا الأخير من إقناع أسرحدون بأن مستشاره أحيقار كان يخونه لدى ملك مصر. لكن بعد فترة تمت تبرئة أحيقار وإعفاؤه من حكم الإعدام. فرجع مكرّماً في بلاط عاهله الذي استعاد بصيرته وعرف غلطته.

عندئذٍ كتب أحيقار والسعادة تملأ قلبه: "يا سيدي، الآن أرى وجهك، وللحال زال الألم مني."

أظهرت قصة أحيقار وأقاويله الحكيمة، أنه رجل يعرف الأسرار ويحل الألغاز. وهكذا استوحى منه كل من ديموقريطس و ايزوب وسفري طوبيا ودانيال من الكتاب المقدس وكتاب تلمود بابل.

وقد انتشرت نسخ عديدة من كتاب هذا المؤلف الحكيم الكبير. وبعد صدور الترجمة الآرامية، وعلى أساسها تمت ترجمات عديدة: وهي الأرمنية والرومانية والعربية والسلافية، جميعها مأخوذة من النسخة الآرامية.

اكتشفت بعثة ألمانية عام 1906 في "اليفانتين" الواقعة مقابل مدينة أسوان في أعالي مصر، مجموعة غزيرة من أوراق البردي المكتوبة باللغة الآرامية تحتوي على قسم من تاريخ وأحكام أحيقار.

ها هو مقطع منها يمدح بالحكمة:

"هناك شيئان جيدان،

وشيء آخر يثير إعجاب شمش (إله شمش):

عند احتساء النبيذ، يجب عليك مشاركته،

وعند امتلاك الحكمة، يجب مطابقتها،

وعند سماع الكلام، يجب عدم إفشائه.

هذا هو الشيء الذي يثير إعجاب شمش.

ولكن الشخص الذي يحتسي النبيذ

دون أن يشارك به الآخرين،
والذي تبقى حكمته بدون جدوى،
فهل يا ترى يُنظر إليهما؟
إن البشر محظوظون من قبل السماء،
إذ إن الحكمة تأتي من السماء.
إنّها قيّمة عند الآلهة، وهيبتها أبدية.
لأن مسكنها هو في السماوات،
نعم، رب القداسة هو الذي مجّدها." 8

هكذا كانت تعاليم هذا الرجل الحكيم الذي تعرض إلى الاتهام غير العادل والذي شاءت الأقدار أن يُعاد له اعتباره وتم تكريمه.

الملك البديل

كان أسرحدون يعاني من مرض مزمن، لأنه كان يُصاب بالحمى في بعض فترات حياته، ويتعرض إلى الضعف وعدم الثقة في نفسه وإلى الخشية والقلق من المستقبل إضافة إلى الوهم والكآبة. وقد لجأ من أجل علاج نفسه إلى خدمات الأطباء والعرافيين والمنجمين وطاردي الأرواح الشريرة.

وكان يعتقد – كما رعاياه – بأن كل مرض لا يمكن أن يأتي إلا بسبب ارتكاب خطأ تجاه الآلهة.

وفي يوم من الأيام، ولما كان بحاجة إلى الاطمئنان، سلمه أحد المتنبئين رسالة من الآلهة الكبيرة عشتار الأربيلية، وهي الآلهة التي كانت قد آزرته في بداية حكمه، خلال الحرب الأهلية، تقول الرسالة:

"أسرحدون، ملك البلدان، لا تخشَ شيئاً! أولم أقم بقطع أجنحة الريح التي هبت ضدك؟

سوف يتدحرج أعداؤك تحت قدميك، مثل التفاحات في شهر حزيران.

أنا الملكة الكبرى، أنا عشتار الأربيلية، تلك التي قلّبت أعداءك أمامك!

هل يا ترى وجهت لك رسالة، ولم تكن تثق بها؟

أنا عشتار الأربيلية. سأنتظر أعداءك وسأسلمهم لك.

أنا عشتار الأربيلية، سأسير أمامك وخلفك.

لا تخشَ شيئاً! سأكون تعيسة إذا تعرضت للأرهاط.

ها أنذا أبدأ بالهجوم، ابق أنت جالساً!

(كلام) من فم "عشتار ـ لا ـ تاشيات"، سيدة أربيل." 9

كلما كانت تظهر علامات مشؤومة راقبها المنجمون وكلما كان يحدث خسوف للقمر أو كسوف للشمس، كان أسرحدون يحس بعلامات المرض ويقلق. كانت الأفكار القاتمة تحاصر قلعة نفسه كما لو كان هناك جنود مصريون يحاصرونه.

فكان يختار ملكاً "بديلاً" يُتعوض عنه في تلك الفترة الخطرة، وكان هذا الأخير يأخذ على عاتقه خطورة التنبؤ بظواهر السماء والأرض. وينصّبه أسرحدون على العرش بدون أن يسمح له بممارسة السلطة ممارسة فعلية. وكان أسرحدون يحمل في تلك الفترة تسمية "المزارع" فيعيش عندئذ عيشة منزوية. وإذا استمرت في الظهور علامات الفأل المشؤومة مهددة الملك، حينذاك كان يحكم على الملك البديل بالموت، ويتم ذلك بعد مائة يوم، بغية إرضاء الآلهة. وهكذا، فقد احتل العرش دامقي، ابن معتمد مدينة أكد، وبعدما انتهت الحاجة منه، تم قتله هو وزوجته، وعرض جثمانهما أمام الجمهور الذي سكب الدموع عليهما ألماً وتم تقديم مراسيم دينية لهما.

وبعد ذلك، كان أسرحدون الملك الحقيقي، يعود إلى إدارة البلاد بقلب مطمئن بعد أن انتهى الخطر ومرت أيام الشر.

مارس أسرحدون سياسة جيدة بالرغم من صحته العليلة وقلقه الكبير، وكان يستعمل القوة والدبلوماسية على التناوب في إدارة البلاد، وكشفت الأحداث بأنه كان رجلاً إدارياً جيداً. بحث عن السلام في الداخل والاستقرار خارج إمبراطوريته. وأبرم عدة معاهدات مع الأمراء الخاضعين له مثل المعاهدة التي أبرمها مع ملك صور، "بعال" عام 676 الذي وافق على أن تخضع بلاده لمراقبة آشورية بما يخص تجارة مدينته، وكما هو حال ملك عيلام، أورتاكو عام 674.

استدعى الملك عام 672 في مدينة كالح داخل معبد نابو إله الكتابة كبار رجال بلاد آشور والأمراء الخاضعين له، بناء على إيحاء وإيعاز من الملكة زاكوتو والدته، التي كانت تمارس عليه تأثيراً كبيراً. كان هدف هذه الدعوة فرض قسَم الإخلاص عليهم لصالح ابنه آشور بانيبال، الذي عينه من بعده أميراً وريثاً على بلاد آشور، وأراد أن يكون ابنه الآخر شمش ـ شوم ـ أوكين، أميراً وريثاً على بلاد بابل. وكان أسرحدون متضايقاً جداً من الاضطرابات المأساوية والعنيفة التي حلت بوالده سنحاريب والتمرد الذي مارسه أخوته بحقه. فبحث عن حل يؤدي إلى تفادي حدوث مؤامرات بعد وفاته من قبل أفراد عائلته الملكية أو حصول تمرد أو ثورة في القصر أو في الجيش. وأراد تحقيق وراثة طبيعية بدون اضطرابات لابنيه رغبة منه بتثبيت وحدة الإمبراطورية حول الحاكم الشرعي.

قام الملك بتحرير ميثاق الإخلاص الذي احتوى على ديباجة، تعترف وتشهد لها آلهة النجوم والسماء. كما احتوى هذه الميثاق على تعيين آشور بانيبال أميراً كبيراً وريثاً على بلاد آشور. ويشمل القسم على خضوع الرعايا وعلى لعنة رسمية طويلة لكافة الأشخاص الذين ينكثون هذا الميثاق.

تُبلغ وتُعرف بنود هذا الميثاق بواسطة ألواح كبيرة تحتوي على أربعة أعمدة مهيأة للأمراء الخاضعين. وتم العثور عليها بشكل قطع متكسرة أثناء التنقيبات الأثرية التي جرت في معبد نابو في مدينة كالح، وهي محفوظة اليوم في متحف بغداد في العراق.

وحُفظ نص هذه الميثاق الطويل على ثمانية نسخ. هوذا مقطع منه باسم هماريش قائد مدينة ناهشيمارتي:

"ميثاق أسرحدون ملك العالم، ملك آشور ابن سنحاريب ملك العالم، ملك العالم وملك آشور مع همباريش قائد مدينة نابشيمارتي، وأولاده وأحفاده [...].

الميثاق الذي أبرمه أسرحدون ملك آشور معك، بحضور آلهة السماء والأرض الكبرى، لصالح آشوربانيبال الأمير العظيم الوريث، ابن أسرحدون ملك آشور سيدك، لقد عينه ونصبه أميراً وريثاً. عندما يغادر أسرحدون ملك آشور إلى مصيره، عندئذ تضع آشوربانيبال الأمير الوريث العظيم على العرش الملكي، ويمارس السلطة الملكية والسيادة على بلاد آشور وعليك. تقوم بحمايته في الأرياف والمدن، بحيث تقع وتموت من أجله. تتحدث معه بالحقيقة من كل قلبك. امنحه بإخلاص النصائح الحسنة وعبّد طريق خطواته.

لن تقوم بخلعه وجلوس شخص آخر من إخوته الأكبر أو الأصغر منه سنّاً، على عرش آشور في مكانه [...].

عليك أن تُحب آشور بانيبال الأمير الوريث الكبير ابن أسرحدون، كما تحبني." 10

أدى نبلاء آشور والملوك التابعين له هذا القسم أمام الملك وأمام الأميرين الوريثين أثناء احتفال شعائري جرى بحضرة تماثيل الآلهة. وأعلنوا التزامهم ببنود الميثاق والبقاء مخلصين إخلاصاً مطلقاً لآشور بانيبال سيدهم. وبخدمته بإخلاص وحمايته وإعلامه بأي خطر، كيلا يطالهم مصير سيئ.

ولم ينس أسرحدون أبناءه الآخرين الذين منحهم منازل وحدائق وتجهيزات وخيول وقطيع حيوانات.

في الواقع، إن ميثاق الوراثة هذا الذي عين آشور بانيبال أميراً وريثاً على بلاد آشور وعين شمش ـ شوم ـ أوكين أميراً وريثاً على بلاد بابل، أدى للأسف الشديد إلى تجزئة الإمبراطورية، وبرزت بذور التجزئة والحرب الأهلية في البلاد.

ولم يكن الميثاق شيئاً حسناً لبلاد آشور كما كتب ذلك أحد كبار الموظفين في رسالة وجهها إلى الملك قائلاً فيها: "لقد وضع سيدي الملك خطة رديئة، وأصبح واهناً...". وقد أعطته الأحداث التي حصلت فيما بعد الحق فيما قاله الموظف بعد بضع سنوات فقط.

نهاية أسرحدون

تردت صحة أسرحدون في نهاية سنة 670، إذ يذكر نص تاريخي يعود إلى العصر البابلي الحديث بأنه قد توفي في شهر تشرين الثاني سنة 669 بينما كان متوجهاً إلى مصر لمجابهة الفرعون "تارقا" الذي استعاد سيطرته على البلاد. لقد حكم الإمبراطورية الآشورية اثنتي عشرة سنة.

توفي أسرحدون المحارب الباسل الذي تنقل وحكم كسيد من المشرق حتى المغرب. وسّع بلاده أبعد من تخوم بلاد آشور، الملك المغرم بإنشاء معبد آشور وقصر نينوى. العاهل الماهر والذكي والمنتبه إلى علامات السماء والأرض والحكيم المتيقظ.

هوامش الفصل الخامس:

1- "الموشور أس للملك اسرحدون" ترجمة شيل (V. Scheil)، باريس 1913، ص 9-10

2- خلاصة من حوليات آشور بانيبال، أس موسكاتي (S. Moscati) (L'épopée des Phéniciens)، فايارد (Fayard)، باريس 1971، ص 43

3- "الموشور أس للملك أسرحدون" ترجمة شيل (V. Scheil)، باريس 1913، ص 13

4- بريتشارد (J. B. Pritchard)، (Abcient. Near Eastern Texts Relating to the Old Testament)، دار برنس تاون (Prncetown) N.J 1969 ص 293

5- انظر: موريس فيرا (Maurice Vieyra)، الآشوريون (Les Assyriens)، منشورات دي سوي(Seuil) ص 172-173

6- انظر: فرانسيس جوانيس (Francis Joanès)، قاموس حضارة بلاد الرافدين (Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne)، منشورات روبير لافونس، (Robert Laffon) ص 748

7- تاريخ وحكمة أحيقار الآشوري (Histoire et sagesse d'Ahiqar l'Assyrien)، (Berg International Editeurs)، الجزء الثالث، 42 و XXII, 1

8- دفاتر الإنجيل (Cahiers Evangile)، حكمة بلاد الرافدين (Sagesse de Mésopotamie)، ملحق لدفاتر الإنجيل، 85، باريس، éd du Cerf، ص 117

9- نبوءات ووسطاء روحيون (Prophéties et oracles I)، في الشرق الأدنى القديم (le Proche Orient Ancien)، كي

4210، ترجمة جيسوس أسرمندي و أليي (Jésus Assurmendi et alii)، ، منشورات سيرف (Cerf) ملحق دفتر الإنجيل، رقم 88، ص 1994

10- المعاهدات والقسم في الشرق الأدنى القديم (Traités et Serments dans le Proche-Orient ancien)، تقديم جاك بريند، منشورات سيرف (Cerf) ملحق دفتر الإنجيل، رقم 81، ص 67-83

الفصل السادس

آشور بانيبال البديع

في موقع نينوى يتربع تل قوينجق البالغ ارتفاعه ثلاثين متراً، بدأتُ بتسلقه في إحدى زياراتي بالرغم من أنه ملتحف بالأعشاب الكثيفة في فصل الربيع. هنا وفي هذا المكان، كانت أطلال القصر والمعابد وهي الأطلال التي اكتشفها علماء الآثار في القرن التاسع عشر. لقد تم إنشاء قصر آشور بانيبال الشهير في هذا المكان.

ترك آشور بانيبال الذي حكم من (669-627 قبل الميلاد) - وريث سلالة سرجون الثاني المهيبة - أثراً كبيراً في الإمبراطورية الآشورية في عصرها الحديث. هنا فوق هذا التل، يتحرك الماضي ويحيا من جديد مثل جندي قديم جاهز لاستئناف خدمته.

1- الملك المتعلم

تم تعيين آشور بانيبال وريثاً اعتباراً من عام 672 قبل الميلاد بعد اختفاء أخيه البكر، فعاش في بيت ريدوتي "بيت الوراثة". وكانت الملكة نقية زاقوتو قد نظمت ما يسمى بعادي adé (مراسيم أداء القسم) لصالح حفيدها الصغير آشور بانيبال قبل وفاة والده الملك أسرحدون، نظراً لخشيتها من حدوث حرب أهلية بعد وفاته. وعملت باهتمام

على أن يؤدي الأمراء وكبار المملكة وحكامها وكافة مواطني آشور قسم الولاء لحفيدها:

"معاهدة زاقوتو ملكة سنحاريب ملك آشور، والدة أسرحدون ملك آشور، مع شمش ـ شوم ـ أوكين أخيه وموازيه، ومع شمش ـ ميتو ـ أوباليت وباقي أخوته. ومع السلالة الملكية وكبار الدولة والحكام والمحظيين والخصيان والحاشية الملكية. وأيضاً مع المكرمين وكل من يشكل جزءاً من القصر، ومع الآشوريين الكبار والصغار [...]،

إذا سمعتم، اعتباراً من هذا اليوم، كلاماً رديئاً يدور حول ثورة أو تمرد ضد سيدكم آشور بانيبال ملك آشور، يجب عليكم أن تأتوا لتُخبروا بذلك زاقوتو أمه وآشور بانيبال ملك آشور سيدكم." [1]

والحقّ أنّ الملكة المسنة زاقوتو لعبت دوراً سياسياً هاماً في حياة المملكة.

وكما كان يأمل أسرحدون، تمت مراسيم التوريث بدون مصادمات. وتعلم آشور بانيبال الذي أشركه والده في ممارسة السلطة وهو بعد في عمر الشباب، في أداء الأعمال الإدارية التي أتاحت له لعب دور العاهل وتطبيق فن الحكم والاحتفالات. وهكذا صعد بسرعة إلى سدة الحكم في نهاية شهر تشرين الثاني من سنة 669 وتُوِّجَ ملكاً على بلاد آشور.

أمير متكامل

اعتقد آشور بانيبال، مثل ملك أور شولجي السومري الشهير الذي حكم في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، بأن الآلهة وهبته إدراكاً واسعاً ونال تربية عالية.

يقدم نفسه قائلاً:

"لقد منحني الإله مردوك، الإله الحكيم بين الآلهة، موهبة تمثلت في إدراك واسع وفكر خارق. وقد قدم لي الإله نابو كاتب الكون، هدية

تمثلت في نصائح الحكمة. ومنح الإلهان نينورتا ونيركال لجسدي قدرة فائقة وقوة بدنية لا مثيل لها (...) أعرف علامات السماء والأرض. وأنا قادر على النقاش في محفل العلماء. " 2

تتوفر كتابات ملكية وحوليات وأناشيد إضافة إلى العديد من الرسائل التي تعطينا فكرة عن التربية التي تمتع بها آشور بانيبال. إن مراسلات نابو ـ آحي ـ إريبا، الكاتب الذي أصبح منجماً مشهوراً في بلاط الملك أسرحدون، يذكر الدروس التي تعلمها آشور بانيبال: الكتابة والقراءة والرياضيات وطرد الأرواح الشريرة والتنجيم. وتعلم أيضاً كيف يحل المشاكل المعقدة في موضوع القسمة والضرب. وكان يستمتع لسماع دروس المنجم المشهور "بالاسي"، الذي عُين لخدمته.

يفتخر آشور بانيبال بكونه يتقن قراءة الألواح النفيسة المكتوبة باللغتين السومرية والأكّادية ويتمتع بحل رموز "الكتابات المنقوشة" على الحجر التي يعود تاريخها إلى ما قبل للطوفان. لقد مدح بعض أفراد حاشية الملك مثل رئيس الكتاب عشتار ـ شوما ـ إيريش ذكاءه وثقافته.

ويروي آشور بانيبال في وثيقة أخرى، (موشور محفوظ في متحف اللوفر)، كيف حصل على التربية في الرياضة البدنية المفيدة لكل أمير، والتي أدت إلى تنمية قوته البدنية وبراعته وشجاعته:

"تعلمت فن الرمي بالقوس وامتطاء الخيل وقيادة العربة. ولم يتمكن أي ملك بين البشر ولا أي أسد من بين الحيوانات المتوحشة بأن يتعاظم أمام قوسي. أعرف ممارسة القتال والمعارك وقد حصلت على علم (فن) التدريب على القتال والاشتباك. " 3

ويظهر آشور بانيبال في إحدى اللوحات في قصر نينوى ماسكاً في يده القوس وحاملاً في حزامه قصبة الكتابة.

كان صياداً محنكاً يصيد من فوق عربته أو على قدميه، وهكذا كان يسيطر على الأسود ومختلف أنواع الحيوانات المتوحشة إضافة إلى قدرته في التغلب على أعدائه.

بقيت اللوحات التي تعرض آشور بانيبال وهو يمارس فن الصيد مشهورة في بلاد آشور، لأنها تبين كيف يقوم الملك باستعمال السهم ومداولة الحربة أو السيف وممارسة فن القتال والظفر على الأسود. وتعرض إحدى اللوحات الملك وهو واقف أمام هيكل يمارس شعائر التكريم فوق جثة ملك الحيوانات. وقد نقش فنانون ماهرون هذه اللوحات لتزيين القصر الملكي بها، وعرفوا بإحساسهم المرهف كيف ينحتون الأسود بطريقة فنية وأيضاً الخيول والكلاب والغزلان والخنازير البرية.

ألم يظهر آشور بانيبال راكباً دوماً على حصانه أو على عربته وهو يرمي قوسه ويمارس صيد الأسد، إنه عاهل جسور وباسل؟

مكتبة آشور بانيبال

بدون شك، يعود تاريخ تكوين المكتبات الملكية إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. فقد جلب توكولتي نينورتا (1244 – 1208 قبل الميلاد)، أثناء حملة كبرى شنها ضدّ البابليين، ألواحاً إلى بلاد آشور واستحوذ على المؤلفات القديمة التي كان قد نسخها الكتاب بعناية تامة .وأيضاً سنحاريب بعد تدمير بابل عام 689، قام بإغراء المثقفين بالمجيء إلى نينوى. ولا ننسَ ابنه أسرحدون الذي كان يعاني من وهن صحته، حيث جمع في عاصمته ألواحاً تحتوي على معاهدات وشعائر دينية.

وحول مكتبة آشور بانيبال، في بادئ الأمر تم اكتشاف مكتبته التي كانت تمثل نموذجاً، من قبل الرحالة ومنقب الآثار البريطاني المعروف هنري لايارد Henri Layard عام 1849 ، وجدها في قصر الجنوب الغربي لمدينة نينوى. وفي عام 1853، عثر المسيحي الكلداني هرمز رسام أخو القنصل المساعد لإنكلترا في الموصل الذي كان

قد التحق بفريق عالم الآثار لايارد، على ألواح أخرى في القصر الشمالي. وفي عام 1927 تمت اكتشافات أخرى من قبل المنقب كامبيل Campbell عندما كان ينقب عن الآثار في معبد الإله نابو، إله الكتبة والكتابة.

كانت مكتبة آشور بانيبال تحتوي على أكثر من 30000 لوحٍ وقطع ألواح مصنفة في أغلب الأحيان، وكانت هذه الألواح تشكل جزءاً هاماً من المكتبة الأصلية. وهي تتضمن رسائل ونصوصاً لاهوتية وإدارية وقانونية وأدبية مثل ملحمة جلجامش وملحمة الخلق وغيرها من النصوص التي تتطرق إلى شعائر دينية وصلوات وممارسات للسحر والتنجيم والفأل.

كما توفرت فيها ألواح، من الممكن أن تكون واردة من المكتبات الخاصة التي أنشأها بعض رجال الأدب في تلك الفترة مثل الكاتب "نابو ـ زكوب ـ كينا" في مدينة كالح أو من أخ الملك أو من مكتبات كهنة بلاد آشور. ووُجدت فيها ألواح قد تم اقتراضها أو منحها أو الاستيلاء عليها في بابل، وهي الألواح التي ربما تم الاستحواذ عليها بعد تمرد الملك شمش ـ شوم ـ أوكين ضد أخيه آشوربانيبال أو بعد الحرب التي تلت ذلك التمرد والتي استمرت من عام 652 إلى 648.

أعطى الملك آشور بانيبال تعليمات في رسالة موجهة إلى أحد موظفي بورسيبا المدينة الواقعة في جنوب بابل، نصت على جمع أكبر عدد ممكن من الألواح، حيث يقول:

"ابحثْ عن جميع الألواح ولا سيما الموجودة في بيوتهم (المثقفين) إضافة إلى كافة الألواح الموضوعة في أزيدا (معبد نابو إله الكتابة): ألواح تعويذات الملك...

ومن ناحية أخرى، اجمعوا لي الألواح النادرة المعروفة من عندكم وغير المتوفرة في بلاد آشور وأرسلوها إلي. لقد كتبت إلى المفوض والمراقب، كيلا يرفض أي شخص إعطاءكم الألواح المطلوبة من أي

منزل تدخلونه. وإذا وجدتم لوحاً عن الشعائر الدينية أو ألواحاً أخرى قد ترونها مفيدة للقصر، خذوها وأرسلوها لي، وإن لم أكن قد ذكرتها في رسالتي."[4]

تمكن آشور بانيبال بتكوين مكتبته الواسعة بعناية خاصة. وطلب من كتابه أن يقوموا بنسخ نصوص عديدة على ألواح من الصلصال، وأحياناً على أوراق البردي وعلى قطع من الخشب أو العاج المغطى بالشمع وعلى وسائل غير صلبة تعرضت اليوم إلى التلف.

هكذا ساهم الكتبة والناسخون بنقش الألواح والمحافظة على التراث الثقافي لبلاد سومر وأكد وبابل.

أتاحت المكتبة الملكية بجمع معارف ذاك العصر بمختلف فروعها؛ الطب وعلم الفلك والرياضيات والتنجيم، ولكن لم يكن لديها أي هدف موسوعي بالمعنى العصري. لقد كانت موضوعة تحت تصرف الأطباء والمنجمين والناسخين والمرتلين العاملين في القصر والعرّافين وطاردي الأرواح الشريرة لمساعدتهم على إنجاز المهام الموكلة إليهم.

كان عمل هؤلاء المثقفين الأتقياء يتمثل في المحافظة عليها والعناية بالأمور الدينية الخاصة بالملك وعائلته وبالدولة، وحمايتهم من الأخطاء ومن سوء الحظ والأمراض. في بداية الأمر، لم يكن الأمر يتعلق بالنسبة لهم وبالنسبة للملك في إرواء عطشهم المعرفي، بل كان هدفهم الرئيسُ النجاح والحكمة والاتزان في الحياة اليومية.

لم يكن أبناء بلاد الرافدين مثل اليونانيين الذين كانوا يهدفون إلى "إدراك ومعرفة" الأرض التي يعيشون فوقها واكتشاف قوانينها الفيزيائية وتنظيم نتائج اكتشافاتهم بصورة عقلانية ومنهجية. أما الرافديون فكانوا يبغون مراقبة العالم والتمعن بأسراره والتأمل بأموره الغريبة واحترامها. وكانوا يؤكدون على مراقبة الأحداث بدلاً من

التطرق إلى ماهيتها، لقد اعتنوا بالفنون وبالحكمة العملية أكثر من عنايتهم بالعلم المجرد.

يصرح كاتب رافدي في جانب من لوحه، يحمل نصاً صغيراً في خاتمة.

يقول:

"كتبتُ الألواح، بهدف تحقيق وجمع حكمة الإله "إيا "(إله الحكمة، وربّ طاردي الأرواح الشريرة والسحر)، الخاصة بعلم التعويذ وأسرار الحكماء، التي تؤدي إلى تهدئة قلب الآلهة الكبرى، وفق النسخ المستعملة في بلاد آشور. ولقد أودعتها في مكتبة "أزيدا"، معبد الإله "نابو" سيدي، داخل مدينة نينوى. " 5

وبقايا هذه المكتبة الشهيرة موجودة اليوم في المتحف البريطاني الذي يحتفظ بها منذ اكتشافها.

أنهى آشور بانيبال خلال مدة حكمه الطويلة تجديد المعابد في بابل التي كان والده قد بدأ بتعميرها.

هناك مسلة (في المتحف البريطاني) يعود تاريخها إلى سنة 600 تُظهر آشور بانيبال وهو يحمل سلة مليئة بالطابوق وتتطرق الكتابة المنحوتة عليها باللغة الأكّادية إلى إعادة تعمير "الإيساجيل "معبد إله مردوخ في بابل.

واصلَ آشور بانيبال أعمال تجميل مدينة نينوى. وقام بإعادة تعمير قصر الشمال الواسع والواقع في تل قوينجيق، اعتباراً من عام 646 وزيّن جدرانه بالألواح المحفورة والمنقوشة مثل لوحات صيد الأسد المشهورة.

ولم يهمل القيام بتصليح وتشييد معابد عديدة في بلاد آشور ومدينة آشور نفسها وفي أربيل وحاران.

2- حروب وفتوحات آشور بانيبال

فتح مصر الوقتي

كان اهتمام آشور بانيبال بالحرب أقل من اهتمام أسلافه من الملوك الآخرين. وحتى وإن كان قد ذكر في حولياته التي كتبها بصيغة المتكلم بأنه كان يقوم بإدارتها الفعلية عند نشوبها، فإنه غالباً ما كان يترك لقواده مسؤولية قيادة حملاته العسكرية. وتعرف حملاته بفضل موشور التأسيس الذي يحمل اسم الحرف ألفاء، (الوثيقة المطمورة تحت جدران القصر لتأمين الحماية) المنقوش بكتابات. تمكن منقبو آثار نينوى من استخراجه (في متحف اللوفر الآن)، ويروي هذا الموشور سير الحملات الأولى ضد مصر وصور وبلاد عيلام، ويتطرق إلى تشييد قصر نينوى.

واصل آشور بانيبال سياسة والده فيما يتعلق بالسيطرة على مصر. غادر "ترتارو" قائد جيشه لمواجهة الفرعون "تارقو" (690-644 قبل الميلاد) وتعرض هذ الأخير إلى الهزيمة في "كاربانياتي" وهرب إلى أعالي مصر. وفي الوقت نفسه، قرر أمراء الدلتا الكبار الذين انضموا إلى تارقو التمرد على الآشوريين، لكنهم وقعوا في الأسر وتم إعدامهم أو نفيهم إلى بلاد آشور.

توفي تارقو في المهجر، وعاد فرعون الذي أتى بعده المدعو "تانوتامون" (664-657) إلى مدينة طيبة وقام بمحاصرة الحامية العسكرية الآشورية في مدينة ممفس قاعدتهم عام 664. عندئذ أرسل آشور بانيبال جيشاً إلى مصر، فتمكن من استعادة مدينة ممفيس المصرية وتقدم نحو مدينة طيبة الفاخرة واستولى عليها ونهبها. واستحوذ الآشوريون على الذهب والفضة والأحجار الكريمة وكافة الأموال والكنوز التي لا يمكن تصور قيمتها الكبيرة وأيضاً الملابس

المطرزة وثياب الكتان. كما أنهم حملوا معهم مسلتين معمولتين من الذهب والفضة بلغ وزن كل منهما 37 طناً، وجلبوا هذه الغنيمة الهامة إلى نينوى بعد انتصارهم على قوات فرعون مصر.

انسحب آشور بانيبال من مصر بعد بضع سنوات من هاتين الحملتين، نظراً لبعدها الكبير عن بلاده وصعوبة إدارتها نتيجة تباعدها عن حكمه، لكن بقي ملوك هذا البلد خاضعين إلى بلاد آشور وكانوا يؤدون قسم الولاء له.

الاستيلاء على صور في فينيقيا

شن آشور بانيبال سنة 662 حملة ثالثة ضد صور في بلاد فينيقيا وهي الحملة التي قام بإدارتها شخصياً، إذ قام الملك "باعال" بالتمرد في مدينته المشيدة على جزيرة، والمشهورة بصعوبة اختراقها. لكن الآشوريين قاموا باختراقها وأجبروا الملك على الاستسلام. يتباهى الملك به ويشرح:

"خلال حملتي الثالثة، توجهتُ ضد "باعال" ملك صور المدينة الواقعة داخل البحر. لم يتقيد هذا الملك بالأمر الملكي ولم يُطع كلامي. قمت عندئذ ببناء تحصينات ضده وقطعت سبل مواصلاته عن طريق البرّ والبحر. وقهرت شعوبه وجعلت حياتهم بائسة. وأخضعتهم إلى سلطتي." 6

رغم ذلك، تصرف آشور بانيبال تجاه باعال ملك صور بنوع من التسامح لأنه كان راغباً في الاحتفاظ بالملك الفينيقي الذي خضع له.

قصة رأس

بعدئذ، شن آشور بانيبال حملة في الجنوب الشرقي من بلاد آشور ضد بلاد عيلام، المملكة القوية الواقعة في منطقة خوزستان الحالية، والتي كانت تشكل دولة معادية له منذ مدة طويلة.

وكان ملك عيلام المدعو "أورتاكو"، قد شن هجوماً عام 664 على شمال بابل. وحدث تمرد في قصر عيلام أدى إلى خلع أورتاكو عن العرش وأوتي بـ "تيومان" إلى السلطة بدلاً منه، والذي كان منافساً للسلالة الحاكمة. لجأ حينذاك أمراء عائلة أورتاكو إلى مدينة نينوى، فطلب تيومان من آشور بانيبال تسليم أفراد العائلة إليه، لكن عاهل نينوى رفض طلبه. دخل عندئذ ملك عيلام في حرب ضد الآشوريين بمساعدة "بيل ـ إيقيشا"، زعيم القبيلة الآرامية جومبولو. أصيب تيومان الذي كان يرتدي ملابسَ غنية أثناء معركة تل ـ توبا عام 653 قبل الميلاد، وجُرح نتيجة إصابته بسهم وسقط من عربته. دارت المعركة على ضفاف نهر أولاي الواقع في الجنوب الغربي من دولة عيلام. وتم بعدئذ قتله مع ابنه في هذه المعركة.

منحت هذه الحملة وهذا الانتصار دولة عيلام صدىً كبيراً في بلاد آشور، وعُرفت عبر عدة كتابات ملكية وألواح ولوحات رائعة منقوشة بالحفر التي روت قصصاً مدهشة عن المعارك التي زينت قصر الشمال في مدينة نينوى.

وتُظهر إحدى هذه اللوحات المنقوشة والمحفوظة اليوم في متحف اللوفر آشور بانيبال واقفاً على عربته يقود هذه الحملة ويوجه العمليات العسكرية. لكن الحقيقة، أنه لم يشترك شخصياً في هذه المعركة التي انطلقت بالتأكيد، بناء على رغبته وبمبادرة منه.

وبعد النصر، تم جلب رأس تيومان، ملك بلاد عيلام بسرعة عن طريق ساعي، وتم عرضه في نينوى كرمز للأنباء السارة وغنيمة للانتصار.

قام آشور بانيبال على مشارف باب نينوى الكبير، بتعليق رأس تيومان بعنق دونانو أحد رجاله الكبار، لكي يبين لكافة الناس قوة أرباب آشور وعشتار، ثم دخل إلى نينوى بأبهة منتصراً وسار في شوارعها أمام السكان الفرحين. وعزف الموسيقيون ابتهاجاً بهذا النصر.

ويمكن رؤية رأس ملك عيلام في إحدى اللوحات المنقوشة الشهيرة 7 الواردة من قصر الشمال في نينوى (اليوم في المتحف البريطاني). تلوح تلك اللوحة إلى يوم حار من أيام نينوى، وهوذا آشور بانيبال يستعيد علاقته بالطبيعة، وهو شبه راقد على فراش الراحة في حديقة فواحة تحيط بها أشجار النخيل والصنوبر. إنه يستريح تحت كرم ويحتسي شراباً من كأس معدني برفقة الملكة "آشور ـ شورات" الجالسة على دكة عالية، يحتفل بنصره على تيومان العدو الشرير الذي تم تعليق رأسه المقطوع على غصن شجرة. ويبدو في اللوحة آشوربانيبال ملكاً عادلاً وجيداً لأنه يمثل أداة العدالة الإلهية على الأرض، ولأن قوى الشر المعادية قد خضعت للهزيمة في نهاية الأمر. وهكذا استعاد النظام الكوني اطمئنانه وانبثق عهد جديد شبيه بمأدبة وحفلة موسيقية صيفية.

وفي ذلك الموقف يجلب الخدم عندئذ الأطباق الشهية ويعزف الموسيقيون بالقيثارات والأدوات الموسيقية الأخرى للاحتفال بنجاح عاهلهم في إحراز النصر. ويتم بعد ذلك تنصيب ابن من أبناء "أورتاكو" ملك بلاد عيلام السابق، ملكاً على عرش عيلام ليكلّل فصلاً من فصول انتصارات آشور بانيبال.

حرب أهلية قاسية

ينتظر أخو آشور بانيبال المدعو شمش ـ شوم ـ أوكين، سنة كاملة قبل أن يتبوأ عرش بابل، حيث تم تتويجه ملكاً في بداية سنة 668. وفي شهر أيار، أُعيدتْ أخيراً تماثيل الآلهة التي جُلبت إلى بلاد آشور من قبل سنحاريب والتي تعرضت إلى الإبعاد ولإقصاء عن موقعها بما في ذلك تمثال مردوك، فأخذت مكانها الطبيعي في بابل. وعندئذ

أصبح بإمكان الجميع الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة، الذي رجع العلاقة بين البشر والآلهة وأعاد التناغم إلى العالم.

حكم شمش ـ شوم ـ أوكين بابل، مدة بلغت خمسة عشر عاماً، ولكنه لم يتمتع بقدرة دبلوماسية أو عسكرية كبيرة، وبقي تأثيره محدوداً في الجزء الشمالي من بابل.

حاول تدريجياً أن يتخلص من وصاية أخيه آشور بانيبال الذي كان يتدخل في شؤونه الداخلية. تقرب إلى الأحزاب المعادية لبلاد آشور، وهم: العيلاميون وعرب الصحراء السورية والكلدانيون لبلاد البحر والعشائر الآرامية ومدن شمال بابل. مما أدّى إلى حدوث تمرد.

وكان يتوفر لدى آشور بانيبال عدد من المُخبرين المؤهلين، فيطلع على كامل ما يحدث في المنطقة، لذا أرسل رسالة إلى البابليين محذّراً إياهم من حدوث مثل هذا التمرد:

"كلام من الملك (آشور بانيبال) إلى سكان بابل: "أنا بخير. وآمل أن يكون كل شيء حسناً لكم أيضاً. لقد سمعت حديثاً عن آراء جوفاء أطلقها أخي (شمش ـ شوم ـ أوكين) أمامكم، واطلعت على كل ما قاله لكم، وهي ليست إلا ريحاً! فلا تصدقوه!" 8

واستمر الملك بتوجيه خطابه وهو يقسم بآلهة آشور وبابل الكبرى، معلناً أنه لم يحمل أبداً في قلبه نوايا شريرة تجاههم ولم يطلق ما يشبه ذلك. والواقع، أراد أن يبين للبابليين أن أخاه لم يبحث إلا عن شيء واحد، ألا وهو إطلاق الأقاويل المضللة وتشويه سمعة بابل.

وأخيراً انفجرت الحرب الأهلية عام 651 وأقام الآشوريون في شهري تموز وآب عام 650 الحصار أمام بابل بعدما شنوا عليها عمليات عسكرية مختلفة. وبقي شمش ـ شوم ـ أوكين مُحاصراً مع مناصريه داخل المدينة حيث انتشر الجوع والأسى في ربوع البلاد.

وتمكن الآشوريون في نهاية سنة 649 من إعادة فتح المنطقة الواقعة في جنوب بابل. ويروي لوح تم العثور عليه في نينوى (اليوم في المتحف

البريطاني) بأن القبائل الكلدانية في ضفاف الخليج التي كانت قد ساندت في بداية شمش ـ شوم ـ أوكين، التحقت أخيراً بآشور بانيبال وأقسمت بأن تكون خاضعة ومخلصة له:

"القسم ... بآلهة (آلهة آشور وبابل) و(بجميع) الآلهة الكبرى في السماء والأرض.

واعتباراً من هذا اليوم (وطالما بقينا على قيد الحياة، سوف نكون رعايا آشور بانيبال، ملك آشور)، وأن آشور بانيبال ملك آشور، سيكون ملكنا وسيدنا وسوف نكون مخلصين له إخلاصاً كاملاً. إن سيدنا هو ملك بلاد آشور.

لن نكتم أو نخفي (أية رسالة) أو مبعوث أرسله شمش ـ شوم ـ أوكين ملك بابل[...] أو التي تصلنا من أبناء شمش ـ شوم ـ أوكين أو من عدو آشور بانيبال ملك آشور سيدنا، وسنعلم بذلك آشور بانيبال ملك آشور، سيدنا.

أمّا الجرائم التي ارتكبناها بسبب شمش ـ شوم ـ أوكين ضد آشور بانيبال ملك آشور، سيدنا، فقد صفح عنها آشور بانيبال ملك آشور، سيدنا." 9

وسقطت بابل عام 648 بعد حصار طويل ورهيب. ولقي شمش ـ شوم ـ أوكين مصيره في حريق نشب فيها. وأدت وفاته إلى ولادة أسطورة "ساردانابال"، ذلك العاهل الضعيف والماجن الذي تشير الأسطورة إلى انتحاره، وتكلم عن ذاك الحدث كتّاب إغريقيون مثل تزيتياس و ديودوروس الصقلي. يشاهد المرء لوحة الرسام أيوجين دي لاكروا (في متحف اللوفر) التي تعرض بصورة دراماتيكية قوية، ملك بابل مسترخياً على سرير بلون أرجواني، ذلك اللون الذي يرمز إلى اللهب، وسط عشيقاته وثرواته.

اقتاد مناصرو شمش ـ شوم ـ أوكين إلى بلاد آشور، وقتلهم في المعبد الذي قتل فيه سنحاريب الملك.

وكان على البابليين أن يؤدوا قسم الولاء إلى آشور بانيبال، وتم تنصيب الموالي "كاندالانو"، نائبا للملك على عرش بابل.

تدمير سوسة عاصمة عيلام

بذل آشور بانيبال أثناء قيامه بالحملات الكبيرة، جهداً لمعاقبة حلفاء شمش ـ شوم ـ أوكين، ومنهم العرب والعيلاميين الذين ساندوا التمرد البابلي. وكان ملك سوسة الأخير "أومانالداش"، قد خسر المعركة ضد القوات الآشورية، فترك عرشه وهرب عارياً باتجاه الجبل. وتم القبض على عائلته وكبار الشخصيات المؤيدة له واقتيدوا إلى الأسر.

وفي فصل الخريف من سنة 646 دخلت قوات القائد الآشوري "بيلي ـ ابني" مدينة سوسة وقامت بنهبها. لقد حرر كاتب قصة طويلة تروي وقائع هذه الأحداث، إنّها منقوشة على موشور تأسيسي (يحمل الحرف ألفاء) عائداً لآشور بانيبال، ومحررة بصيغة المتكلم. وقد صرّح آشور بانيبال بأسلوب الحوليات عبارات تشير إلى سعادته بوضع حد لتمرد أعدائه: " لقد دخلت إلى القصور وسكنت فيها بابتهاج".

استحوذ الملك على ثروات سومر وأكد وكاراندونياش (بابل) التي كان ملوك عيلام السابقين قد نهبوها عدة مرات واستولوا على غنائمها. وخاصة تمثال الآلهة "نانا"، الذي نُهب في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وبقي في بلاد عيلام وجلبه ملك آشور إلى معبد "إيانا" في أوروك.

يستمر الموشور الفخاري بعرض تفاصيل هذه الأحداث:

"دمرتُ البرج ذي الطوابق لمعبد سوسة الذي كان مبنياً بالطابوق المزجج. كما كسّرت قببه المعمولة على شكل قرون والمصنوعة من البرونز البراق... وجلبت معي اثنين وثلاثين تمثالاً لمختلف الملوك،

تماثيل ذهبية وفضية وبرونزية ورخامية، إضافة إلى تماثيل ضخمة لحراسة المعبد والثيران التي كانت عند الأبواب، لقد أخذت كل شيء. دمرت معابد عيلام تدميراً كاملاً وقضيت عليها قضاء تاماً، ثم شتّت آلهتها باتجاه الرياح الأربع. ودخل جنودي الجنائن المقدسة التي كان من غير المكن عبور حدودها والتي لم يكن مسموحاً لأي غريب أن يدخل إليها أبداً، فعرفوا أسرارها وحرقوها. ودُمرت أضرحة ملوكهم السابقين واللاحقين، الذين لم يخشوا آشور وعشتار ساداتي واستهزؤوا بآبائي، وقمت بتحطيمها وجعلتها خاوية مفتوحة للشمس.

وأخذت عظامهم إلى بلاد آشور تاركاً ظلهم إلى الأبد دون راحة، حارماً إياهم القرابين الجنائزية من الأغذية والماء" 10

بابتهاج كبير، جمع الجنود الآشوريون في مدينة سوسة خلال أكثر من شهر غنيمة طائلة، تمثلت في الأسلحة والشارات الملكية والأثاث والأطباق وأطقم المجوهرات والخيول والبغال. ونشروا الملح والزوان في الريف.

إن تدمير سوسة كان أمراً طبيعياً، وفق رؤية الشرق الأوسط القديم لأن حلقة الزمن الدائرة لمملكة سوسة كانت قد وصلت إلى أجلها، ولأن المدينة كانت قد تعرضت في جزء كبير منها إلى الدمار. إلا أنها تمكنت من النهوض ثانية من تحت أنقاض رمادها.

اختارها الملك الأخميني داريوش الأول (521 ـ 486 قبل الميلاد) عاصمة لحكمه واستعادت تألقها ثانية بكافة أنوارها.

متعة العيش والحياة

كان أبناء بلاد الرافدين يعتقدون بأن الزمن الأفقي مرهون بالزمن الدائري. وبإرادة صلبة، كانوا يستجوبون الماضي الذي عاش فيه أبطال مثل جلجامش ملك أوروك 11 المشهور وأيضاً الملوك الذين تركوا وراءهم آثاراً رائعة من الأعمال والمنجزات البطولية، لشرح

حاضرهم وتفسير مساراته. أجل، كانت صاحبة الحانة سيدوري قد نصحت جلجامش عندما التقى بها على ضفاف البحر، بأن يترك بحثه غير المجدي عن الخلود، وأشارت إليه بأن يملأ جوف بطنه بما لذ وطاب، وإقامة الاحتفال يومياً، وضم زوجته وأولاده إلى صدره، وأن يسلك حياة حافلة وغنية.

عندما شن الحملة الأخيرة ضد بلاد عيلام، سمع أحد الكهنة في حلمه آشور بانيبال وهو يتحاور مع الآلهة عشتار الأربيلية. إذ قالت له إنها تحرص على إدامة سلام الإمبراطورية وأوصته بأن يتمتع بالحياة وأن يأكل خبزه ويحتسي جعته وأن يكون سعيدا وأن ينشر السعادة على شعبه، لأن الكلام الحسن يخرج من شفتيه ولأنه يقوم بإشباع بطونهم وآذانهم.

لا بد أنّ آشور بانيبال قد شعر بالمتعة عند قراءة ملحمة جلجامش البطل الشهير، وربما طلب من كتّابه بوضعها مع نصوص أدبية أخرى على رفوف مكتبته. إن الوصايا الطيبة للآلهة عشتار التي علمته فيها فن السعادة، قد ذكّرته بالدرس المليء حكمةً لحافظة النبيذ سيدوري. بالتأكيد كان معروفاً منذ الألفية الثالثة في بلاد الرافدين، أن الواجب المفروض على الملوك رعاة شعوبهم يكمن في تحسين شروط حياة شعوبهم وتطوير ازدهار البلد وأن يبذلوا كل جهد لتحقيق ذلك.

نهاية حياة غير معروفة إلا قليلاً

كانت حياة آشور بانيبال معروفة إلى حد ما، لأن الكتابات التي وصلتنا عنه تروي أعماله إلى عام 639. ونعلم من بعض المصادر بأنه منذ عام 653 ، كان الملك يقيم مراراً في مدينة أربيل.

لقد تمتع الملك بخبرة واسعة في معرفة "العالم" الذي كان يجثي تحت نفوذه وسلطته. لقد تقدّم في السِنّ وبلغ الشيخوخة، وبدأ

يشعر أحياناً بالقلق. فهل كان يفكر بواقع الأمراء والبشر الهش رغم ظهورهم أقوياء، لان الجميع يسير نحو نهاية حتمية؟ أو هل كان يتأمل بتفاهة الأشياء، وبانعدام الأمل بما وراء الحياة ؟ ذكر آشور بانيبال في إحدى صلواته أمام الإله بحسن تصرفه تجاه الآخرين متضرعاً له وهو يقول: "لقد أنجزت أعمالاً حسنة للآلهة وللبشر وأيضاً للأموات كما للأحياء!".

سنة 630 ، سلم آشور بانيبال بعد حكم طويل دام حوالي أربعين عاماً، السلطة لابنه آشور ـ إيتيل ـ إيلاني. وغادر الحياة عام 627 قبل الميلاد.

وهكذا ترك آشور بانيبال القائد الاستراتيجي الكبير إمبراطورية آشورية واسعة. مدّ قوس حكمه القوي الذي سلمه له الإله آشور من البحر العالي والبحر الأبيض المتوسط إلى البحر المنخفض والخليج. فشملت إمبراطوريته حينذاك بلاد الرافدين وسوريا وجزءاً من مصر وبلاد الأناضول وعيلام. لكن بقي البابليون مليئين بالحقد عليه بعد الحرب الطويلة التي خاضها مع ملكهم شمش ـ شوم ـ أوكين.

هوامش الفصل السادس:

1- المعاهدات والقسم في الشرق الادنى القديم (Traités et Serments dans le Proche-Orient ancien)، تقديم جاك بريند، منشورات سيرف (Cerf) ملحق دفتر الإنجيل، رقم 81، ص 83-84

2- ماكسيميليان ستريك (Maximilien Streck)، (Assurbanipal und die letzten assyrischen König bis zum Untergange Niniveh's,)، لا يبزج ، جي سي هنريك، 1916، مقطع مذكور في كتاب غراند بيار، "تاريخ بلاد الرافدين" ، منشورات غاليمارد Gallimard، 2010، ص 160

3- انظر: جان ماري أينارد (Jeanne-marieAynard)، منشور متحف اللوفر(Le Prisme du Louvre)، باريس، شامبيون، 1957، ص 30

4- ترجمة دومينيك شاربان (Dominque Charpin)، الأستاذة في جامعة باريس 1

5- نفس المرجع أعلاه

6- مقطع من حوليات آشور بانيبال ، موسكاتي (S. Moscati) (L'épopée des Phéniciens)، منشورات فايارد (Fayard)، باريس 1971، ص 45-46

7- الوليمة تحت المسند

8- فرانسيس جوانيس (Francis Joanès)، الأستاذ في جامعة باريس الثامنة

9- المعاهدات والقسم في الشرق الادنى القديم (Traités et Serments dans le Proche-Orient ancien)، تقديم جاك

بريند، منشورات سيرف (Cerf) ملحق دفتر الإنجيل، رقم 81، ص 86-85

10= انظر: كونتنو (G. Contenau)، الحياة اليومية في بابل وفي آشور (La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie)، دار النشر هاشيت (Hachette) 1950، ص 162

11= حكم جلجامش حوالي سنة 2650 قبل الميلاد

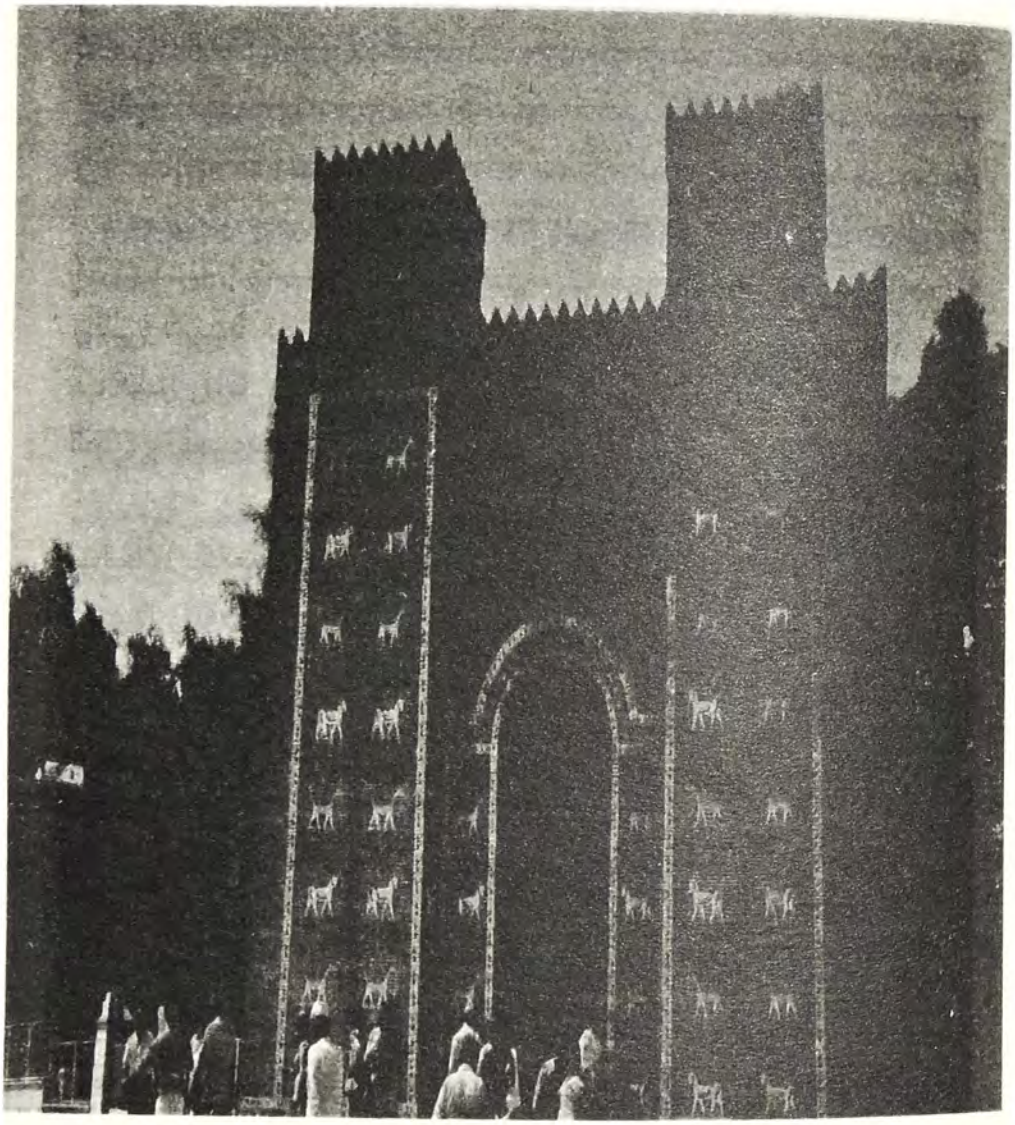

الفصل السابع

نبوخذ نصر ملك الدولة الكلدانية

كيف يمكن للمرء أن يقفز مرة أخرى خارج هذا الزمن ويغوص في إشراق الإمبراطورية البابلية وهوائها المتوهّج، ويعود إلى القرن السادس قبل عصرنا.

عيَّن الآشوريون نبوبولاصار حاكماً على بابل وهي مقاطعة الجنوب وتشمل جنوب العراق الحالي. نشبت حروب وراثية بعد وفاة آشور بانيبال عام 627، أدت إلى هزّ كيان الإمبراطورية الآشورية. ودخل أحد أبنائه، سين ـ شار ـ إيشكون، الذي كان مقيماً في بابل، في صراع مع شقيقه، آشور ـ إتيل ـ إيلاني وتحالف مع نبوبولاصار الذي انتهز فرصة هذه الاضطرابات الداخلية في الدولة بين ورثتها، لكي يُتوج ملكاً على بابل سنة 626. وبعد وفاة آشور ـ إيتيل ـ إيلاني عاهل بلاد آشور (623) انقلب على حليفه السابق سين ـ شار ـ إيشكون.

وفي تلك الفترة، تمكن الميديون خصوم رهيبون في الشمال الشرقي من بلاد آشور، من تطوير قوتهم العسكرية.

هكذا استطاع الميديون والبابليون الذين اتحدوا معاً، عام 612، الاستيلاء على نينوى وألقوا بالإمبراطورية الآشورية الشهيرة أرضاً.

انسحب الميديون بعد المعركة، أما البابليون الذين تمكنوا من تدمير بلاد آشور، فلم يقيموا بها بعد تدمير نينوى. بل أسس نبوبولاصار في

بابل الدولة التي حملت اسم الدولة الكلدانية، وشهدت فيما بعد وصول ابنه نبوخذ نصر الذي نال شهرة باهرة فيما بعد.

"أنا نبوخذ نصر، ملك بابل المتواضع والخاضع والتقي المتعبد لرب الأرباب، ومتعهد الإيزاجيل والإيزيدا (معبدي بابل وبورسيبا)، الوريث الشرعي لنبوبولاصار، ملك بابل. " 1

قدم الملك نفسه على لوحة آجر مكتوبة، تحت اسم "نابو ـ خدوري ـ إوصور" (أو نابو، حامي ولي العهد)، المعروف في الكتاب المقدس باسم نبوخذ نصر (605ـ562 قبل الميلاد). وكان نبوخذ نصر هذا الذي ارتبط اسمه بعرش والده، قائداً للجيوش البابلية عند تدمير نينوى.

وحكم بابل ثلاثة وأربعين عاماً وتمكن في نهاية حياته أن يهيمن على كامل منطقة الشرق الأدنى الغربية. وكان نبوخذ نصر فاتحاً فخوراً ومشيداً كبيراً ورجل دولة مستنير. أولم يمنحه الإله مردوخ اسماً خالداً، كما صرح بذلك هو شخصياً على لوحة أسطوانية الشكل؟

1- الفاتح

والساحل السوري والفلسطيني ومصر

شن نبوخذ نصر خلال الفترة الأولى من حكمه، عدة حملات عسكرية. وكان راغباً من خلال تلك الحملات توسيع قدرة بابل لبسط نفوذها في الشرق الأدنى.

تروي مدونة تاريخية تعود إلى العصر البابلي الحديث كيف اتخذ نبوخذ نصر موقعه على رأس قواته العسكرية وانتصر عام 605 بصفته القائد الأول على فرعون مصر "نيخو"، الذي كان قد أقام حامية عسكرية في كاركميش الواقعة على شاطئ نهر الفرات، فتقهقر جيش مصر وتعرض للإبادة.

وبينما كان نبوخذ نصر يشن الحرب في الغرب، علم عام 605 بوفاة والده نبوبولاصار. عندئذ باشر بترتيب الأمور الإدارية في مصر واخترق الصحراء ملتحقاً بسرعة بمدينة بابل حيث ورث عرش والده وتم تتويجه ملكاً على بابل.

وقام خلال السنوات التالية بشن عدة حملات في سوريا وفلسطين واستولى على عسقلان عام 604 وعلى صيدا عام 602 وأخضع مملكة يهوذا التي أرغمها على دفع ضريبة له.

وفي عام 598، رفض ملك دولة يهوذا "يهوياقيم" الخضوع لسلطة البابليين وامتنع من دفع الضريبة لهم، لكنه توفي بعد فترة تاركاً السلطة لابنه يهوياقين. وتوجه نبوخذ نصر عندئذ إلى أورشليم واستولى عليها في شهر آذار من سنة 597 وسبى يهوياكين إلى بابل مع جميع أعيان وكبار حاشيته إضافة إلى الرجال البواسل والحرفيين:

"في ذلك الزمن، صعد رجال نبوخذ نصر ملك بابل باتجاه أورشليم، فأصبحت المدينة تحت الحصار. وجاء نبوخذ نصر ملك بابل إلى المدينة وكان رجاله يحاصرونها.

فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه، فقبض عليه ملك بابل وأخذه في السنة الثامنة من ملكه. وأخرج جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسّر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ملك إسرائيل في هيكل الرب.

وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس، عشرة آلاف مسبي وجميع الصنّاع والإقبان. ولم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض. وسبى يهوياكين إلى بابل وأمّ الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض" 2

وكان النبي حزقيال من بين الأسرى، ومرّ عبر مدينة بابل وأقام في ضواحي مدينة نيبور، استمر في التنبؤ. عاشر الفينيقيين الذين

تعرضوا إلى السبي مع سبايا السوريين والفلسطينيين والعرب والمصريين واهتموا بزراعة الأراضي الخصبة. وكان يعيش الجميع بشكل طبيعي ويديرون شؤونهم بأنفسهم. ولم يكن هناك أية كراهية للغرباء لدى البابليين. أجل كان البابليون يقودون ويديرون إمبراطورية واسعة ولكنهم كانوا يتركون الشعوب الخاضعة لسلطتهم يعيشون بحرية وفق عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم.

ثم عاد نبوخذ نصر عام 588 وحاصر مدينة صور، تلك المدينة التجارية الهامة التي تمردت عليه. كما تمردت مدينة أورشليم التي كان يحكمها "صيديقيا" عم الملك يهوياكين، والذي انضم إلى العمونيين المقيمين في الأردن والفينيقيين في تحالف مخطط من قبل المصريين ضد بابل وعاهلها.

قاومت صور ثلاث عشرة سنة ولكن أورشليم سقطت في شهر آب سنة 587 وتم سلبها وحرقها وتفكيكها. وانتهى الأمر بالملك صيديقيا الذي حاول الهروب، إلى الوقوع في الأسر، فوصل إلى بابل بعد تعرضه إلى العمى ومقيداً بسلاسل مصنوعة من البرونز، وتبعه إلى السبي جزء من سكان بلاده.

بالنسبة إلى البابليين لم تنل الحملة ضد مملكة يهوذا التي تم ضمها ودمجها بالإمبراطورية، الأهمية التي منحها لها الكتاب المقدس الذي أعطى صورة رهيبة عن الملك نبوخذ نصر. لقد تطرق البابليون في مدوناتهم التاريخية إلى سقوط أورشليم (تحت اسم يهودو) عام 597 ببعض من السطور الموجزة.

وهكذا استولى نبوخذ نصر شيئاً فشيئاً على سوريا الشمالية وعلى فلسطين وتمكن من درء تأثير المصريين الذين كانوا مسيطرين على تلك البلاد.

نبوخذ نصر في وادي بريسا، لبنان

كان لبنان قد تمرد أو ربما تعرض إلى غزو متمرد أجنبي. وجاء نبوخذ نصر إليه لكي يعيد الأمور إلى نصابها مع جيش عبّأه لهذا الغرض، وقضى على أعدائه وأعاد السكان الذين كانوا قد هربوا إلى أماكنهم. وأصدر عندئذ أمراً بنحت كتابات في وادي بريسا الواقع على السفح الشرقي لجبل لبنان. وتطرق في هذه الكتابات إلى حملته وأعماله التي أنجزها، مثل إنشاء طريق وقطع ونقل أخشاب الصنوبر نحو السهل ومن ثم نقلها إلى بابل.

يقول:

"بصدد لبنان.
قاتلتُ أعداءه من الأعلى ومن الأسفل.
وشتتهم في البلد.
أما سكانه المشردون...
جعلتهم يستقرون في مكانهم.
أنجزت ما لم يفعله أي ملك سابق،
لقد اجتزت الجبال المرتفعة
وشطرت صخور الجبال
وفتحت الطرق.
أنشأت طريقاً لنقل أخشاب أشجار الصنوبر
برعاية "الملك" مردوخ(الإله)،
أخشاب الصنوبر المتينة والباسقة والضخمة،
ذات القيمة العالية، والتي تزن وزناً كبيراً،
إنتاج لبنان. ناس في لبنان... جعلتهم يستقرون.
ولم أسمح لأي شخص أن يضايقهم." 3

توجد هناك لوحات صخرية تمثل نبوخذ نصر حاملاً تاجاً مخروطي الشكل، وومرتدياً الثوب المزركش، وهو يقطع شجرة صنوبر أو شجرة أرز، أو يطرح أسداً على الأرض. وقد تمكن من نشر السلام في الشرق الأدنى الغربي الذي سادت الرفاهية في ربوعه. وامتدت إمبراطورية نبوخذ نصر في عهده من بلاد الرافدين العليا لغاية الشمال في زغروس ومن سوريا إلى فلسطين.

2- نبوخذ نصر، المشيد الذي لا يعرف الإرهاق

إعادة ترميم المعابد

بعد أن تمكن نبوخذ نصر من تعزيز سلطته، توفر له الوقت للاهتمام بتزيين إمبراطوريته بفضل الغنائم التي استولى عليها من المدن التي قام بفتحها والأيدي العاملة الواردة من الحملات العسكرية التي شنها في مختلف البلدان.

ترك لنا كتابات تتعلق بنشاطه كمشيد للمعالم لا يعرف الإرهاق في حياته ومخلص للآلهة، مثل الكتابة التي تم العثور عليها على أسطوانة.

تروي الكتابة:

"نبوخذ نصر ملك بابل، الحكيم، الكفؤ، المحبوب من الإله مردوخ. مدبّر سومر وأكد ومعزّز أسس البلاد، الأمير المنتبه الذي استحضره مردوخ الرب الكبير إلى حضرته للاعتناء بشؤون المدن وترميم حرم المعبد." 4

أنجز نبوخذ نصر واجبه المتمثل في بذل أقصى جهد للمحافظة على النظام العام، مصغياً للتعليمات التي كان يعتقد بأنها صادرة عن الآلهة. في الشمال قام بإعادة إنشاء المعابد مع التقيد بالتقاليد المتبعة في

الماضي وفي الوسط زين المعابد التي كانت قد تعرضت في بعض الأحيان إلى التلف في بابل و أكد وسيبار وأيضاً بورسيبا وكيش وكوثا، ثم لارسا وأروك وأور في الجنوب. ومنح هذه المدن ثروات وجهزها بحاجاتها وأمّن القرابين المقامة في معابدها.

هذه المعابد التي مثلت نوعاً من الوحدات الاقتصادية، قد أصبحت مراكز هامة للموارد الاقتصادية في الإمبراطورية البابلية.

ولم يهمل نبوخذ نصر ترميم عشرات الأماكن المقدسة في بابل، تلك المدينة المقدسة التي كانت مفتوحة أمام الدعوات الروحية للإنسان بمعابدها العديدة المكرسة للآلهة الكبرى، مثل معبد نابو إله الكتابة الذي زوقه بالذهب البهي.

وباشر الملك بتجميل معبد مردوخ إله بابل الكبير "معبد القمة العالية" أو معبد الإيزاجيل، الذي كان مُكرساً له، وأعطاه هيئة رائعة، وهو المعبد الذي كان واقعاً في مركز المدينة وبالقرب من النهر. وزوق جدران هذا المعبد بالذهب البراق مثل بريق الشمس وبالفضة والأحجار الكريمة، وزين آثاثه للمراسيم الدينية بالذهب الرفيع. وزيّن السفينة "هوسيكوا"، لنقل إله مردوخ أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة، لكي يصل إلى معبد آكيتو الذي كان خارج جدران المدينة:

"لقد غطيت واجهة سفينة [مردوخ] باليتا... سفينته البراقة، سواء من الجانب الأمامي أو الخلفي، وتماثيلها العملاقة زينتها بالأحجار [؟] وجعلتها تلمع فوق مياه الفرات الدافقة مثل نجوم السماء، لإثارة إعجاب الناس بها وملأتها بالجمال.

في فصل اعتدال بداية السنة، وضعت فوقها الإله مردوخ، رب الآلهة بمناسبة عيد المحاصيل ورأس السنة، جعلت هذا الإله يتجول بأبهة في السفينة." 5

روعة بابل، حاضرة البلد الواسعة

أعاد نبوخذ نصر إعمار كافة مدن بابل القديمة. كان يريد إنجاز طموحات فنية ويحلم في تحقيق مآثر معمارية كبيرة لعاصمته. بابل التي امتدت لتشمل جانبي نهر الفرات. وجعل من هذه المدينة مركزاً فريداً وحاضرة مشهودة وملأها بمعالم فخمة:

إنه محق بالقول عندما يعلن:

"لم أجعل أية مدينة أخرى من بين كافة الأماكن المأهولة، أكثر بهاء منك يا مدينة بابل!" 7

كما أن سلفه الملك نبوخذ نصر الأول (1126-1105 قبل الميلاد) كان قد عظّم هو الآخر بابل، وجعلها في مصاف عاصمته الدينية والكونية، وجعل من الإله مردوخ رئيس مجمع الآلهة.

وبغية تجميل بابل، التمس نبوخذ نصر رأي الآلهة واستشار جواب الآلهة والعرافين. قام مثل بقية ملوك بلاد الرافدين الذين همهم الأكبر كان الاهتمام بالمياه وتنظيمها، شرع بتوسيع قنوات مياه بابل وشيد لها أحواضاً مطلية بالقار وبالآجر المشوي.

وقام الملك بتعزيز نظامها الدفاعي وبتصليح وتوسيع محيط الأسوار. فأصبحت واسعة جداً، بحيث كان من الممكن أن تمر فوقها عربتان. وكانت تحتوي تلك الأسوار على ثمانية بوابات تنفتح على سور مزدوج، وكانت كل بوابة من بواباتها مكرسة لأحد الآلهة. وبدون شك كانت أشهر البوابات، هي بوابة عشتار آلهة الحب والحرب. أعاد تجديد هذه البوابة التي ترمز إلى عظمة بابل عدة مرات أثناء حكمه، كما هو مذكور في إحدى كتابات نبوخذ نصر المنقوشة على لوح حجري كبير.

يقول:

"لقد كسوتها بالآجر المطعم بالمينا الأزرق، ورُسمت عليها الثيران الوحشية وحيوانات التنين. وركّبت فوقها عوارض من خشب

الصنوبر لتغطيتها. ووضعتُ في أبوابها مصاريع من خشب أشجار الصنوبر مغطاة بالبرونز وحيوانات التنين الرهيبة التي رتبتها في المدخل. وجملتُ البوابة لكي تُثير إعجاب كافة الشعوب. "

كان ارتفاع بوابة عشتار يتراوح بين 25 و30 متراً، وهي ترمز إلى اتحاد وتناغم بين العناصر الأربعة وهي الأرض والماء والهواء والنار. وكانت بوابة عشتار مجهزة ببابين محصنين بأربعة أبراج وجدران مغطاة بالآجر وبالخزف البرّاق المائل إلى اللون الأزرق العميق. وكانت تحمل تسعة صفوف مزينة من الثيران بأجسام غامقة اللون ووبر سماوي اللون، إنّها ذات العيون الكبيرة الحالمة (رمز إله العواصف، حداد) وبحيوانات التنين- الأفعى الرمادية المائلة للزرقة ذات المظهر الخيالي العجيب (رموز إله مردوخ). وكانت كافة هذه الحيوانات تصدر ألواناً براقة منبثقة من لون البوابة.

وكانت البوابة تحمل في أعلاها على إفريز من سعف النخيل الأبيض ومزين في وسطه بلون أصفر لإنجاز الديكور. فهل كانت هذه الألوان تعبر عن روح وذاكرة المدينة؟

كان الطريق الداخلي يشكل طريقاً مقدساً محاطاً بثمانية جدران عالية ومغطى بحجر وردي اللون المعروف بالمسننات التي كان نبوخذ نصر قد ترك اسمه مختوماً عليها. وكان الملك يمر تحت بوابة عشتار وصولاً إلى مركز المدينة الديني وهو معبد مردوخ الإيتيمينانكي، وكان الطريق يلتف حوله ثم يصل إلى جسر فوق نهر الفرات. كان عرض هذا الطريق الرئيسي يبلغ 22 متراً، يُستخدم للاحتفال بمسيرة فوقه، فتمر منه أولاً عربة الرب الكبير مردوخ ويليه موكب الملك المنتصر ثم الكهنة. يتم ذلك خصوصاً عند الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة في بداية الربيع، الذي كان يرمز إلى تجديد الطبيعة ويؤمن الرفاهية لبابل.

كان هذا الطريق الهام محاطاً، بمسافة ما يقرب من 180 متراً، بالألواح المعمولة من الآجر الرائعة، وعلى شكل رسوم تعرض كلٌ منها

60 أسداً مزوداً بعرف وحشي وبفم مفتوح، تظهر من خلاله الأسنان البارزة وذيل ممتد ضارب في الهواء. وكانت الرسوم تُظهر الأسود مارة بين ورود دائرية وأشكال هندسية متناوبة ومزيّنة أعلى وأسفل الجدران. تبدو وكأنها ترافق المسيرة وتترك لحناً سمفونياً، إنّها متعددة الألوان وعلى خلفية آزوردية، وكانت أنغامها اللذيذة تنشر قشعة أحمر خافت وأبيض ساطع.

كانت تلك الحيوانات تعبر عن النبل والعزّ في آن واحد، وكانت تلعب دوراً لحماية ولتخويف للعدو.

قصر أدهش الشعب

إذا كان مردوخ يقيم في معبد الإيزاجيل الشهير، فالملك أيضاً كان يسكن في قصر فاخر. في البداية، أعاد الملك تعمير القصر الذي كان والده نبوبولاصار قد شيده والواقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات. إلا أن هذا القصر المشيد من الآجر العادي تعرض إلى التلف بعد أن غمرت مياه فيضانات النهر أساساته التي بدأت في التآكل.

قام نبوخذ نصر بتشييد قصره الملكي الخاص في الجنوب باستعمال القرميد والقار وأخشاب أشجار الصنوبر والأرز، وباشر بتزيين جدرانه وفق الأعراف السومرية بلوحات كانت تشكل ملامح بارزة ومقعرة، وهكذا كانت تفضي إلى نوع من الظلال والأنوار. كما قام بإحاطة القصر بجدار كبير، ونصب في علوه إفريزاً بلون آزوردي.

كان هذا القصر يحوي أكثر من مئتي غرفة، تم ترتيبها حول خمس ساحات واسعة. وأُقيمت في وسطه قاعة العرش البالغ عرضها 50 متراً، مزينة بالآجر المطعم بالمينا الأزرق والأصفر. ترمز هذه القاعة إلى "شجرة الحياة" لأن أغصانها تنحني وتتدلل كأعمدة وترتفع فوقها أقواس من الأطواق الحلزونية، وتغطيها تشكيلات من سعف النخيل

المعكوسة. وكانت قاعة عرش القصر هذه، مزينة بإفريز من تماثيل الأسود التي تمر عبر الأشجار رافعة ذيلها للدلالة على قوتها. كما كان القصر بالنسبة إلى نبوخذ يمثل قاعدة لملكته ونقطة اجتماع كافة الناس ومحل إقامة الفرح والمرح، ويمثل مركز الحياة السياسية والاقتصادية حيث تصدر الأوامر والتعليمات الملكية. وكان الشعب يأتي إليه لدفع الضرائب.

وشيد العاهل أيضاً في الشمال، خلال النصف الثاني من حكمه، قصراً آخر هو "القصر الكبير" الذي كان يحتوي على متحف ومكتبة ملكية.

كما أقام أخيراً "جدار الميديين" بين نهري دجلة والفرات، شمال مدينة سيبار، لتعزيز دفاعات بابل. وكان شولجي، ملك سلالة أور الثالثة، قد شيد قبل 1500 من ذلك جداراً في هذه المنطقة لاحتواء العموريين.

ويسرد نبوخذ نصر:

"من شاطئ نهر دجلة ولغاية شاطئ نهر الفرات، طلبتُ برفع التربة بطول بلغ [4] كاشبو قاقار. (وحوطت البلد) بالمياه الغزيرة مثل سعة البحر على (مسافة) تبلغ 20 كاشبو قاقار.

ولكي (لا ينجرف دفق المنحدر، رفعتُ) كتلة من التربة. وشيدت جدارها الواقي بالقار والآجر..." 9

حدائق بابل المعلقة

"لقد أمضيت طفولتي في حدائق بابل المعلقة"، هذا ما تأوه به الكاتب الفرنسي المعروف بليز سندرارس Blaise Cendrars (1887-1961). أفضت هذه الحدائق البديعة إلى أن يحلم بها الكثير من الأجيال الشابة في كافة أنحاء العالم.

ويبدو أن نبوخذ نصر كان قد شيدها لزوجته أميتيس من أصل ميديي، التي كانت تحن إلى مناظر بلاد ولادتها الخضراء. كانت حدائق بابل المعلقة تتكون من شرفات مسنودة بواسطة أعمدة أو أروقة مرتفعة. وقد تكلم عن هذه الحدائق بعض الرحالة الإغريق مثل ديودوروس الصقلي وسترابون ومن اللاتين مثل كوينت كورس. وعبروا عن إعجابهم بجمال هذه الحدائق البابلية، التي مثلت إحدى عجائب الدنيا السبع؛ قسم منها يقع بالقرب من القصر وقسمٌ في أعلى القلعة التي كانت مزروعة بالأشجار، وكانت الرياح تهزها مثل الغابات في قمم الجبال الشاهقة.

للأسف الشديد، تعرضت هذه الحدائق إلى الذبول والوهن وعدم إروائها جيداً. لأن النصوص العائدة إلى العصر البابلي الحديث لم تتكلم عنها، كما أن التنقيبات الأثرية التي أجراها عالم الآثار الألماني كولديواي Koldwey في بداية القرن العشرين، لا تشير هي الأخرى إلى اكتشاف أي أثر لها. فهل اختلط الأمر على المؤلفين القدماء ولم يميزوا بين العاصمتين الفخمتين بابل ونينوى، حيث أنشأ الملوك الآشوريون في نينوى مثل هذه الحدائق العجيبة؟

مع ذلك يجب الاعتراف بحقيقة وجود جنائن مزروعة بالكروم والأشجار المثمرة مثل التفاح والتين والرمان والنخيل، التي كانت تزين القصور الملكية وبيوت البابليين القدماء.

الملك العالم والعادل والمستنير

نبوخذ نصر ذاك العاهل المعروف بحسن الإدارة وتنظيم الزراعة، والاهتمام بتطوير التجارة تطويراً واسعاً مع الشرق الهندي وإيران والبحر الأبيض المتوسط.

تروي كتابات وادي بريشا (في العمود الأول) بأنه تباهى بكونه عالماً وعليماً وعارفاً بالعلوم ومشجعاً على تعلمها كما فعل مع العلماء الكلدانيين. لقد بذل جهداً في تشجيع مختلف أنواع الفنون والمعارف.

استوحى نبوخذ نصر في الأمور القضائية من نصوص حمورابي، ذاك النموذج البابلي العريق. وأراد أن يسود حكم القانون في إمبراطوريته وأن يأمن حل النزاعات عن طريق القانون وتطبيق بنوده في كافة المدن.

وبصفته القاضي الأعلى كان باستطاعته العفو عن المحكومين أو إصدار الحكم بإعدامهم. ويشهد على ذلك أحد النصوص الجميلة الذي يتطرق إلى هذا الجانب:

"لم يكن(الملك) مهملاً فيما يتعلق بالعدالة الصحيحة والمستقيمة، ولم يسترح لا في النهار ولا في الليل، بل كان يدوّن الأحكام والقرارات المنصوص عليها، بغية إرضاء مردوخ الرب الكبير، وتحسين راحة كافة الشعوب، ونشر السلام في بلاد أكد (بابل)." [10]

حافظ الملك، كراعي مخلص على السلام والرفاهية في بلده الذي منحه الاستقرار. فقضى على الفساد وشرّع قوانين وأنشأ محكمة لنشر العدالة.

وطوّر الشعور الوطني في بابل عاصمة إمبراطوريته الواسعة صاحبة الماضي العريق وصاحبة الآلهة العديدة المعبودة من قبل الجميع. إنّها حقاً أرض لحضارة متأصلة.

السنوات الأخيرة

السنوات الأخيرة من حياة نبوخذ نصر غير معروفة معرفة جيدة. تشير إحدى الوثائق التي تروي احتفالاً بإعادة ترميم أحد المعابد، بأنه رجا من الإله شمش منحه حياة طويلة:

" بناء على أمرك المستتب،
تمتعتُ بعمر طويل جداً،
والآن، حصلتُ على عمر مديد، وعلى استقرار العرش،
ولتكون سنوات حكمي طويلة ومزدهرة وخالدة،
وأن أمتلك صولجاناً عادلاً وعناية حسنة وعصاً ملكية شرعية لحماية الناس..
ولتكن هذه الأمور نصيب ملوكيتي إلى الأبد" 11

لقد استجيبت صلاته، لأنه بالرغم من كونه عاهلاً مطلقاً، إلا أنه لم يكن طاغية، بل كان رجل دولة كبيراً ومخلصاً، ولم يتوف إلا في سنة 562 بعد أن تمتع بسنوات حكم طويلة وبمجد كبير، وبعد أن حكم بلاده وشعبه بجو من السلام والرفاهية لمدة 43 عاماً.

وترك نبوخذ نصر لخلفه عرشاً متيناً وإمبراطورية امتدت حدودها من بلاد الرافدين العليا ومن سلسلة جبال زغروس إلى حوض البحر الأبيض المتوسط.

بطل خالد

أدت التنقيبات الأثرية الألمانية التي قام بها عالم الآثار الألماني كولديوي Koldwey من سنة 1899 إلى سنة 1917 في موقع بابل، إلى اكتشاف مدينة نبوخذ نصر. وإلى التعرف على العديد من الآثار، وتحديد موقع السور المزدوج وباب عشتار والقصر الصيفي وقصر الجنوب وغيرها من المعالم المدهشة. على أنه لم يبق من برج بابل المشهور الذي ألهم الكثير من الرسامين العالميين، غير حفرة على شكل مربع مليئة بالمياه، إن البرج خال من الحياة. فقد تعرضت آجره وزخارفه إلى النهب والسرقة، وقام فلاحو الجنوب باستعمال الكثير منها في بناء منازلهم في المنطقة.

عثر علماء الآثار على قطع من آجر مختومة باسم نبوخذ نصر، وعلى ألواح تحمل نصوصاً إدارية واقتصادية. ولقوا وثائق وألواحاً أخرى كانت محفوظة في أحد من أحياء معبد الإيزاجيل. وحسب آراء علماء الآثار، إن قيمة تلك الألواح تساوي قيمة مكتبة آشور بانيبال في نينوى.

لكنهم لم يعثروا على أية لوحة منقوشة بالحفر تمجد الملك، ولكن بقيت لنا اللوحة الصخرية في وادي بريشا وبعض المسلات. إن ملامحه وحياته الشخصية تبقى معروفة لنا قليلاً .

ان شخصية وشهرة نبوخذ نصر قد جعلت منه بطلاً خالداً لدى اليونانيين مثل هيرودوت وستزياس من كنيد (القرن الخامس قبل الميلاد)، وإن لم يقوموا بتحديد اسمه الحقيقي.

في عهد أنطيوقس سوتير (262 ـ281) قام بيروسوس كاهن مردوخ في مدينة بابل، مستنداً إلى وثائق محفوظة لدى كهنة المدينة الكبار بكتابة تاريخ بابل الذي حمل اسم (Babyloniac أو Chaldaica) "والذي تطرق فيه إلى موضوع خلق العالم وتجميل مدينة بابل من قبل نبوخذ نصر الثاني وإلى البرج المتعدد الطوابق. ويعرض في كتابه الثالث تاريخ ملوك بابل منذ تقلات بلاصر الثالث (745-727 قبل الميلاد) ولغاية إسكندر الكبير (356-323 قبل الميلاد). ولكن لم يبق للأسف الشديد من هذا الكتاب سوى مقاطع، استخدمها في القرن الأول من عصرنا المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف Flavius Josephe.

كما أن عالم الرياضيات الإغريقي بطليموس (حوالي 90 ـ 168) عرض في كتابه المعروف Canon Basileon قائمة بملوك بابل القديمة، اعتباراً من نبو ـ ناصير (747-734 قبل الميلاد).

واستلهم المؤرخ اليوناني أوسابيوس القيصري (القرن الرابع الميلادي) كتاباته من مؤلفات بيروسوس في مؤلفه المعنون التاريخ العام" Chronique universelle» وذكر اسم الملك الكلداني نبو خذنصر.

اشتهر هذا الملك من خلال إنجازاته الكبرى في تجميل مدينة بابل عاصمته التي أصبحت رمزا للجميع، لقد شُيدت فيها الزقورة، وكان برجها يمس السماء بارتفاعه العالي والذي منح بداية أسطورة برج بابل المذكورة في الكتاب المقدس.

كما أن شهرة بابل ألهمت رحالة القرون الوسطى مثل بنجامين توديل Benjamin Tudèle (القرن الثاني عشر الميلادي) والفنانين في الزخرفة مثل بروجيل القديم Bruegel l'Ancien (نحو عام 1563 ميلادية) وغوستاف دوريه Gustave Doré (+ 1883) في القرون الحديثة.

اهتم العديد من الناس بالتاريخ البابلي العريق، فرُسمت لوحات وأُلّفت كتب ومثّلت أفلام سينمائية مثل فلم اللاتسامح Intolérance المشهور للمخرج جيفيت Giffith عام 1916. من منا لا يعرف الأوبرا المشهورة نبوكو Nabucco (1842) لجوزيف فيردي، المؤلفة بروح وطنية لاهبة والتي لازال عرضها يثير الحماس؟

في التواريخ العربية، حاول العالم الفلكي والمؤرخ البيروني (973–1048) في كتابه "تاريخ البلدان القديمة" أن يستعيد تاريخ بابل وفق التسلسل الزمني.

كما تتوفر لنا لوحة صغيرة تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي مستوحاة من بابل، تمثل نبوخذ نصر (باسم بخت ناصار) وهو يأمر بتدمير أورشليم (المكتبة الوطنية لفرنسا).

هوامش الفصل السابع:

1- آجرة تم العثور عليها في أطلال مدينة لارسا.

2- الكتاب المقدس، الجزء الثاني، الملوك، 24، 10، 15، الترجمة الفرنسية، لويس سيغوند (Louis Segond)، شركة الكتاب المقدس الفرنسية (Société biblique française)، باريس، ص 1966.

3- تواريخ آشور وبابل (Chroniques d'Assyrie et de Babylonie)، كتابات وادي بريسا، ترجمة بونيون (H. Pognon)، منشورات باليو (Paleo) 2011، BEHE, fasc 71 العمود التاسع، ص 69.

4- بارتيل هرودا (Bartel Hrouda)، الشرق القديم (L'Orient ancien)، باريس، فرانس لوازير، ص 312.

5- تواريخ آشور وبابل (Chroniques d'Assyrie et de Babylonie)، كتابات وادي بريسا، ترجمة بونيون (H. Pognon)، منشورات باليو (Paleo) 2011، BEHE, fasc 71 العمود التاسع، ص 61.

6- كتابة نبوخذ نصر

7- طريق المسيرة الحافلة La voie processionnelle.

8- تواريخ آشور وبابل (Chroniques d'Assyrie et de Babylonie)، كتابات وادي بريسا، ترجمة بونيون (H. Pognon)، منشورات باليو (Paleo) 2011، BEHE, fasc 71 العمود التاسع، ص 65.

9- بياتريس أندريه- سالفيني (Béatrice André-Salvini)، بابل، باريس، منشورات : Presse Universitaire de France، 2001، مجموعة ? Que sais-je، ص 43.

10- وثائق عن الكتاب المدس، صلوات الشرق القـديم (Prières de l'Ancien Orient)، منشورات سيرف (Cerf)، 1989، ص 37.

11- وثائق عن الكتاب المدس، صلوات الشرق القـديم (Prières de l'Ancien Orient)، منشورات سيرف (Cerf)، 1989، ص 37.

الفصل الثامن

نبونيد

آخر ملوك بابل

أسفرت الوراثة على العرش بعد وفاة نبوخذ نصر، إلى حدوث اضطرابات كبيرة في البلاد، لقد ورث الحكم ابنه "أويل ـ مردوخ" ولكنه خُلع عن العرش سنة 560 بسبب عدم كفاءته، وتم ذلك على يد زوج أخته "نيريكليسار"، وأخيراً اغتيل. ولم يحكم نيريكليسار"، الذي تزوج بنت نبوخذ نصر "كاشايا" إلا أربع سنوات فقط (559–556 قبل الميلاد)، وفي تلك الفترة القصيرة، شن حملة على شمال قيليقية، وأنجز إنشاءات عمرانية مدنية في بابل.

وبعد وفاة نيريكليسار، تم تنصيب أخوه الصغير "أباشي ـ مردوخ" على العرش، لكنه تعرض إلى القتل بعد أربعة أشهر من الحكم عندما أحيكتْ مؤامرة ضده في القصر.

وفي عام 556، أوصل المتآمرون إلى العرش موظفاً كبيراً حمل اسم نبونيد، الذي كان رجلاً مسناً، وعمل سابقاً تحت خدمة نبوخذ نصر.

بهذه الطريقة، جاء نبونيد (556–539 قبل الميلاد) إلى الحكم وكان آخر ملك لدولة بابل الحديثة، ودام حكمه سبعة عشر عاماً.

أصول نبونيد

لا تتوفر لنا إلا القليل من المعلومات عن والد نبونيد الذي لم يكن سليل عائلة مالكة. أما والدته "عداد ـ كوبي" كانت تنحدر ربما من أصل آرامي، وهي معروفة بفضل قصة تروي حياتها المنقوشة على مسلة تم نصبها داخل معبد الإله سين (القمر) في مدينة حران الواقعة في شمال نهر الفرات. لقد صارت حران مدينة تجارية ودينية هامة. وكانت هذه المرأة من مواليد عام 649 (قبل الميلاد) "عابدة تقية" لإله سين (القمر). وعندما سقطت حران، العاصمة الآشورية الأخيرة بيد نبوخذ نصر والميديين عام 610، دُعيت هذه المرأة العابدة إلى بابل. وعاشت في رحاب القصر، وأخذت فيه مرتبة عالية واسماً كبيراً، وكان لها تأثير كبير في البلاط. استطاعت أن توجه الأمور لصالح ابنها نبونيد فأصبح يمثل الوريث الرابع لنبوخذ نصر.

مُشيد ومُرمم المعابد القديمة

اعتلى نبونيد العرش في وضع مضطرب وتمكن من إعادة النظام والسلام إلى بابل. أنجز فيها أعمال إعمار مدنية كبرى وشن في نفس الوقت حملتين عسكريتين في قيليقية.

وكان مثل الملوك الذين سبقوه في الحكم، مغرماً بإعادة ترميم المعابد القديمة مع التقيد بالتقليد العمراني خصوصاً في مدن بابل. وأيضاً مدينة: أكد في الوسط وأوروك ولارسا في الشرق وأور في الجنوب، ترك فيها عدة كتابات تشير إلى أعماله. أولى نبوميد اهتماماً بالتقوى تجاه إله القمر، متأثراً دينياً بأمه أدادا كوبي. قام منذ السنة الثانية من

حكمه بإحياء تقاليد قديمة تعود إلى عهد سرجون ملك أكد، (2335-2279 قبل الميلاد)، إذ عيّن ابنته "إينيغالدي ـ نانا" تحت اسم سومري كاهنة عظمى لمعبد الإله نانا (سين) في مدينة أور. وأعاد بناء معبد "إي ـ جيبار" المبنى الفخم الذي كانت تسكن فيه ابنته. وأدت هذه الأعمال إلى تعزيز سلطته السياسية.

في مدينة سيبار الواقعة في شمال بابل، "كأثري" أراد نبونيد المتمسك بالماضي والذي يستمد منه شرعيته وأيضاً لأسباب دينية، أن يعيد تعمير معبد شمش الفخم إله الشمس. وسابقاً كان نبوخذ نصر قد حاول إعادة ترميمه في زمانه. فجمع المهندسين المدنيين والمهندسين المعماريين والعلماء والكتبة والعمال وعقد مجلساً لهذا الغرض، وأمرهم بحفر الخنادق والبحث عن وثائق تأسيس المعالم العمرانية التابعة للملوك السابقين وعن أهداف مراسيم عبادتهم. كما ذكرت إحدى الوثائق الرافدية، شعر نبونيد بفرح كبير وأشرق وجهه عندما تم العثور على المعبد المشيد من قبل الملك نارام ـ سين وعلى تمثال والده الكبير سرجون الأكدي (بالرغم من كسر نصف رأسه)، على عمق ثمانية أمتار والعائد إلى عصر أكد (2335 – نحو 2193 قبل الميلاد). ووضع كالعادة كتابته الشخصية بجانب كتابة الملك السابق. وقام بترميم رأس التمثال ونصبه في المعبد حيث نال التكريم والقرابين المستحقة للملوك السابقين. 1

وهكذا تم البناء على قاعدة الأساسات القديمة لملك نارام ـ سين، معبد "الإيبابار" إله شمش.

والتزم نبونيد أيضاً بإعادة تشييد معبد سين "ايهلهول" في مدينة حران. ويروي في مسلة تم العثور عليها في هذه المدينة عام 1956 كيف ظهر له إله مردوخ في حلم وطلب منه أن يقوم في حقبة حكمه، بتجديد هذا المعبد المهمل. عام 610 قبل الميلاد كانت مدينة حران

قد وقعت بيد الميديين الذين اقتحموها ودمروها. ويُروى أن الإله صرح له " بأن الميديين وأرضهم وكافة الملوك الذين ساندوهم لن تقوم لهم قائمة. وسأطردهم من قبل قورش خلال السنوات الثلاث القادمة".

أجل، إن ملك الميديين "أشتياج" تعرض عام 549 إلى انقلاب قائده ملك الفرس قورش واضطر إلى إخلاء منطقة حران. وتمكن نبونيد الذي ربما كان متحالفاً في ذلك الوقت مع قورش الدخول إلى المدينة. وباشر عندئذ بإعادة تشييد معبد أيهلهول آلهة القمر. وجاء بنفسه لتدشينه باحتفال كبير عام 542.

وهناك مسلة أخرى مصنوعة من حجر البازلت تم العثور عليها في حران؛ تُظهر نبونيد وهو يرتدي تاج العرش المخروطي وثوباً مزركشاً ممسكاً في يده صولجاناً كبيراً. وتعرض هذه المسلة أيضاً كتابات منقوشة تشير إلى رموز للآلهة الشمس (شمش) والقمر (سين) وعشتار.

واحة تيماء

غادر نبونيد في السنة الخامسة من حكمه مدينة بابل وتوجه مع قواته نحو شمال الجزيرة العربية واقتحم عدداً من المدن تتخللها واحة تيماء الواقعة في الغرب من شبه جزيرة العرب. واستقر فيها وبقي هناك لمدة زادت عن ثماني سنوات، مستمراً بمراسلات مع العوائل البابلية الكبيرة. وتشير الاكتشافات الأخيرة للآثار والمسلات الحجرية والمنقوشات، إلى الوجود الفعلي للملك نبونيد في ذاك المكان. وترك لابنه بيل ـ شار ـ أوزور (في الكتاب المقدس تحت اسم بلتصر)، الذي تعاون معه لفترة طويلة في السلطة، مهمة إدارة شؤون الدولة في بابل.

حُررت لوحة بعد سقوط نبونيد في العصر الأخميني، تبرّر سبب سقوط الدولة البابلية وتتهم الملك بالإهمال وبقلة العبادة. أو لم يتخل عن إله "مردوخ" وعوضه بإله القمر "سين"، كقوة إلهية كبرى؟ كما

تلومه اللوحة أيضاً بأنه شيد في واحة تيماء قصراً مماثلاً لقصر نبوخذ نصر في بابل.

تقول اللوحة:

"أما بالنسبة إلى نبونيد، فإن إلهه الذي كان يحميه أصبح معادياً له. وها هو الملك الذي كان محبوباً لدى الآلهة، ينجز عملاً مخالفاً. لقد طلب صنع (تمثال) إله، لم يراه أحد في البلد وأدخله في المعبد ووضعه فوق قاعدة ومنحه اسم القمر (سين). وكان مزيناً بطوق من حجر اللازورد ومتوجاً بقلنسوة. يرمز مظهره إلى خسوف القمر... وموضوع أمامه تنين العاصفة والثور المتوحش.

وعندما وصل المكان...قضى على أمير تيماء في المعركة وذبح قطعان المواطنين وسكان الريف، واقام مسكنا له في تيماء، حيث (تقيم) أيضاً قوات أكد. وجعل من تلك المدينة شيئاً بديعاً، وشيد فيها (قصره) شبيهاً بشوانا (بابل)..." 2

أجل، هناك غموض وتناقضات في سيرة حياته... تساءل المؤرخون عن أسباب إقامة نبونيد في تيماء، ولم يجدوا جواباً مقنعاً. فهل تعرض إلى الإقصاء من قبل ابنه الطموح بيل ـ شار ـ أوزور؟ أو بسبب عداء كهنة الإله مردوخ، الذين رأوا فيه شخصاً متعلقاً تعلقاً مفرطاً بالإله القمر؟

وهل جرى ذلك لأسباب اقتصادية؟ إذ كانت تيماء واقعة في طريق رئيسي هام للقوافل، يتحكم في تجارة منطقة الجزيرة العربية الشمالية، وكان من الضروري تأمين طرق المواصلات في تلك المنطقة الحيوية.

يتطرق أيضاً مصدر تاريخي يعود إلى العصر السلوقي المعروف "بتاريخ نبونيد"، بأنه كان من المستحيل في شهر نيسان، الاحتفال في بابل بعيد رأس السنة الجديدة أكيتو خلال مدة إقامة نبونيد في تيماء، التي دامت سنوات عديدة. فقد كان أكيتو يمثل عيد الإله مردوخ وابنه

نابو الذي كان يأتي عن طريق السفينة من مدينة بورسيبا. وكانت مشاركة الملك خادم الإله مردوخ لا غنى عنها في هذا العيد، لقد كان يلعب دوراً رئيساً في احتفالات العيد، إذ تعتمد عليها رفاهية الإمبراطورية. وبعدم حضور العاهل، كان تُقدم القرابين والصلوات في معابد الآلهة إيزاجيل وإيزيدا.

في تلك الفترة توفيت أدادا ـ كوبي، أم الملك على ضفاف نهر الفرات في أعالي مدينة سيبار، بعمر زاد عن مائة سنة في شهر نيسان سنة 547. ومن الغريب أن نبونيد الذي كان متعلقاً تعلقاً كبيراً بأمه التي لعبت دوراً مهماً في حياته، ترك لابنه الأمير بيل ـ شار ـ أوزور "التصر"، إقامة مراسيم الدفن ولم يشارك فيها. وقد تم إعلان الحداد على وفاتها لمدة ثلاثة أيام.

وأخيراً، عاد نبونيد إلى بلاد الرافدين نحو عام 542 وتوجه للاحتفال بتدشين معبد سين الفخم في حران.

عاد فيما بعد إلى بابل لأسباب ربما كانت سياسية. وبحضوره الفعلي في بابل، تمكن الشعب من إقامة الاحتفال من جديد بعيد رأس السنة الجديدة. واستعاد الملك السيطرة على مقاليد الإدارة، وأقال عدداً كبيراً من الموظفين الذين كان قد عينهم بيل ـ شار ـ أوزور. باشر بإنجاز إصلاح ديني حيث أصبح الإله سين يمثل السلطة الإلهية العليا وتم فرض تمثاله في كافة المعابد، وهو ما أدى إلى نشوب معارضة لدى رجال دين الإله مردوخ. تعرض سكان بابل إلى مآزق اقتصادية وانتشار الأوبئة والجوع. وأخذ الناس يلقون باللوم على الملك إضافة إلى امتعاض رجال الدين الذين عبروا عن عدم رضاهم عن غياب الملك الطويل وتقصيره الكبير تجاه الإله مردوخ. وهكذا تعقدت الأمور تدريجياً حيث نمت في المدينة مجموعة مؤيدة للفرس.

غير أن خطراً كبيراً كان يترصد بابل، فعندما كان نبونيد يقيم في الجزيرة العربية، باشر قورش ملك الفرس والميديين (نحو 540 – 530 قبل الميلاد) بعد سلسلة من الانتصارات بوضع ركائز إمبراطورية أخمينية جديدة.

رفض نبونيد سياسة قورش التوسعية باتجاه الغرب رغم كونه حليفه في السابق. لذلك عقد تحالفات مع دول الشرق الأدنى مثل ليديا في الأناضول، لكن عاهل هذه الدولة "كريسوس" تعرض إلى الهزيمة ووقع في الأسر بيد قورش عام 546.

تروي القصة المذكورة في الكتاب المقدس تحت عنوان "وليمة بالتصر" بأن سقوط بابل كان قد تم الإعلان عنه خلال فترة وصاية بالتصر (بيل – شار – أوزور). إذ ظهرت أصابع يد رجل أثناء وليمة كبرى كان قد أعدها الأمير لرجاله الكبار ولزوجاتهم، ورسمت كلمات معينة على جبس جدار القصر. أسرع بالتصر الذي أصابه نوع من الاضطراب بأن يطلب من المتنبئين ومنجمي القصر أن يقرؤوا محتوى هذه الكتابة لأنها كانت مبهمة بالنسبة له، ولم ينجح أيا منهم في قراءتها. طُلب عندئذ من دانيال، أحد الأسرى الذين كان نبوخذ نصر قد جلبهم من دولة يهوذا أن يفسر لهم معنى الكتابة، فقام بشرح معنى الكلمات. إنها تنبئ وتدل على أن زمن بقاء الإمبراطورية البابلية أصبح معدوداً، ووُزن الملك في الميزان فظهر خفيفاً، وبسبب انقسامات المملكة أصبحت بمتناول يد الميديين والفرس. 3

فهل يا ترى خُتم مصير الإمبراطورية؟ باشر نبونيد اعتباراً من سنة 540 وبأسرع وقت ممكن بجمع تماثيل آلهة بابل في عاصمته لحمايتها في معبد مردوخ بعيدة عن يد الفرس، لكن لم يتوفر له الوقت الكافي لتحضير الدفاع عن المدينة.

وفي خريف سنة 539، تمكن قورش على رأس جيشه الذي كان قد وصل إلى أعلى قدرة هجومية بعبور وادي نهر ديإلى أحد روافد نهر دجلة، واخترق منطقة بابل التي أراد إخضاعها لسلطته. وتروي قصة نبونيد تسلسل الأحداث ومعركة أوبيس حيث انتصر فيها الفرس على الجيش البابلي، كما تروي كيفية الاستيلاء على مدينة سيبار بتاريخ 14 تشرين عام 539 وهروب نبونيد.

وفي الوقت الذي كان جيش قورش يواجه الجيش البابلي الذي حاول أن يقطع طريقه نحو الجنوب، توجهت قوات فارسية صغيرة بجرأة نحو مدينة بابل وتقدمت باتجاه المدينة، فلاحظ جنود الفرس من مسافة بعيدة وهم مندهشون، أسوار بابل الشاهقة وزقورتها العالية التي بدت وكأنها تداعب شمس الشرق الساطعة. كانت هذه الاسوار وزقورتها التي يصل ارتفاعها إلى ما يزيد عن 80 متراً والمتوجة بمعبد ملتحف بالآجر المطعم بميناء أزرق لامع. تعرضُ الزقورة منظراً بديعاً وكأنها تؤطر السماء بطوابقها السبعة المتتالية. ظهرت أمام هؤلاء الجنود قرى المدينة المحيطة بها ممتلئة بغابات نخيلها وحقولها الخضراء وحدائقها المغروسة بأشجار النخيل والتين والرمان والخضروات. وشاهدوا نباتات البصل والكراث والشجر واللفت والبطيخ وغيرها من النباتات العارمة التي لم تألفها عيونهم وجعلتهم منبهرين بها غير مصدقين أعينهم.

كان من المفترض أن يقوم "أكبارو"، قائد منطقة غوتيوم إحدى مقاطعات الإمبراطورية البابلية في شرق نهر دجلة، بقيادة الجناح الأيسر للجيش البابلي، لكنه اتخذ موقفاً معارضاً على رأس الممتعضين من سياسة نبونيد، ولم يتردد من الانضمام والخضوع إلى قورش. وكما تذكر التقاليد، فقد اجتاح أكبارو والجنود الفرس مدينة بابل عبر حوض نهر الفرات واستولوا عليها مباغتة بدون أي قتال ولا سفك

للدماء. وبعد يومين تم احتلال مدينة سيبار أيضاً، بتاريخ 16 تشرين الأول سنة 539.

فهل يا ترى تعرض بيل — شار — أوزور إلى القتل من قبل الفاتحين الجدد في قصره الذي لم يتمكن من الدفاع عنه وعن نفسه؟ علم نبونيد بسقوط بابل، فتقدم نحوها لحمايتها، ولكن تم القبض عليه ووضع في الأسر. وبعد أسبوعين من الاحتلال وفي اليوم الثالث من شهر أرامسمانو (29 تشرين الأول) استقبل البابليون وكهنتها الذين كان تعلقهم بنبونيد ضعيفاً، الملك قورش بنوع من التعاطف، ونُصب أكبارو حاكماً على المدينة.

فهل تم تنفيذ حكم الإعدام بنبونيد أو هل - حسب الروايات اللاحقة - تم إرساله إلى المنفى في منطقة كارميني الواقعة في شرق الإمبراطورية الإخمينية للقيام بإدارة إحدى مدنها؟

يا نبونيد ملك بابل، مهما كان مجدك كبيراً ومهماً وأعمالك وإنجازاتك رائعة؛ لا تنتحب عليها، إذ إن الفرح والانتصار لا يدومان طويلاً على الأرض. ها هي ثروتك قد تهاوت وها هي طموحاتك السياسية والدينية قد أصابتها الخيبة. سقطت مدينتك البديعة التي فاقت عظمتها كافة المدن الأخرى.

تسقط أسيراً في أيدي الفرس ولم تعد سوى رجل مسن مخذول مهزوم، مرهق ومغمور في هول مصابك وفي شدتك المؤلمة. لم يبق لكَ سوى شجاعتك. فما هو مصيرك المنتظر؟

هل علمت بأن قورش سيكون رؤوفاً بحقك. فما عليك إلا أن تتصرف تصرف العاهل الفخور بنفسه. ولا يجوز لك، قبل أن تقضي مصيرك أو تغادر إلى المنفى أن تنتحب، بل عليك أن تلقي نظرة الوداع على مدينة بابل وتسلم عليها.

من سوف يحتفل بذكراك؟ لقد كنت عاهلاً أصيلا، مستقلاً، تقياً، زاهداً ومتعلقاً بالماضي. لأنه حسب المصادر التاريخية

والجغرافية البابلية، كنت ملكاً عادلاً، لكن هناك مصادر أخرى تعود إلى عصر الإخمينيين، تقول إنك كنت عاهلاً غير جيد، قليل التقوة وبدون اتّزان.

بابل في زمن الإخمينيين والهيلينين

هناك كتابة مسمارية طويلة منقوشة على أسطوانة من الصلصال، تروي بأن قورش صرح قائلاً: إن الإله مردوخ هو الذي أمره بالتوجه نحو بابل ولهذا السبب قام بمسح صورة واسم نبونيد من كافة المعابد. وحافظ على معبد مردوخ المشهور "إيزاجيل" وعبّر عن احترامه لآلهة بابل التي كان الملك المخلوع قد جمعها في معبد مردوخ للحفاض عليها، حيث مكثت سالمة قبل أن تعود إلى مدنها الأصلية. كما أن قورش أصدر أمراً بالسماح لليهود الذين كان نبوخذ نصر قد سباهم بالعودة إلى أرض أجدادهم، بعد أن اكتشفوا حضارة بلاد الرافدين ومدنها وثرواتها وأعمالها المتقدمة وحتى ملائكتها وشياطينها.

بقي أمام قورش الذي حافظ على بابل، أن يكتشف الجمال الأخاذ الذي حملته مدينة نبوخذ نصر ونبونيد الفرية، لكنها فقدت مكانتها كعاصمة للإمبراطورية البابلية. أمر قورش بالحفاظ على كامل فخامتها المشهودة، وقام بتشييد قصر في ربوعها وترسانة أسلحة.

وهكذا خضعت إمبراطورية نبونيد للحكم الفارسي، ولكنها احتفظت بنظامها الإداري وقوانينها الخاصة بها، وبأعمالها التجارية وطريقة عيشها ومعتقداتها الدينية.

ولم يخمد بريق الثقافة البابلية بالرغم من خضوعها للسيطرة الفارسية، فقد نشر الفرس الإخمينيون باتجاه الشرق معارف الكلدانيين ومبادئ التنجيم.

وقد استعار الإخمينيون من البابليين منذ عام 500 قبل الميلاد، فنّ تشييد المباني الفاخرة وتزيينها، واستعملوها لمنح عاصمتهم سوسة وقصر الملك داريوش أبهة.

مرت عجلة الزمن، توجه الإسكندر المقدوني (356 – 323 قبل الميلاد) بعد أن احتل سوريا وفينيقيا ومصر نحو بلاد الرافدين واجتاز نهري الفرات ودجلة وانتصر على داريوش الثالث، ملك الفرس في منطقة غوغاميليس (بالقرب من أربيل) عام 331. واستمر في تقدمه الخارق الذي أوصله إلى بابل، فأخضعها لسيطرته ودخل إليها منتصراً عبر طريق مزين بمعابد ومفروش بتيجان من الزهور. ويروي مؤرخ سِيَر الشخصيات التاريخية، اليوناني المشهور بلوتارك (حوالي 46 – 125ميلادية) في كتابه المعروف *"حياة إسكندر الكبير"* وهو جزء من موسوعته المشهورة *"حياة الرجال المشهورين"*، كيف نشر سكان بلاد بابل النفط لإضاءة الشارع الذي مرّ به إسكندر الكبير، وكان مقرراً أن يسكن في أحد قصور المدينة. فقاموا بإضاءته وأناروا أرجاءه بالنيران التي أعطت مشهداً منيراً ومستمراً، فانبهر الفاتح الشاب.

مكث إسكندر في بابل شهراً كاملاً قبل أن يتوجه إلى مدينة سوسة في بلاد فارس "برسيبوليس" وإلى الهند. اصطحب معه في جولاته الحربية الكهنة البابليين لممارسة أعمال التطهير، وكان معجباً بهم (حياة الإكسندر الكبير، LXIV, XCVI).

عاد إسكندر الكبير إلى بلاد الرافدين في ربيع سنة 323، عازماً على جعل بابل عاصمة لإمبراطوريته، وعلى إعادة تعمير معابدها والعيش كملوكها في حكمهم الزاهي. ولكن الكهنة الكلدانيين نصحوه عندما اقترب من أبواب المدينة بعدم الدخول إليها ثانية لكنه رفض النصح، وتروي المصادر التاريخية بأنه توفي في بابل بشكل مبكر بتاريخ 13 حزيران من تلك السنة.

في نهاية العهد الهيليني، تطرق المؤرخ اليوناني المعروف ديودوروس الصقلي (حوالي سنة 90 – 20 قبل الميلاد) في تأليفه الشهير "مكتبة التاريخ" إلى أحداث تاريخ العالم منذ بدايته لغاية فتح بلاد الغول من قبل يوليوس قيصر الروماني. وتكلم في كتابه عن علماء الفلك والمنجمين الكلدانيين قائلاً، إنهم لا زالوا يزهون في معارفهم.

لنترك الكلام لمؤرخنا:

"إن الكلدانيين الذين هم من أقدم البابليين، لهم مكانتهم في تنظيم الدولة، مثل المكانة التي يزاولها الكهنة المصريون. إنهم في خدمة الآلهة.

أجل، يكرسون حياتهم للفلسفة، ويتمتعون بشهرة كبيرة في علم الفلك" 4

استمرّ الكتّاب البابليون في ممارسة مهنة تعليم لغات بلاد الرافدين في العديد من مراكز البلد وفي نشر الكتابة المسمارية. يحمل النص الأخير للكتابة المسمارية، تاريخ فجر عصرنا.

هوامش الفصل الثامن:

1- انظر: غلاسنير J. J. Glasner) تواريخ بلاد الرافدين (Chroniques mésopotamiennes) .

2- ترجمة ليو أوبينهايم (A. Leo Oppenheim) من كتابة، (Ancient Near eastern Texts relating to the Old testament)، Press، 1950، مذكورة من قبل غراند بيار (V. Grandpierre)، تاريخ بلاد الرافدين (Histoire de la Mésopotamie)، دار غاليمار، ص 171.

3-انظر: الكتاب المقدس، كتاب دانيال، القرن الثاني قبل الميلاد، الفصل 5، 26- 28.

4- ديودوروس الصقلي، ولادة الآلهة والرجال (Naissance des dieux et des hommes)، ترجمة أم كاسفيتس (M. Casevittz)، باريس، منشورات الآداب الجميلة، (Les Belles Lettres)، 1991، الجزء XXIV، ص 154-155.

الفصل التاسع

نساء شهيرات

أردتُ أحياناً كثيرة الغوص في أعماق النصوص القديمة لاكتساب شيء من المعرفة. لقد كانت عبادة الآلهة الكبرى في بلاد سومر وفي بابل ونينوى مألوفة للغاية. كان السومريون يكرِّمون خاصة "إنانا" آلهة الحب و"نينجال"، قرينة الإله القمر "نانا" ويعظمون أيضاً "نيسابا"، آلهة النباتات وفن الكتابة. وكان البابليون يعبدون أيضاً "غولا"، آلهة الشفاء، أما الأشوريون فكانوا يقدسون عشتار النجمة الشهيرة آلهة الحب والحرب.

في بلاد الرافدين، سواء أتعلَّق الأمر بآلهة أو بملكة أو كاهنة وحتى خادمة، فهنّ جميعاً يتمتّعنَ بتاريخ خاص بهن وبأمجادهنّ.

كان الزواج بالنسبة للملوك، يشكل تحالفاً سُلالياً يؤدي إلى توثيق العلاقات القائمة مع الممالك الأخرى. لقد كان الملوك يطبقون نظام تعدد الزوجات، فكانت تلك الزوجات العديدات هُنّ "نساء القصر". يسري هذا النظام خصوصاً على الملكة أُم وريث العرش، التي كانت تأتي بالدرجة الأسمى وتأتي بعدها زوجات الملك الأخريات، إنهنّ

سيدات القصر. جميعهنّ يعشن في القصر الملكي، حسب نظام متدرج في الرتبة ويخضعنَ لقوانين البلاط، موطن الأسرار الخاصة والدسائس.

لا يجوز القول إن مكانهن في البلاط كان شبيهاً بالحريم العثماني. إذ كانت النساء المهمات يتمتّعنَ بحرية الخروج من القصر لأداء خدمات العبادة أو بممارسة الشعائر الدينية السائدة، والاهتمام بطقوس الفأل والتكهن.

واصلتُ جولتي عبر حياة النساء المعروفات اللواتي لم يلعبن دوراً هاماً على المسرح السياسي في بلاد الرافدين، ووجدتُ أن البعض منهن شكلن استثناء من هذه القاعدة، مثل الملكة الآشورية سامورامات (زاقوتو) أو أدادا ـ كوبي والدة نبونيد.

سامورامت

كانت هذه الملكة الآشورية زوجة الملك شمشي ـ أدادا الخامس (823-811 قبل الميلاد) وأم الملك الآشوري أدادا ـ نيراري (810-783 قبل الميلاد)، قد مارست الوصاية على العرش خلال فترة شباب ابنها. وكان اسمها منقوشاً على واجهة مسلة قامت بنصبها هي شخصياً في بلاد آشور، وتم العثور عليها عام 1909 عند إنجار أعمال تنقيب قام بها عالم الآثار الألماني والتر أندراي Walter Andrae.

تقول المسلة:

"مسلة سامورامت، سيدة قصر شمشي ـ أدادا، ملك العالم وملك بلاد آشور، أم أدادا ـ نيراري، ملك العالم وملك بلاد آشور، زوجة ابن شلمنصر، ملك الجهات الأربعة." 1

ألهمت شخصية سامورامت الكتاب الإغريق، تأليفَ أسطورة سميراميس المشهورة، التي جمع فصولها الطبيب اليوناني المعروف كتزياس والتي نقلها بعدئذ المؤرخ اليوناني ديودوروس الصقلي.

ملكات نمرود المغطاة بالحلي

عثر العلماء العراقيون للآثار في مدينة نمرود (كالح) في شهر نيسان من سنة 1989 على تابوت منسوب إلى أميرة آشورية احتوى على حلي من الذهب: نجوم ورود وأختام أسطوانية وأوعية مزينة ومطعمة بكتابات تذكر اسم "يابايا" زوجة الملك تقلات ـ فالاصار الثالث، واسم "بانيتو" زوجة الملك شالمنصر الرابع، واسم "تاليا" زوجة الملك سرجون الذين حكموا بلاد آشور من سنة 745 إلى سنة 705 قبل الميلاد.

كما عُثِرَ على قبر آخر بعد فترة قصيرة من الاكتشاف الأول، وهو القبر الذي ربما كان عائداً إلى الملكة "موليسو"، زوجة آشور ناصربال الثاني (883-859 قبل الميلاد). ولم يضم هذا القبر هيكلها العظمي، ولكنه احتوى ثلاثة توابيت من البرونز والعديد من الحلي والأدوات الذهبية.

زاكوتو، زوجة الملك سنحاريب

لعبت امرأة معروفة، تحت اسم "نقية" باللغة الآرامية و "زاكوتو" باللغة الآشورية، دوراً سياسياً هاماً في بلاط نينوى. كانت زاكوتو هذه زوجة ثانية لسنحاريب، سيدة قصر سنحاريب (704-681 قبل الميلاد) وأم أسرحدون (680-669 قبل الميلاد) لفترة طويلة. ولكنها حازت مكانةً هامة عندما تم اختيار ابنها، بفضل تأثيرها القوي، ليصبح الأمير الوريث للمملكة. لعبت عندئذ دوراً أساسياً إلى جانب أسرحدون الذي أصبح ملكاً فيما بعد. لقد منحها اهتماماً خاصاً وكان يصغي إليها بانتباه كبير، ومن مدينة نينوى كانت تنبهه بقراءة مجرى الأحداث.

ثمة تمثال يعرض صورة زاكوتو وكان قد تم نصبه لها في أحد المعابد، ويحمل كتابة منقوشة تشير إلى أحد أمراضها.

كما يمكن رؤية زاكوتو، منقوشة مع ابنها على صُفيحة برونزية (آتية من هيكل معبد أو عرش) وهي تحتفل بإعادة تعمير مدينة بابل. تظهر الملكة وهي تسير خلف الملك، حاملة مرآة في يدها، ويُخفض بواسطة عود كل منهما أنفه بتواضع (في متحف اللوفر).

عند وفاة الملك أسرحدون، أصبح الموقف غير مستقر في بلاد آشور، وتمكنت زاكوتو بفضل شخصيتها القوية، من فرض حفيدها آشور بانيبال (668–627 قبل الميلاد) على رجال الدولة الكبار، وهو الذي اختاره أسرحدون سابقاً ملكاً ووريثاً من بعده، وطلبت منهم أن يؤدوا القسم أمام الملك الجديد، لمواجهة احتمال تمرد الأمراء المبعدين عن السلطة:

"معاهدة زاكوتو، ملكة سنحاريب ملك آشور، أم أسرحدون ملك آشور، مع: شمش ـ شوم ـ أوكين، أخيه ومساويه، ومع شمش ـ موتو ـ أوباليت وباقي أخوته، ومع النسل الملكي.

وأيضاً مع الرجال العظام والحكام والحاشية والخصيان والمقربين للملك، ومع الضباط وكافة الأشخاص الذين يدخلون إلى القصر مع الآشوريين، الكبار منهم والصغار:

كل شخص مذكور (تم ذكره) في هذه المعاهدة، التي أبرمتها الملكة زاكوتو مع كامل الأمة، المتعلقة بحفيدها المفضل آشوربانيبال، يقوم بعمل شنيع ورديء أو يشن تمرداً ضد سيدنا آشوربانيبال ملك آشور، وكل شخص يصمم في قلبه أو يخطط لمشروع أو مؤامرة شنيعة ضد سيدنا آشوربانيبال ملك آشور، وكل شخص يعتزم في قلبه ويصيغ اقتراحاً سيئاً ومخططاً رديئاً بهدف التمرد والثورة ضد سيدنا آشوربانيبال، ملك آشور، أو مؤامرة مع شخص آخر [...] عليه أن يخبر زاكوتو أمه وسيدكم آشور بانيبال ملك آشور." 2

حُفظت هذه المعاهدة على لوح عثر عليه في مدينة نينوى وهو موجود اليوم في المتحف البريطاني.

لعبت زاكوتو، بوصفها ملكة أمّاً، دوراً سياسياً هاماً في الإمبراطورية الآشورية.

كما أن الملكة آشور ـ شورات، زوجة آشوربانيبال، تظهر هي الأخرى مع زوجها في لوحة منحوتة مشهورة حملت اسم، "الاستراحة تحت الكرم."

أدادا - كوبي

مازال صوت أدادا ـ كوبي (649-547 قبل الميلاد)، أم نبونيد ملك بابل، يرتفع من مسلة مودعة في معبد الإله سين إله القمر في مدينة حران حيث نُقشت عليها الكتابة التالية:

"أنا أدادا ـ كوبي، أم نبونيد ملك بابل، عابدة الآلهة سين ونينجال ونوسكو وسادارنونا آلهتي، لقد التجأت دوماً إلى هذه الآلهة منذ طفولتي."

ولدت أدادا ـ كوبي عام 649، في السنة العشرين من حكم آشوربانيبال، وربما تنحدر من أصل آرامي. كانت "امرأة ورعة وتقية" تجاه الإله سين إله القمر، وكانت تمنحه عبادة وتقوى، كما أنها نقلت ورعها هذا إلى ابنها نبونيد. ويبدو أنها ذهبت إلى بابل، عندما سقطت مدينة حران عاصمة الآشوريين الأخيرة بيد الميديين عام 610، وأقامت في البلاط ونالت على رتبة عالية واسم كبير بالإضافة إلى ممارسة تأثير كبير فيها. وهكذا، ساعدت صعود ابنها لكي يصبح ملكاً، وتم تنصيبه على العرش عن طريق ثورة حصلت في القصر الملكي. ولا بد أنها رافقته في الحكم، مقدمة له نصائح قيمة لممارسة مهنته الصعبة.

توفيت أدادا ـ كوبي في اليوم الخامس من شهر نيسان حوالي سنة 547، بعمر بلغ حوالي مائة سنة في مدينة دور كاراشو الواقعة على

شاطئ نهر الفرات، في أعالي مدينة سيبار. وسبَّبت وفاتها وقعاً كبيراً على ابنها وجنوده الذين أعلنوا الحداد عليها مدة ثلاثة أيام كاملة.

وكان نبونيد – المعروف بتعلقه تعلقاً كبيراً بأُمه التي أثرت فيه تأثيراً هاماً– يقيم عند وفاتها في مدينة تيماء ولم يشارك في تشييع والدته، بل ترك الأمر لابنه الأمير بيل ـ شار أوزور، فقام الأمير بمراسيم الحداد عليها مع جنوده مدة ثلاثة أيام.

الكاهنات الكبيرات

بعض النساء المنتميات إلى الطبقة الملكية أو المنحدرات من أُسَر غنية كنّ مكرسات من قبل والدهنّ لأحد الآلهة، بغية جذب عطف السماء للدولة.

أين ـ هيدو ـ أنا:

عيّن سرجون الأكادي (2334 –2279 قبل الميلاد) ابنته للقيام بدور الكاهنة الكبرى لإله القمر "نانا" في مدينة أور. وقد اتخذت هذه المرأة الشابة الاسم السومري "أين ـ هيدو ـ أنا" وعاشت بعفة في باحة المعبد وأنجزت رسالتها بتلهف.

ويمكن رؤيتها مُصوّرة على قرص نذري مصنوع من حجر الكالسيت (في متحف مدينة فيلادليفيا الأمريكية)، تم العثور عليه في مدينة أور وهي تشارك في مراسيم تقدمة القرابين إلى الإله نانا. يعرض هذا القرص الكاهنة وهي واقفة مرتدية ثوباً عريضاً، رافعة يدها خلف الكاهن الذي يقيم شعائره الدينية في الهيكل، وتتبعها خادمتان. كما يعرض القرص في ظهره كتابة تبين الألقاب الراقية الممنوحة لها بصفتها الكاهنة الكبرى وقرينة الإله نانا وابنة الملك سرجون. ويسطع بين شفتي الكاهنة أين ـ هيدو ـ أنا، اسم الآلهة "إنانا ـ عشتار" ملكة السماء والآلهة الحامية لمدينة أكد، عاصمة الإمبراطورية الأكّادية.

وكُرّس لها نشيد ديني جميل. حررتْ كمؤلفة بارعة ست قصائد شعرية مكتوبة باللغة السومرية وألّفت مجموعة أناشيد لمعابد سومر، وقد أعيد نسخها مراراً.

أين ـ نيغالدي ـ نانا:

دامت العادة الطقسية المتمثلة في تخصيص بنت كاهنة لخدمة المعبد قروناً عديدة، ثم تعرضت إلى الإهمال تدريجياً. على أن نبونيد أعاد الحياة لهذا الطقس مجدداً، فقام في القرن السادس قبل الميلاد بتنصيب إحدى بناته باسم سومري، إين ـ نيغالدي ـ نانا، بصفة كاهنة كبرى لمعبد الإله نانا (سين) في مدينة أور.

كما أعاد نبونيد تعمير الزقورة التي كانت قد تعرضت إلى الخراب، وفي أعلى قمتها كان معبد "إي ـ جيبار"، حيث الغرفة المقدسة والمكان الذي كانت تجري فيه الطقوس الدينية. واكتشف عالم الآثار الإنجليزي ليونارد وولي Leonard Woolley أثناء إنجاز التنقيبات الأثرية في مدينة أور تحت معبد إي ـ جيبار، "متحفاً" صغيراً يحتوي بضعة أغراض قديمة، ومنها قطعة باقية من تمثال الملك السومري شولجي (2094-2047 قبل الميلاد) ومخروط من الصلصال لملك لارسا ونصب كيشي يعود تاريخه إلى سنة 1400 قبل الميلاد وكتابة نذرية تعود إلى ملك أور "أمار ـ سين" (2046-2038 قبل الميلاد).

نساء كاتبات

نظراً لانتشار الكتابة في مجتمع بلاد الرافدين، لجأت بعض من نساء البلد إلى ممارسة مهنة الكتابة. ويمكن أن نجد أن مجموعة من الألواح محررة من قبل النساء.

وصل عدد الكاتبات في مدينة سيبار، المدينة المكرسة إلى إله الشمس شماش، خلال النصف الأول الممتد من القرن التاسع عشر إلى

القرن السابع عشر قبل الميلاد، إلى حوالي عشرين كاتبة. ومن بينها "إينانا ـ أما ـ مو"، المرأة الكاتبة التي عملت في ذلك الزمن في مدينة سيبار، وعُثِر على تسعة عشر لوحاً مكتوباً على يدها، تتطرق إلى مواضيع الشراء أو تأجير الحقول.

وهناك لوح عثر عليه في نفس الموقع يعود تاريخه إلى سنة 1765 قبل الميلاد ينهي قائمته باسم سيدة كاتبة، وهي "أمات ـ بو".

كما أن الأميرة شيماتوم، ابنة الملك زيمري ـ ليم (1780-1759 قبل الميلاد) من مدينة ماري، كانت لديها كاتبة تعمل عندها وهي "شيما ـ إيلات".

وفي الوقت نفسه، تذكر ملفات أرشيف القصر الملكي في منطقة تل شاغار بازار اسم "آبي ـ ليبورا" التي عملت كاتبة في القصر هي الأخرى.

وهكذا احتفظت ليالي الأزمنة الغابرة بأسرار تلك النساء.

هوامش الفصل التاسع:

1-انظر: مقال (روو G. Roux)، سميراميس، ملكة الشرق الغامضة (Sémiramis)، la reine mystérieuse de l'Orient ؛ مجلة التاريخ (L'Histoire)، العدد 68، 1984، ص 28

2-المعاهدات والقسم في الشرق الأدنى القديم (Traité et Serments dans le Proche-Orient ancien)، تقديم جاك بريند، دار سيرف (Le Cerf)، ملحق من دفتر الإنجيل (Cahier de l'Évangile)، باريس العدد 81، ص 83، 84.

الفصل العاشر

التراث والآفاق

حضارة بلاد الرافدين

عرفتْ بلاد الرافدين على مرّ العصور تمازجاً واختلاطاً فريداً بين شعوب متعددة وثقافات متنوعة، فأغنتها بدون شك في مسيرتها الإنسانية.

ولطالما وجه أبناء بلاد الرافدين القدماء الأسئلة لأنفسهم للحصول على أجوبة: عن خلق الكون ودور الآلهة ومصير الإنسان وعن أسرار الحياة والموت. طوروا الزراعة والحياة المدنية وتنظيم الدولة واختراع الكتابة وممارسة القانون. وحرروا المؤلفات الأدبية الكبرى واهتموا بالفن، وفي الوقت عينه وسّعوا معارفهم في علم الفلك والطب وتبنوا تقنيات فكرية في العرافة لحماية الملك والدولة.

كانت شعوب الشرق تراقب العالم الذي تعيش فيه. وهي تنوي وترغب القيام بوضع نظام فيه، وباستيعاب أبعاده العميقة. أنتجت هذه الأقوام على امتداد الأزمنة "علماً" على شكل قوائم في مواد

النباتات والأمراض والتنجيم...الخ. وأنشات جداول في الحقل الفلكي والرياضي. وتمكنت شعوب بلاد الرافدين، بفضل قوة تفكيرها من إنجاز الخطوات الأولى في السياق العلمي وفي التنظيم العقلاني للفكر، الذي اقتبسته منها بلاد اليونان وطورته فيما بعد. على أن هذه الأقوام كانت تحاول منح الأولوية للأسطورة الساطعة كمصدر لبعض أجوبتها، ولخيالها. ومع ذلك، أنشأت حضارة مبنية على واقع الحياة والعالم كما هو، لأنها اقتنعت بعدم وجود شيء وراءه.

مجتمعات وملوك

بالنسبة لشعوب بلاد الرافدين، كانت الملكية النازلة من السماء، تشكل الطراز الوحيد للحكم في عالمهم. وكان الملوك يعتبرون أنفسهم وكلاء للآلهة على الأرض، ولهم مكانة رفيعة لدى رعاياهم وشعوبهم. وكان من واجبهم أيضاً، أن يتحملوا المسؤولية أمام الآلهة إن لم يتقيدوا باحترامهم ورعاية شعبهم.

عاش هؤلاء الملوك وسط مجتمعات أظهرت أن المعرفة لديهم كانت تشكل عاملاً أساسياً للتطور. إنها مجتمعات مبنية على نظام مدني وأبوي وتقليدي ورتبي، حافظوا على قواعدها الاجتماعية والاقتصادية التي يعود تاريخ إنشائها في بعض الأحيان إلى الألفية الثالثة. عاش ملوك بلاد الرافدين وترفهوا وهم محاطون بالحاشية والكتبة والخدم والجنود والنساء والأطفال، وتمثلت مهمتهم الأساسية في الحفاظ على النظام والتوازن الذي ترتكز عليه ممالكهم.

خضعت هذه المجتمعات مبكراً لنظام القوانين، ولكن هذه القوانين لم تشمل دائماً مجمل الحالات الموجودة على الواقع. في الكثير من الأحيان، تعرضت مصالح وحقوق الأفراد إلى الانتهاك أمام مصالح المجموعات الاجتماعية العالية.

ما المكانة التي احتلها الإنسان في مثل هذه النظم الملكية الشرقية؟ بصورة عامة، كان الإنسان يعيش خاضعاً وذليلاً تحت إرادة وسلطة الآلهة، ولم يكن إلا خادماً بسيطاً لها.

ووجد الإنسان نفسه أيضاً، مضطراً إلى أن يكون مطيعاً طاعة مطلقة للملك، وخاضعاً للتقاليد والعادات المتوارثة عبر الأزمنة.

وأخيراً جاء عهد الإغريق، فاقتبسوا كافة المعارف التي كانت سائدة آنذاك، من بلاد الرافدين ومن مصر، واعتنوا بها وطوروها بعبقريتهم الخاصة، وبحثوا عن أفكار جديدة خلف وخارج الأساطير القديمة والصور الشرقية. ونمت قدرتهم على الاستنباط والتحليل، وحاولوا شرح الظواهر الطبيعية وتقديم التفسير العقلاني والطبعي لها، بدون الرجوع إلى الطرق الروحانية وإلى الآلهة. وتساءلوا عن مصدر الأشياء وأسسها ومستقبلها.

وهكذا أخذ الفكر الهيليني الحديث واليافع مساراً جديداً، وارتقى شيئاً فشيئاً ليصل إلى العقل المطلق وجُعِلَ معياراً للبحث عن الحقيقة.

الخاتمة

وهكذا انتهت هذه الجولة الفاتنة التي نقلتني من سومر، حيث بدأت الإنسانية خطواتها الأولى نحو الحضارة وصولاً إلى بابل المدينة الراقية بمعالمها، ومروراً ببلاد آشور ومواقعها وأطلال آثارها الشامخة عبر السنين.

لقد اقتفيت طريق الماضي مع هذه الشخصيات الشهيرة التي صنعت تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، رجال عظام شدّوا قبضاتهم على الحكم وسيطروا على زخم الأحداث وحاولوا إنشاء إمبراطوريات، وأرادوا توجيه مسار التاريخ وتغيير العالم. إنهم يشكلون اليوم جزءاً لا يتجزأ من ماضينا الكبير.

بدون شك، كان لكل عاهل طبيعته وأوضاعه وقصة تختلف عن قصص الآخرين، إلا أن ما يميزهم جميعاً، يتمثل في القريحة السياسية والعسكرية وبراعة إبراز ألقابهم وخصالهم وطموحهم وطاقتهم، وتعطشهم إلى الانتصارات والإيمان بنجمة تفاؤلهم.

لم يكن ملوك سومر وأكد وبابل وآشور الذين ذكرتهم المصادر المكتوبة وعرضت رسومهم المنحوتة، ملوكاً طغاةً أو مستبدين شرقيين، رغم قسوة بعضهم، بل كانت نيتهم أن يطيعوا بتواضع الآلهة التي منحتهم الملوكية والذين كانوا يمثلوها على الأرض. وكان يتم تنصيبهم وتكريسهم عبر شعائر التتويج واستلام العرش من يد الكهنة العظام ونيل شارات السلطة والصولجان وعصا الحكم. لم يكن هؤلاء الملوك

كهنة ولكنهم كانوا يشاركون في العديد من الاحتفالات الدينية وينجزون بعض شعائر التطهير والخصوبة. وكانوا يأخذون سلطة الكاهن بعين الاعتبار، لأنه في بعض الأحيان كان قادراً على التدخل في الحياة السياسية.

وبصفتهم العواهل العظام أو الإداريين العادلين أو الرعاة المسؤولين عن شعوبهم، كان أولئك الملوك يتفاخرون برغبتهم في تحسين ظروف الحياة ومنح شعوبهم السلام والرفاهية ونشر السعادة بينهم. لقد أنجز ملوك بلاد الرافدين الأشداء والقادة المنتصرون واجبهم بالحفاظ على أراضيهم من الغزوات الأجنبية وعملوا على توسيع حدودها وأغنوها بفضل غنائم الحروب والضرائب.

لعب هؤلاء الملوك المقاتلون والأتقياء، من العصر السومري إلى العصر الآشوري الجديد والعصر البابلي الحديث، دور ملوك مشيدين عملوا على ترميم أو بناء المعابد والقصور، ومنهم من أنشأ مدناً وإمبراطوريات.

ساروا بجرأة نحو المستقبل ولم ينسوا الماضي الذي ارتبطوا به خلال مراحل عديدة. ومن بينها الشعائر والطقوس والاحتفالات القديمة التي مارسوها وحافظوا عليها، مثل يوم عيد أنكيدو لرأس السنة الجديدة وغيرها من المناسبات والأعياد الدينية أو الاجتماعية. إذا كان التطور يعبر عن الانتقال من الحياة البدائية إلى الحياة الحضارية ومن البادية إلى المدينة، يمثل فكرة ولدت وازدهرت على أرض الرافدين، مثل قصة البطل أنكيدو أحد شخصيات أسطورة جلجامش المشهورة، فإن هذا التطور لابد وأن يبقى مع ذلك أميناً ومخلصاً للأعراف المتأصلة.

كان معظم قادة بلاد الرافدين يرغبون بنشر العدالة، وعملوا على توجيه التطور الاجتماعي والروحي لكي يكون منصفاً للسكان. أولم يقم أور- نامو، في نهاية الألفية الثانية، بسن وكتابة قانونه المشهور؟

كما أن حمورابي ملك بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، قام هو الآخر بتنظيم قواعد حياة المجتمع بمنحه قانوناً لشعبه، فوضع نفسه حارساً عليه وطُبق خلال عصور كاملة. وتمكن حمورابي من توحيد بلاد الرافدين التي كانت مجزأة، عن طريق الكتابة المسمارية الساحرة، التي استعملها الملوك والحكام لفرض القانون وسن الشرائع على الجميع، وليس عن طريق التخويف.

وقد اختارت بلاد آشور، في القرن الثامن قبل الميلاد، نمط دولة أكّاد الساطعة (2335-2155 قبل الميلاد). لأنه عندما وصل سرجون الثاني إلى السلطة في نهاية شتاء عام 722 قبل الميلاد، منح لنفسه اسم مؤسس هذه السلالة وشيد قصراً وعاصمة جديدة ووسع إمبراطوريته.

واستعاد حكام بلاد آشور الذي خلفوه في الحكم استعمال الألقاب التقليدية التي كان نارام سين ملك أكد (2254-2218 قبل الميلاد) قد منحها لنفسه والمتمثلة في "ملك المناطق الأربع في العالم" و "ملك العالم".

أصّل هؤلاء الملوك الذين اشتُهروا بالبسالة في الحروب، تطبيق برنامج الحملات العسكرية والفتوحَات التي أنجزها أسلافهم، لإبقاء السيادة الآشورية المطلقة على المقاطعات البعيدة عنها، كما تبين ذلك نصوص حوليات التواريخ الغزيرة واللوحات المنقوشة. كانوا مقتنعين من خلال حملاتهم، بأن حضارة بلاد الرافدين تسمو على الأعمال البربرية والفوضى السائدة في المنطقة. أرادوا توحيد مختلف بلدان الشرق الأدنى تحت إدارتهم الوحيدة، وكان الحكام الخاضعين لهم يتمتعون بحق حمايتهم. كما أن ملوك بلاد الرافدين لم يمارسوا قط سياسة التمييز العنصري ضد الأجانب والغرباء. بل سمحوا للشعوب الخاضعة لسلطتهم والمُبعدة إمكانية الاحتفاظ بلغاتهم وأديانهم وتقاليدهم وعاداتهم.

أشار هؤلاء الملوك القديرون والصناديد، وعلى الرغم من ممارستهم السلطة المطلقة والحكم الثابت، إلى خصائص حكمهم، وكانوا يعملون على أن تشارك شعوبهم في حلمهم بالعظمة. ولم يترددوا في مشاركة شعبهم الاستمتاع بنغم الموسيقى أثناء الاحتفال بالانتصارات والتباهي بإنجاز أعمالهم. كما أنهم منحوا مكانة هامة للطبيعة وجمالها التي التأموا معها، ومنحوا أهمية كبرى للقيم الفكرية والفنية والاجتماعية. كان هؤلاء الملوك يعشقون الزخرفة ويبتهجون في ارتداء الملابس الجميلة المزينة بالحلي، ويتمتعون بحس جمالي رفيع. لقد زينوا القصور المشيدة بالآجر المطعم بألوان رائعة، مزخرفين جدرانها باللوحات المنقوشة وبالفرائز المزركشة. وهكذا أدخلوا شعبهم في نظام العالم بمنحه المجد الخالد.

وقد أصبحت بابل بأسوارها الرائعة وآثارها العظمى أجمل مدينة في العالم، إذ أثارت في حينها إعجاب جميع الشعوب.

كان نبونيد، آخر ملوك بابل، يتمتع برغبة دفعته للبحث عن التاريخ والمعالم، وإقامة علاقات وطيدة مع الماضي، حيث كان يستمد من أسلافه شرعيته. أحب الافتخار بأسلافه، وببصيرة واضحة كان ينوّه ويتطرق إليهم رغبة منه بتكريمهم وتعظيمهم لإنجازاتهم. فرح وابتهج عندما اكتشف في مدينة سيبار تمثال سرجون ملك أكد، فطلب حالاً إعادة ترميمه. وسوّى فرحاً الباحة المقدسة التي كان قد شيدها نارام ـ سين حفيد سركون في نهاية الألفية الثالثة قبل عصرنا، أي حوالي ألفي سنة قبل نبونيد.

هكذا ختمتُ جولتي وانتهيت من إقفال منفذ الدائرة المضيئة التي دخلتُ من خلالها إلى سِيَر حياة الشخصيات التي سادت بلاد الرافدين لفترة طويلة، وحاولتُ رسم صورها وأحلامها وأعمالها الخالدة.

جدول التسلسل التاريخي

العصر السومري (2650-2342 قبل الميلاد)

في جنوب بلاد الرافدين، توفرت خمس عشرة مدينة – دولة كانت كل منها خاضعة للإدارة من قبل ملك.

أوروك: جلجامش (حوالي 2650)

لكش: إياناتوم (حوالي 2454 – 2425)

لكش: أوركاجينا (حوالي 2351 – 2342)

أوروك: لوكالزاجيزي (حوالي 2342)

العصر الأكدي (2335- حوالي 2155 قبل الميلاد)

سرجون: (حوالي 2335- 2279)

نارام – سين (2254 – 2218)

العصر السومري الجديد (2112-2004 قبل الميلاد)

لكش: كوديا (حوالي 2141 – 2122)

أور الثالثة: أور – نامو (2112 – 2095)

شولجي (2094 – 2047)

إبي – سين (2028 – 2004)

الدويلات الأمورية: إسين (2017 – 1794 قبل الميلاد)

لارسا (2025 – 1764 قبل الميلاد)

العصر البابلي القديم (1894-1959 قبل الميلاد)
حمورابي (1792 – 1750)

العصر الكيشي في بابل (1595-1155 قبل الميلاد)

الفترة الوسيطة الآشورية (1366-934 قبل الميلاد)
شلمنصر الأول (1366 – 934)
توكولتي – نينورتا الأول (1244 – 1208)

الإمبراطورية الآشورية الجديدة (934-612 قبل الميلاد)
آشوربانيبال الثاني (883 – 859)
شلمنصر الثالث (858 – 824)
تيقلات – فلصر الثالث (745 – 727)
سرجون الثاني (722 – 705)
سنحاريب (704 – 681)
آسدون (680-669)
آشوربانيبال (668 – 627)
612: سقوط نينوى

الإمبراطورية البابلية الجديدة (609-539 قبل الميلاد)
نبوبوبولصر (625 – 605)
نبوخذ نصر الثاني (605 – 562)
نبونيد (556 – 539)

السيطرة الفارسية (539 – 331 قبل الميلاد)

خلاصة بالمصادر

* أندريه – سالفيني بي (B. André-Salvini)، بابل (Babylone)، سلسة ماذا أعرف (Que sais-je)، باريس، دار P.U.F

* بوتيرو جي (J. Bottéro)، ملحمة جلجامش، الرجل الكبير الذي لم يريد أن يموت (L'épopée de Gilgamesh, Le grand homme qui ne voulait pas mourir)، فجر الشعوب (L'aube des peuples)، 1992

* بوتيرو (J. Bottéro) ، دعوة إلى الشرق القديم (Invitation à l'Orient ancien)، دار دي سيو (Seuil)، 1992

* بوتيرو جي (J. Bottéro) و كرامير أس أن (Kramer S.N.)، عندما عملت الآلهة الرجل، أساطير بلاد الرافدين (Lorsque les dieux faisaient l'homme, Mythologie mésopotamienne)، باريس، دار غاليمارد (Gallimard) 1989

* بريند جي (J. Briend)، المعاهدات والقسم في الشرق الأدنى القديم (Traités et serments dans le Proche-Orient ancien)، ملحق من دفتر الإنجيل (Cahier de l'Evangile)، العدد 81، دار لي سيرف (Le Cerf).

* ثم دفاتر الإنجيل (Cahierd de l'Evangile)، حكمة بلاد الرافدين (Sagesses de Mésopotamie)، ملحق من دفتر الإنجيل، العدد 85، باريس، دار لي سيرف (Le Cerf).

* شاربان دي(D. Charpin)، القراءة والكتابة في بابل (Lire et écrire à Babylone)، باريس، دار P.U.F

* تـواريخ آشـور وبابـل (Chroniques d'Assyrie et de Babylone)، ترجمـة فـي شـيل (V. Sceil)، بونيـون أتـش (H. Pognon)، نشر دار باليو (Paléo)، 2011
* ديزهـايس جـي (J . Deshayes)، حضـارات الشـرق القديم (Les Civilisations de l'Orient ancien)، دار آرتو (Arthaud)، 1969
* وثائق عن الكتاب المقدس، الصلوات في الشرق القديم (Prières de l'Orient ancien)، دار لي سيرف (Le Cerf)، باريس.
* غـاريلي بـي (P.Garelli)، علـم بـلاد آشـور (L'Assyriologie)، سلسـة ماذا أعرف (Que sais-je)، باريس، دار P.U.F 1964
* غلاسـنيرجي جـي (J.J. Glassner)، تـواريخ بـلاد الرافـدين (Chroniques mésopotamiennes)، بـاريس، الآداب الجميلـة (Les Belles Lettres)، 1993
* غرانـد بيـار فـي (V.Grandpierre)، تـاريخ بـلاد الرافـدين (Histoire de la Mésopotamie)، بـاريس، نشـر دار غاليمـارد (Gallimard) مجلد التاريخ، 2010
* أي كـي غريسـون (A.K.Grayson)، الكتابـات الملكيـة لـبلاد آشـور (Asyrian Royal Inscriptions)، هاروسـويتز وايرسـبادن (Harrasowitz, Wiesbaden)، 1976-1972
* هرودا بارتيل (Hrouda Barthel)، الشرق القديم (L'Orient ancien)، فرانس لوازير (France Loisirs)، باريس 1992
* هوو جـي أل (J.-L. Huot)، السـومريون (Les Sumériens)، دار إيرانس (Errance)، 1989
* جـوانيس أف (F Joannès)، بـلاد الرافدين فـي الألفيـة الأولـى قبل الميلاد (La Mésopotamie au 1er millénaire avant J. C)، باريس، دار أرمان كولان (Armand Colin)، 2000

* جـوانيس أف (F.Joannès)، قـاموس حضـارة بـلاد الرافـدين (Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne)، بـاريس، دار ر لافون (R. Laffont)، 2001
* كراميـر أس أن (S. N. Kramer)، التـاريخ يبـدأ فـي سـومر (L'Histoire commence à Sumer)، دار آرتو (Arthaud)، 1957
* بلاد الرافدين (La Mésopotamie)، نشر تـايمس لايف (Times-Life)، أمستردام (Amsterdam)، 1995
* قانون حمورابي (Le code de Hamourabi)، دار لـي سيرف (Le Cerf)، باريس 1996
* ليفيك جي (J. Lévêque)، حكم بـلاد الرافدين (Sagesses de Mésopotamie)، ملحق من دفتر الإنجيل (Cahier de l'Evangile)، العـدد 85، دار لـي سـيرف (Le Cerf)، دي دي لوكينبيـل (D. D. Luckenbill)، (Ancient Record of Assyria and Babylonia)، شيكاغو، 1926-1927
* مارجيرون جي سي (J.-C.Margeron)، أبناء بلاد الرافدين (Les Mésopotamiens)، دار أرمان كولان (Armand Colin)، 1991
أس موسـكاتي (S.Moscati)، ملحمـة الفينيقـين (L'Epopée des Phéniciens)، دار فايارد (Fayard)، باريس 1971
* نـوغـايرول جـي (J. Nougayrol)، وأينـارد جـي أم (Aynard J.-M)، بـلاد الرافـدين (La Mésopotamie)، بـاريس، دار بلـود و غـاي (Bloud et Gay)، 1965
* بـارو أي (A.Parrot)، سـومر (Sumer)، "عـالم الأشـكال" (L'Univers des formes)، دار غاليمارد (Gallimard) 2007
* بـارو أي (A. Parrot)، سـومر (Sumer)، "عـالم الأشـكال" (L'Univers des formes)، دار غاليمارد (Gallimard)

* بيشو أي (A. Pichot)، ولادة العلم، 1، بلاد الرافدين، مصر (La naissance de la science, 1, La Mésopotamie, l'Egypte)، فوليو (Folio essais)، دار غاليمارد (Gallimard)، 1991

* صلوات الشرق القديم (Prières de l'Orient ancien)، وثائق حول الكتاب المقدس (Documents autour de la Bible)، دار لي سيرف (Le Cerf)، 1989

* جي بي بريتشارد (J. B. Pritchard)، (Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament)، برينستاون (Princetown)، 1969

* راشيه جي (G.Rachet)، قاموس حضارات الشرق القديم (Dictionnaire des civilisations de l'Orient ancien)، دار لاروس (Larousse)، 1999

* راوف أم (M.Roaf)، أطلس بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم (Atlas de la Mésopotamie et du Proche -Orient ancien)، دار بريبولس (Brepols)

* رو جي (G.Roux)، بلاد الرافدين (La Mésopotamie)، دار دي سيو (Seuil)، 1985

* روتين أم (M. Rutten)، بابل (Babylone)، باريس دار P.U.F، 1966

* إي سولبيرجير و جي آر كوبير (E.Sollberger et J. R.Kupper)، الكتابات الملكية السومرية والأكّادية (Inscriptions royales sumériennes et akkadiennes)، باريس، دار لي سيرف (Le Cerf)، 1971

* سومر (Sumer)، نشر تايمس لايف (Times-Life)، أمستردام (Amsterdam)، 1993

* فييرا أم (M.Vieyra)، الآشوريون (Les Assyriens)، دار دي سيو (Seuil)، 1961

فهرس المحتويات

المقدمة 5

القسم الاول: سومر، أكد وبابل 9

الفصل الأول 13

جلجامش، ملك أوروك

الفصل الثاني 23

إياناتوم، ملك لكش

الفصل الثالث 28

أوركاجينا، المدافع عن الضعفاء

الفصل الرابع 32

لوكالزاجيزي، ملك لدوبلات سومر

الفصل الخامس 35

سرجون، قوس وخاتم أكد

الفصل السادس 45

نارام – سين الباهر

الفصل السابع 58

كوديا، أمير لكش

الفصل الثامن 65

أور . نامو وإمبراطورية أور الثالثة

الفصل التاسع 75

شولجى، ملك أور الموسيقى
الفصل العاشر 87
إبى – سين، الملك واللؤلؤة
الفصل الحادي عشر 95
حمورابى، ملك القانون فى بابل
القسم الثاني: بلاد آشور وبلاد الكلدان 107

الفصل الأول 111
حكم مجيد، توكولتى – نينورتا الأول
الفصل الثاني 117
وجها آشور ناصربال الثانى
الفصل الثالث 134
سرجون الثانى، الملك المقاتل
الفصل الرابع 152
حدائق وإنجازات سنحاريب
الفصل الخامس 174
أسرحدون، الملك المنتبه
لعلامات السماء
الفصل السادس 192
آشوربانيبال الرائع
الفصل السابع 212
نبوخذ نصر ملك الدولة الكلدانية
الفصل الثامن 213
نبونيد، آخر ملوك بابل
الفصل التاسع 245
نساء شهيرات

الفصل العاشر 254
التراث والآفاق
حضارة بلاد الرافدين
الخاتمة 257
جدول التسلسل التاريخى 261
خلاصة بالمصادر 263

1001101493
Noor.k.kh-1994

تميّز أبناء الرافدين بإبداعاتهم المختلفة، فكانوا أول من اخترع العجلة وفنون إرواء المدن، وتنظيم الدولة بمعناه الواسع، وإنشاء الأنظمة الإدارية الأولى. كما كانوا السباقين في إدراج الإنسان داخل صفحات التاريخ باختراعهم الكتابة قبل حوالي 3300 سنة قبل الميلاد. وهم الذين طوّروا بكفاءة التقنيات والفنون والتجارة. لقد سنّوا وطبقوا القوانين والشرائع الأولى، ودوّنوا مبكراً الأساطير والصلوات والأشعار البطولية والغنائية. إنّهم مبتكرو علوم الفلك والتنجيم والطب.

لقد أعاد مُنقِّبو الآثار والعلماء والمؤرخون الذين عملوا منذ قرن ونصف بحماس بالغ، الحياة إلى الماضي الباهر لبلاد الرافدين، واكتشفوا أجزاء عديدة من الفخاريات الزخرفية والنقوش المنحوتة والأعمال الفنية، وفكّوا رموز الآلاف من الألواح الطينية المغطاة بالكتابات المسمارية، وقرؤوا الوثائق المحفوظة، ونصوص الأشعار البطولية والغنائية.

في ذلك الزمن، زمن السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين، زمن بلاد الرافدين الزاهي، كانت تتموج سنابل القمح والشعير، وتتدفّق الجعّة والزيت والعسل بغزارة في ربوعها العامرة، والريح تعزف ألحانها على أوتار القيثارة الرافدية الممتدة على أزمنتها الجميلة. حينذاك، كانت مغامرات الإنسان ونباتات القصب وسعف النخيل كَمِثل الثيران والسنابل، تتحاذى مع الحلم والواقع والمأساة.

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339
9 789933 523534

https://t.me/Borsippa_Library

المصادر العربية والمعربة

1. أ.س. ميغوليفسكي، أسرار الالهة والديانات، ط4، ترجمة: حسان ميخائيل إسحق، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٩.
2. ابتهال عادل ابراهيم الطائي، تاريخ الاغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني، دار الفكر، عمان، ٢٠١٤.
3. ابراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، القاهرة، 2004.
4. ابراهيم سكر، الدراما الاغريقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د.ت).
5. ابراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، المكتب المصري، القاهرة، ١٩٩٨.
6. ابراهيم قطب، مفهوم الترويح ونظرياته في المجتمعات الحضرية المعاصرة، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1981.
7. ابن فارس، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقايس اللغة، دار الفكر، بيروت، 1979.
8. ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، 1405هـ.
9. أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: حسين مؤنس ومحمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).
10. أبو إلياس سويد الأحمدي، صلاة الجمعة: فرض ديني أم حدث اجتماعي، نشره أبو إلياس، (د.مط)، ٢٠٢١.
11. احسان الملائكة، أعلام الكتاب الإغريق والرومان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001.
12. احمد عثمان، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ط3، الموسوعة الكلاسيكية، القاهرة، 2001.
13. أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954.
14. ادوارد الخراط، فجر المسرح- دراسات في نشأة المسرح، دار البستاني، القاهرة، 2003.
15. أرسطو، دستور الأثنيين، تعريب: الأب أوغسطينس بربارة، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2013.
16. أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1953.
17. أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، المطبعة الأهلية، بيروت، 1981.

18. الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981.
19. إسلام الهادي، هوصل: انطلق إلى ما أردت أن تكون، دار بيلومانيا، القاهرة، 2019.
20. اسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ج8، عالم الكتب، بيروت، 1994.
21. افلاطون، هيباس الأكبر محاورة عن الجميل، ترجمة: علي نجيب ابراهيم، دار كنعان، دمشق، 2016.
22. ألفرد زيمرن، الحياة العامة اليونانية السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس، ترجمة: عبد المحسن خشاب، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009.
23. امين سلامة، الأساطير اليونانية والرمانية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1988.
24. أنتوني جوتليب، حلم العقل تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2015.
25. اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة: محمد توفيق حسين، مطبعة وزارة التعليم العالي، بغداد، 1989.
26. أندريه ايمار، وآخرون، تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة، ط2، دار منشورات عويدات، بيروت، 1986.
27. أندريه جيد، أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية، ترجمة: طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1946.
28. أنور الحمادي، التعاليم السرية لكل العصور، مكتبة المدبولي، القاهرة، 2021.
29. إيتان ديلابويسيه، مقالة في العبودية المختارة، ترجمة: مصطفى صفوان، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2017.
30. ايمان عباس الخفاف، الذكاء الانفعالي: تعلم كيف تفكر انفعاليا، دار المنهل، عمان، ٢٠١٣.
31. إيمان عباس الخفاف، اللعب، دار المناهج، عمان، ٢٠١٥.
32. ايوب دخل الله، علوم التربية (تاريخها، فلسفتها، مناهجها)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015.
33. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، الموصل، 1977.
34. برسى جاردنر، عبقرية الفن اليونانى وعلاقتها بألعاب القوى، تاريخ العالم، مطبعة مصر، (د.ت).

35. بسام محمد عرفات زينو، المسؤولية عن الاضرار في اماكن الترفيه في الفقه الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة، 2016.
36. بلوتارك (فلوطرخوس)، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.
37. خيرة بن زين، المرأة والحمام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠٠٩.
38. زهيه بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية في رحاب حضارات الماء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد١٨، ٢٠١٥.
39. امال بوعلي، عتشوم أية، تأثير صفة المرونة على زيادة فعالية القوى الدافعة للسباحة الحرة 50 متر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي، 2015.
40. بيار غريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، دار عويدات، بيروت، 1982.
41. بيير ديفانبيه، وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤.
42. تيودور جياناكوليس، اليونان – شعبها وأرضها، ترجمة: محمد أمين رستم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963.
43. ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.
44. جابر بن سالم موسى القحطاني، الطب البديل مكمل للطب الحديث، دار العبيكان ، الرياض، ٢٠١١.
45. جاردنر، علم الآثار، ترجمة: زكي محمود حسن، وكالة الصحافة العربية، مصر، 1936.
46. جاكوب ليفيمورينو، السيكودراما، ترجمة: محمد أحمد محمود خطاب، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ت).
47. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 2005.
48. جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
49. جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون – عالم المعرفة، الكويت، 2002.
50. جميس بالدوين، أقاصيص من الأساطير اليونانية، ترجمة: جميل منصور، دار العرب، القاهرة، 2011.

51. جميل التكريتي، قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985.
52. جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة: لفيف من العلماء، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1970.
53. جون أ. هامرتن، تاريخ العالم، ترجمة: وزارة المعارف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
54. جياناكوليس، اليونان، ص41؛ غانم سلطان، جزر العالم، مكتبة الفلاح، الكويت، 1988.
55. جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة، نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، 2014.
56. جيمس هنري برستيد، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1926.
57. حتم صابر خوشناو، تأثير المنهج التعليمي في تعلم سباحتي الحرة والظهر، دار غيداء، عمان، 2012.
58. حسام الدين شعلان، احمد مسعودي، الفضاء العام وتطبيقاته الاجتماعية – مقاربة نظرية وتاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، المجلد 13، العدد 1، الجزائر، 2021.
59. حسام محي الدين الالوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
60. حسين الشيخ، اليونان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٢.
61. حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ط5، مكتبة العبيكان، السعودية، 2004.
62. الحسينى الحسينى معدّى، الأساطير الإغريقية، دار كنوز، القاهرة، 2011.
63. الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995.
64. حميد موراني وعبد الحليم منتصر، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتب، الموصل، 1977.
65. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1918.
66. حنا عبود، من تاريخ الرواية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
67. خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، دار الشروق، عمان، 2004.
68. الخطيب، تاريخ حضارات العالم القديم، دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٥.

69. داليا عامر، تاريخ التربية الرياضية والبدنية، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة المستنصرية، (د.ت).
70. دريني خشبة، أساطير الحب والجمال عند اليونان، دار التنوير، 1983.
71. دعاء سلامة غنام، تعريف الهوايات الشخصية، 2020/4/6، مقال منشور.www.mawdoo3.com
72. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.
73. الرافعي، احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، مكتبة لبنان والتراث، بيروت، 1987.
74. رجب عبد الحميد الاثرم، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط٢، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠١.
75. روز، الديانة اليونانية القديمة، ترجمة، رمزي عبده جرجيس، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965.
76. رونالد موتا، التعليم من أجل الابتكار والتعلم المستقل، دار العبيكان، عمان، 2017.
77. ريتشارد سويدبرغ، مبادئ علم الاجتماع الاقتصادي، ترجمة: جهاد الترك، مراجعة: عمر سليم التل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٩.
78. الزبيدي، محمد مرتضى الحسين، تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2001.
79. سامي سعيد الأحمد، الإله زووس مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1970.
80. ستانفورد ماك كراوس، الحياة في الإمبراطورية الرومانية، مطبعة كامبريدج ستانفورد، لندن، 1932.
81. ستانلي ادغار هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1958.
82. سعيد إسماعيل علي، التربية في الحضارة اليونانية، عالم الكتب، القاهرة، 1995.
83. سفيان البوخاري، الأعياد الدينية عند الإغريق، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، العدد 32، المغرب، 2021.
84. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٩.
85. سميره عرابي، السباحة، دار مجد، عمان، ٢٠١٧.
86. سيد احمد الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978.
87. سيد احمد علي الناصري، الاغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

88. سينيكا، هرقل فوق جبل اويتا، ترجمة: احمد عثمان، مطبعة وزارة الإعلام، الكويت، 1981.
89. شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، تعريب: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب، القاهرة، 2012.
90. شيماء المريني، الموسيقى اليونانية، عراقة وتفرد في الابداع، 26، 1، 2017، مدونة Aljazeera.net.
91. صالح بشير سعد، واخرون، الأسس العلمية لتعليم السباحة والتدريب عليها، دار زهران، عمان، ٢٠١١.
92. صالح بن علي ابو عراد، الترفيه والترويح في حياة الشباب المسلم، (د.مط)، أبها، 2008.
93. صفاء محمد إبراهيم الجبالي، الرياضة في اقليم كيرينايكي في العصر الاغريقي (631ق.م-96ق.م) (من خلال دراسة البقايا الأثرية الدالة عليها) – دراسة تحليلية وصفية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، 2010.
94. صلاح سليمان، تأشيرة سفر، دار فصلة، القاهرة، ٢٠٢٠.
95. صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
96. ضرغام شتية، الفضاءات العامة في مدينة عمان: بين التنوع الحضري والتباين الاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، ٢٠٢١.
97. طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، مجلة الجامعة العراقية، مج2، ع36، بغداد.
98. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، بيروت، 2011.
99. طه باقر، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1980.
100. الطيب بوعزة، كزينوفان والفلسفة الإيلية، مركز نماء، بيروت، 2016.
101. عادل نجم عبو، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان- دراسة في التاريخ والحضارة، دار الكتب، الموصل، 1993.
102. عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الاغريق، ط2، مؤسسة الاهرام، القاهرة، 2001.
103. عاطف العراقي، يوسف كرم مفكراً عربياً ومؤرخاً للفلسفة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ٢٠٠١.
104. عباس محمود العقاد، هذه الشجرة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2006.
105. عبد الجليل كاظم الوالي، الفلسفة اليونانية، دار الوراق، عمان، 2009.

106. عبد الرحمن الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، دار المنهاج، السعودية، 1431هـ.
107. عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ط4، دار القلم، بيروت، 1980.
108. عبد الرحمن بن غالب عواجي، السفسطائية وأثرها في نشأة مدارس الشك، مركز دلائل، الرياض، 2017.
109. عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1972.
110. عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.
111. عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني، تحقيق: حسان حلاق، دار النهضة العربية، بيروت، 2011.
112. عبد اللطيف احمد علي، التاريخ اليوناني العصر الهللادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
113. عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005.
114. عبدالله حسين، تاريخ ما قبل التاريخ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ت).
115. عبيد نصر الدين، الحضارة الاغريقية، تاريخ اليونان، الادب والفلسفة والفنون، محاضرات جامعية مطبوعة على موقع جامعة سعيدة، الجزائر، 2020.
116. عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، ط2، دار الهداية، القاهرة، 2005.
117. علاء الاسواني، هل نستحق الديمقراطية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٤.
118. علي عبد الأمير، تاريخ فن المسرح، دراسة لمسرحية انتجونا سوفوكليس، محاضرات ألقيت في قسم التربية الفنية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، 2016.
119. علي عبد الرؤوف، شعب وميدان ومدينة: العمران والثورة والمجتمع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، القاهرة، ٢٠١٩.
120. علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979.
121. علي عكاشة، وأخرون، اليونان والرومان، دار الأمل، عمان، ١٩٩١.
122. عمار جبار دايش، كفاءة الخدمات الترفيهية في مدينه البصرة (دراسة في جغرافية المدن)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2016.
123. عمر عبد الله شحادة، عبدالباسط مبارك عبد الحافظ، السباحة والغوص بين التراث والمعاصرة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت عمادة البحث العلمي، مج17، ع7، عمان، 2011.

124. غريس كوبر، أساطير يونانية ورومانية، ترجمة: غانم الدباغ، شركة التايمس للطبع، بغداد، 1984.
125. فرانسوا كيفيجيه، ليوناردو دافينشي: الذات والفن والطبيعة، ترجمة: ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة: أحمد فريس، دار الثقافة والسياحة، أبو ظبي، 2020.
126. فرح عبد الحميد عبد الحسين المسيباوي، التسلية والترفيه في شبة الجزيرة العربية قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2020.
127. الفروسية: كيف تمتطي فرساً، تأليف قسم الاعداد والتأليف في دار القلم، بيروت، 2016.
128. فريدريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة: احمد عز العرب، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1957.
129. فريدريك نيتشه، مولد التراجيديا، ترجمة: شاهر حسن عبيد، دار الحوار، سوريا، 2018.
130. فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014.
131. فوزي مكاوي، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980.
132. الفيروزآبادي، محمد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
133. فيكتور فرانكل، الانسان يبحث عن معنى، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، بيروت، 1982.
134. قاسم الشواف، الفينيقيون والألعاب الأولمبية، دور مدينة عمريت الفينيقية في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان، دار علاء الدين، سوريا، 2011.
135. قاسم حسن حسين، افتخار احمد، مبادئ أسس السباحة، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٠.
136. كمال ممدوح حمدي، الدراما اليونانية، دار المعارف، القاهرة، 2019.
137. هـ. د. كيتو، الإغريق، ترجمة: عبد الرزاق يسري، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962.
138. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان: مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
139. لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997.
140. مارفن كارلسون، نظريات المسرح – عرض نقدي وتريخي من الإغريق إلى الوقت الحاضر، ترجمة: وجدي زيد، المكز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
141. مايكل والتون، نظرة إلى التراجيديا المفهوم الإغريقي للمسرح، ترجمة: محسن مصيلحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.
142. مجلة الفيصل، الألعاب الأولمبية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد١٠٨، العدد١٠٨، ١٩٨٦.

143. مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002.
144. مجموعة مؤلفين، الشباب والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية، دار الكتاب، بيروت، ٢٠١٩.
145. محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.
146. محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
147. محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط2، دار الفكر العربي، الكويت، 1980.
148. محمد أيوب الشناوي، الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره في الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان، دار الحضارة، طنطا – مصر، 2002.
149. محمد حسين النجم، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم واثرها عند اليونان، المطبعة العربية، بغداد، 2003.
150. محمد حمدي ابراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1994.
151. محمد زياد حمدان، الإدارة الفعالة للتعليم الصفي المباشر، دار المنهل، عمان، 2015.
152. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1959.
153. محمد صادق اسماعيل، دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، 2014.
154. محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
155. محمد صقر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ت).
156. محمد صقر خفاجة، هوميروس، مكتبة النهضة، القاهرة، 1956.
157. محمد عادل زكي، نقد الاقتصاد السياسي، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، 2021.
158. محمد عرموش، من مينا إلى هرقل، دار كليوباترا، القاهرة، 2021.
159. محمد عواد، تاريخ الإسكندرية: نشأتها وحضارتها منذ أقدم العصور، الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة، القاهرة، 1999.
160. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، مطابع الف باء الاديب، دمشق، (د.ت).
161. محمد كامل عياد، من الأدب المسرحي في العصور القديمة الوسطى، دار الثقافة، بيروت، 1960.

162. محمد مسعود محمد أبو سالم، الحمامات والمراحيض في مصر وأثرها على الصحة العامة في المدة من النصف الثاني للقرن (١٩) وحتى النصف الأول للقرن (٢٠) الميلاديين في ضوء الوثائق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٤.
163. محمد ناجي شاكر أبو غنيم، دراسة تحليلية للأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية لبلاد الإغريق وآثرها في انطلاق الألعاب الأولمبية القديمة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، (د.ت).
164. محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة اليونان دراسة تاريخية أثرية، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.
165. محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ط4، دار الرشيد، بيروت، 1418هـ.
166. محمود فهمي، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر، 1999.
167. مدحت عبد الرزاق الحجازي، سيكولوجية الطفل في مرحلة الروضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
168. مروى عبدون، حمادة بن عيسى، دور الفضاءات العمومية في تحقيق التواصل الاجتماعي في إطار المشروع الحضري، جامعة ام البواقي، الجزائر، 2016.
169. مصطفى الشهابي، الألعاب الأولمبية، دار المعارف، القاهرة، 1998.
170. مصطفى النشار، اعلام الفلسفة والغرب، افلاطون رائد المثالية، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 2018.
171. مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية، دار روابط، بيروت، ٢٠١٨.
172. مصطفى محمد قنديل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة طنطا، 2001.
173. مصطفى محمد قنديل زايد، هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1997.
174. مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دار المطبعة الجديدة، دمشق، 1980.
175. ممدوح درويش مصطفى، وآخرون، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية- تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية- مصر، 1999.
176. منذر هاشم الخطيب، تاريخ التربية الرياضي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1998.
177. مها محمد السيد، الآلهة والأساطير اليونانية، دار الوفاء، الاسكندرية – مصر، 2016.
178. ميريام مروان مقدسي، تأثير التصميم المعماري للمراكز التجارية الحديثة على الواقع الاجتماعي في سوريا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة تشرين، اللاذقية، ٢٠١٥.

179. مينيكه شيبر، المكشوف والمحجوب، ترجمة: عبدالرحيم يوسف، دار صفصافة، الجيزة – مصر، 2017.
180. نجم الدين السهروردي، الموجز في فلسفة وتاريخ التربية الرياضية، مؤسسة دار الكتب، بغداد، 1980.
181. نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2021.
182. نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، مطبعة الكمال، دمشق، 1965.
183. نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: هاشم حمادي، دار الأهالي، القاهرة، 1994.
184. هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
185. هديل داهي عبدالله، الفلسفة الحديثة للألعاب الاولمبية القديمة والحديثة (دراسة إيديولوجية مقارنة)، مجلة علوم التربية الرياضية، العدد الرابع، المجلد الرابع، 2011.
186. هزيودوس، أنساب الآلهة، ترجمة: صالح الأشمر، منشورات الجمل، بيروت، 2015.
187. هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليم البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
188. هوميروس، الأوديسة، ترجمة: دريني خشبة، دار التنوير، القاهرة، 2014.
189. والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 1993.
190. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965.
191. وليد نبيل على، استراتيجية الصراعات والحروب البشرية الغلاف الأمامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦.
192. يعقوب صروف، مدارس اليونان، مجلة المقتطف، المجلد 22، القاهرة، 1898.
193. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مذاهب أساتذة الإنسانية، دار البندقية، القاهرة، 2017.
194. يونس إبراهيم التميمي، قصير عمرة برؤى نمساوية، دار الخليج، عمان، ٢٠٢١.

المصادر الأجنبية

195. Ridder and W. Deohna, Art in Greek, NewYork, 1927.
196. Rostovitzeff, Greece, 2nd edition, Oxford University Press, Oxford, 1963.
197. Aikaterini Frantzopoulou, and others, Acrobatic Gymnastics in Greece From Ancient times to the Present Day, Vol.18, No.4, Aristotle University of Thessaloniki, Greece, 2011.
198. Almaany.com, بهلوانية
199. Anderson, N. Work and Leisure, Free Press of Glencoe, New York, 1961.
200. Ancient Greek Games – They had Dolls too. https://clairecatacouzinos.wordpress.com/2013/12/02/ancient-greek-toys-and-games-they-had-dolls-too/
201. Ancient Greece Toys. https://ancientgreecefacts.com/greek-toys
202. Armand Dangour, Plato and play، American Journal of Plays, Spring, No. 20, Volume 5, 2019.
203. Ashley Cowie, When Children Came out to Play: Ancient Toys and Games, 2019.
204. Ashley Cowie, When Children Came out to Play: Ancient Toys and Games, 2019 .
205. Barmawie Umary, Azaz−Azaz Ilmu Da'wah, Solo, Ramadhani,1984.
206. Benjamin K. Hunnicutt, The History of Western Leisure, Rojek et al. (eds.), A Handbook of Leisure Studies, Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited, Hunnicutt, B. K. 2006.
207. Bieber M., The history of the Greek and Roman Theater, Princeton University Press, Princeton, 1961.
208. Charles Freeman, Egypt. Greece and Rome, third edition, Oxford University Press, Oxford, 2014.
209. Colleen Deyell Hood, Cynthia Carruthers, Enhancing Leisure Experience and Developing Resources: The Leisure, and Well-Being Model, Part II, Vol. 41, No. 4, 2007.
210. Daniel Ogden, A companion to Greece Religion, Oxford, 2007.
211. David C. Young, David C. Young, A Brief History of the Olympic Games, Library of Congress Cataloging -in- Publication Data, Blackwell Publishing, Oxford, 2004.
212. David E. Falkner, The Mythology of the Night Sky: An Amateur Astronomer's Guide to the Ancient Greek and Roman Legends (The Patrick Moore Practical Astronomy Series), Springer edition, Berlin Germany, 2011.

213. David Sansone, Ancient Greek civilization, Wiley-Blackwell, U.S.A, 2003.
214. E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, University Oxford, Press Amen House, Great Britain, 1930.
215. Epidaurus Ancient Stadium https://www.greeka.com/peloponnese/epidaurus/sightseeing/epidaurus-ancient-stadium/
216. Edward M. Plummer, M. D., Athletics And Games Of The Ancient Greek, Cambridge University Press, London, 1898.
217. Edward M. Plummer,M. D.,Athletes and Games of the Ancient Greece, Cambridge University Press, London, 1898.
218. Eliseo Andreu Cabrera, and others, Play and Child hood in ancient Greece, Journal of Human Sport and Exercise, University of Alicante, Issue 3, Volume 5, 2010.
219. Elizabeth Ann Robertson, Growing up Greek: The differing journeys childhood in ancient Athens and Sparta, Master Thesis, Stellenbosch university, 2018.
220. Enes Müslim, Modern Metinlerle Arapça Dil Sınavlarına Hazırlık, Akdem Yayınları, 2018.
221. Francis .S. Betten, The Ancient World from the Earliest Times to 800 A.D, New York, 1916.
222. G. Duckworth, The Nature of Roman Comedy, A study in popular Entertainment, Princeton, 1951.
223. Gilleard C., Old age in Ancient Greece: Narratives of desire, narratives of disgust, Journal of Aging Studies, Vol. 21, 2007.
224. Greece, New World Encyclopedia. https: //www.newworldencyclopedia.org/entry/greece.
225. Harlington, Al J, We Are All Greeks: Assessing The Appropriation of Ancient Greece in Modern, Olympic Revivals, A dissertation submitted to the University of Bristol, 2019.
226. Harris, H, A, Sport in Greece and Rome, London, 1972.
227. Harry Morgan Ayres, The Reader's Dictionary of Authors, BARTLEBY, NEW YORK, 2015. https://www.bartleby.com/library/bios/2050.html
228. Heinz Schobel, The Ancient Olympic Games, Studio Vista, London, 1966.
229. Heinz, School, The Ancien Olympic Games, Translated from Germanby: Joan Becher, New Jersey and New York, London, 1966.
230. Henry George Liddell, Robert Scott, A Greek-English Lexicon, revised and augmented throughout by, Sir Henry Stuart Jones, with the assistance of Roderick Mckenzie, Clarendon Press, Oxford, 1940.
231. Herodouts, The History of Herodouts , translated by Harry Carter, London, 1962.
232. History, Olympic Games, Archived from the original on 9 August, 2016.

233. The Perseus Catalog
http://data.perseus.org/citations/urn:cts:greekLit:tlg0008.tlg001.perseus grc2:14.15
234. Hurbankova S., Characters and Comic situations in Roman Comedy: The Atellan Farce and Mime, Graeco-Latina Brunensia 15, 2010.
235. Infancy and Childhood in Ancient Greek Philosophy | classics for all.org.uk
https://classicsforall.org.uk/reading-room/ad-familiares?page=4
236. J. P. Barron and P. E. Easterling, 'Elegy and Iambus', in The Cambridge History of Classical Literature: Greek Literature, P. Easterling and B. Knox (ed.s), Cambridge University Press, London, 1985.
237. Jane Ellen, Harrison, ,Prolegomena to the Study of Greek Religion, Princeton University Press, Princeton, 1922.
238. John G. Landels, Music in Ancient Greece and Rome, This edition published in the Taylor and Francis e-Library, London and New York, 2002.
239. Jonathan R. Vickers, The Acrobatic Body in Ancient Greek Society, The University of Western Ontario, 2016.
240. Judith Swaddling, The ancient Olympic Games, University of Texas Press, 1999.
241. Kamel W., The Menaechmi of Plautus, its peculiarity and origin, Bulletin of The Faculty of Arts, vol. XVI, Part II, Cairo University press, Dec. 1954.
242. Kris Bordessa, Tools of The Ancient Greeks, Nomad Press, Chicago, 2006.
243. Lesiey Adkins and Roy A. Adkins, Handbook to Life in Ancient Greece, Library of Congress Cataloging –in- Publication Data, Printed in the United States of America, 2005.
244. Louisa Sakka, The Power of Music A comparative study of literature and vase paintings from Classical Athens, Master's Thesis, University of Uppsala, Sweden, 2009.
245. M. Bostovtzeff, Greece, New York, 1963.
246. M. I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, London, 2005.
247. Maria Yfanti, Swimming as Physical Activity and Recreation for Women, Maria Yfanti, Department of Physical Education and Sports Science, Aristotle University, 2014.
248. Martin P, Nilsson, Greek Folk Religion, University of Pennsylvania Press, Pennsylvania, 1998.
249. Michael Norris, Art Greek, Library of Congress Cataloguing-in-Publication Data, New York, 2000.

250. Murphy C.T., Popular Comedy of Aristophanes, American Journal of Philology, Vol 93. No.1, 1972.
251. N . G . L . Hammond, Ahistory of Greece to 322 B.C, Oxford University Press, Oxford, 1961.
252. Nan Dunbar, Aristophanes Birds, Oxford University Press, Oxford, 1998.
253. Nigel B. Crowther, Sportin Ancient Times, Libraryof Congress Cataloging -in-Publication Data, Printed in the United States of America, 2007.
254. Nima Deimary, The study of the in fluency of ancient Greek rituals, Department of Physical Education, Faculty of Literature and Humanities, Malayer University, Iran, 2019.
255. Olympic Charter, International Olympic Committee, Malison Olympia, Lausanne, Switzerland, 2021.
256. Oscar Brockett, Franklin Hildy, History of The Theatre, Pearson press, Boston, 2003.
257. P.G. Brown, Love and Marriage in Greek New Comedy , CQ 43, 1993.
258. Parikshit Chakraborty1, Falguni Chakra arty, Cock Fight: A Symbolic View of Social Status, International Journal of Current Research and Academic Reviews, Volume 4, Number 11, 2016.
259. Pierre de Coubertin Olympic Charter, Published by the International Olympic Committee, Lausanne, Switzerland, 2021.
260. R. Ghirshman, From the Earliest Times to the Islamic Conquest, Penguin Editorial, London, 1954.
261. THUCYDIDES, Translated: RICHARD CRAWLEY, Thucydides (431 BC) The History of the Peloponnesian War 1.1 Trans, E. P. DUTTON AND COMPANY, NEW YORK, 1950.
262. Richard A. Bauman, Women and Politics in Ancient Rome, Routledge Tylor and Francis Group, London, 1994.
263. Robert Flasilier, A Literary History of Greece, Chicago, 2007.
264. Rudlin J., Commedia dell'Arte: An Actors Handbook, Routledge London and New York, 1989.
265. Schopenhauer, Manuscript remains, Berg, Oxford, 1989.
266. Simon Hornblower, Who's Who in the Classical World, University Press, Oxford, 2000.
267. Sofie Remijsen, Only Greeks at the Olympics? Reconsidering the rule Gainst non- Greeks at 'PanHellenic' games, Classicist Media Evalia, No. 67, University of Amsterdam, 2019.
268. Sofie Remijsen, The End of Greek Athlics in Late Antiquity, Cambridge University Press, London, 2015.
269. Stathis Avramidis, World Art on Swimming, International Journal of Aquatic Research and Education, Vol5, No3, 2011.
270. STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, Yale University Press, London, 2004.

271. T. E. PAGE, E. CAl'PS, W. H. D. ROUSE, THE LOEB CLASSICAL LIBRARY, AEISTOPHANES, WILLIAM HEINEMANN LTD, LONDON, 1930.
272. The real story of the Ancient Olympic Games, Penn Museum. https://www.penn.museum/sites/olympics/olympicorigins.shtml
273. The Olympic Games. https://www.history.com/topics/sports/olympic-games
274. Tony Perrottet, The Naked Olympics: The True Story of the Ancient Games, Random House Digital Inc, New York, 2004.
275. Trapido J., The Atellan plays, Educational theatre Journal, vol.18 , No.4, Dec. 1966.
276. Ulrich Sinn, Olympia: Cult, Sport and Ancient Festival, Princeton, NJ: M. Wiener, 2000.
277. What to Know About the Ancient Olympics https://time.com/4431034/rio-olympics-ancient-history/
278. WALDO E. SWEET, Foreword by Erich Segal, SPORT AND RECREATION IN ANCIENT GREECE, Oxford University Press, Oxford, 1987.
279. Walter S. Hett, The Games of the Greek Boy, JOURNAL ARTICLE, Greece & Rome, Cambridge University Press, London, Vol 1, No: 1. 1931.
280. WILLIAM H. RACE, PINDAR OLYMPIAN ODES PYTHIAN ODES, HARVARD UNIVERSITY PRESS, New York, 1997.
281. William Henry Denham Rouse, Greek Votive Offerings, Cambridge University Press, London, 1902.
282. William Stearns Davis, A Day In Old Athens, a picture of Athenian life, Long Beach, Chicago, 2016.
283. ΣΧΕΔΙΑΣΜΟΣ ΠΡΟΓΡΑΜΜΑΤΟΣ، ΤΟ ΠΑΙΧΝΙΔΙΣΤΗΔΙΑΧΡΟΝΙΑ, ΔΗΜΟΣΑΧΑΡΝΩΝ, 2015.

الشكل رقم (1): الأستاديوم الأول

Epidaurus Ancient Stadium

https://www.greeka.com/peloponnese/epidaurus/sightseeing/epidaurus-ancient-stadium/

.....

الشكل رقم (2): نموذج يرجح أنه كان من الجوائز تمنح للفائزين في المسابقات الأولمبية

Penn Museum

https://www.penn.museum/sites/olympics/olympicorigins.shtml

الشكل رقم (3): شعار الألعاب الأولمبية

Document Set Teachers, The Olympic Museum, Olmpism and the Olympic Movement, p.1.

.....

الشكل رقم (4): هرقل يصارع الأسد النيمي

STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p 58.

الشكل رقم (5): تاج من أوراق الكرفس البري، جائزة الفائز تمنح في دورة الألعاب النيمية

M.I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, p.93.

.....

الشكل رقم (6): المتسابقون يتنافسون وهم عراة

What to Know About the Ancient Olympics

https://time.com/4431034/rio-olympics-ancient-history/

الشكل رقم (7): سباق العربات ذات الأربع عجلات

M.I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, p.47.

.....

الشكل رقم (8): تخليد أحد الفائزين في سباق العربات في عملة معدنية قديمة

https://ar.wikipedia.org/wiki/

الشكل رقم (9): فارس إغريقي بعد تدريب مرهق

الفن اليوناني القديم، stringfixer.
https://stringfixer.com/ar/Classical_art

.....

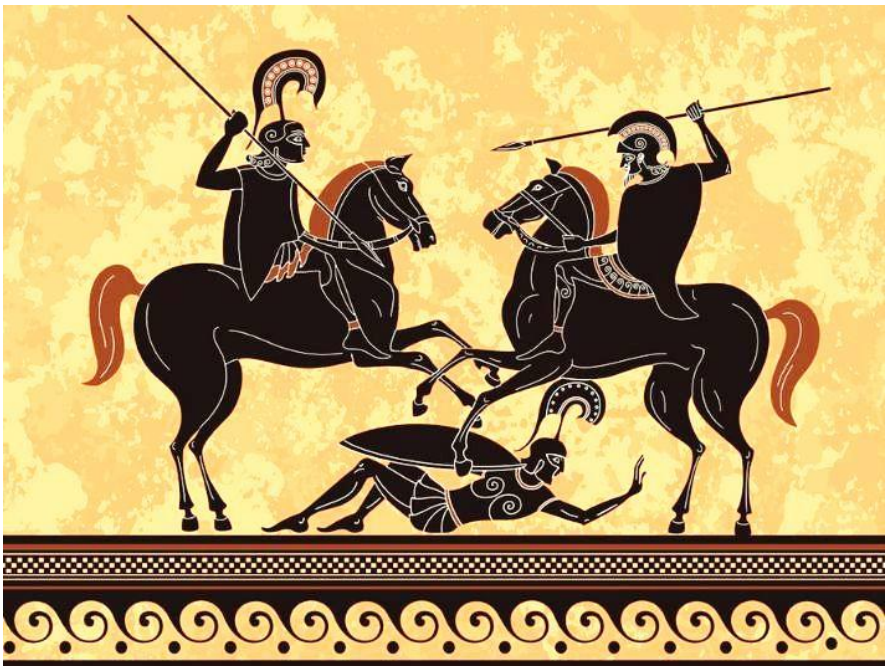

الشكل رقم (10): فارس إغريقي

Ancient greece warrior.Hero,spartan,myth.Ancient civilization culture.
https://stock.adobe.com/de/images/ancient-greece-warrior-hero-spartan-myth-ancient-civilization-culture/222373006

الشكل رقم (11): اكتايون وتمزيقه إلى أشلاء من قبل الكلاب

Leonard Barkan, Diana and Actaeon: The Myth as Synthesis, Published by: The University of Chicago Press, Vol. 10, No.3, 1980, p.14.

……

الشكل رقم (12): مزهرية عليها صور صيد

فخار اليونان القديم

https://www.pngegg.com/ar/png-hndhp

الشكل رقم (13): تربية الحيوانات الأليفة عند الاغريق

Ancient Olympics

http://ancientolympics.arts.kuleuven.be/ar/TD009AR.html

.....

الشكل رقم (14): ثيسيوس يهزم المصارع الأسطوري الشهير سيرسيون

M.I. Finley and H.W Pleket, The Olympic Games the first thousand years, p.120.

الشكل رقم (15): مشهد لرياضة المصارعة الامساك باليد والذراع

E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.184.

.....

الشكل رقم (16): مصارع يمسك برقبة خصمه

STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p.49.

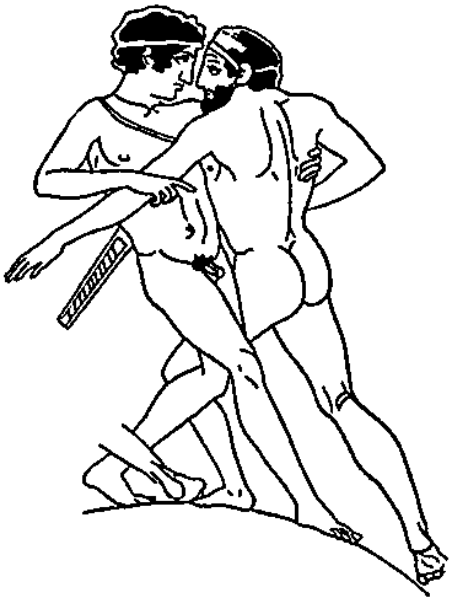

الشكل رقم (17): يلف ذراعه اليسرى حول جسد خصمه في محاولة منه للإطاحة به

E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.185.

.....

الشكل رقم (18) عرقلة الساق والإمساك بها من أجل الفوز على خصمه

STEPHEN CJ. MILLER, Ancient Greek Athletics, p.59.

الشكل رقم (19) مصارعة الديكة

موقع الأكاديمية بوست
https://elakademiapost.com

.....

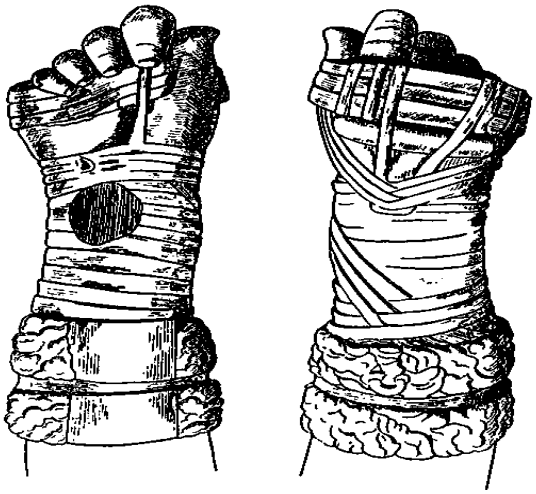

الشكل رقم (20): قفازات الملاكمة

E. NORMAN GARDINER, Athletics Of The Ancient World, p.201.

الشكل رقم (21): محاولة أحد لاعبين البنكراتون التلاعب بالقواعد، وتدخل المدرب المسؤول إيقاف التلاعب بالقواعد التي تم خرقها

Tony Perrottet, The naked Olympics: the true story of the ancient games, p.82.

.....

الشكل رقم (22): وعاء فضي من قبر ميسيني يصور السباحين وهم يتسابقون

Stathis Avramidis, World Art on Swimming, p. 331.

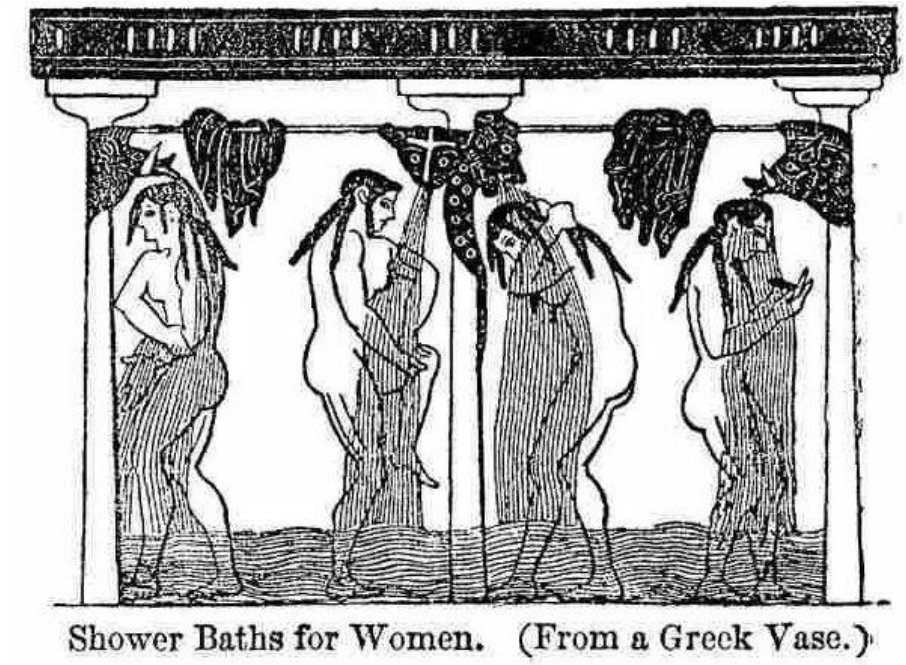

الشكل رقم (23): حمام نساء إغريقي

Stella, Ancient Greek and Roman Bathing.

https://medium.com/@ancientworldalive/ancient-greek-and-roman-bathing-94a585ad3c4f

.....

الشكل رقم (24): ألعاب أطفال إغريق

Ancient Greek Games – They had Dolls too

https://clairecatacouzinos.wordpress.com/2013/12/02/ancient-greek-toys-and-games-they-had-dolls-too/

الشكل رقم (25): روح المنافسة عن الأطفال الإغريق وهم يلعبون

Infancy and Childhood in Ancient Greek Philosophy | classicsforall.org.uk
https://classicsforall.org.uk/reading-room/ad-familiares?page=4

.....

الشكل رقم (26): لعبة أطفال عبار عن حصان خشبي يتحرك على عجلات

Ancient Greece Toys
https://ancientgreecefacts.com/greek-toys/

الشكل رقم (27): حصان صغير على عجلات لعبة لطفل

ΣΧΕΔΙΑΣΜΟΣΠΡΟΓΡΑΜΜΑΤΟΣ, ΤΟ ΠΑΙΧΝΙΔΙΣΤΗΔΙΑΧΡΟΝΙΑ, p. 14.

……

الشكل رقم (28): الأولاد يلعبون الإيفيدريسموس

Elizabeth Ann Robertson, Growing up Greek: The differing journeys childhood in ancient Athens and Sparta, p.46.

الشكل رقم (29): أطفال إغريق يلعبون بكرات الجوز

Infancy and Childhood in Ancient Greek Philosophy | classicsforall.org.uk
https://classicsforall.org.uk/reading-room/ad-familiares?page=4

……

الشكل رقم (30): القيثارة الاغريقية

Agora Art and History

https://shiningjasmin.tumblr.com/post/99470760001/shiningjasmin-athena-playing-the-aulos-the

الشكل رقم (31): القيثارة الاغريقية

موقع المعرفة

https://www.marefa.org/

.....

الشكل رقم (32): شخص يقفز على ظهر ثور من الحقبة المينوية

https://www.blendspace.com/lessons/G3hlF1gMkRKbIQ/grecia-la-civilta-minoica

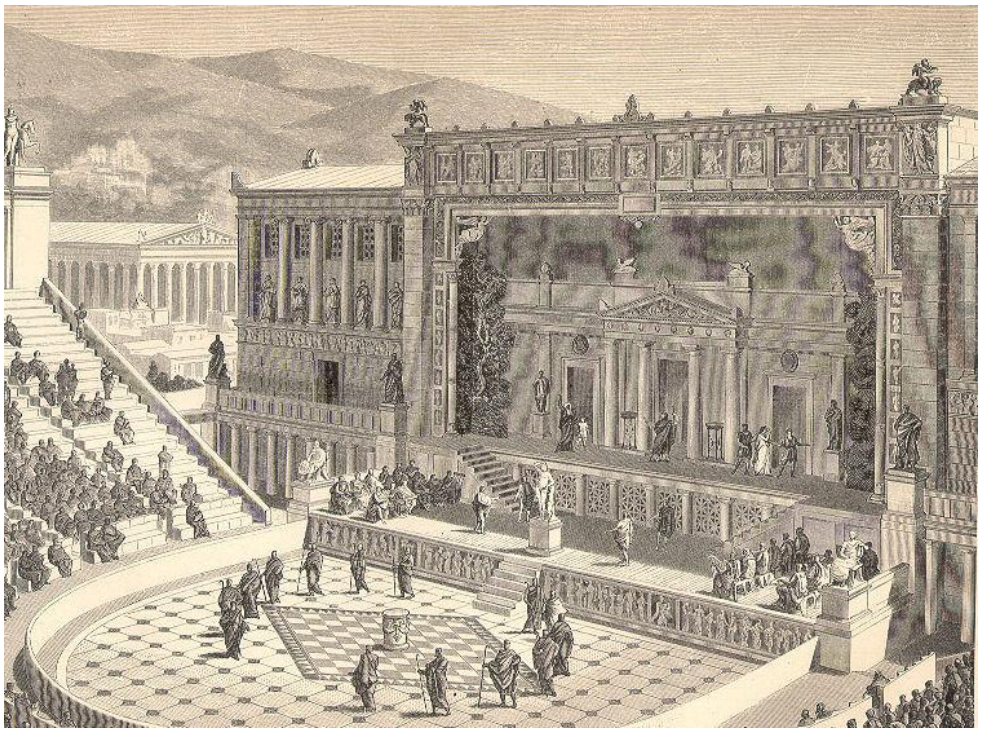

الشكل رقم (33): مسرح ديونيسيوس ف أثينا، كما تم تخيله

Joseph Kurschne, The German encyclopedia, 1891.
https://ar.wikipedia.org/wikiDionysiusTheater.jpg

.....

الشكل رقم (34): مشهد تعذيب بروميثيوس والنسر ينهش في لحمه وعظمه

David Sansone, Ancient Greek civilization, p.52.

بعد إكمال الدراسة وعرض فصولها، نبين جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها وقد تمثلت بالآتي:

1. اهتم الإغريق بالألعاب الرياضية كونها تمثل رياضة للبدن لها أثر إيجابي على الصحة والحالة النفسية، وتأثر في اذكاء روح المنافسة، فقام الإغريق بتنظيم الألعاب الأولمبية والتي تضمنت منافسات متنوعة، كلها كانت تعد من أهم وسائل الترفيه والتسلية عند اليونان.
2. كان للرياضة مكانتها الكبيرة عند المجتمع الإغريقي ووضع له دساتير خاصة تم ربطها بالعقيدة، فوضعوا لها تشريعات ونظماً لقواعدها، ونظريات لممارستها كعلم من علوم الحياة وفن من فنونها.
3. مع أن الصيد والقنص مهنة لكسب الرزق، إلا أنها كانت تمارس أيضاً كهواية يجدون فيها روح التسلية والترفيه، ولم تكن هذه الهواية حكراً على الملوك والنبلاء، بل كانت لعامة الشعب، ومن أوجهها صيد السمك والحيوانات المفترسة والحيوانات الداجنة وصيد الطيور.
4. اهتمام الاغريق بوضع توقيتات مناسبات التسلية والترفيه، ولم تكن تعقد في أي وقت، وإنما بمواقيت خاصة متفق عليها، فضلاً عن ممارستهم لهواياتهم في أوقات فراغهم.
5. وضع الإغريق برامج وفقرات متنوعة لمناسباتهم واحتفالاتهم، كلها كانت تسهم في تسليتهم وترفيههم والتخفيف عن ضغط الحياة الصعبة التي واجهوها.
6. تمسك الإغريق بدينهم تمسكاً جعلهم يقيمون الحفلات والولائم والأعياد الدينية، التي لم تخلو هي الأخرى من جو التسلية والترفيه عن النفس بأجواء صاخبة امتزجت فيها الموسيقى بالغناء، فكانوا يطربون بالنغمة العذبة واللحن الشجي ما جعلهم يبتكرون العديد من الآلات الموسيقية التي أطربت آذانهم واثلجت صدورهم.

7. لم يكن الرقص عند الإغريق مظهراً من مظاهر التعبير عن سرورهم فسحب، بل كان أحياناً يعبر عن حزنهم، إذ كانت الموسيقى والغناء تصاحب المواكب الجنائزية، وبالتالي لها دور ديني ودنيوي في الوقت نفسه.
8. اهتم الإغريق كثيراً بتوفير التسلية الترفيه واللعب للأطفال بغية تنمية وتعزيز ثقة الطفل بنفسه، إذ يُعد اللعب أحد الأنماط السلوكية التي يمارسها الطفل للحصول على المتعة والتسلية، فضلاً عن كون هذه الأنماط تهيئ الطفل كي يكون فاعلاً بالمجتمع الإغريقي مستقبلاً، فيهتمون بكل ما من شأنه أن ينمي عقلية وبدن الطفل، وكل ذلك يتم من خلال جعل التربية والتدريب وسيلة من وسائل التسلية والترفيه عند الأطفال.
9. اهتم الإغريق بالفن الأدبي التعبيري، لما له من أثر كبير في تسلية المجتمع وترفيهه وتثقيفه ونقل الأفكار له، فضلاً عن تشجيع المواهب الإغريقية على التفكير بعمق أكبر وتوسيع الخيال الإنساني ليكسب الفرد الخبرات والمهارات العظيمة، فللخطابة والقصص والشعر دور كبير في تهذيب وتأديب الإنسان، ومظهراً من مظاهر التسلية والترفيه.
10. اهتمام الإغريق بالمسرح اهتمام كبير جداً، بل يعد المسرح مظهراً مهما من مظاهر الحضارة الإغريقية، فهو وسيلة مهمة من وسائل التسلية والترفيه عن النفس التي لجئوا إليه، فضلاً عن كون المسرح يؤدي خدمة عظيمة في ترتيب الحياة وتعديل السلوك الإنساني والأخلاقي عند الإغريق، لاسيما للناس الذين يفتقرون للأفكار والأخلاق السليمة.